الكتاب : مأساة الزهراء الجزء الأول

العلاّمة المحقق
السيد جعفر مرتضى العاملي

حقوق الطبع محفوظة
الطبعة الأولى
بيروت
18شعبان1418هـ – الموافق1997/12/18م.
الطبعة الثانية
بيروت
18شهرر مضان 1418هـ – الموافق 1998/1/17م.

خلفيات
كتاب مأساة الزهراء
عليها السلام
خَلْفِيَّاتُ
كتاب مأساة الزهراء
عليها السلام

الجزء الأول

العلاّمة المحقق
السيد جعفر مرتضى العاملي

حقوق الطبع محفوظة
الطبعة الأولى

بيروت
18شعبان1418هـ – الموافق1997/12/18م.
الطبعة الثانية
بيروت
18شهرر مضان 1418هـ – الموافق 1998/1/17م.
الطبعة الثالثة
قم المقدسة
3 شوال 1418 هـ – الموافق 1998/2/1م.

بسم الله الرحمن الرحيم

.....

محتويات الكتاب

الإهداء.....23
– قبل المقدمة.....25
– المقدمة.....29
– تمهيد .. حيث لا بد من الإشارة 35
1... 1 . عقائد الشيعة (متوارثة) 41
2... 2 . عقائد الشيعة قد يكون فيها الخطأ 41
3... 3 . هل في عقائد الشيعة بدع؟!! 41
4... 4 . أسعى لاقتحام المسلّمات 41
ألفصل الأول: النبوة ومعالمها 47
5... 5 . ضعف النبي بشرياً في أكثر من موقع.....49
6... 6 . النبوة لا تفرض الكمال.....49
7... 7 . القرآن لا يريد إعطاء النبوة هالة مقدسة.....49
8... 8 . لا أسرار فوق العادة في شخصية الأنبياء.....51
9... 9 . الضعف في طبيعة الروح للأنبياء.....51

10... . أوضاع سلبية في التصور والممارسة لدى الأنبياء. 51
11... نسيان المعصوم في أمور الحياة الصغيرة.....53
12... . سهو المعصوم في الأمور الحياتية.....54

13... . لا يجب أن يكون النبي الأعلم في كل شيء 54
14... معصية آدم كمعصية إبليس 55
15... . الفرق بين آدم وإبليس هو في الإصرار والتوبة.....55
16... . آدم ينسى ربّه وينسى موقعه منه.....55
17... . آدم استسلم لأحلامه الخيالية وطموحاته الذاتية.....55
18... . آدم طيب وساذج: لا وعي لديه.....55
19... . آدم يعيش الضعف البشري أمام الحرمان.....55
20... . آدم يمارس الرغبة المحرمة.....55
21... . الدورة التدريبية لآدم عليه السلام.....55
22... . كان عاصياً ولم يكن مكلفاً ؟؟؟.....56
وقفة قصيرة.....57
تفسير الآيات.....58
23... . لا طريق إلاّ تزويج الإخوة بالأخوات 61
24... . لا مناعة جنسية حتى بين الأم وولدها 61
25... . بامتداد النسل يحصل الجو النظيف جنسيًا. 61
وقفة قصيرة.....63
... 26 . الله يؤنب ويوبخ نبيه.....64
... 27 . نوح لم يلتفت إلى{ إلا من سبق عليه القول} 64
... 28 . كلمة {من سبق عليه القول} لم تكن واضحة.....64
وقفة قصيرة.....65
29... – التأكيد على سذاجة إبراهيم عدة مرات.....69
30... خشوع إبراهيم للكوكب، وقناعته بربوبيته.....69
31... إبراهيم (ع) في وهم كبير.....69

32. إبراهيم يعبد القمر ويتصوف له.....69
33. ضياع إله إبراهيم في الأجواء الأولى للصباح.....69
34. (لا أحب ... هذا أكبر) صرخة طفولية.....69
وقفة قصيرة.....81
تفسير الآيات.....81
35. عذاب يوسف (ع) في مقاومة الإغراء 86
36. الإنجذاب إلى الحرام والقبيح لا ينافي العصمة 86
37. جسد يوسف (ع) تأثر بالجو (الجنسي) 86
38. عزم على أن ينال منها ما أرادت نيله منه 86
39. همّ بها ، ولكنه توقف، ثم تراجع 86
40- إيمان يوسف(النبي) يستيقظ 86
41. إستنفد كل طاقاته في المقاومة 86
وقفة قصيرة.....89
مناقشة وردّها.....92
42 . جبرائيل لم يكن ينزل على لوط (ع) 95
43. لوط (ع) يتلقى الأوامر من إبراهيم(ع) 95
44 . موسى (ع) ينكث العهد 98
45 . موسى (ع) غير منضبط 98
46 . خطأ موسى (ع) في موقفه 98
47 . موسى (ع) لا يستفيد من التجربة الخاطئة الأولى 98
48 . موسى (ع) لم يفهم الحدث ولم يفكر 98
49 . علم الأنبياء والأئمة (ع) محدود بحدود مسؤولياتهم 98
50 . نسيان موسى عليه السلام 98
51 . النسيان حالة اضطرارية 98
52 . موسى(ع) في دورة تدريبية 99
53 . عدم أهلية موسى لمرافقة الخضر 99
وقفة قصيرة 100
تفسير الآيات.....100

54... إحتمال ارتكاب النبي موسى (ع) جريمة دينية 103
55... الآلام النفسية لموسى (ع) بسبب عملية القتل 103
56... جريمة موسى (ع) في مستوى الخطيئة 103
57... الخطأ غير المقصود لموسى (ع) 103
58... موسى(ع) يستجيب للوسوسة الخفية بالقتل 103
وقفة قصيرة.....104
59... خطأ الأنبياء في تقدير الأمور 109
60... العصمة إنما هي فيما يعتقد أنه معصية 109
61... الجهل المركب عند الأنبياء 109
62... نقاط ضعف الأنبياء في حياتهم العملية 109
63... الضعف البشري عند الأنبياء 109
64. جهل النبي بتكليفه الشرعي 109
65... إختلاف نبيَّين في الرأي في مسألة واحدة 110
66... موسى (ع) يغضب الله سبحانه على هارون (ع) 110
67... موسى(ع) يحمّل هارون مسؤولية ضلال قومه 110
68... هارون (ع) يتساهل مع قومه وموسى يعنف 110
69... موسى (ع) يشعر بالحرج مما صدر منه 110
70... لو احتاط موسى وهارون لكانت النتائج أفضل.....110
71... خطأ موسى أو هارون (ع) في تقدير الموقف 110
72... ... مرة أخرى العصمة لا تمنع من الخطأ فى... .....
تقديرالأمور.....111
73... الجهل المركّب لدى الأنبياء (ع) ...ثانية.....111
74... لا يفهم العصمة بالطريقة الغيبية.....111
75... هارون (ع) مقصر لكنّه ليس بعاصٍ.....111
وقفة قصيرة.....114
76... أصول العقيدة تعرف بالسمع لا بالعقل.....116
77... لا دليل يصرف معنى الرؤية عن الرؤية الحسية 116
78... النبي موسى(ع) لا يعرف: أن الله لا يرى 116

79. الله يعلّم أنبياءه أصول العقيدة بالتدريج 116
80. لا يبعد أن سؤال موسىعن رؤية الله الحسية..... 116
81. وأيضاً...نقاط الضعف لدى الأنبياء 116
82. الله يسلط نوره على الجبل فكيف لو تسلط عليه
... بنفسه؟..... 116
83. موسى والتحاليل الفلسفية والمعادلات العقلية في
استحالة تجسد الإله وإمكانه 116
وقفة قصيرة..... 120
84. يونس(ع) ليس لديه الصبر الكافي 121
85. الله يؤدِّب نَبِيَّه يونس (ع) 121
86. يونس (ع) تهرَّب من مسؤولياته 121
87. الله يعتبر يونس(ع) هارباً كإباق العبد من سيده 121
88. يونس(ع) يخرج دون أن يتلقى تعليمات من الله 121
وقفة قصيرة 124

تفسير الآيات..... 125
89. قضية داود (ع)كقضية آدم (ع)..... 132
90. داود(ع) يستسلم لعواطفه في قضائه 132
91. داود(ع) يعتمد على ما لا يصح الإعتماد
... عليه في القضاء..... 132
92. داود (ع) يخطىء في إجراء الحكم..... 132
93. الله هو الذي أراد لداود(ع) أن يقع في الخطأ. 132
94. خطأ داود(ع) كانت له نتائج سلبية 132
95. الخطأ لا يتنافى مع مقام النبوّة 132
آيات حكم داود(ع)..... 136
وقفة قصيرة..... 137
96. "إستعراض الخيل" شغل سليمان(ع) ففاتته الصلاة 140
97. نقاط الضعف في الأنبياء لا تنافي العصمة 140
98. سليمان ابتعد عن الخط الرسالي قليلاً 140

...99 . الضغط الإلهي أعاد سليمان(ع) إلى الخط 140
...100 . سليمان(ع) يضرب أعناق الخيل وسوقها
... ليؤلم نفسه فيما تحبه.....140
عرض الآيات.....144
وقفة قصيرة.....145
الفصل الثاني: النبي(ص) وعلي(ع) والزهراء(ع) 149
...101 . لا تفعلوا مثل فعل النبي(ص) 151
...102 . لا تكن منطلقاتكم منطلقات النبي محمد(ص) 151
...103 . النبي(ص) لا يعرف المهم من الأهم 152
...104 . النبي(ص) يقوم بتجربة غير ذات موضوع 152
...105 . الله يربي رسوله تدريجياً بعد الوقوع في الخطأ.....152
...106 . النبي(ص) يحتاج إلى تكامل الوحي،
... وسعة الأفق، وعمق النظر للأمور 152
...107 . النبي(ص) يستغرق فيما فيه مضيعة للوقت 152
...108 . النبي يفوّت الفرص المهمة 152
...109 . النبي(ص) يخطيء في التشخيص 152
...110 . النبي(ص) لا يعرف مسؤوليته المباشرة 152
وقفة قصيرة.....155
...111 . الخطأ غير المقصود للنبي(ص) 158
وقفة قصيرة.....159
...112 . الزهراء(ع) عوضت النبي(ص) ما فقده من حنان.....160
...113 . جوع النبي(ص) وهو في القمة إلى الحنان 160
...114 . قبل البعثة لا تجربة ثقافية للنبي(ص) 164
...115 . عناوين الشكّ في شخصية النبي(ص) 164
وقفة قصيرة.....165
...116 . لا خصوصيات غير عادية في شخصية الزهراء 166
...117 . لا توجد عناصر غيبية تخرج الزهراء(ع) عن مستوى... ... ... المرأة العادي
.....166

118... . "الروح" لطف وجّه مريم(ع) عملياً وثبتها روحيّاً.....166
119... . "الروح" لا يمثل حالة غيبية في الذات 166
120... . نقاط الضعف الإنساني في شخصية مريم(ع) 166
121... . علي عليه السلام يبين حاله 172
122... . علي(ع) يطلب من الله أن يغفر ذنوبه وخطايا..... 172
123... . يدا علي(ع) تقترفان الذنوب 172

124... . قلب علي(ع) يكسب الآثام 172
125... . الذنوب تقصم ظهر علي (ع) 172
126... . الأجواء توقظ غرائز علي(ع) 172
127... . غرائز علي (ع) تغلب عقله 172
128... . علي (ع) يقع في المعصية 172
129... . علي(ع) يعد الله بأنه سيتراجع عن خطأه
... وإساءته ومعصيته 172
130... . علي(ع) يطلب من الله أن لا يفضح ما اطلع
.....عليه من سرّه 172
الفصل الثالث: الإمامة والتشيع.....177
131... . الشيعة في قفص الإتهام 180
132... . الشيعة إرهابيون في المجال الفكري !.....180
133... . دعوة السنّة والشيعة إلى التنازل عما ورثوه 180
134... . الشيعة مصداق للآية : "انا وجدنا آباءنا على أمة" 180
135... . لا يوجد نقد علمي عند الشيعة والسنة 180
136... . لا حرية إلا لمناقشة القضايا السنية 180
137... . الخلاف بعد النبي لم يضر بالإسلام 182
138... . المسيرة الإسلامية لم تنحرف بعد النبي(ص) 182
139... . التشيع وجهة نظر في فهم الإسلام 182
140... إتهام الشيعة بأنهم انفصاليون ، لا يتعاونون
...مع إخوانهم ولا ينصحونهم 182
141... . الفكر الإلهي ! والفكر البشري 183

142... الإمامة فكر بشري..!.....183
143... كل التراث الفقهي والكلامي فكر بشري 183
144... الحقيقة نسبية 183

145... بديهيات الإسلام فقط فكر إلهي 183
وقفة قصيرة.....184
146... حديث الكساء المتواتر، في سنده مناقشة!!.....186
147...–سند حديث: "من مات ولم يعرف إمام زمانه" موضع نقد...187
148. كانت قلوبهم مملوءة بحب الزهراء فكيف نتصور 188
.....أن يهجموا عليها؟ 189
149... إبعاد علي(ع) كان نتيجة فهم الكلام بطريقة معينة 189
150... المسلمون(!!) فهموا ذلك 189
151... الخطأ في إجتهاد أهل السقيفة 189
152... مشكلتنا: أن حديث الغدير مروي بشكل مكثف 189
153... ينبغي لأهل السنّة أن يناقشوا سند حديث الغدير 189
154... كلمات النبي(ص) في الغدير، تجعل الشك في أذهان
.....الناس 189
155... النبي (ص) لم يكتب كتاباً للأمة لأنه أراد
.....للتجربة أن تتحرك 189
وقفة قصيرة.....193
الفصل الرابع: عقائد الشيعة وشعائرهم.....197
156... لا فائدة من مسك حديد قبر النبي (ص) 200
157... الدعوة إلى تغيير الزيارات المرسومة 200
158... التعبد لقبر النبي والولي وتمثال المسيح(ع) 202
159... صنمية لا شعورية للشخصيات المقدسة 202
160... تعليق صورة علي (ع) صنمية 202
161... قدّمنا للناس أشكالاً إعتبرناها طقوساً ومقدسات 202
162... لا يخطر في بال أحد "الرحلة" في أجواء صاحب القبر 202

163... تجميد الشخصية المقدسة في القبر أو التمثال 202
164... الإحتفال بشرب الخمر في عاشوراء 204
165... الإلتفات إلى الجانب الإنساني دون الرسالي في قضية
.....الحسين(ع) تخلف.....206
166... تمثيل عاشوراء صنمية 206
167... ذاتيات الحسين (ع) في زيارة وارث 208
168... التوجه إلى الله مباشرة ، لا إلى الحسين(ع) 208
169... التشنيع على اللطم في عزاء الحسين(ع) 209
170... علي (ع) يشرب الخمر 209
171–زيارة الناحية المقدسة للامام الحسين (ع) موضوعة 210
172– ذيل زيارة عاشوراء موضوعة أيضاً 210
173. الإعتراض على النبي في الحديبية كان وعي الصحابة !!.....214
174... عدالة الصحابة 214
175... نفي جرأة أحد على النبي (ص) 214
176... لا سلبية من الصحابة تجاه النبي (ص).....214
177... المعصوم يخطئ في الترجمة 215
178... تعبير المعصوم ليس دقيقا 215
179... الأحاديث القدسية مترجمة 215
180... اطلب من الله أن يشفع علياً فيك. 218
181... يا محمد ، يا علي ، شرك في العبادة 218
182. الله لا يريدنا أن نتوجه الى أحد من الناس.....219
183... الشفاعة بالشكل وليست حقيقية 219
184... لا معنى للتقرب للأنبياء ، والأوصياء لأجل شفاعتهم..... 219
وقفة قصيرة.....221

185... الصراط أمر رمزي 225
186... اللوح المحفوظ أيضاً قد يكون رمزيّاً 225
187... إغلاق ملف البداء من عقائد الشيعة 227
188... الإشكال في البداء تعبيري 227

189... لنسقط عقائدنا تلافياً للحملات الظالمة 227
وقفة قصيرة..... 229
190... فكرة "التفضيل" إتعاب للفكر وإرضاء للزّهو 230
191... التفضيل ليس جزءاً من العقيدة ولا من الخط 230
وقفة قصيرة..... 231
192... ضرورة تأويل أحاديث الرجعة 231
193... لا ضرورة للرجعة بمعناها المعروف 231
194... المنطقة الجغرافية للعرش 233
195... نفي النبوّة عن النبي(ص) قبل سنّ الأربعين ..... 234...196 . الولاية التكوينية شرك 235
الفصل الخامس: التوحيد وأهل الكتاب 241
197... الإنجيل أكثره "على الأقل" كلام الله 244
198... بعض المسلمين قد يقول بتحريف الإنجيل 244
199... الإسلام يلتزم مقدسات أهل الكتاب 246
200... الثالوث المسيحي لا إشكال فيه 247
201... "أهل الكتاب" ليسوا كفارا بالمصطلح القرآني 248
202... التوحيد الإيماني لأهل الكتاب 248
203... التثليث شرك فلسفي وليس شركاً إيمانياً..... 251
204... الشرك الفلسفي والشرك المباشر 251
205... تجسد الله كتجسد الكلمة في كتاب..... 252
206... كفر أهل الكتاب ككفر بعض المسلمين بالمعنى العميق..... 252
207... ما دمت في دائرة الشك فلست بكافر..... 254
208... لا يوجد كافر في العالم..... 254
209... الإسلام يشجع على الشك..... 254
الفصل السادس: التشهير بالحوزات العلمية وبعلماء المذهب..... 259
210 . ليس في الحوزات العلمية حريّة فكر 261
211. لا يستطيع الطالب مناقشة العقائديات
... والفقه والإجتماعيّات 261

212 . تغيير الحوزات يحتاج إلى ما يشبه الثورة 261
213 . هناك تجربة (تغييرية) تمشي بين الألغام 261
214... . إنتخاب المرجع كانتخاب البابا 262
215... . المرجعية : فردية، شخصية، مزاجية 262
216... . مرجعيات لا علاقة لها بالواقع المعاصر، وتحدياته، وتطلعاته ..262
217... . توهين وهتك الحوزات العلمية الدينية 263
218... . يشربون المخدرات لعدم الدليل عندهم على الحرمة 263
219... . الأفيون والترياك في الحوزات العلمية 263
220... . الغوغاء منعت الفقهاء من إعلان فتاواهم 264
221... . الغوغاء منعت المفكرين من أن ينطلقوا في أفكارهم بحريّة ...264
222... . العامّة أصبحت تحكم الخاصّة 264
223... . لا يمكن الفتوى بخلاف ما اعتاده الناس 264
224... . إجتهاد فقهائنا غير منفتح على كل تفاصيل القرآن.....265...225 . القرآن أساس لاستنباط فتاواه 265
226... . المنهج التقليدي أبعد الفقهاء عن استيحاء القرآن 265
227... . الخطاب الإسلامي يمثل هروباً من الواقع 266
228... . أسلوب العلماء في الخطاب فوقي غالباً 266
229... . تشويه العلماء صورة فهم النص القرآني والنبوي 267
230... . علماؤنا لا يهتمون بالقرآن 267
231... . إختصاص العلماء مقتصر على الفقه 267
232... . العلماء لا يملكون عمق التحليل في العقائد 267
233... . العلماء لا يهتمون بالمسائل العقيدية 267
234... . لا إلمام للعلماء بالعقائد 267
235... . خوف العلماء من العامة هو سبب
... عدم اهتمامهم بالعقائد.....267...236 . المرجعيات تقبع في الزاوية 268
237... . اكتفاء المرجعيات بالعاطفة 268
238... . لا توجد مرجعية رائدة 268

239... . الأسماء المطروحة للمرجعية تقليدية غير منفتحة 268
240... . حركة المراجع تنطلق من طموحاتهم للمرجعية 268
241... . أسماء المرجعيات لا تملك الكثير من الوعي 269
242... . لا إضاءات كبيرة في الحركة التاريخية للمرجعيّات 269
243... . التخلف سبَّب خطأ العلماء في فهم النص والواقع 270
244... . أغلب العلماء لا تزال نظرتهم سلبية للمرأة 270
245... . قليل من العلماء درس القضايا بعمق 270
246... . الفكر في مسألة المرجعيّة لا يزال تقليدياً 270

الفصل السابع: المنهج الإستنباطي–والفقه الجواهري 273

247... . العمل بالقياس عند الحاجة ولو في مسألة واحدة 275
248... . النهي عن القياس لأجل عدم الحاجة إليه 275
249... . سيرة العقلاء تشرع للإنسان المسلم أحكامه 282

250... . بناء العقلاء يشرع للمسلم أحكامه 282
وقفة قصيرة.....283
251... . كل التراث الفقهي والكلامي والفلسفي فكر بشري 283
252... . القرآن يوسّع الحديث ويضيّقه 284
253... . الحديث لا يخصص ولا يقيد القرآن.....284
254... . ربط الناس بالعقل أغنى عن النبوّة 285
255... . النصوص المتوافقة مع ذهنيات المجتمعات القديمة
... هي سبب الخطأ 286
256... . الأئمة(ع) يستوحون القرآن 286
257... . هو يستوحي القرآن كما يستوحيه الأئمة(ع) 286
258... . الحديث المتفق على ضعفه مقبول عنده 287
259... . الحديث المتفق على رفض الاستدلال به مقبول عنده 287
260... . " الوثوق الشخصي " بالخبر هو المعيار
... ولو خالف كل العلماء 287

261... توثيق أحاديث أهل البيت مشكلة معقدة 287
262. مشكلة السند بسبب كثرة الكذب على أهل البيت(ع)..... 287
263... فتح باب العمل بروايات العامّة 287
264... تصحيح الروايات التاريخية 289
265... قاعدة التزاحم هي المصالح المرسلة عند السنة 292
266... المحرم ما حرّمه القرآن والحلال ما أحله القرآن 293
267... يجب موافقة الحديث للقرآن في حجم دلالته 293
فتاوي بديعة.....295

268... نظر الرجال إلى عورات النساء 296
269... النظر إلى عورة الرجال جائز في المزاح 296

270... حرمة النظر إلى العورات ليس تعبدياً 296
271... من أسقط حرمة نفسه جاز النظر إلى عورته 296
272... محاولة تجويز النظر إلى نوادي العراة 296
273... تعمد قول آمين ولو لم يقصد بها الدعاء لا يبطل الصلاة ...301
274... الميل إلى جواز التكتف في الصلاة.....301
275... الشهادة بالولاية فيها مفاسد كثيرة.....302 ...276. الدليل على جواز الضحك.....305

خاتمة المقولات.....307

277... نظريّة داروين لا تنافي الفكر الديني 307
278... نظريّة داروين قد تنافي بعض ما يفهم من التاريخ الديني 307
وقفة قصيرة..... 309
كلمة أخيرة.....311 المراجع
والمصادر.....311

بسمه تعالى ، وله الحمد

والصلاة والسلام على محمد وآله

الإهداء

...سيدي ...يا بن النبي ... ويا حفيد علي ... بحق أمك الزهراء المظلومة ... الا ما كنت الشفيع لي الى الله سبحانه ..في يوم لا ينفع مال ولا بنون ، إلا من أتى الله بقلب سليم .

...سيدي .. إن هذا الجهد الذي أرفعه اليك ، وأضعه بين يديك .. ومعه كل هذا الأذى الذي أتحمله ، وكل ما أتعرض له من خيانة وكيد .. وكل ما يرميني به الموتورون من سهام الحقد والشحناء ،وقوارص الضغينة والبغضاء .إن ذلك كله .. لم يكن منافسة منا في سلطان و لا التماس شيئ من فضول الحطام ..ولكن لنرد المعالم من هذا الدين .. نعم... لنرد المعالم من هذا الدين ، ونظهر كلمة الحق والهدى بين العباد ، ونحملها وهي أمانة الله في أعناقنا لننشرها في مختلف البلاد..

...سيدي... فكن لي المعين والنصير ،والولي ، والمؤيد . فأنت باب الله وخيرة الله من خلقه ، وصفوته ،وحجته على عباده . وأنت المظهر للعدل والناشر للهدى في بلاده ..

...سيدي ، هذه حاجتي اليك ،وطلبتي وضعتها بين يديك ، فبحق أمك الزهراء ، وعمتك زينب ، إلاّ شملتني بعين عطفك ومحبتك ورعايتك

14شعبان 1418 هـ .ق.

يقول البعض :

..." نحن ندعو الى الحوار بين العلماء والنقد بينهم ، وعلينا أن لا نعتبر النقد عداوة ... ولكننا لا نزال متخلفين نعتبر النقد عداوة "

(فكر وثقافة عدد 3ص 4)

...

...فنحن عملا بهذه المقولة نبادر الى عرض بعض ما طرحه هو نفسه من مقولات وأفكار ، ونرجو من الله أن لا يعتبر ذلك عدا ة حتى لا نكون متخلفين .

قبل المقدمة

...لولا مأساة الزهراء :

...لم أكن أقرأ له .. لأنني – شأن كثيرين غيري عاشوا في حواضر العلم – أعتبر كتبه ومقالاته تخصّ جيلاً بعينه، وتعنيه، وتريد أن ترشده وتهديه .

...وقبل أكثر من أربع سنوات .. وفي مسجد بئر العبد بالذات، وأمام كاميرا الفيديو .. تحدث إلى طائفة

من النساء عن الزهراء(ع)، وعن مأساتها ..

...فأثار تساؤلات، على حدّ تعبيره .. وأصدر أحكاماً، أثارت عاصفة من الإحتجاج، وَوُوجهت بالإدانة والرفض .. فتراجع في رسائل له مكتوبة، وعبر وسائل مسموعة ..

...ولكنه بعد أن هدأت العاصفة، عاد ليثير نفس الأفكار عن الزهراء(ع)، ويحرك قضايا، ويطرح مسائل هي الأخرى حسّاسة وهامّة .

...ورأيت أن من واجبي أن أطّلع على بعض مقولاته وطروحاته، فقرأت له بعض ما كتب ونشر، وسمعت نزراً يسيراً مما بثّته له إذاعة محليّة تابعة له ..

...ففوجئت بما قرأت وسمعت، إلى درجة كبيرة .. وأدركت خطورة الأمر .. فبذلت محاولات كثيرة للدخول في حوار مثمر ومفيد، يمنع من تفاقم الأمور، ويعيدها إلى نصابها، فلم أوفق في ذلك .

...وكان كتاب " مأساة الزهراء(ع): شبهات وردود" بمثابة إعلانٍ لفشل تلك الجهود، ودق ناقوس الخطر بالنسبة للموضوع برمّته ..

...وكان أن تحرّكت بعنف وشراسة حرب الإشاعات والإتهامات، وقيل ما قيل، ونُشِر ما نُشِر، وأصدروا عدداً من الكتب، .. وبدا واضحاً أن ذلك كله – تقريباً – يهدف إلى تعمية الأمر على الناس، وإبعادهم عن الموضوع الأساس والحساس جدّاً، والمصيري من الناحية الإيمانية، والعقائدية ..

...وكان خيارنا الوحيد لإنجاز التكليف الشرعي الملقى على عواتقنا، تقديم نبذة يسيرة من مقولات يعرف كل عالم بصير: أنها لا تنسجم مع مدرسة أهل البيت عليهم السلام .. فكان هذا الكتاب ..

...ونحن على يقين بأن حملاتهم التشكيكية وغيرها ضدّنا، ستكون هذه المرة أشدّ ضراوة وأقسى .. غير أننا نريد لكل المخلصين أن يطمئنوا إلى أن ذلك يزيدنا معرفة، وسيعزز من صلابتنا في نصرة الحق، وتوخّي المزيد من الصراحة في بيان الحقيقة، مهما كان الثمن ..

...

...ومن جهة أخرى، وقبل حوالي ثلاثة أشهر سرقت أحدى مسوّدات هذا الكتاب ، ورغم أنها كانت ناقصة بدرجة كبيرة ، وغير منقحة ، فقد بيعت لمن يهمهم الأمر بمبلغ كبير من المال ، هو – على ذمة الشهود – يعد بآلاف الدولارات ! .

...وعلى أثر ذلك نشطت مساع من هنا وهناك ، كان من بينها ما شارك فيه عدد من أهل العلم ، الأعزاء والأحباء ، يطالبوننا بتأخير إصدار هذا الكتاب ، ولو لمدة وجيزة ، آخذين على عاتقهم إقناع البعض بإصدار كتاب يشتمل على تصحيحات من شأنها أن تحل الإشكال القائم وتعيد الأمور الى نصابها .على إعتبار : أن ثمة خطأ يحتاج الى تصحيح ولا نُصِرّ أن يكون ذلك بأيدينا ، فرحبنا بهم جميعا ، وقطعنا على انفسنا وعداً بتأخير إصدار هذا الكتاب مدة عشرة أو خمسة عشر يوماً ، إذ لا

يحتاج هذا المهم الى أكثر من ذلك ، ثم مددت المهلة مرة ثانية ، وفي المرة الثالثة مددناها لمدة شهر ،ومضى أكثر من شهرين ، وذهبت تلك الأيام التي حددت في تلك المرات ، ولحقتها أيام عديدة أخرى ..ونحن ننتظر الفرج .

...وجاء الفرج أخيراً على شكل كتاب تخيّل مؤلفه أنه يرد على كتابنا " مأساة الزهراء (ع)" وكتاب " لماذا كتاب مأساة الزهراء (ع)" وتعرض أيضاً لكتاب " الصحيح من سيرة النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم"

...ولم يفاجئنا كل ذلك في حد نفسه . ولكن ما لفت نظرنا هو أنه

قد تعرض بصورة مبطنة ، فيها شيئ من إظهار (الشطارة) لكتابنا هذا بالذات ، مستفيداً –كما هو ظاهر – من تلك النسخة التي سرقت وبيعت بذلك المبلغ الكبير من المال...

...ومهما يكن من أمر ، فقد أحببنا أن نعرف القارئ الكريم بحقيقة ما جرى وأن ينتظر المزيد من أمثال هذه الأمور ، فإن ذلك من حقه علينا..

...وإذا كان ذلك قد أزعجه ، فنحن نعتذر إليه وعليه منّا سلام الله،ورحمة منه وبركات .

...وعوداً على بدء ، نكرر ونقرر : أن الزهراء عليها السلام في مأساتها ومعاناتها، ومواقفها الرسالية، كما عرّفتنا الحق بعد وفاة النبي(ص)، ها هي في غيبة الولي توضح المكنون، وتظهر ما كنا عنه غافلين ..

...وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين .

...فصلوات الله وسلامه على الزهراء، وأبيها، وعلى بعلها وبنيها...

مُقَدِّمَةٌ

...

بسم الله الرحمن الرحيم

...الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على الرسول المسدد، والمصطفى الأمجد، المحمود الاحمد ، حبيب إله العالمين ، سيدنا وشفيع ذنوبنا أبي القاسم محمد وآله الطيبين الطاهرين .

...وبعد ..

...لا نريد أن نتجنّى على أحد ، ولا أن نسيء إلى أي كان من الناس، وما نريده هو فقط أن نسهم في حفظ السلامة العامة من الوقوع تحت تأثير بعض الأفكار التي سجّلها البعض في مؤلفاته ، وطرحها ليتداولها الناس في شرق الأرض ، وغربها .

...ونحن نرى أن كل مؤلّف يحب نشر أفكاره ، ولا سيما التجديدية منها ... ويرغب في أن يتداولها الناس ، ليستفيدوا منها ، أو لينقدوها ، لتصبح اكثر دقةً ، وأعمق تأثيراً...

...ولكن الأمر في هذا المورد بالذات قد يكون على عكس ذلك ، فقد ينزعج البعض من نشر ما لديه من أفكار ، رغم أنها كانت منشورة مسبقاً في ثنايا الكتب ، والنشرات ، وعلى صفحات الجرائد والمجلات.
...ولا ندري إن كنا سنتّهم من جديد بأننا نهدف من وراء ذلك إلى التشهير، أو الإسقاط، أو أننا لم نفهم كلامه ، ولم ندرك مقاصده ،مع انه يتكلم بلسان عربي ، لا تشوبه عُجمة ، ولا يعاني من لُكنة . كما إن من يستمعون ويقرؤون له إنما يفهمون الكلام العربي باللغة العربية ولا يفهمونه بغيرها من اللغات كالصينية أو الهندية أو الكردية ،وهم في أكثرهم – أعني من يستمعون لذلك البعض – أناس عاديون ، فيهم الكبير والصغير ، والمرأة والرجل ، والمثقف وغير المثقف .
...ومهما يكن من أمر ، فإننا قد صرّحنا والمحنا إلى أن ما دعانا إلى كتابة " كتاب مأساة الزهراء (ع): شبهات وردود " ليس هو خصوص قضية كسر الضلع الشريف للزهراء البتول ،و الصديقة الشهيدة . بل هو دفع ما أثير من شبهات خطيرة حول ظلم الزهراء وما جرى عليها ، ثم الإلفات والتحذير مما هو أوسع وأشمل ، وأكبر وأخطر ، وأمرّ وأدهى ..
...ونحن في ضمن هذه الأجزاء الثلاثة من كتابنا هذا، نعرض مجموعة من مقولات "جريئة" سجلها البعض في مؤلفاته المنتشرة في مختلف البلاد، وبين أصناف شتى من العباد، وللقارئ الكريم الحق في أن يؤيد ما فهمناه واستفدناه منها، أو يرده، إذا اقتضى الأمر – بنظره – أياً من الرد أو القبول ، شرط أن يكون ذلك وفق المعايير الصحيحة والموضوعية، ووفق النصوص القرآنية ، والتوجيهات الثابتة عن أهل بيت العصمة (ع)، وما هو ثابت ومعروف في مذهب الشيعة الامامية .

...ولنا أن نوفّر على القارىء الكريم الجهد والوقت، لنقول له أن هذه المقولات التي أوردناها، إنما أوردناها للتدليل على أنها مقولات لا يصح القبول بها، وتبنيها كجزء من تكوينه الفكري والإيماني ،ومن أراد ذلك فعليه إن لم يكن قادراً على تمحيصها بالوسائل العلمية الصحيحة، أن يرجع إلى علماء الأمة ليوقفوه على ما فيها من هنّات ، وما تشتمل عليه من إشكالات وثغرات .
...وغني عن القول: أن ما سوف نورده هنا يتفاوت ويختلف الأمر فيه من حيث الأهمية ، ثم في طريقة التعاطي معه ، فقد نورده لخطأ الرأي فيه بحيث يحتاج إلى التصحيح ، وقد نورده لفساد طريقة التعاطي معه ، ولوجود خطأ أساسي في معالجته له .
...وبعدما تقدم نقول : لنفترض أننا استطعنا أن نجد لكلام هذا البعض تأويلات بعيدة ، ومحامل شاذة وغير سديدة . ولكن ما يثير تعجبنا ،وتساؤلنا هو أن يكون كل هذا الحشد الهائل الذي يعد بالمئات –

بل الألوف – مما لا بد من تأويله أو حمله على خلاف ظاهره، بالإضافة إلى الكثير الكثير مما يأبى عن أي حمل أو تفسير مقبول أو معقول!!!

...ولقد كان بالإمكان التغاضي عن ذلك لو كان الخطاب شخصياً وفي نطاق محدود ، أما حين يصبح الخطاب للناس كلهم ، ثم يسجل في عشرات الكتب والنشرات وفي مختلف الوسائل المقروءة والمسموعة، ليتناقله الناس ويتداولوه جيلاً بعد جيل ، حيث سيفهمونه بعفوية ، وبسلامة نية ، وبالطريقة التي يستظهرها منه أهل المحاورة ، فإن الأمر يصبح أكثر حساسيةً ، وأهميةً وخطراً ...ويجعل الجميع أمام واجباتهم ، ويفرض عليهم التعاطي مع الموضوع بصورة أكثر جدية ومسؤولية ، حيث لا بد من التنبيه على هذا الخطأ ، وتحصين الناس من الوقوع فيه .

...وحيث تتأكد الحاجة إلى إصلاح ما يحتاج إلى إصلاح ، وإلى توضيح ما يحتاج إلى إيضاح ، من دون أن يكون ثمة أية خصوصية للجهة التي تتولى تحقيق هذا الغرض النبيل ، والعمل بهذا الواجب الشرعي والإنساني الجليل، فإن ما لا بد من مراعاته في عملية الإصلاح والإيضاح هذه، هو شموليتها لكل ما كتب ونشر، ولكل ما تتداوله الأيدي وتتناقله الألسن، أو استقر في الأسماع والقلوب .

...ولا يكفي لتحقيق هذا الغرض حديث خاص هنا، أو حديث خاص أو حتى عام هناك ، يتضمن تأويلا أو تعديلا في مورد أو موارد يسيرة، قد لا تكون هي الأهم والأولى بالإصلاح من غيرها؛ فان ذلك لا يكفي في نفسه، بالإضافة إلى أن معناه أن تبقى نفس تلك الموضوعات، هي وغيرها مما يعد بالعشرات والمئات، مبثوثة في عشرات الكتب والنشرات، وفي مختلف وسائل الإعلام ، يتداولها الناس في شرق الأرض وغربها، ويتوارثونها جيلا بعد جيل .

...وهذا ما يؤكد الحاجة إلى إجراء تعديلات وإصلاحات مباشرة على كل تلك المكتوبات والمنشورات ، وفي كل ما قيل وأذيع ، ثم إعادة نشره مع التأكيد –توضيحاً وتصريحاً– على أن أي رأي أو قول قد يختلف عما ورد في هذه الطبعات الأخيرة لا اعتداد به ولا اعتبار له .

...وفقنا الله جميعا للعمل بما يرضي الله ونسأله أن يجعلنا ممن ينتصر به لدينه ، وان لا يستبدل بنا غيرنا ، وان يثبتنا على طريق الهدى ، ولنا برسول الله صلى الله عليه وآله، وبأهل بيته الطاهرين أسوة حسنة، ومنار رشاد ، وصلاح وسداد ،والحمد لله رب العالمين .

تمهيد

...حيث لا بد من الإشارة:

...قد عرفنا : أن البعض قد أفصح في كتبه ونشراته، وفي محاضراته، ومحاوراته الإذاعية وغيرها عن أمور أثارت جوّاً معيّناً .. وقد كتبنا كتابنا "مأساة الزّهراء(ع): شبهات وردود"، للردّ على بعضٍ من ذلك ..

...وقبل أن نضع أمام القارىء بعضاً آخر مما قاله ذلك البعض، مما يحتاج إلى توضيح أو تصحيح، نذكّر بالأمور التالية :

...ألأمر الأول :

... إن بعض مسودّات هذا الكتاب قد سرقت وبيعت بمبالغ كبيرة، في محاولة لعرقلة صدور هذا الكتاب والحد من تأثيره، ولنا أن نتوقّع في نطاق الإصرار على هذه المقولات بعضاً مما عرفناه وألفناه، كما كان الحال حين صدر كتابنا :"مأساة الزهراء(ع)، شبهات وردود".

...الأمر الثاني :

...إن ما يحويه هذا الكتاب من مؤاخذات، ليس هو من الأمور التي يمكن إغماض النظر عن أي مورد منها ، فلو فرضنا – وفرض المحال ليس محالاً – أنه أمكن تلمّس بعض التأويلات لموارد قليلة مما ذكر، فإنه لا يمكن الإكتفاء بذلك، وغض النظر عن الباقي، لأن كل مورد فيه له أهميّة كبيرة، وقسم منه يتمتع بدرجة عالية من الحساسية والخطورة، فيما يرتبط بالتكوين الفكري، على مستوى المذهب .

...الأمر الثالث :

...إن هذا الكتاب قد اعتمد الطبعة الأولى من كتاب "من وحي القرآن"، كما هو مبين في جدول مصادره، وكذلك بالنسبة لسائر الكتب فقد حددت طبعاتها في ذلك الجدول ..

...ونحن نتمنى أن تخرج لهذه الكتب طبعات مصححة، خالية من هذه الأمور وما يشبهها، وتتضمن إشارات صريحة، إلى أن تلك الآراء الموجودة في سائر الطبعات قد تعدّلت وتبدّلت، حتى لا يغترّ بها الآتون بعدنا، ممن لا يعرفون بحدوث هذه التغيّرات .

...الأمر الرابع :

...إننا نتوقّع أن تنصب ردودهم وإثاراتهم على الأمور التالية :

...1ً . سيقولون إنها نصوص مجتزأة لا تمثّل الحقيقة كلّها .

...ونحن نرجو من القارىء الكريم أن يتأكّد من الأمر بنفسه، ليجد: أن هذا الكلام ليس دقيقاً .

...2ً . سيقولون إن كلام ذلك البعض لم يفهم على حقيقته، أو أنه لا يقصد ما فهم منه ..

...ونقول :

...أولاً : إننا نطلب من القارىء الكريم أن يراجع كلام ذلك البعض، ليفهمه بنفسه، ليتبين له هل يصح أن يعتمد على ما يقال له من تأويلات بعيدة عن ظهور الكلام ودلالاته، أم لا يصح له ذلك .

...ثانياً : ليكتب صاحب تلك المقولات إيضاحات لمقاصده، ويضمها إليها، ليقرأها القارىء معاً مباشرةً، ويكون بذلك قد حصّنه عن الوقوع في فهم خلاف مقصوده .

...3ً . قد يقال: ان هذا الكلام قد قيل في مقامات مختلفة تختلف وتتفاوت، ولكل مقامٍ مقال ..

...ونقول : لا بدّ من بيان خصوصيات المقام الذي قيل فيه، إذا كانت تلك المقامات بمثابة قرائن متصلة على المراد؛ ليعرف الناس ذلك؛ فإن الناس لا يعلمون الغيب ، ومن سيولد بعد مئة سنة سيكون أبعد عن هذه المقامات، وعن معرفة تأثيرها في دلالة الكلام .

...كما أنّ لنا أن نسأل هنا :

...هل المقام الذي قيل فيه هذا الكلام يفرض هذه التنازلات، أو تلك الإعترافات ؟!

...وهل ستستمر سلسلة التنازلات هذه في المقامات المختلفة ؟!

...وهل سيأتي يوم نتنازل فيه عمّا هو أهمّ وأعظم ؟!

...وهل هذا الحشد الهائل هو من بوادر ذلك وإرهاصاته ؟!

...وهل كل هذا الكم الهائل وسواه أضعاف كثيرة، قد اقتضته المقامات المختلفة ؟!

...أم أنّ أكثره قد كتب ونشر بمبادرة مباشرة، ومن دون أن يكون ثمّة مقام يقتضيه؟ أو يفرض له وعليه قيوداً وحدوداً ؟!..

...4ً . قد يقال: لماذا تتمسّك بهذا القول بالذات، وتترك ما سواه من أقوال أخرى لهذا البعض نفسه؟.

...وجواب ذلك واضح :

...أولاً: إن الطبيب إنما يلاحق موضع الداء، ويضع إصبعه على الجرح ويعالجه، ولا شغل له بما هو صحيح وسليم .

...ثانياً: إن ذلك البعض قد أعلن في ندوة له قبل مدّةٍ يسيرة : أنه مسؤول عن كل ما كتبه منذ ثلاثين سنة وهو ملتزم به(1).

...وقال أيضاً :" إنني عندما انطلقت في العمل الإسلامي والفكري منذ ما يقارب الـ 45 عاماً كنت أعتقد في كل ما كتبت وحاورت وحاضرت وكانت حصيلة ذلك عشرات الكتب وآلاف المحاضرات"(2)، وهذا الذي نقدّمه هو بعض ما صدر منه وعنه .

---

(1) ندوة في مناسبة ولادة الزهراء في هذه السنة 1418 هـ. ق. (قاعة الجنان).

(2) نشرة بينات العدد الصادر في 25-10-1996 .

...ثالثاً: إذا كانت أقوال هذا البعض متناقضة، فليدلّ على الصحيح منها، ليؤخذ به، وليبين للناس الفاسد ليُجتنب عنه، فإنّ بيان ذلك من مسؤولياته، كما أن من مسؤولياته أيضاً. كما أن من مسؤولياته أن لا يتكلم بالمتناقضات.

...5ً . قد يقال: إن بعض الموارد التي يرد عليها الإشكال، قد ذُكرت لها في مواضع أخرى حدود وقيود تجعلها مقبولة ومعقولة ..

...ونقول: إن من الواضح أن من يكتب شيئاً في مقالة ما، فإنه لا يصح له أن يطلب من الناس أن يقرأوا ما كتبه طول عمره، ليعرفوا ماذا يقصد بكلامه في مقالته تلك، وليس له أن يؤخر البيان عن وقت الحاجة، فيفصل بين مراده وبين الشاهد والقرينة عليه ؟!

...وما هو الداعي له ليجعل البيان في كتب أخرى، فإن الأولى هو إصلاح نفس الكتاب الذي يشتمل على الخطأ، ثمّ إعادة طباعته، أمّا تسجيل الإصلاح في كتب قد لا تصل إلى جميع من سيقرأ له؟.. أو في محاضرة أخرى قد لا يسمع بها قرّاء مقالته تلك، ولا تمرّ عليهم؟! فلا أثر له، ولا يمكن أن يحل المشكلة، لا سيما مع تكرر صدور هذه المقولات عنه.

...بل لماذا يجعل الجواب في موضع آخر من الكتاب نفسه، خصوصاً إذا كان ذا أجزاء عديدة، قد تصل الى خمسة وعشرين جزءاً، حيث لا يخطر في بال الكثيرين أن يقرأوه كله، وإذا خطر ذلك لبعضهم، فقد لا يمكنه ذلك.

...وهل يصح أن يقال: إنه من أجل معرفة المراد من آية قرآنية، لا بد من قراءة تفسير القرآن كله بجميع أجزائه؟!

...ثم ما هي الضمانة في أن تصل تلك الموارد التي تتضمن الفكرة الصحيحة للأجيال اللاحقة، فلعلّها تضيع –كما ضاع غيرها– وتصل إليهم الأفكار التي هي موضع الإشكال .

...6ً . قد يقال لك في بعض الموارد : قد ذهب فلان من العلماء إلى هذا القول، أو الى ذاك القول ..

...ولكن لماذا لا يقال لك: إن ألوفاً بل عشرات الألوف على مرّ التاريخ، وكلّهم من كبار العلماء، وأفذاذ الرجال قد قالوا بخلافه؟! ..

...ولماذا لا تلاحظ الحقيقةالتي تقول: إن معالم المذهب إنما تؤخذ من مشهور علمائه، الذي يمتلك الأدلة القاطعة على ذلك، ولا يصح نسبة رأي شذّ به هذا العالم أو ذاك العالم الى المذهب . فمثلاً لا يصح أن يقال: الشيعة يقولون ويعملون بالقياس لأن واحداً من علمائهم كان يعمل به – لو صحّت النسبة إليه– فإن رفض القياس معروف من مذهب الشيعة، فمن يقول به يكون مخالفاً للتشيع، حتى وإن كان ثمة عالم من السابقين يقول به، وإن الزواج المؤقت معروف من مذهب الشيعة ، فلا يصح الخروج على ذلك، بحجة أن فلاناً العالم قد ذهب إلى رأي آخر .

...ولو أردنا أن نجمع شذوذات العلماء إلى بعضها البعض، فقد يتكون لدينا مخلوق جديد، له مواصفات وحالات تجعله أعجوبة، ما دام أنه قد لا يشبه أيّاً مما نعرفه ونألفه .

...على أن من الواضح : ان كثيراً من الأمور الإيمانية، لا بدّ ان تؤخذ من النصوص، وقد جمعت تلك النصوص من كتاب الى كتاب، ومن عالم الى عالم، في ذلك الزمان الصعب، وضم بعضها الى بعض بصورة تدريجية، حيث تبلورت النظرة من خلال ذلك، وقد كان طبيعياً أن يتأخّر الإلتفات الى بعض القضايا، أو أن يعطي عالم ما رأياً خاطئاً فيها، ولا سيّما إذا كانت من الأمور التفصيلية، أو تلك التي تحتاج الى توثيق وتدعيم بالشواهد الكثيرة، والنصوص الغزيرة، خصوصاً إذا كان أمراً يقل التعرّض لذكره، أو يصعب الإنقياد له ..

...وكجزء من التمهيد نذكر ما يلي :

...1 . عقائد الشيعة (متوارثة) .

...2 . عقائد الشيعة قد يكون فيها الخطأ .

...3 . هل في عقائد الشيعة بدع؟!! .

...4 . أسعى لاقتحام المسلّمات .

...لقد قُدّمَ إلى البعض سؤال يقول :

...هناك فكرة لدى البعض مفادها لزوم ترك التحدّث في الأمور العقائديّة، حتى ولو كانت محل حاجة الناس الفكريّة، والإقتصار في ذلك على المجالس الخاصّة للعلماء، وذلك خوفاً من أن تتزلزل عقيدة العامة، فهل في الإسلام ما يبرّر كتمان العلم والإقتصار على تثقيف الخاصة وحسب، وما هو الصحيح في هذه الفكرة؟

...فاعتبر أنّ هذا الطرح قد جاء بدافع الخوف على موروثاتهم .. لا أنّه جاء بدافع الحرص على عدم إدخال الناس في بلبلة فكريّة وإعتقاديّة، فهو يقول:

..." يخاف البعض أن يؤدي طرح المسائل الفكرية والعقائدية الى مس أفكار متوارثة قد تكون صحيحة وقد لا تكون، ويقول بأنّه ليس من حق أيّ عالم أن يطرح القضايا التي تثير الجدل أمام الناس، وأن عليه أن يقتصر في ذلك على العلماء الذين يناقشهم ويناقشونه حذراً من "ضياع" الناس .

...وربما يلاحظ عليّ بعض إخواننا أنني أطرح القضايا وأثير التساؤلات في الهواء الطلق، ويعتبرون أن بعض الأفكار المطروحة قد تصدم الذهنية العامّة المتوارثة، ويرون أن ذلك خطأً، لأنه يولّد جدلاً

ومشاكل تضعف عقائد الناس"(1).

...ثم بدأ يستدل على صوابية موقفه بأن القرآن قد طرح أفكار المشككين في النبي ، كقولهم ساحر، مجنون، وكاذب، ثم قال :

..." ولو أن كل مصلح أو عالم أخفى أفكاره عن الناس، فكيف ستصل الحقيقة إليهم"(2).

...نعم، لقد قال هذا البعض ذلك، مع أن القرآن إنما ذكرأقوال المشركين في مقام الإنكار والتهجين لها، هذا مع أنها ليست أفكاراً وإنما هي شتائم .

...ثم إن ذلك البعض خاطب الناس بقوله :

..." لا تبيعوا عقولكم لأحد، ولا تبقوا على جمودكم على غرار ما ذكرته الآية الكريمة {إنا وجدنا آباءنا على أمة وإنا على آثارهم مقتدون} الزخرف-13 ، لأن كل جيل يجب أن ينفتح على الحقيقة وفق ما عقله وفكر به ".

---

(1) بينات العدد الصادر بتاريخ 25-10-1996 .

(2) المصدر السابق .

...ولكن قد فات ذلك البعض أن عدم إشراك العامّة في البحث الفكري والعقائدي-عند القائلين بذلك- إنّما هو في مرحلة التحقيق، لا في إطلاعهم على النتائج، ولا يلتزم القائلون بهذا القول، بعدم إشراك جميع الناس في ذلك، بل يقتصرون على من ليس عندهم الأهلية للتحقيق.

...وهذا لا ينطبق على الأمور الفكرية والعقائدية فقط، وإنما على جميع العلوم، فلا يُتوقع أو يُطلب من باحث الطبّ أن يشرك أو يُطلع جميع الناس على تدرجه في البحث مرحلة فمرحلة، ولا الباحث الفيزيائي، ولا سواه في أي علم من العلوم، فلا معنى لقول البعض :"لو أن كل مصلح أو عالم أخفى أفكاره عن الناس، فكيف ستصل الحقيقة إليهم"، فإنّ ثمرة جهد الباحثين والمحققين ستصل إلى الجميع، وتكون مشتركة بينهم، وتعمّهم فائدتها .

...وسيأتي كلامه بنصه الحرفي والذي يعتبر فيه أن المشكلة هي: إن الشيعة لا يريدون أن يتنازلوا عن شيء مما ورثوه.

...ثم يقول:

..."إنني أشعر بأن مسؤولية العالم أن يظهر علمه إذا ظهرت البدع في داخل الواقع الإسلامي وخارجه، وإذا لم يفعل ذلك "فعليه لعنة الله" كما يقول النبي(ص)، والله تعالى قال: { إن الذين يكتمون ما أنزلنا من البينات والهدى من بعد ما بيّناه للناس أولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون} (البقرة 159)(1)

...إذن، فهو يرى أن ما يطرحه هو البينات والهدى، وأن هناك بدعاً في عقائدنا، وان عليه أن يظهر

علمه لإزالتها، على أساس أنه لا يؤمن بأن الناس عوام يجب أن نبقيهم على جهلهم .
...حيث يعقب ذلك بقوله :

---

(1) نفس المصدر.

..." أنا لا أؤمن بأن الناس عوام يجب أن نبقيهم على جهلهم، إنما يجب أن نثقفهم ليعوا دورهم ومسؤولياتهم في الحياة وأمام الله تعالى. إني أرى أن من الخطأ إثارة القضايا في المجالس الخاصة وحسب، بل لا بد من أن نثيرها في المجالس العامة بالطريقة التي تحقق للناس توازناً في فهمهم وأفكارهم، حتى يعيشوا ثقافة الإسلام بوعي وفهم وتدبر لأن الله لم يخاطب الخاصة ليحولهم الى طبقة مغلقة، ولكنه خاطب الناس والمؤمنين جميعاً .
...وإذا كان بعض الناس يختلفون معي في الرأي أوفي فهم القضايا لأن لهم وجهة نظر أخرى، فليس معنى ذلك أن آرائي التي أطرحها تؤدي الى نتائج سلبية على مستوى الحقيقة أو في الواقع، بل قد تكون سلبية على مستوى آرائهم. وإذا كان هؤلاء لا يجدون مشكلة في طرح أفكارهم على الناس لأنهم يرون صوابيتها، فما المشكلة في طرح أفكار أخرى يعتقد أصحابها بصوابيتها؟ علماً أن اختلافك مع الآخر لا يعني أنك تمثل الحق المطلق، ليكون الآخر في موقع الباطل المطلق."
...إذن، فهو يعتبرها أفكاراً في مقابل أفكار، وآراء في مقابل آراء، ووجهات نظرٍ تقابلها وجهات نظرٍ أخرى، وعقائد موروثة .. وقد يكون فيها الخطأ .
...غير أن الذي لم يتضح بعد، هو أنها إذا كانت كذلك، كيف ثبت له أن ما عدا أفكاره ووجهات نظره وآرائه هو بدع لا بد من إظهار علمه لإزالتها؟! ..
...ومهما يكن من أمر، فإن ذلك يجعلنا نفهم ما يرمي إليه حين يعلن أنه: "يسعى لاقتحام المسلّمات"، فهو يقول :
..."إنني أحاول أن أبحث عن الحقيقة، وأسعى إلى اقتحام المسلّمات، لأن المسلّمات قد تكون ناتجة من حال ذهنية معينة وقد تصير مسلّمات وهي ليست كذلك. بعض الناس يخاف اقتحام المسلّمات وحتى اقتحام المألوف. ولكن عندما نريد أن نصنع تاريخنا وفكرنا علينا أن نفكر على أساس البحث عن الحقيقة ومراعاة واقع العصر".

...وأضاف :" على صاحب التفكير المنفتح أن يتحمل ضربات التيار الذي يقف في وجهه، وأن يتحمل الرجم بالحجار الإجتماعية والسياسية"(1).
...

الفصل الأول

النبوة.. ومعالمها

...

...

بداية:

...نذكر في هذا الفصل مقاطع من كلمات البعض حول أنبياء الله (ع) وتصرفاتهم وحالاتهم مع الله، ومع الناس، وحركتهم في الحياة، وأساليبهم، ولربما نلمّح في ضمن أسطر يسيرة إلى بعض أوجه الخلل، ومواقع الاشتباه فيما يرتبط بتفسير الآيات القرآنية.. وقد نهمل ذلك إعتماداً على وضوح فساد الفكرة المطروحة..

...فإلى ما يلي من موارد ومطالب:

...5 . ضعف النبي بشرياً في أكثر من موقع.

...6 . النبوة لا تفرض الكمال.

...7 . القرآن لا يريد إعطاء النبوة هالة مقدسة.

...وبعد، فإن نظرة هذا البعض للنبوة وللأنبياء نظرة عجيبة وغريبة، فهو يقول في قصة النبي آدم عليه الصلاة السلام:

..."إننا نستفيد منها نقطتين:

...الأولى: أن النبوة تلتقي بمواقع الضعف البشري في الإنسان في أكثر من موقع، ولا تفرض الكمال الذي يبتعد عن المواقع الطبيعية لديه.

...الثانية: إن القرآن لا يريد إعطاء النبوة هالة مقدسة، غائمة في مجال التصور"(2).

...وظاهر العبارة لا يأبى عن القول :إن النبي قد يقع في ما يخالف العصمة، مما يلتقي في مواقع الضعف البشري، وإرادة خلاف ذلك تحتاج إلى بيان.

... أما حديثه عن "الهالة المقدسة والغائمة"، فإن كان يقصد به: أن القرآن لا يعطي انطباعاً عن الرسول يفيد أن لديه قدرات تفوق قدرات البشر.. فكيف يجيب عن ما يذكره القرآن من إحضار عرش بلقيس من قِبَلِ من لم يكن نبياً، بل كان من أتباع أحد الأنبياء ؟ وماذا يصنع بإحياء عيسى (ع) للموتى، وإبراء الأكمه والأبرص ؟ وبقاء يونس (ع) في بطن الحوت ؟ والإسراء والمعراج ؟ وما إلى ذلك .

---

(1) جريدة النهار بتاريخ 1997/7/29 م.
(2) من وحي القرآن ج15 ص176.

...وإن كان يقصد به أنه ليس للأنبياء أي تميز في أنفسهم، فذلك معناه عدم صحة ما ذكره القرآن من أمر الله للملائكة بالسجود تحية وتكريماً له، وكذلك ما ورد حكاية عن قول عيسى عليه السلام {وجعلني مباركاً أينما كنت...}الآية، وعدم صحة ما ورد من أن النبي (ص) والأئمة (ع) كانوا أنواراً قبل خلق الخلق، أو في الأصلاب الشامخة والأرحام المطهرة. أليس هذا الأمر مقبولاُ ومتواتراً عند الشيعة وعند السنة أيضاً ؟!! ألا يعطيهم ذلك هالة مقدسة، ويفرض كمالاً يبتعد عن المواقع الطبيعية لديهم ؟! فهل الاقتراب من تصور مواقع الأنبياء الطبيعية الواقعية، يقتضي منا أن نكذب كل ما دل على قداستهم؟!

...8 – لا أسرار فوق العادة في شخصية الأنبياء.
...9 – الضعف في طبيعة الروح للأنبياء.
...10– أوضاع سلبية في التصور والممارسة
لدى الأنبياء.

...وهو يقول :"إن الأسلوب القرآني لا يريد أن يعمق في ذهننا الإسلامي الفكرة التي تتحدث عن شخصية الأنبياء ، بالمستوى الذي يوحي بأنّ هناك أسراراً فوق العادة تكمن في داخل شخصيتهم ، في ما هي الخصائص الذاتية للشخصية، فهناك أكثر من نقطة ضعف خاضعة للتكوين الإنساني في طبيعة الروح والجسد.
...ويمكن أن تتحرك لتصنع أكثر من وضع سلبي على مستوى التصور والممارسة"(1).
...ونلاحظ إننا لا نعرف مدى هذا الضعف الروحي للأنبياء، الذي تنشأ عنه أوضاع سلبية على مستوى التصور والممارسة. فقد يظهر ذلك في صورة أخطاء في السلوك وفي تلقي الوحي ، أو في سلوكهم الأخلاقي، وحتى في دائرة الإيمان والكفر وغير ذلك مما قد يناله هذا الضعف الروحي ويؤثر فيه. حيث لا يوجد أية ضمانة ، وأية حدود يمكن أن ينتهي إليها ... وقد ظهر ذلك فيما يأتي من أمور نسبها إلى

الأنبياء، إذا لوحظت جميعا فإنها تظهر أن الضعف الذي يتحدث عنه لا حدود له ولا قيود ...

---

(1) من وحي القرآن ج5 ص171و172

... ومع غض النظر عن ذلك ، فإن مراجعة التراث الإسلامي تعطينا أن لأنبيائنا ولأئمتنا عليهم السلام مقامات عظيمة، وأن هناك أسراراً فوق العادة في شخصياتهم، حتى لقد روي عن النبي (ص) أنه قال لعلي (ع): "يا علي ما عرف الله حق معرفته غيري وغيرك، وما عرفك حق معرفتك غير الله وغيري". ويكفي أن نشير إلى حديث الأنوار المروي عن نبينا(ص) عند الشيعة والسنة، بل لقد رواه السنة عن ثمانية من الصحابة، فضلاً عما روي عن أئمة أهل البيت عليهم السلام، كما أن الأئمة وفاطمة عليهم السلام هم موضع سر الله سبحانه –كما تقدم– كما صرحت به الأحاديث الشريفة .

...11. نسيان المعصوم في أمور الحياة الصغيرة.

...

...وعن نسيان المعصوم يقول:" لا نجد هناك أي دليل عقلي أو نقلي يفرض امتناع نسيان النبي لمثل هذه الأمور الحياتية الصغيرة، لأن ذلك لا يسيء إلى نبوته من قريب أو بعيد.

...ولكن ربما نلاحظ–في هذا المجال–أن النبي إذا كان لا ينسى أمر التبليغ–كما هو المتفق عليه بين المسلمين–فلا بد أن يكون ذلك من خلال ملكة ذاتية تمنعه من النسيان بحيث تجعل وجدانه واعياً للأشياء فلا تغيب عنه عندما ينفصل عنها.. مما يجعل المسألة غير قابلة للتجزئة، كما هي القضايا المتصلة بالملكات النفسية..

...وقد يثير البعض أمام هذه الملاحظة أن مسألة التبليغ قد تكون موضعاً لتدبير إلهيّ غير عادي من أجل حفظ الرسالة عن الضياع أو التحريف بحيث يعطي وجدانه الرسالي إشراقة قوية، تختلف عن وعيه للأشياء الأخرى والله العالم"(1).

...فهو إذن لا يجد أي دليل عقلي أو نقلي يمنع من نسيان هذه الأمور الحياتية الصغيرة..

...وحين تحدث عن أن عدم النسيان في التبليغ يدل على وجود ملكة تمنع من النسيان في كل شيء ، سجل إشكالاً نسبه إلى البعض...، مفاده: أن عدم النسيان في التبليغ لا يكشف عن وجود ملكة، بل قد يكون نتيجة تدبير إلهي.. ثم لم يتحفظ على هذا الإشكال ولا أجاب عليه.

---

(1) من وحي القرآن ج14 ص384

...ونتيجة لذلك فإن قوله :"لا نجد هناك أي دليل عقلي أو نقلي يفرض امتناع نسيان النبي لمثل هذه الأمور الحياتية الخ.." يبقى محتفظاً بقوته وبدرجة اعتباره.

...12 . سهو المعصوم في الأمور الحياتية.

.....ويقول :" على أن هناك من يتحدث عن أن السهو عن بعض الأشياء التي لا تتصل بالتبليغ على أنه لا ينافي العصمة، وطبعا هناك وجهة نظر أخرى لا تقول ذلك.
...وهذا الرأي ليس رأياً مطلقاً بالنسبة للسهو والنسيان، بل هناك من يقول أن السهو ليس منافياً للعصمة في القضايا الحياتية، ونحن نقول بذلك"(1).

13 . لا يجب أن يكون النبي هو الأعلم في كل شيء .
...يقول البعض : "أما وجوب أن يكون النبي أعلم الأمة في كل شيء ، حتى ما لا علاقة له بمهمّته الرسالية ، ولكن الله قد يعلمه من ذلك ما يحتاجه فيه ، أو إذا أراد علم ، فليس لدينا دليل على هذا"(2).

...14 . معصية آدم كمعصية إبليس.
...15 . الفرق بين آدم وإبليس هو في الإصرار والتوبة.
...16 . آدم ينسى ربّه وينسى موقعه منه.
...17 . آدم استسلم لأحلامه الخيالية وطموحاته الذاتية.
...18 . آدم طيب وساذج: لا وعي لديه.
...19 . آدم يعيش الضعف البشري أمام الحرمان.
...20 . آدم يمارس الرغبة المحرمة.
...21 . الدورة التدريبية لآدم عليه السلام.

...إن جميع النقاط السابقة قد سجلها البعض في كلماته المكتوبة، وليست مجرد استنتاجات أو افتراضات.. فتلك هي ملامح صورة آدم النبي المبعوث من قبل الله سبحانه باعتراف وتصريح ذلك البعض نفسه. فلنقرأ معاً كلماته التالية ، لنجد كل هذه المعاني تتحدث عنها الكلمات بصراحة ووضوح.
إنه يقول :

---

(1) نشرة فكر وثقافة عدد 1 تاريخ المحاضرة 29-6-1996.
(2) الندوة ج1 ص 360 .

..."..وغفر لهما وتاب عليهما، ولكنه أمره بالخروج من الجنة، كما أمر إبليس بالخروج منها ،لأنهما عصياه كما عصاه، وإن كان الفرق بينهما : أنه ظل مصراً على المعصية ، ولم يتب ، فلم يغفر له الله، بينما وقف آدم وزوجته في موقف التوبة إلى الله، فغفر لهما"(1).
...ويقول :"فانطلقا إليها بكل شوق ولهفة، وأطبقت عليهما الغفلة عن مواقع أمر الله ونهيه، لأن الإنسان إذا استغرق في مشاعره، وطموحاته الذاتية، واستسلم لأحلامه الخيالية، نسي ربّه، ونسي موقعه منه".
...ويقول:" كيف نسيا تحذير الله لهما ؟ كيف أقبلا على ممارسة الرغبة المحرمة؟ "(2).
...ويقول عنه :" كان يعيش الضعف البشري أمام الحرمان"(3).

...22-كان عاصياً ولم يكن مكلفاً ؟؟؟.

...ويقول : " فالله أراد أن يدخل آدم في دورة تدريبية ، ولذلك لم يكن أمرا جديا . ولكنه كان أمراً امتحانياً ، اختباريا تجريبياً . وكان أمراً تدريبياً ، تماما كما يتم تدريب العسكري ، ولذلك فالجنة لم تكن موضع تكليف وما يذكر لا يرتبط بالعصمة أبداً ، نعم إن الأنبياء من البشر وهم يعيشون نقاط الضعف ، ولكن نقاط الضعف التي لا تدفعهم إلى معصية الله، أما مسألة الجنة وقصة آدم في الجنة فهذا خارج عن نطاق التكليف. لقد أراد الله أن يدخله في دورة تدريبية حتى يستعد للصراع القادم عندما ينزل هو ولإبليس إلى الأرض ليكون بعضهم لبعض عدواً حتى يتحرك في مواجهة العداوة التاريخية . "(4)
...ويقول:" الله أراد لآدم أن يمر في دورة تدريبية في مواجهة إبليس، لأن آدم طيب وساذج، ولم يدخل معترك الحياة"(5).
...
...وقفة قصيرة:

---

(1) - من وحي القرآن ج 10 ص .34
(2) - نفس المصدر ص .32
(3) - من وحي القرآن ج 15 ص 171 .
(4) -الندوة ج1 ص 315.

(5) – الموسم عدد 21–22 /ص 293–294/وعن كونها دورة تدريبية وكيف ذلك ؟ راجع من وحي القرآن ج15 ص 176–177 والندوة ج1 ص 314–315 .

...تلك هي الصورة التي قدمها ذلك البعض عن النبي آدم عليه السلام في بعض جوانب شخصيته، فهل ذلك كله يليق نسبته إلى نبي من أنبياء الله؟ بل هل يرضى أحد من الناس بأن ينسب إليه بعض من ذلك، كأن يقال عنه: أنه ساذج أو يمارس الرغبة المحرمة أو غير ذلك مما تقدم؟..

...ونحن قبل أن ننتقل إلى الحديث عن موارد أخرى نسجل ما يلي:

...إن الموافق لأصول العقيدة أن يقال: إن معصية آدم ليست كمعصية إبليس، وان تصرف آدم عليه السلام لم يكن تمرداً على إرادة الله سبحانه.. وهو المروي عن أئمة أهل البيت (ع).

...كما أن الفرق بين آدم (ع) وإبليس (لعنه الله) ليس هو في التوبة وعدمها، وإنما هو في خصوصيات ذاتية، وملكات وحوافز لا تدع مجالاً لقياس أحدهما بالآخر..

...كما أننا لا نوافق على التعبير بأن آدم (ع) قد نسي ربه سبحانه وتعالى، ونسي موقعه منه، فلم يكن آدم النبي لينسى ربّه، بل كان دائم الحضور معه، وفي غاية الإنقياد والإستسلام له .. كما هو حال الأنبياء والأولياء سلام الله عليهم.

تفسير الآيات:

...ونرى أن المناسب لأصول العقيدة هو تفسير الآيات التي تحكي قصة آدم على النحو التالي:

...1. إن آدم عليه السلام حين نهاه الله سبحانه عن الأكل من الشجرة، قد عرف من خلال ذلك وجود مضرة من أكلها يصعب عليه تحملها، لكن إبليس قال له : إن هذا الضرر وإن كان صعباً، ولكن لو تحملت ذلك الضرر فثمة نفع عظيم ستحصل عليه وهو الخلود.

...وليس من حق آدم أن يكذّب أحداً لم تظهر له دلائل كذبه، فكان من الطبيعي أن يقبل آدم منه ما أخبره به، ورضي أن يتحمل هذه الصعوبة البالغة من أجل ذلك النفع ، وكانت له الحرية في أن يقرر ويختار هذا النفع في مقابل ذلك الضرر، وتلك الصعوبة البالغة، أو لا يختار ذلك.

...وهذا كما لو أخبرك طبيب بأن جلوسك في الشمس قد يتسبب لك بآلامٍ حادة في الرأس، ولكنه سيضفي أثراً جمالياً على لون البشرة ، أو يشفيك من مرض جلدي معين.

...أو كما لو أجريت لك عملية زرع شعر، أو عملية تجميلية، أو أعطاك الطبيب دواء مراً، للتخلص من وجع معين، فلم تطعه، أو ما إلى ذلك ..مما يتوقف على الألم والعناء الشديدين، فإن فعلت هذا الأمر تحصل على ذاك الامتياز، وإن أردت السلامة وعدم التعرض للأوجاع والمتاعب، فلن تحصل على شيء.

...2. إنك حين تفعل ذلك الأمر لا تكون متمرداً على إرادة الذي نهاك عن الفعل ليرشدك إلى مشقته، وليجنبك التعب والشقاء .. ولا تكون بذلك خارجا عن زي العبودية والانقياد، ولا مخلاً بمولوية سيدك وآمرك.

...وهذا كما لو قال السيد لعبده أو الأب لولده: لا تركض حتى لا تتعب، ثم قال له رفيقه: أركض لتصبح أقوى، فإذا علم بالتعب ، وعلم بالقوة ، فإن اختياره العمل بقول رفيقه لا يعني التمرد على إرادة أبيه.

...3. في هذه الصورة الأخيرة يصح أن يقال : عصيت أبي فتعبت وعرقت، ولو أنك لم تقبل بشرب الدواء المر ، أو لم تبادر إلى إجراء عملية التجميل، فإنه يصح أن يقال : إنك عصيت أمر الطبيب.

...4. وحين لا يتحقق ذلك الهدف الذي توخى الفاعل الحصول عليه ، وهو الحصول على الخلد ، أو الحصول على بعض المنافع ، فمن الصحيح أن يقال: إنه عصى فغوى ، أي لم يحقق مراده ولم يصل إلى هدفه، بل غوى عنه ومال.

...5. أما سذاجة آدم فلا ندري كيف يكون هذا النبي ساذجاً وبسيطاً مع أن المفروض بأي مؤمن أن يكون كيّساً فطناً، فهل هي سذاجة من أصل الخلقة؟! أم هي ناشئة عن نقص في إيمان آدم؟!

...ولعل هذا البعض قد حسب أن عدم معرفة آدم (ع) بأمر خفي،لم يجد السبيل إلى معرفته، نوعاً من السذاجة والبساطة..مع أن هناك فرق بين السذاجة التي تعني التطلع إلى الأمور بنظرة حائرة بلهاء كما سيأتي في كلام نفس هذا البعض عن إبراهيم (أبي الأنبياء) عليه السلام أو تعني نوعاً من القصور في الوعي والفهم، كما يقول عن آدم (ع)، وصرح به في خطبة ليلة الجمعة بتاريخ (29-ج2-1418هـ) وبين عدم الإطلاع على الواقع لسبب أو لآخر.

...وكيف يكون آدم ساذجاً وقد خلقه الله تعالى بيديه وعلمه الأسماء كلها، وباهى به ملائكته، وأثبت لهم أنه أوسع علماً ومعرفة منهم، وأمرهم أن يجعلوه قبلة في سجودهم لله سبحانه، وذلك تكريماً منه تعالى لآدم وتعظيماً له؟ أم يعقل أن الله سبحانه -بالرغم من ذلك كله -لم يتقن خلق آدم، ولم يتدارك مواقع الخلل فيه، وهو الذي يقول :{تبارك الله أحسن الخالقين} ؟!

...6- أما الدورة التدريبية التي تحدث عنها بالنسبة لآدم ، ولغيره من الأنبياء، فنحن نخشى أن يكون ثمة رغبة في الحديث عن دورات مماثلة لعيسى ، وللإمامين الجواد والهادي والإمام المهدي عليهم السلام !! حيث، إن تصديهم للمقامات الإلهية لم تسبقه دورة تدريبية فيها أوامر إمتحانية وعسكرية.

...إلا أن يقال : إن إمامتهم لم تبدأ في ذلك السن ، وبقي مقام النبوة والإمامة شاغراً إلى أن انتهت دوراتهم التدريبية . ولعل ما يعزز هذا الاحتمال ما قالوه من: " أن غيبة الإمام المهدي عليه السلام إنما هي ليكتسب خبرة قيادية". فلما أوردنا عليهم الإشكال قالوا : " إن الشهيد الصدر هو الذي قال ذلك .."

فراجعنا كلام الشهيد الصدر ، فوجدناه يقول :" وعلى هذا الأساس نقطع النظر مؤقتاً عن الخصائص التي نؤمن بتوفرها، في هؤلاء الأئمة المعصومين ..." (1)أي: من أجل تقريب الفكرة لمن لا يعتقد بما نعتقده، كذا وكذا...

...وهكذا يتضح: أن آيات القرآن لا تريد أن تنسب لآدم(ع)، ما ينسبه إليه البعض من هنات ونقائص.

...23 . لا طريق إلا تزويج الإخوة بالأخوات....

...24. لا مناعة جنسية حتى بين الأم وولدها.

...25 . بامتداد النسل يحصل الجو النظيف جنسيًا.

...وفي إجابة له عن كيفية توالد أولاد آدم (ع) نجده يقول :" يمكن القول– كما نتبنى نحن هذا الرأي وثابت بالأدلة الشرعية – يمكن القول بأن الإخوان تزوجوا الأخوات".

---

(1) راجع كتاب بحث حول المهدي ص42 وما بعدها.

...ثم يذكر أن ذلك لم يكن حراما فيقول:" أول الخلق كان هذا الشيء حلال، لماذا؟ لأن هذا هو الذي يفسح المجال لانطلاقة البشرية، ولا يوجد طريق غيره"(1).

...ثم يفلسف هذا الموضوع فيقول : " فنظام العائلة مكون من أب وأم وأخوة وأخوات ، وهو إنما يتوازن ويستقيم عندما تكون هناك مناعة عند الأب وعند الأم وعند الأخ وعند الأخت ضد أي إحساس جنسي تجاه الآخر ، لأنه لو فرضنا أن الأحاسيس الجنسية كانت موجودة في حياة الأب والأم تجاه أولادهما ، أو في حياة الأولاد تجاه بعضهما البعض فلن تستقر حياة عائلية ولن تنسجم في خصوص الجو العائلي المغلق، حيث يفسح المجال لهذه الأمور بشكل فوق العادة . لذلك فإن الله سبحانه وتعالى بعد أن صار هناك أبناء عم أو أبناء خال وخالة، أي عندما امتد التناسل وأصبحت هناك علاقات طبيعية، حرم الله ذلك ليستقيم نظام العائلة ولتنمو العائلة في جو طاهر نظيف من الناحية الجنسية، وبعد ذلك تنطلق لينشئ كل واحد منهم عائلة "(2).

...وقفة قصيرة :

...1– إن هذا الكلام معناه أن عائلة آدم (ع) أو العائلة في عهد آدم لم تكن تعيش في جو طاهر نظيف من الناحية الجنسية .. ولم يكن ثمة مناعة عند الأب والأخ والأخت والأم ضد أي إحساس جنسي تجاه الآخر. فهل يفترض هذا البعض وجود انفلات جنسي إلى هذا الحد فيما بين عائلة آدم ، بحيث كان الكل لديه أحاسيس جنسية تجاه بعضهم البعض حتى الأم تجاه ولدها .. ثم لما تكاثرت

العائلة وأصبح هناك أبناء عم وأبناء خالة حصلت المناعة ؟!...وكيف حصلت؟!..

...2-إن هذا البعض يقول، إن تزويج الأخ بأخته في أولاد آدم ثابت بالأدلة الشرعية، ويزعم أنه لم يكن ثمة طريقة يمكن بواسطتها حل هذه المشكلة وانطلاقة البشرية من خلالها..

...ونقول له: أليس من الممكن أن يخلق لكل ولد زوجته، كما خلق آدم وحواء من قبل؟ !

---

(1) الموسم العددان21و22 ص319

(2) -الندوة ج1 ص 737.

...وقد روى الصدوق رحمه الله في العلل عن الصادق عليه السلام في حديث له ينكر فيه عليه السلام حديث زواج الأخ بأخته:

..." سبحان الله عن ذلك علواً كبيراً، يقول من يقول هذا: إن الله تعالى جعل أصل صفوة خلقه، وأحبائه وأنبيائه، ورسله، وحججه، والمؤمنين والمؤمنات،و المسلمين والمسلمات من حرام!! ولم يكن له من القدرة ما يخلقهم من الحلال، وقد أخذ ميثاقهم على الحلال والطهر الطاهر الطيب؟!(1)

...وأما خبر" الإحتجاج"و"قرب الإسناد" حول تزويج الإخوة بالأخوات فيضعفه مطابقته في هذا الأمر لمذهب غير الشيعة(2). ... ...

... 26 . الله يؤنب ويوبخ نبيه.

... 27 . نوح لم يلتفت إلى{ إلا من سبق عليه القول} .

... 28 . كلمة {من سبق عليه القول} لم تكن واضحة.

...وعن عدم التفات نوح عليه السلام إلى ما قاله الله تعالى حين أوحى إليه بشأن ولده، نجد البعض يقول في سؤال وجواب :" كيف يمكن له أن يعيش لحظة الضعف أمام عاطفة البنوة، ليقف بين يدي الله ليطلب منه إنقاذ ولده الكافر، من بين كل الكافرين ؟!

...وكيف يخاطبه الله بكل هذا الأسلوب الذي يقطر بالتوبيخ والتأنيب؟ ويتراجع نوح، ليستغفر، ويطلب الرحمة لئلا يكون من الخاسرين.

...ويمكن لنا أن نجيب عن ذلك : أن المسألة ليست مسألة عاطفة تتمرد، ولكنها عاطفة تتأمل وتتساءل، فربما كان نوح يأمل أن يهدي الله ولده في المستقبل.

...وربما كان يجد في وعد الله له بإنقاذ أهله ما يدعم هذا الأمل لأنه من أهله ولم يلتفت إلى كلمة: {إلا من سبق عليه القول} لأنها لم تكن واضحة "(3).

...ويقول في موضع آخر عن نوح الذي كان السؤال يلح على قلبه : " والحسرة تأكل قلبه على ولده أن

الله وعده أن ينقذ أهله" إلى أن قال: " ولم ينتبه إلى كلمة: { إلاّ من سبق عليه القول } فأقبل إلى ربه بالنداء الخ.."(4).

---

(1) تنزيه الصفوة ص15و7و8و23و5و17-19.

(2) تنزيه الصفوة ص21و22و10و11.

(3) من وحي القرآن ج12 ص79و80.

(4) الحوار في القرآن ص230 ط سنة1399هـ ق.

...وقفة قصيرة:

...إننا نسجل هنا ما يلي :

...أولاً: إنه ليس ثمة من دليل ملموس يدل على أن نوحاً صلوات الله وسلامه عليه كان يعلم بكفر ولده، فلعله كان قد أخفى كفره عن أبيه ، فكان من الطبيعي أن يتوقع عليه السلام نجاة ذلك الولد الذي كان مؤمناً في ظاهر الأمر، وذلك لأنه مشمول للوعد الإلهي، فكان أن سأل الله سبحانه أن يهديه للحق ، ويعرفه واقع الأمور، فأعلمه الله سبحانه بأن ولده لم يكن من أهله المؤمنين ، وأنه من مصاديق {من سبق عليه القول}.. فتقبل نوح ذلك بروح راضية(1).

...ثانياً: إنه ليس ثمة ما يدل على أن نوحاً عليه الصلاة والسلام قد عاش الحسرة على ولده، من حيث أنه ولده.. فإن الأنبياء يعيشون الحسرة على الكافرين لما يفعلونه بأنفسهم ، لا لقرابتهم منهم.

...والشاهد على ذلك ما حكاه القرآن عن نبينا الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم، حيث خاطبه الله بقوله :{فلا تذهب نفسك عليهم حسرات}، ويقول:{ فلعلك باخع نفسك على آثارهم، إن لم يؤمنوا بهذا الحديث أسفاً}....ويقول :{ لعلك باخع نفسك ألاّ يكونوا مؤمنين}.

...غير أننا إن تأكد لدينا أن نوحاً عليه السلام كان واقفاً على كفر ولده، فإن من المعقول والمقبول جداً فهم موقف نوح، على أنه عليه السلام قد أراد أن يفهم الناس الذين نجوا وهلك أبناؤهم وآباؤهم وإخوانهم وأحباؤهم ، أراد أن يفهمهم من خلال الوحي الإلهي: أن لا خصوصية لمن نجا من أهل نوح ، كما لا خصوصية لمن هلك منهم ومن غيرهم، إلا ما يدخل في دائرة الإيمان ، فلهم النجاة، ، أو في دائرة الكفر فلهم الهلاك..

...وأراد أن يفهمهم أيضاً أن القضية قد نالت فيمن نالت حتى نبي الله نوحاً في ولده.. وأن هلاك ذلك الولد لم يكن فيه خلف للوعد الإلهي ، لأن المقصود بالأهل الذين صدر الوعد بنجاتهم هم أهله المؤمنون.

(1) راجع تفسير الميزان ج10ص232.

...ثالثاً: إذا راجعنا الآيات نفسها، فلا نجد فيها أنه عليه السلام يطلب من ربه نجاة ولده، بل فيها أنه عليه السلام قد اعتبر رحمة الله ومغفرته هي الربح الأكبر، وبها تكون النجاة من الخسران.

...ولأجل ذلك نجده عليه السلام قد قال:{ إن ابني من أهلي} توطئة للرد الإلهي الذي سيحدد خصوصية الأهل الموعود بنجاتهم، وهم المؤمنون، دون الكافرين .. حيث قد سبق القول بإهلاك الكافرين سواء أكانوا من أهل نوح أو من غيرهم.

...رابعاً: بالإضافة إلى ما تقدم نقول: إن نوحاً عليه السلام قد طلب من ولده أن يركب معهم، فقال:{ يا بني اركب معنا، ولا تكن مع الكافرين، قال سآوي إلى جبل يعصمني من الماء، قال لا عاصم اليوم من أمر الله إلاّ من رحم } (1)....

...وهذا –أعني قوله تعالى: {ولا تكن مع الكافرين}– يشير إلى أنه يراه مؤمناً، وأنه هو الذي رفض الركوب معهم، وعرض نفسه للهلاك مع علم نوح بأن التخلف عن ركوب السفينة معناه التعرض للهلاك المحتم ، وكان هذا هو خيار ولده نفسه..

...ثم أشار (عليه السلام) إلى ما يفيد أنه لم يكن بصدد طلب نجاة ولده، ولا كان يتهم الله تعالى بخلف وعده، حيث صرح (ع) أن وعد الله هو الحق ..

...وقبل أن يتقدم بأي طلب من الله كان التعليم الإلهي له: أن لا يسأله ما ليس له به علم.

...إذن ، فهناك شيء لم يكن نوح مطلعاً عليه، حسب دلالة الوحي الإلهي، فجاءت استجابة نوح لتؤكد على انه عليه السلام لم يسأله، ولن يسأله في المستقبل:

...{.. فلا تسألن ما ليس لك به علم، إني أعظك أن تكون من الجاهلين. قال: رب إني أعوذ بك أن أسألك ما ليس لي به علم }(2).

(1) سورة هود الآية 42و43.

(2) سورة هود الآية 46و47

...ثم جاء قوله عليه السلام: { وإن لا تغفر لي، وترحمني أكن من الخاسرين }(1)، ليؤكد هذه الحقيقة، حيث إنه قد استعمل كلمة "لا" ولم يستعمل كلمة "لم"، ليفيد أنه لا يتحدث عن الماضي ، حيث لم يصدر منه ما يحتاج إلى ذلك، بل هو يتحدث عن المستقبل.

...ويتضمن هذا التعبير إشارة إلى أن طلب الأنبياء للمغفرة، إنما يراد منه طلب دفع المعصية عنهم، لا

رفعها، كما هو معلوم عند أهله..

...خامساً: وأخيراً، انه ليس ثمة ما يدل على أن نوحاً عليه السلام ، لم يلتفت إلى كلمة { إلا من سبق عليه القول} أو أن هذه الكلمة لم تكن واضحة حين الوحي، علماً أن ذلك يخالف العصمة في البلاغ وفي التبليغ، وهي أمر عقلي، مسلّم وقطعي، عند جميع المسلمين ، وليس في الآيات أيضاً : أن نوحاً قد عاش الحسرة على الكافر، حتى لو كان ذلك الكافر هو ولده بالذات.

...سادسا : هناك الكثير من الاحتمالات التي تتحملها الآيات بحيث تكون بعيدة عن وصم الأنبياء (ع) بهذه النقائص، ولا تتنافى مع (بلاغة القرآن)، فلماذا اختيار التفاسير التي تظهر أو تنسب نقيصة للنبي أو الولي، دون غيرها من التفاسير التي تنزههم عن مثل هذه النقائص ؟!

...

...29- التأكيد على سذاجة إبراهيم عدة مرات.

...30. خشوع إبراهيم للكوكب، وقناعته بربوبيته.

...31. إبراهيم (ع) في وهم كبير.

...32. إبراهيم يعبد القمر ويتصوف له.

...33. ضياع إله إبراهيم في الأجواء الأولى للصباح.

...34. (لا أحب ... هذا أكبر) صرخة طفولية.

...

...ويقول عن إبراهيم عليه السلام، في ما قصه الله تعالى، من خطابه عليه السلام للكوكب ثم للقمر والشمس: إن هناك احتمالين في تفسير الآيات التي تعرضت لذلك :

...أحدهما: أن يكون ظاهر الآيات هو حقيقة موقفه، فيكون إبراهيم قد صدق بأن الكوكب والقمر والشمس آلهة..

...الثاني: أن يكون إبراهيم (ع) قد قام بحالة استعراضية أمام قومه ليقنعهم بالحقيقة.

---

(1) سورة هود الآية 47.

...وقد ذكر لكلا الاحتمالين ما يقربه.. ولكنه شرح الآيات شرحاً مسهباً على أساس الاحتمال الأول، ثم بعد أن ذكر ما يؤيد كل واحد من الإحتمالين، وذكر ما يمكن استفادته من الآيات، عاد وختم كلامه وفق الاحتمال الأول..

...ومن الواضح : أننا وإن كنا نستظهر من ذلك ميله إلى ذلك الاحتمال الفاسد ، ولم يذكره لمجرد كونه احتمالاً ، إلا أن مجرد توهم أن يكون نبي الله إبراهيم(ع) قد عبد غير الله، أو اعتقد بألوهيته وربوبيته،

هو توهم واحتمال باطل في حق الأنبياء، ويلزم التصريح بتسخيفه وبطلانه، فضلاً عن تأييده بالشواهد، ثم شرح الآيات بما يناسبه، ثم إنهاء الكلام والخروج من الموضوع من خلاله..

...ونحن نذكر فيما يلي كلماته كلها.. فنقول:

...يقول البعض:

..." وتطالعنا– في هذا المجال–شخصية إبراهيم– النبي.. التي يقدمها لنا القرآن في أجواء الصفاء الروحي ، والبساطة الإنسانية.. والطبيعة العفوية.. التي تلامس في الإنسان طفولته البريئة فيما تلتقي به من حقيقة الأشياء.. ليفكر من خلال براءة النظرة في عينيه، وسلامة الحس في أذنيه ويديه، فيما يرى أو يسمع أو يلمس ، فيما لديه من أدوات الحس الواقعي.. فنحن لا نرى فيه–من خلال الصورة القرآنية– شخصية الإنسان الذي يتكلف الكلمات التي يقولها للآخرين، ولا نلمح لديه روحية الشخص المشاكس الذي يبحث عن المشاكل في أفعاله وعلاقاته .. بل نشاهد فيه الشخصية البسيطة الواقعية التي ترتبط بالأشياء من جانب الإحساس، فتسمي الأشياء بأسمائها بعيداً عن تزويق الألفاظ، وزخرفة الأساليب، بقوةٍ وصدقٍ وواقعيةٍ وإيمان.

...ففي الصورة الأولى ، نلتقي به في موقفه من أبيه الذي يعبد الأصنام التي يعبدها قومه.. فيواجهه بالإنكار القوي الرافض للموقف من الأساس ، لرفضه الفكرة التي يرتكز عليها.. فهذه الأصنام، هي أحجار جامدة ، كبقية الأحجار الموجودة في العراء.. ولا ميزة لها إلاّ أنّ يد الإنسان قد أعطتها بعض ملامح الصورة، فحولتها إلى تماثيل .. فإذا كان الإنسان هو الذي أعطاها تلك الميزة التي تختلف بها عن سائر الأحجار.. فهي صنع يده ، فكيف تكون آلهة له .. ومن الذي أودع فيها سر الألوهة..؟ وهل الألوهة شيء يصنع ويخلق، أو هي قوة تصنع وتخلق.. ثم.. إن الألوهة تعني القدرة والعلم والحياة والغنى المطلق فيما تعنيه من ملامحها الحقيقية.. فما هي ملامح ذلك كله في هذه التماثيل؟.. ولكنها الأوهام التي حولت الأشياء غير المعقولة ..إلى عقائد وتصورات ورموز قداسةٍ في مستوى الآلهة.. فكيف تتخذ هذه الأصنام آلهة..؟ كيف..؟ ..إن فكري لا يلمح أيّة إشراقة للحقيقة فيما تسير عليه.. ولو من بعيد بعيد.. بل كل ما هناك الظلام والتيه والضياع ..وهنا يتحول التساؤل.. إلى حكم قاطع في مستوى وعيه للحقيقة المنطلقة من خط الهدى .. التي تحدد ملامح الضلال في خطوط الآخرين..

...إني أراك وقومك في ضلال مبين:

...إنه الموقف الصلب الذي لا يهادن ولا يجامل.. ولا يغلف الأشياء بغلاف سحري ، بل يدفع الموقف إلى الأمام، بكل وضوح وصراحة.. بعيدا عن المجاملة واللياقة التي تفرضها علاقة الإبن بأبيه.. لأن قضية العقيدة لا تخضع للجانب العاطفي للعلاقات لأن علاقة الإنسان بالحقيقة التي تربطه بالله أقوى من أية علاقة بأي إنسان كان.

...وفي الصورة الثانية نشاهد إبراهيم يتطلع إلى السماء، كما لو كان شاهدها أول مرة، فهو– فيما توحيه الآية–يواجهها كتجربة جديدة لم يلتق بها من قبل، وذلك فيما تعنيه التجربة من المعاناة في حركة الحس البصري كمادة للتفكير ، للانتقال من المحسوس إلى المعقول، ومن المادة إلى المعنى ..فقد كان يشاهدها سابقاً، في رؤية جامدة، لا تعني له شيئاً، إلا بمقدار ما يعنيه انعكاس الصورة في العين– لمجرد تجميع الصور في الوجدان.. فيما يلتقي به الإنسان من مألوفاته العادية في حياته اليومية.. وهكذا نجد أن الرؤية التي يتحدث عنها القرآن في قوله تعالى:{ وكذلك نري إبراهيم ملكوت السماوات والأرض..} هي الرؤية الواعية الفاحصة المدققة التي تثير في الداخل المزيد من التأمل والحوار والاستنتاج.. بدليل قوله تعالى {وليكون من الموقنين..}، مما يوحي بأنها الرؤية التي تبعث على القناعة من خلال اليقين.. وبدأ يفكر في استعراض عقلي للعقائد التي يعتقدها قومه في عبادتهم للكواكب والقمر والشمس .. ومحاكاة ذاتية تتحرك من أجل إثارة التساؤل .. وهكذا التقى بالكواكب المتناثرة في السماء، في صورة بديعة في روعة التنسيق والتكوين.. فما أن لمح كوكباً يتلألأ ويشع في قلب هذا الظلام المترامي.. حتى سيطرت عليه أجواء الروعة ، واستولى على فكره الخشوع الروحي أمام هذا الشعاع الهادئ في الأفق البعيد.. فخيل إليه أن هذا هو الإله العظيم الذي يتعبد الناس إليه.. لأن الفكرة الساذجة تجعله في الأفق الأعلى البعيد، الذي تتطلع إليه الأبصار برهبة وخشوع ولا تستطيع الخلائق أن تصل إليه أو تدرك كنهه.. { فلما جن عليه الليل رأى كوكباً قال هذا ربي..}.. في صرخة الإنسان الطيب الساذج الذي خيل إليه انه اكتشف السر الكبير الذي يبحث عنه كل الناس، كما لو لم يكتشفه أحدغيره.. وكأنه أقبل إليه في خشوع العابد، وفي لهفة المسحور.. وفي اندفاعة الإيمان.. وربما ردد هذه الكلمة {هذا ربي..} في

سره كثيراً ..ليوحي لنفسه بالحقيقة التي اكتشفها ليؤكدها في ذاتها.. بعيدا عن كل حالات الشك والريب... وبدأ الليل يقترب من نهايته.. وبدأت الكواكب تشحب وتفقد لمعانها.. ثم بدأت تبهت .. وتبهت حتى غابت عن العيون.. وحاول أن يلاحقها هنا وهناك.. لقد ضاع الإله في الأجواء الأولى للصباح.. وانكشفت له الحقيقة الصارخة .. فقد كان يعيش في وهم كبير.. فقد أفل الكوكب.. ولكن الإله لا يأفل لأنه القوة التي تمثل الحضور الدائم في الحياة كلها فلا يمكن أن تبتعد عن حركتها المتنوعة لأن ذلك يتنافى مع الرعاية المطلقة للكون ولما فيه من موجودات حية وغير حية .. واهتزت قناعاته من جديد .. وبدأ يسخر بالفكرة والعقيدة في عالمه الشعوري الصافي..{ فلما أفل قال لا أحب الآفلين.. }.

...{ فلما رأى القمر بازغاً ..} في صفاء الليل ، ووداعة السكون ..وكان الشعاع الفضي الساحر يلقي على الكون دفقا من النور الهادئ الذي يتسلل إلى العيون فيوحي إليها بالخدر اللذيذ ويخترق القلوب

فيوحي إليها بالأحلام اللذيذة الساحرة ... ويطل على الطبيعة فيغلفها بغلافه الشفاف الوادع الذي يثير في آفاقها الكثير الكثير من اللذة والأحلام.. وبدأت المقارنة بين ذلك النور الكوكبي الذي يأتي إلينا متعباً واهنا في جهد كبير.. وبين هذا النور القمري الذي يتدفق كشلال في قلب الأفق .. فأين هذا من ذاك.. فهذا هو السر الإلهي الذي كان يبحث عنه.. {قال هذا ربي..} وعاش معه في حالة روحية من التصوف والعبادة لهذا الرب النوراني الذي يتمثل في السماء قطعة فضية من النور الهادئ الساحر .. وفجأة بدأ الشعاع يبهت .. ثم يغيب .. وانطلقت الحيرة في وعيه من جديد.. أين ذهب الإله وأين غاب .. وهل يمكن للإله أن يغيب ويأفل.. وضجت علامات الإستفهام في روحه تتساءل من هو الإله ؟ وأين هو .. وعاش في التصور الضبابي المبهم الغارق في الغامض.. يتوسل بالرب الذي لا يعرف كنهه، أن يهديه سواء السبيل لئلا يضل ويضيع.. {فلما أفل قال لئن لم يهدني ربي لأكونن من القوم الضالين.. } وما زال ينتظر وضوح الحقيقة .. وفجأة أشرقت الشمس بأشعتها الذهبية الدافئة فأخذت عليه وجدانه.. {فلما ر أى الشمس بازغة قال هذا ربي .. هذا أكبر.. } فأين حجم الشمس.. من حجم القمر والكواكب .. فلا بد أن تكون هي الإله الذي يبحث عنه، لأنها تتميز عنهما بصفات كثيرة.. وبدأ يتابعها وهي تتوهج وتشتعل .. وتملأ الكون كله دفئاً وحياة وإشراقاً وجمالاً.. فإذا به يهتز ويتحرك في قوة وامتداد وحيوية دافقة.. ولكن .. ماذا..؟ وبدأ يفكر .. فها هي تبهت وتبرد وتكاد تتضاءل.. ثم تغيب وتأفل .. وتترك الكون في ظلام دامس .. فكيف يمكن أن تكون إلهاً تعيش الحياة في قدرته وقوته.. ما دامت تغيب مع المجهول تاركة الكون

كله في ظلام وفراغ؟.. وأطلق الصرخة فيمن حوله من هؤلاء الناس الذين يعبدون الكواكب والقمر والشمس .. فيما خيل له ، في وقت من الأوقات ، أنه الحقيقة المطلقة التي لا يعتريها شك ولا ريب.. { فلما أفلت قال يا قوم إني بريء مما تشركون..} من هذه المخلوقات التي انطلقت من العدم، ولا يزال العدم يعشش في كل حركة من حركاتها، أو خطوة من خطواتها .. وتمرد على كل هذه الاتجاهات الإشراكية لأن الله لا يمكن أن يكون هذه الأشياء المحدودة .. بل لا بد أن يكون شيئاً أعظم من ذلك وأكبر.. في القوة والقدرة .. لا في الحجم.. { إني وجهت وجهي للذي فطر السماوات والأرض .. حنيفاً وما أنا من المشركين..}

...وهكذا تدفقت إشراقة الإيمان في وعيه وفي قلبه ، فأحس بأن الله هو شيء لا كالأشياء لأن الأشياء نتاج قدرته.. وأدرك أن الله لا يحس كما تحس الموجودات الأخرى بالسمع والبصر واللمس، ولكنه يدرك بالعقل وبالقلب وبالشعور .. من خلال كل هذه المخلوقات التي تحيط بالإنسان في الكون الكبير.. من السماوات والأرض وما فيهن وما بينهن.. فتترك لديه انطباعا بان الله هو الذي فطرها وأوجدها .. ومن خلال هذه الإنطلاقة الإيمانية الرائعة التي أحس معها بالراحة والطمأنينة والإنفتاح.. وقف بكل كيانه–

ليحول كل وجهه–والوجه هنا كناية عن الذات بجميع التزاماتها وعلاقاتها وتطلعاتها– إلى الله، حنيفاً، مخلصاً مائلاً عن خط الإنحراف.. فهو وحده الذي تتوجه إليه العقول والقلوب والوجوه بالخضوع والطاعة المطلقة.. بإحساس العبودية .. وحركة الإيمان.. الذي يعلن هذا التوحيد بما يشبه الصرخة الهادرة الرافضة لكل الوجودات المحدودة، التي تتأله أو التي يحسبها الناس في عداد الآلهة .. وما أنا من المشركين..

...وماذا بعد ذلك؟

...هل هي الرحلة الأولى في طريق الإيمان، لدى إبراهيم.. أو هي محاكاة استعراضية للأجواء المحيطة به، فيما يعتقده الناس من ألوهية الكواكبو القمر الشمس .. في محاولة إيحائية لمن حوله بسخافة هذه العقائد وتفاهتها وضعفها أمام المنطق الوجداني الصافي، وذلك من موقع ابتعاده عنها بعد اقترابه منها ، مما يعطي لموقفه بعض القوة في الإيحاء، باعتباره الموقف الذي عاش التجربة وعاناها.. ثم تمرد عليها..

...ربما كان هذا هو الرأي الأقرب الذي يلتقي مع شخصية إبراهيم فيما حدثنا القرآن عن حياته .. فنحن لم نلمح– في غير هذه الآية – حالة تأثر بالجو المحيط به.. بل ربما نرى الأمر – بالعكس من ذلك– حالة تمرد على البيئة حتى فيما يتعلق بالجو العائلي المتمثل في أبيه الذي نقل لنا القرآن موقف إبراهيم منه.. وقد نستطيع استيحاء الآية السابقة التي حدثنا القرآن فيها عن كلام إبراهيم لأبيه حول الأصنام التي يعبدها أن هذا الموقف سابق لموقفه من هذه العقائد.. هذا بالإضافة إلى أن الرؤية التي حدثنا الله عنها لملكوت السماوات والأرض .. لا بد أن تكون الرؤية الوجدانية الواعية التي تحاول أن تثير التفكير من خلالها وليست الرؤية البصرية الساذجة .. لأنها تبدأ مع الإنسان منذ اللحظة التي يفتح فيها عينيه على الحياة ليتطلع إلى ما فيه من موجودات يدركها البصر .. وربما كانت كلمة {وليكون من الموقنين} إشارة إلى ذلك، لتلتقي بكلمة {..رب أرني كيف تحيي الموتى قال أولم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبي .. } مما يوحي بأن إبراهيم كان يعيش حالة الفكر الذي يريد أن ينمي من خلاله معلوماته وأفكاره، بكل الأشياء التي تركز قوتها وفاعليتها وثباتها وحركتها أمام التحديات التي تواجهها .. حتى فيما يشبه الأوهام .. ليواجه الصراع الذي يعيشه بانفتاح وقناعة وقوة لا تعرف الضعف ولا التراجع في كل المجالات..

...أما الإحتمال الأول ، فقد يقربه ، أن تكون الحادثة قد حدثت في بداية طفولته، عندما بدأ يتطلع للأشياء، ويفكر في الإله ..في عملية تأمل وتدبر .. في مستوى ذهنية الطفل .. ولعل هذا هو الذي نستوحيه من الجو النفسي الساذج الذي توحي به الآية.. فهذا هو إبراهيم يواجه الكوكب الذي يبدو عالياً

عالياً ، بعيداً بعيداً .. ولكنه يشرق في قلب الظلام .. فيشعر بالرهبة والروعة.. فيصرخ –في مثل اللهفة–هذا ربي.. انطلاقاً مما كان يسمعه بأن الإله بعيد بعيد عن الإنسان، فلما أفل .. أحس بالإنقباض وقال:{ لا أحب الآفلين.. } فقد نجد في كلمة {لا أحب ..} بعض كلمات الطفولة البريئة، التي تحب أو لا تحب من خلال مشاعرها الساذجة إزاء الأشياء.. وتتكرر التجربة مع القمر ..وتنطلق الصرخة الطفولية من جديد.. تماماً كمثل الهتاف الذي يهتف به الطفل عندما يجد شيئاً قد أضاعه، أو شيئاً قد طلبه .. وتتكرر خيبة الأمل من جديد.

...ولكن الوعي يتنامى هنا–فلا نجد ردّ الفعل طفولياً .. بل نلاحظ في ردّة الفعل حالة حيرة وذهول وتوسل إلى هذا الرب الغامض الذي يتمثله في وعيه هادياً لعباده، أن يهديه إلى الحق لئلا يكون من القوم الضالين.. وتشرق الشمس في هذا الدفق اللاّهب من النور الذهبي في إطار هذا الوجه الواسع الذي يتفايض بالشعاع كما يتفايض الينبوع بالماء الصافي الرقراق.. فتكبر الصرخة في طفولية بارزة..{ هذا ربي .. هذا أكبر.. } وينطلق الحجم ليؤكد الفكرة، فيما لا توحي به إلا أفكار الطفل، أو ما يشبه الطفل.. لأن الأشياء الكبيرة توحي للفكر الساذج بالهيبة والعظمة.. بما لا توحي به الأشياء الأقل حجماً.. وتتجدد خيبة الأمل بالأفول.. ولكن تلك الإشراقة الساطعة للشمس استطاعت أن تبعث في قلبه إشراقة الإيمان الرافض لكل هذه الأوهام والظنون.

...وفي كلا الاحتمالين .. يمكن للعاملين في حقل التوجيه، استيحاء الفكرة العملية في أسلوب التربية .. من خلال الأسلوب الإستعراضي، فيما يتمثل فيه من مناجاة ذاتية تجعل الإنسان يواجه الأفكار المطروحة في الساحة، مواجهة المؤمن بها.. ثم يقوم بمناقشتها بالطريقة التي توحي باكتشاف مواطن الضعف والخلل فيها، بالمستوى الذي يجعلها بعيدة عن الحقيقة، وعن إمكان اعتبارها عقيدة ترتبط بها قضية المصير.. ولا يختص الأمر بالأفكار المتصلة بالعقيدة الإلهية بل يمتد إلى جميع المجالات التي تمثل الخط العملي للحياة... ويمكن لنا ممارسة هذا الأسلوب في القصة والمسرح والسينما وغيرها من الأساليب التي تخاطب الجمهور لتوجيه قناعاته.. وقد لا نحتاج إلى التأكيد على ضرورة دراسة المستوى العقلي والروحي للناس من أجل تركيز هذا الاتجاه على قاعدة متحركة في الفكرة والأسلوب.. كما يمكن استيحاء القصة في مدلولها الرسالي في عدم خضوع الإنسان للبيئة فيما تحمل من أفكار وعادات ومشاعر، بل يعمل على ممارسة دوره الذاتي المستقل، كإنسان يفكر بحرية .. ويقتنع على أساس الدليل.

...وتبقى لنا– في هذا المجال – هذه البراءة الفكرية من إبراهيم.. حيث نتمثله إنساناً يواجه العقيدة من موقع البساطة الوجدانية، والعفوية الروحية، التي تلتقي بالقضايا من وحي الفطرة لا من وحي التكلف والتعقيد .. ثم هذه اللهفة الحارة المنفتحة على الله– سبحانه – عند اكتشافه للحقيقة في توحيده في كل

شيء، وفي الإقبال عليه بكل وجهه، وبكل فكره ، وبكل روحه وانطلاقه العملي في الحياة.. لأن توجيه الوجه لله .. لا يعني –في مدلوله العميق– هذا الموقف الساذج الذي يتطلع فيه الإنسان نحو الأفق الممتد في السماء بنظرة حائرة بلهاء.. بل يعني انطلاقة حياة الإنسان وكيانه مع الله فيما يحمل من عقيدة، وفيما يرتبط به من فكر، وفيما يتحرك معه من خط، وفيما يستهدفه من أهداف.. وفيما يعيشه من علاقات وأوضاع وتطلعات.. إنه الاندماج في الحقيقة الإلهية، بأن تكون الحياة كلها لله .. وفي خدمة الله..

...ولعل قيمة هذه الفكرة .. هي أنها لا توحي إلينا بآفاقها وخطواتها العملية، من وحي التجريد لنعيش معها في متاهات النظريات التجريدية.. بل هي حركة الإنسان– النبي الذي يعيش حركة الإيمان والفكر في حياته من موقع إنسانيته البسيطة.. ليوحي إلينا بأن دور الإنسان الذي يريد أن يحقق إنسانيته، هو أن ينعزل عن كل الحدود المادية الضيقة التي تشده إلى الأرض في استسلام ذليل، ويرتبط بالحقيقة المطلقة التي يحلق من خلالها مع الله "(1).

...وقفة قصيرة:

...ونقول : إن احتمال عبادة إبراهيم(ع) للكوكب وغيره، مناف للعصمة،ولا يصح إبداؤه في حق المعصومين عموماً، ولا يمكن أن يقرّبه شيء، لا في الطفولة ولا فيما بعدها، على ما هي عليه عقيدة علماء المذهب القطعية، المأخوذة عن أهل بيت العصمة عليهم السلام ، ونحن نشير هنا إلى بعض ما يوضح ذلك ، وعدم صحة تفسير الآيات بما فسرها به ذلك البعض .

تفسير الآيات:

---

(1) من وحي القرآن ج9 ص112–123.

...إننا نستفيد من الآيات الكريمة ، ما يدل على عدم صحة ما ذكره هذا البعض، فلاحظ ما يلي:

...1–إننا لا نجد أي دليل على أن هذه القضية قد حصلت لإبراهيم في زمان طفولته، بل في الآيات ما يشير إلى خلاف ذلك، وإن ذلك كان في مقام الاحتجاج على قومه .

...2. إن ما يلفت نظرنا أنه حين طلع الصباح على إبراهيم(ع) ، ورأى أفول الكوكب وانحسار نوره، لم يتوجه إلى الشمس التي ظهرت له، بل انتظر إلى الليل، ليتوجه إلى القمر، ليخاطبه بذلك الخطاب: {هذا ربي }!! فلما أفل، وطلع الفجر مرة أخرى ، وأشرقت الشمس ، توجه إليها ليعتقد أنها هي ربه الحقيقي. حسبما شرحه لنا ذلك البعض (!!)

...فلماذا تركها في اليوم الأول حين أفول النجم، وانتظر إلى الليل ليعتقد بألوهية القمر دونها؟!. أم أنه

قد نام النهار كله من شروق الشمس إلى غروبها ، فلم ير الشمس ، حتى ولو في ساعة من نهار؟!. أو أنه قد دخل كهف مظلم ، ولم يتذكر وجود الشمس ، ولا التفت إليه ؟!

...3. إن نفس ذلك البعض يقر بأن إبراهيم (ع) كان يرى الشمس قبل ذلك في سنوات طفولته، وكان يرى القمر والكواكب أيضاً- فلماذا لم يعتقد بربوبيتها منذئذٍ؟!. أو لماذا لم يتساءل عن هذا الأمر؟!. ولماذا لم يدرك أن الشمس أكبر من القمر والكواكب فور رؤيته لها طالما أنه قد رآها؟. أم أنه يريد تأكيد طفولة وبراءة إبراهيم من خلال عبارة (هذا اكبر) أو (لا أحب)؟.

...4. لماذا التزم إبراهيم بربوبية هذا الكوكب بعينه، دون سائر الكواكب الطالعة وما أكثرها؟!.

... 5. إن ذلك البعض يصرح بأن الظاهر أن قصة إبراهيم(ع) مع أبيه آزر، كانت أسبق من هذه القضية، فكيف كان مؤمناً هناك، ويدعوه للإيمان بالله وترك الأصنام؟ وكافرا ومشركاً هنا يعبد الكواكب والنجوم تارة ولا يعرف إلهه تارة أخرى ؟!، فهل كان يدعوه إلى إله لا يعرفه ؟! أم أن إبراهيم(ع) كفر بعد إيمانه؟!. وهل يصح منه بعد هذا أن يحتمل في حقه عليه الصلاة والسلام أن يكون قد عبد الكوكب حقيقة؟!.علماً أن عبادة الكواكب خروج عن الفطرة، ومعصية ما بعدها معصية، والأنبياء معصومون عنها قبل البعثة وبعدها.

...6-ثم إن إبراهيم (ع) استدل على بطلان ألوهية الكوكب بالأفول، لان الله لا يأفل. فالذي يدرك مثل هذا الأمر الدقيق في ما يتعلق بصفات الإله، كيف لا يدرك صفة أوضح منها وهي استحالة الجسمية على الله؟ مع أنه كان يعرف هذا الأفول قبل ذلك لأنه كان قد رأى الكواكب سابقاً، وعرف أنها تطلع وتغيب باعتراف القائل نفسه.

...7- إن إبراهيم (ع) بعد أن استدل بالأفول على بطلان ألوهية الكوكب ،كيف عاد واعتقد بألوهية القمر ؟ مع علمه بأنه يأفل ويغيب ، ثم كيف عاد ليعتقد بألوهية الشمس مع علمه بأنها تغيب أيضا ؟!.

...8- أما التعليل بـ (هذا اكبر)، فلا ينفع مع الاستدلال بـ (لا أحب الآفلين)، لان الآفل لا يصلح للألوهية سواء كان كبيراً أو صغيراً.

...أضف إلى ذلك كله أن القمر قد كان اكبر من الكوكب أيضا فلماذا لم يلتفت إبراهيم إلى ذلك في حينه ؟ .

...9- إن ذلك البعض لم يذكر لقارئه ما روي عن الإمام الباقر(ع)، من أنه قد رفض أن يكون إبراهيم عليه السلام قد أشرك بالله، وقرر أن إبراهيم (ع) إنما قال ذلك على سبيل الإنكار على قومه لتسخيف معتقدهم .والرواية هي التالية :

...إبن بابويه قال حدثنا تميم بن عبد الله بن تميم القرشي رضي الله عنه، قال حدثنا أبي عن حمدان بن سليمان النيسابوري، عن علي بن محمد بن الجهم، قال حضرت مجلس المأمون وعنده الرضا عليه السلام ، فقال له المأمون: يا ابن رسول الله أليس من قولك إن الأنبياء معصومون؟

...- قال: بلى

...- قال: فسأله عن آيات من القرآن في الأنبياء، فكان فيما سأله أن قال له فأخبرني عن قول الله عز وجل في إبراهيم {فلما جن عليه الليل رأى كوكباً قال هذا ربي}

...- فقال الرضا (ع) : إن إبراهيم وقع إلى ثلاثة أصناف ، صنف يعبد الزهرة، وصنف يعبد القمر، وصنف يعبد الشمس، وذلك حين خرج من السرب الذي أخفى فيه، فلما جن عليه الليل رأى الزهرة قال هذا ربي على الإنكار والإستخبار، فلما أفل الكوكب قال لا أحب الآفلين ، لأن الأفول من صفات المحدث لا من صفات القديم.

...{فلما رأى القمر زا غاً قال هذا ربي} على الإنكار والإستخبار، {فلما أفل قال لئن لم يهدني ربي لأكونن من القوم الضالين}

...فلما أصبح {رأى الشمس بازغة قال هذا ربي هذا أكبر} من الزهرة والقمر على الإنكار والإستخبار، لا على الإقرار والإخبار ..

...{فلما أفلت} قال للأصناف الثلاثة من عبدة الزهرة والقمر والشمس {يا قوم إني بريء مما تشركون، إني وجهت وجهي للذي فطر السماوات والأرض حنيفاً وما أنا من المشركين}

... وإنما أراد إبراهيم بما قال أن يبين لهم بطلان دينهم ، ويثبت عندهم أن العبادة لا تحق لما كان بصفة الزهرة والقمر والشمس، وإنما تحق العبادة لخالقها وخالق السماوات والأرض. وكان ما احتج به على قومه مما ألهمه الله عز وجل وآتاه، كما قال عز وجل { وتلك حجتنا آتيناها إبراهيم على قومه}، فقال المأمون: لله درّك يا ابن رسول الله(1).

---

(1) تفسير البرهان ج1 ص531.

...10. إن قوله تعالى: { وكذلك نري إبـ اهيم ملكوت السماوات والأرض وليكون من الموقنين}، قد فرع عليه قوله: { فلما جن عليه الليل رأى كوكباً قال هذا ربي}، فهذا التفريع على إراءته ملكوت السماوات والأرض، وعلى كون إبراهيم (ع) من الموقنين، يشير إلى أنه لم يقل هذا ربي عن اعتقاد، بل قاله عن إنكار واستهزاء .

...11- هذا غيض من فيض مما ورد في النص المنقول عن (وحي القرآن)، ونترك الكثير الكثير من المداليل والملاحظات الموجودة لقارئنا الكريم، ليستخلصها بنفسه بعد أن عرف الضابطة في الفرق بين

أوصاف الأنبياء وأحوالهم، وأوصاف الأشقياء وخصالهم .

...35. عذاب يوسف (ع) في مقاومة الإغراء .
...36. الإنجذاب إلى الحرام والقبيح لا ينافي العصمة .
...37. جسد يوسف (ع) تأثر بالجو (الجنسي) .
...38. عزم على أن ينال منها ما أرادت نيله منه .
...39. همّ بها ، ولكنه توقف، ثم تراجع .
...40- إيمان يوسف(النبي) يستيقظ .
...41. إستنفد كل طاقاته في المقاومة .
...

...وأما حديث ذلك البعض عن يوسف (ع) فهو أشهر من أن يذكر، ونقتصر هنا على قوله في بيان ما جرى لهذا النبي(ع) مع إمرأة العزيز:

..."التفسير الذي نميل إليه ونستقربه، هو الإنجذاب اللاشعوري، تماماً كما ينجذب الإنسان إلى الطعام".

...إلى أن قال :

..."فالعصمة لا تعني عدم الإنجذاب إلى الطعام المحرم، والشراب المحرم، أو الشهوة المحرمة، ولكنها لا تمارس هذا الحرام، فالإنجذاب الغريزي الطبيعي هنا لا يتحول إلى ممارسة، وتتضح الصورة أكثر عندما جمعته مع النسوة، اللاتي قلن: {حاش لله ما هذا بشراً إن هذا إلا ملك كريم}، عند ذلك شعر أن الطوق بدأ يضيق ويحاصره إلى درجة لا يستطيع فيها أن يتناسى، على اعتبار أنه إستنفد كل طاقاته في المقاومة".

...وهذا يجعلنا نشعر بالعذاب الذي كان يعيشه يوسف في مقاومته لإغراء هذه المرأة"

...ويقول:

..." خلاصة الفكرة: إن يوسف (ع) لم يتحرك نحو المعصية، ولم يقصدها، ولكنه انجذب إليها غريزياً، بحيث تأثر جسده بالجوّ، دون أن يتحرك خطوة واحدة نحو الممارسة"(1).

...وذكر في بعض ما بثته بصوته إذاعة تابعة له:

..."عزم على أن ينال منها ما كانت تريد نيله منه"(2).

...ويقول:

...{وهمّ بها} في حالة لاشعوريّة ،فيما يتحرك فيه الإنسان ...غريزياً بطريقة عفوية من دون تفكير.. لأن من الطبيعي لأي شابٍّ ...يعيش في أجواء الإثارة أن ينجذب إليها، تماماً، كمن يتأثر بالروائح الطيبة أو

النتنة التي يمر بها، أو كمن تتحرك غريزة الجوع في نفسه بكل إفرازاتها الجسدية عندما يشم رائحة الطعام" .

...إلى أن قال:

---

(1) دنيا الشباب ص36 وراجع الندوةج1ص304.

(2) هذا الكلام مسجل بصوته، والشريط موجود لدينا.

..." وهكذا نتصور موقف يوسف، فقد أحس بالإنجذاب في إحساس لاشعوري وهمّ بها استجابة لذلك الإحساس، كما همّت به، ولكنه توقف ثم تراجع.. ورفض الحالة بحزم وتصميم، لأن المسألة عنده ليست مسألة تصور سابق، وموقف متعمد، وتصميم مدروس، كما هي المسألة عندها، ليندفع نحو خط النهاية، كما اندفعت هي، ولكنها كانت مسألة انجذاب جسدي يشبه التقلص الطبيعي، والإندفاع الغريزي.. إنها لحظة من لحظات الإحساس، عبّرت عن نفسها ثم ضاعت وتلاشت أمام الموقف الحاسم، والعقيدة الراسخة، والقرار الحازم.. المنطلق من حساب دقيق لموقفه من الله، فيما ينطلق فيه من عقيدة، وفيما يتحرك فيه من خط، وفيما يقبل عليه من عقاب الله ، لو أطاع إحساسه.. وهذا ما عبر عنه قوله تعالى: { لولا أن رأى برهان ربّه..}، فيما تعنيه كلمة " البرهان " من الحجة في الفكرة التي تقوده إلى وضوح الرؤية، فتكشف له حقيقة الأمر، فيحس، بعمق الإيمان، أنه لا يملك أية حجة فيما يمكن أن يقدم عليه، بل الحجة كلها لله .. وربما كان جوّ هذه الآية هو جوّ قوله تعالى: {إن الذين اتقوا إذا مسّهم طائف من الشيطان تذكّروا فإذا هم مبصرون..} وقد نستوحي ذلك من مقابلة كلمة "همّ بها"، لكلمة "همّت به" فقد اندفعت إليه بكل قوة وضراوة واشتهاء، فحركت فيه قابلية الإندفاع.. وكاد أن يندفع إليها لولا يقظة الحقيقة في روحه، وانطلاقة الإيمان في قلبه.. وبذلك كان الموقف اليوسفي، فيما هو الإنجذاب، وفيما هو التماسك والتراجع والإنضباط، مستوحى من الكلمة ، ومن الجوّ الذي يوحي به السياق معاً"(1).

... وقفة قصيرة:

إن آيات القرآن الكريم لا تؤيد ما ذكره هذا البعض، إن لم نقل: إنها تدل على عدم صحته. ونحن نبين المراد من الآيات الشريفة بمعزل عما ذكره ذلك البعض، فنقول:

...1- إننا قبل كل شيء هنا نذكر سؤالا وجه إلى ذلك البعض ، وأجاب عليه .. والسؤال والجواب هما كما يلي :

---

(1) من وحي القرآن ج12 ص206-208.

...س : إذا نوى الإنسان أن يفعل فعلاً سيئاً مثلاً، وصمم أن يرتكب فاحشة الزنا فهل يحاسب هذا الإنسان وكيف يمكن أن نتخلص من مقولة " إنما الأعمال بالنيات" إذا كان الجواب بالنفي ؟

...ج : المعروف أن الإنسان لا يحاسب على نيته إذا لم يحولها إلى واقع فالإنسان تخطر في باله أعمال يعبرون عنها في علم الأصول بالقول " فعل قبيحٌ وفاعل قبيحٌ " بمعنى أن هذا يدل على قبح الفاعل ، أي أنه إنسان سيئ ذاك الذي يفكر بالجريمة لكنه لم يفعل (1) " .

...فهل يلتزم هذا البعض بنسبة القبح إلى نبي الله يوسف عليه السلام؟ وهل يجوز أن يقول عنه : إنه "إنسان سيئ " أو إنه "فاعل قبيح " ؟! لا سيما وأن هذا القائل قد صرح في مورد آخر بأن يوسف(ع) قد عزم على أن ينال منها ، ما كانت تريد هي أن تناله منه(2).

...2- إن قوله تعالى:{ لولا أن رأى برهان ربّه } يفيد: أنه لم يحصل منه أي شيء مما ذكره هذا البعض، فإنك إذا قلت: لولاي لوقع الطفل عن السطح، فمعناه أن الطفل لم يقع، فيوسف عليه السلام – إذن–لم ينو هذه المعصية ، ولم تدخل في دائرة اهتماماته.. فالله سبحانه ينفي أن يكون قد صدر عن النبي يوسف أي فعل قلبي، ويقول: إن هذا الأمر قد كان خارج دائرة نواياه..

3- أضف إلى ما تقدم أن الشيطان قد استثنى عباد الله المخلصين من إمكانية تأثيره فيهم، فقال :{ لأغوينهم أجمعين، إلا عبادك منهم المخلصين }(3)، وقال تعالى :{ إنّ عبادي ليس لك عليهم سلطان}(4).

---

(1) – الندوة ج1 ص 640 .

(2) – هذا القول قد جاء على لسان هذا البعض في شريط مسجل بصوته ، والشريط موجود أيضا لدى مؤلف هذا الكتاب .

(3) –سورة الحجر الآية 40.

(4) – سورة الحجر الآية 42.

...وقد صرحت الآية هنا بأن بُعْدَ يوسف عن هذا الأمر، وإبعاده له عن دائرة نواياه، إنما هو لأنه كان من عباد الله المخلصين. فقد قال تعالى:{كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء، إنه من عبادنا المخلصين}(1). حيث ظهر من الآية: أن سبب صرف ذلك عنه هو كونه مخلَصاً.

...4. إن وجود نوايا قبيحة مرفوضة ستكون نتيجتها سقوط الإنسان عن درجة الإعتبار وأنه سينظر إليه بعين الإحتقار والنقص، فلو أنّ إنساناً نوى الفاحشة مع امرأة محصنة، فإنه لن يكون محترماً عند الذين يعلمون منه ذلك، فكيف إذا كانت هذه النية من أحد الأنبياء المخلصين، فإنها تكون أشنع وأقبح، وقد تقدّم تصريح البعض: بأنّ من ينوي ذلك، فهو إنسان سيء، وأن ذلك من مصاديق القبح الفاعلي على

حد تعبيره، وفقاً لما عند علماء الأصول .

...5- إن المخلَص -بالفتح- هو الخالص لله، بحيث لا يكون فيه أية شائبة لغيره، فمن ينجذب نحو الفاحشة انجذاب الجائع إلى الطعام، ومن عزم على أن يفعل ما طلبته منه امرأة العزيز ،ومن تتحرك فيه قابلية الإندفاع نحو الفعل الحرام، هل يكون خالصاً لله، وصافياً بحيث لا تكون فيه أية شائبة؟!.

...6. هذا مع العلم: أن الله سبحانه قد قرر قبل ذلك مقام يوسف، وعلوّ درجته حيث قال: {..ولما بلغ أشدّه آتيناه حكماً وعلماً، وكذلك نجزي المحسنين}(2).ولم يُشِرْ بعد ذلك، لا من قريب ولا من بعيد ولو حتى بالعتاب، إلى ما ربما يتوهم منه عزمه على أن ينال منها ما كانت تريد نيله منه كما يدعيه ذلك البعض.

...7. ومع غض الطرف عن ذلك كله، فإن كلمة (همّ به) ليس معناها همّ بنكاحه، بل معناها: همّ بضربه وإيصال الأذى إليه، حيث يقال: جاء فلان وتكلم بكلام سيء، فهممت به، أي هممت بإيصال الأذى إليه أو بضربه.

...وقد ذكر هذا المعنى في الروايات عن الأئمة الطاهرين عليهم السلام، وأن المراد: همّ يوسف(ع) بضربها.

...مناقشة وردّها :

---

(1) - سورة يوسف الآية 24 .

(2) - سورة يوسف الآية 22.

... قال المرجع الديني سماحة الشيخ التبريزي وهو يرد على مقولات ذلك البعض: " إن لفظ (لولا) دال على امتناع همّه بالمعصية لرؤية برهان ربه"،..

...فردّ عليه ذلك البعض بقوله:

..".. إن التعبير الصحيح أو البليغ لهذا المعنى هو: لولا أن رأى برهان ربه لهمّ بها، لتفيد معنى حصول الفعل الذي يحصل بالمستقبل، فلا يصح أن نقول: (جاء زيد لولا القوم)، بل الصحيح أن نقول: (لولا القوم لجاء زيد) " (1).

...ونقول: إننا نسجل هنا ما يلي:

...إن السيد المرتضى وهو ممن لا يُشكّ في تضلعه في علوم اللغة والبيان والفقه حتى قيل فيه: " لو قيل إن المرتضى أعلم العرب بلغتهم لم نتجاوز " وهو من أبرز أعلامنا.. منذ مطلع القرن الخامس وإلى يومنا هذا.. وقد ذكر هذا العلم هنا عدة أجوبة(2)

...ألأول: إن الآية قد علقت– في ظاهرها– كلمة (همّ) بذاتيهما، فقالت:{ همّت به ، وهمّ بها}، ولا يجوز تعلق الهمّ بالذات بمعنى الإرادة والعزم، فلا بد من تقدير محذوف، وليس بعض الأفعال أولى بالتقدير من بعضها الآخر، فهل همّ بالضرب؟ أو الإكرام؟ أو أي شيء آخر؟ ويترجح أن يكون يوسف قد همّ بالضرب، كقولك : همّ فلان بفلان، أي بأن يوقع به ضرباً أو مكروهاً..

...أما من ناحيتها، فالمحذوف هو الفعل القبيح، وإنما فرّقنا بينها وبينه في هذا الأمر ، لما ظهر من أنها قد راودته عن نفسه ، فجاز عليها فعل القبيح فهمّت به، أما يوسف(ع) فلا يجوز ذلك عليه، لأنه رفض واستعصم، حسبما دل عليه القرآن..

...والسبب في أن برهان ربه قد صرفه عن ضربها هو أنه لو فعل ذلك لأهلكه أهلها وقتلوه، أو أنها تدعي عليه المراودة على القبيح، وتقذفه به، وأنه إنما ضربها لامتناعها، وسيصدق الناس عليه ذلك.

---

(1) راجع رد ذلك البعض على المرجع الديني الشيخ التبريزي–الرد على السؤال السابع.

(2) هذه النقاط مقتبسة مما ذكره علم الهدى في كتابيه تنزيه الأنبياء ص 80–85 ط الأعلمي، وأمالي المرتضىج1ص477–481.

...وعلى هذا التفسير لا يكون جواب "لولا" متقدماً عليها، بل هو مقدر ومتأخر عنها، والتقدير: همّت به وهمّ بدفعها أو ضربها، لولا أن رأى برهان ربّه لفعل ذلك.

...وحذف الجواب هنا كحذفه في قوله تعالى: {ولولا فضل الله عليكم ورحمته وأن الله رؤوف رحيم}(1) ، والتقدير لهلكتم.

...أضف إلى ما تقدم: أن من يقول: المراد أنه عليه السلام قد همّ بالقبيح كما همت هي به، يحتاج هو الآخر أيضاً إلى تقدير جواب، كأن يقال: همت بالقبيح وهم به لولا أن رأى برهان ربه لفعله..

...الثاني: أن يحمل الكلام على التقديم والتأخير، أي : لقد همّت به، ولولا أن رأى برهان ربه لهمّ بها، وهذا كقولك: قد كنت هلكت لولا أني تداركتك، وقتلت لولا أني خلصتك، أي لولا تداركي لك لهلكت، ولولا تخليصي لك لقتلت، وقال الشاعر:

...فلا يدعني قومي ليوم كريهة لئن لم أعجل طعنه لم أعجل

...وقال الآخر:

...ولا يدعني قومي صريحاً لحرة لئن كنت مقتولاً ويسلم عامر

...فقدم جواب "لئن" في كلا البيتين.

...ومما يشهد على ذلك انهم يقولون: "قد كان زيد قام لولا كذا كذا"، و" قد كنت قمت لولا كذا"، و" قد كنت قصدتك لولا أن صدني فلان" وإن لم يقع قيام ولا قصد، وهذا هو الذي يشبه الآية.

...وخلاصة الأمر: أن في الآية شرطاً، ويحتاج إلى جواب، وليس تقديم جواب "لولا" بأبعد من حذف الجواب من الأساس..

...وإذا جاز عندهم الحذف –لئلا يلزمهم تقديم الجواب– جاز لغيرهم تقديم الجواب حتى لا يلزم الحذف.

...تذكير :

...إن الملفت للنظر هنا : أن أبا علي الجبائي المعتزلي–تبعاً لغيره– هم أصحاب مقولة: أن معنى هم بها اشتهاها، ومال طبعه إلى ما دعته إليه.. وقد روي هذا التأويل عن الحسن البصري، من علماء العامة أيضا.

... قال المرتضى رحمه الله: "ويجب على هذا الوجه أن يكون قوله تعالى: { لولا أن رأى برهان ربه }، متعلقاً بمحذوف، كأنه قال: لولا أن رأى برهان ربه لعزم أو فعل" انتهى(2).

---

(1) سورة النور الآية: 20.

(2) أمالي المرتضى ج1ص481.

...هذا مع أن قوله تعالى: {وأصبح فؤاد أم موسى فارغاً إن كانت لتبدي به لولا أن ربطنا على قلبها لتكون من المؤمنين}، يدل على صحة تقديم لولا عليها.

...

...42 . جبرائيل لم يكن ينزل على لوط (ع) .

...43. لوط (ع) يتلقى الأوامر من إبراهيم(ع) .

...

...وقد أعلن البعض في إذاعة محلية تابعة له، إنكاره نزول جبرائيل عليه السلام على نبي الله لوط(ع) .. وأنه إنما كان ينزل على إبراهيم عليه السلام ، وهو الذي كان يصدر الأوامر إلى لوط(ع)، وذكر أن ذلك يعطي أسلوباً تنظيمياً جيداً، واعتبر ذلك كشفاً مهمّاً منّ الله به عليه!!

...مع أن الله سبحانه يقول:{ وإن لوطاً لمن المرسلين}(1)، فهل يكون لوط مرسلاً ولا ينزل عليه الوحي؟! ومن أين صحّ له أن الوحي لم يكن ينزل على لوط؟!

...فاستمع إليه يقول (ونحن نعتذر للقارىء الكريم لأنّا سنورد كلامه، الذي جاء باللغة العامية، ولم نتدخل في صياغة عبارته):

---

(1) سورة الصافات، الآية 133.

...إن إبراهيم من أولي العزم، يعني هو رسول الله إلى الناس جميعا،وكان يرسل ذاك إلى من مثلاً إبراهيم عليه السلام، مثلاً يرسل أشخاص أنبياء محليين، يعني مثلاً أرسل لوط إلى هذه القرية التي انتشر فيها الفساد والشذوذ الجنسي المذكر "اللواط" على أساس أن يذكرهم بالله، وان يركز لهم القاعدة الإيمانية، وان يواجه هذا الإنحراف الشاذ عندهم، فـ.. هناك أنبياء محليون، هؤلاء الأنبياء المحليون لا يرتبطون بالوحي مباشرة وإنما يرتبطون بالوحي العام، ما تسمعوا بأولي العزم، أولي العزم يعني هم إبراهيم وموسى نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمد صلى الله عليه وآله وسلم، هؤلاء أولياء .. أنبياء أولي العزم، هؤلاء هم كأن الأنبياء الموجودين، في أنبياء ضيع، في أنبياء قرى مثلاً، فكأن لوط.. إبراهيم هو مسؤول لوط، كأنه لوط ليس نبياً بشكل مباشر، ولكن نبوته من خلال أنه وكيل إبراهيم عليه السلام في هذا المجال، فاستئذانهم من لوط من إبراهيم باعتبار أنه يتحمل مسؤولية لوط، فمن الناحية التنظيمية، الله سبحانه وتعالى راعى الناحية التنظيمية، أنه يستأذن إذا أراد أن .. العذاب على الجماعة أولئك فيستأذن إبراهيم بعدما إبراهيم يفهم القضية يذهبون إلى لوط ويحدثونه ويتولوا المهمة ويدبروا الوضع مع لوط هذا.

... وهذا المعنى إذا صح هذا الفهم من هذه المسألة هذا نفهم من عندها الجانب التنظيمي أنه عندما يكون هناك مسؤولية لإنسان عن إنسان آخر فما يجوز إحنا نتصل بالإنسان الآخر بشكل مباشر إذا كان أي شخص يعني أي عمل يتصل بالشخص الثاني سواء فيما يوكل إليه من مهمات أو فيما يوكل إليه من مهمات للقاعدة التي يعيش فيها لازم يتصل حتى القيادة لا تتصل بالأشخاص الثانويين بشكل مباشر تتصل بالأشخاص الأساسيين حتى تتحدث معهم حول القضية فهنّي يذهبون هذا.. وبعد ذلك عندما يفهم يروحوا إلى تلك الديار، هذا الجانب التنظيمي جداً مهم يعني لما الواحد...أنا مثلاً مكلف واحد... أستوحي هذا المعنى من هذا الجوّ ولم أجد أحداً، استوحى هذه القضية فيما قرأت من تفاسير...حتى أنني لم أذكرها في تفاسيري، لكن كما يقولون :(العلم يزكو على الإنفاق) (1).

...وحاصل كلامه –كما هو ظاهر –أنه ينكر نبوة لوط (ع) بالمعنى المعروف للنبوة، وجعله له نبياً بمعنى من المعاني – وهو كونه نبياً بالمعنى العام بهذا المقدار – وهذا المعنى يصدق في حق الكثيرين ممن سبق، ممن يصدق في حقهم أنهم وكلاء للأنبياء ومتعاونون معهم، وينفذون أوامرهم.. فلا بد على هذا التقدير من عدِّهم في جملة الأنبياء، كما أنه ينبغي –بناءً على هذه المقولة– أن يصح القول في وكلاء الإمام صاحب الزمان (ع) بأنهم أئمة أيضاً، فهل يلتزم هذا البعض بذلك؟!!....

... 44 . موسى (ع) ينكث العهد .

... 45 . موسى (ع) غير منضبط .

... 46 . خطأ موسى (ع) في موقفه .

... 47 . موسى (ع) لا يستفيد من التجربة الخاطئة الأولى .

... 48 . موسى (ع) لم يفهم الحدث ولم يفكر .

... 49 . علم الأنبياء والأئمة (ع) محدود بحدود مسؤولياتهم .

... 50 . نسيان موسى عليه السلام .

... 51 . النسيان حالة اضطرارية .

...52- موسى(ع) في دورة تدريبية .

---

(1) النص الحرفي لكلام البعض مسجلاً بصوته على شريط موجود عندنا برقم 32 وقد بثتها إذاعة محلية تابعة لذلك البعض.

... 53 . عدم أهلية موسى لمرافقة الخضر .

...ويقول عن موسى (ع) والخضر (ع) :

..."..وأحس موسى بالحرج الشديد لمخالفته للمرة الثانية، ونكثه بالعهد، قال إن سألتك عن شيء بعدها فلا تصاحبني لأنني لن أكون أهلاً لمرافقتك فيما يمثله ذلك من عدم الإنضباط أمام الكلمة المسؤولة التي التزمت بها أمامك"(1).

...وقال عنه:" وها هو يعود إلى الإخلال بكلمته من جديد"(2).

...ويقول حكاية لقول العبد الصالح لموسى عليه السلام:"{ألم أقل لك انك لن تستطيع معي صبرا} ولماذا لم تستفد من التجربة الأولى التي عرفت فيها خطأ موقفك في اهتزاز مشاعرك أمام الحدث الذي لم تفهمه، ولم تفكر بأن من الممكن أن يكون له وجه آخر"(3).

" ففي قصة الخضر هو العبد الصالح ، هي أن الله أراد أن يدخل موسى في دورة تدريبية، حتى يفهم الجانب الثاني من الصورة"(4).

...وعن علم الأنبياء (ع) والأئمة (ع) ببعض مفردات علوم الحياة والإنسان، أو ببعض خفايا الأمور البعيدة عن عالم المسؤوليةيقول:" أما هذه الجوانب فلا دليل على ضرورة إحاطته بها، ولا يمنع العقل أن يكون لشخص حق الطاعة في بعض الأمور التي يحيط بها على الناس

الذين يملكون إحاطة في أشياء أخرى لا يحيط بها، ولا تتعلق بحركة المسؤولية وربما كانت هذه القصة دليلاً على صحة هذا الرأي الذي نميل إليه"(5).

...ويقول: "..قال لا تؤاخذني بما نسيت، من عهدي لك، هذا موقف ثان للنسيان يعيشه موسى في ذاته، لأن النسيان حالة اضطرارية، لا يملك الإنسان معها عنصر الاختيار"(6).

...وقفة قصيرة:

...ونقول : قال الله تعالى حكاية لما جرى بين موسى عليه السلام والعبد الصالح:

---

(1) من وحي القرآن ج14ص393-394.
(2) من وحي القرآن ج14 ص395.
(3) من وحي القرآن ج14 ص393.
(4) فكر وثقافة عدد 3 بتاريخ السبت 1996/6/29م.
(5) من وحي القرآن ج14 ص387.
(6) من وحي القرآن ج14 ص391و392.

...{قال له موسى هل أتبعك على أن تعلمني مما علمت رشدا؟، قال انك لن تستطيع معي صبرا، وكيف تصبر على ما لم تحط به خبرا؟ قال: ستجدني إن شاء الله صابراً ، ولن أعصي لك أمراً. قال فان اتبعتني فلا تسألني عن شيء حتى أحدث لك منه ذكرا . فانطلقا حتى إذا ركبا في السفينة خرقها، قال أخرقتها لتغرق أهلها، لقد جئت شيئاً إمراً. قال ألم أقل: إنك لن تستطيع معي صبرا؟ قال لا تؤاخذني بما نسيت ، ولا ترهقني من أمري عسرا. فانطلقا حتى إذا لقيا غلاماً فقتله، قال أقتلت نفساً زكية بغير نفس لقد جئت شيئاً نكرا، قال ألم أقل لك إنك لن تستطيع معي صبرا؟ قال إن سألتك عن شيء بعدها فلا تصاحبني قد بلغت من لدنّي عذرا، فانطلقا حتى إذا أتيا أهل قرية استطعما أهلها، فأبوا أن يضيفوهما، فوجدا فيها جداراً يريد أن ينقضّ فأقامه، قال لو شئت لاتخذت عليه أجراً، قال هذا فراق بيني وبينك، سأنبّئُك بما لم تستطع عليه صبراً، أما السفينة فكانت لمساكين يعملون في البحر...}(1).

...تفسير الآيات:

...قد قلنا: إنه إذا كان ثمة وجه صحيح ومعقول ، ومنسجم مع دلالات الآيات القرآنية، فلماذا اللجوء الى تفسير الآيات بطريقة توجب الشبهة، وتوقع في المحذور .

...ونحن نذكر فيما يلي عرضاً موجزاً لما ترمي إليه الآيات، دون أن يكون ثمة أي محذور عقائدي، فنقول :

...1 . إن المراد بالقصة المشار إليها في كلام هذا البعض هي قصة العبد الصالح وموسى(ع)، ومن الواضح أن نسبة النسيان -بهذا المعنى- إلى موسى تعني نفي العصمة عنه من هذه الجهة، كما أن موسى لم ينكث العهد، لأنه لم يكن قد عاهد الخضر (ع) على السكوت على ما يراه مخالفاً لأحكام الشريعة، وحقائق الدين، وقد كان تكليفه الإلهي أن يعترض وأن يسأل.. وأن يظهر حساسية بالغة لصالح الإلتزام بالحكم الشرعي، ولو لم يعترض (عليه السلام) لم يكن أهلاً لمقام النبوة والرسالة.

(1) – سورة الكهف الآيات 66–79.

...2. إن قول موسى عليه السلام: لا تؤاخذني بما نسيت، لا يعني : أن المبرر لاعتراضه على الخضر هو النسيان وأنه يعتذر له منه، ولأجل ذلك لم يقل له :لا تؤاخذني بنسياني، بل قال: بما نسيت، أي: بتركي العمل في المورد الذي كان علي أن أهمل الوعد فيه، وأزيحه عن ذاكرتي، لكي أبادر لمواجهة ما أراه من مخالفة للشرع ، إذ لا يجوز لي في هذا الموقف إلاّ أن أبادر للردع عن المنكر الظاهر، فالمراد بالآية الإعتذار بالإنشغال بالأهم عن غيره..

...3. وحين أكّد له الخضر (ع) بصورة ضمنية على أن عمله ليس فيه مخالفة للحكم الشرعي، وأنه سيعرف باطن الأمر في الوقت المناسب، قبل منه ذلك، فلما تكرر ما ظاهره المخالفة كان لا بد من تكرار الإعتراض، عملاً بالتكليف الإلهي، ولم يستعجل الحكم، ولا نكث العهد، ولا كان ذا فضول كما يقوله البعض.. ولا هو يعاني من عدم الإنضباط أمام الكلمة المسؤولة..

...وأما بالنسبة للمرة الثالثة، فلم تكن امتداداً لما سبقها، بل كانت نتيجة اتفاق جديد بين العبد الصالح وبين موسى عليه السلام، حيث توافقا على الإلتزام بمضمون قوله تعالى:{ قال إن سألتك عن شيء بعدها فلا تصاحبني قد بلغت من لدنّي عذرا}(1).

...حيث قد أصبح بإمكان موسى عليه السلام أن يعترض على العبد الصالح إن شاء، فتكون المفارقة بينهما، وبإمكانه أن يستمر معه .

...فاختار موسى الإنفصال، لا عن نسيان للوعد، بل عن معرفة به، والتفات إليه..

...والمراد بالنسيان في الآية هو: الترك والإهمال، ولو ظهر بصورة العمل الذي يصفه الناس –عادة– بأنه نسيان، ولم يكن في واقعه وحقيقته كذلك، وهذا العمل هو وضع هذا الوعد جانباً، والمبادرة لإنجاز التكليف الشرعي الحاضر، الذي هو الأهم.

...فالتعبير بالنسيان لا يراد به الإخبار عن حدوثه، بل الإخبار عن العمل الذي يراه الناس كذلك، وإن لم يكن في واقعه كذلك .

(1) سورة الكهف، الآية 76.

...4. ولعل نجاح موسى (ع) الباهر في هذا الإمتحان هو الذي أظهر أهليته لمقام النبوة والرسالة، وعرّفنا على سر اصطفاء الله له من بين سائر قومه ليكون نبياً من أولي العزم.

...5. كما انه لا ربط لهذه الآية بموضوع علم الأنبياء والأئمة، وإنما هي ترتبط بموضوع تنجز التكليف

في ما يرتبط بالمعذرية أمام الله سبحانه، لكي يكون العمل عن حجة ظاهرة لكي لا يصبح ذريعة للجبارين والظالمين.

...54 . إحتمال ارتكاب النبي موسى (ع) جريمة دينية .

...55 . الآلام النفسية لموسى (ع) بسبب عملية القتل .

...56 . جريمة موسى (ع) في مستوى الخطيئة .

...57 . الخطأ غير المقصود لموسى (ع) .

...58 . موسى(ع) يستجيب للوسوسة الخفية بالقتل .

...ثم إن هذا البعض يقرر أن النبي قد يكون مجرماً، ويحتمل أن يكون قد ارتكب جريمة قتل نفس بريئة، فهو يقول عن موسى:

..."ولكن هل كان يشعر بالذّنب لقتله القبطي، باعتبار أن ذلك يمثل جريمة دينية في مستوى الخطيئة التي يطلب فيها المغفرة من الله؟! .. أو أن المسألة هي أنه يشعر بالخطأ غير المقصود الذي كان لا يجب أن يؤدي إلى ما انتهى إليه مما يجعله يعيش الألم الذّاتي تجاه عملية القتل.."

...إلى أن قال: " إننا نرجح الإحتمال الثاني"(1). وهذا يعني أن الإحتمال الأول لا يزال وارداً، ولكنه مرجوح!!!

...ويقول عن وسوسة الشيطان لموسى(ع) بقتل القبطي:

..." أما حديث التأثير الشيطاني في الأشياء من خلال آية المائدة فلا يدل على المقصود، فإن الظاهر إرادة الإرتباط بهذه الأشياء في الجانب العملي من خلال وسوسته للإنسان في الأخذ بها بالطريقة المضادة لمصلحته، وهذا هو الذي نفهمه من آية موسى(ع) لأن قتله للقبطي قد يكون ناشئاً من الوسوسة الخفية فيما تصنعه من حالة الإثارة التي تقود إلى ذلك"(2).

---

(1) من وحي القرآن ج17 ص310.

(2) من وحي القرآن ج19 ص301و302.

...{ ولما بلغ أشده واستوى آتيناهُ حكماً وعلما وكذلك نجزي المحسنين، ودخل المدينة على حين غفلة من أهلها فوجد فيها رجلين يقتتلان هذا من شيعته وهذا من عدوه فاستغاثه الذي من شيعته على الذي من عدوه فوكزه موسى فقضى عليه قال هذا من عمل الشيطان إنه عدو مضل مبين، قال رب إني ظلمت نفسي فاغفر لي فغفر له إنه هو الغفور الرحيم، قال رب بما أنعمت علي فلن أكون ظهيراً للمجرمين، فأصبح في المدينة خائفاً يترقب فإذا الذي استنصره بالأمس يستصرخه قال له موسى إنك لغوي مبين، فلما أن أراد أن يبطش بالذي هو عدو لهما قال ياموسى أتريد أن تقتلني كما قتلت نفساً

بالأمس إن تريد إلا أن تكون جباراً في الأرض وما تريد أن تكون من المصلحين}.(1)

...وإذا قرأنا هذه الآيات الشريفة، فإننا نذكر القارئ بما يلي:

...1ـ إن الاحتمال الأول باطل جزماً، إذ لا يحتمل في حق نبي أو وصي أن يكون قاتلاً أو مرتكباً لجريمة دينية..لأن احتمال المعصية الكبيرة في حق المعصوم كالقول –بوقوعها– مناف للقول بالعصمة.

...فلو أن ذلك البعض قد ذكر هذا الإحتمال وبادر إلى ردّه وإبطاله بصورة حاسمة، لم يكن ثمّة إشكال.. ولكنه لم يفعل ذلك، بل أبقاه احتمالا وارداً، وله درجة من المقبولية، إلى درجة أنه بعد التأمل يكتفي بترجيح الإحتمال الآخر عليه، ولا يمكن قبول هذا الأمر في حق الأنبياء ولو على مستوى الإحتمال .

...2ـ إن من البديهي : أن الآيات الكريمة لا تؤيد ما ذكره، بل فيها ما يدل على خلافه، وأن الشيطان لم يوسوس لموسى(ع)، ولا ارتكب موسى (ع) جريمة دينية، ولا أخطأ، ولا غير ذلك مما احتمله هذا البعض. وذلك لأن هذه الآيات بدأت بذكر إعطاء موسى عليه السلام حكماً وعلماً جزاءً على إحسانه، ثم ذكرت ما جرى له مع ذلك الرجل الذي هو من عدوه، فهي تقول:{ ولما بلغ أشده واستوى آتيناه حكماً وعلماً، وكذلك نجزي المحسنين}(2).

---

(1) سورة القصص 13–19.

(2) سورة القصص ، الآية 14.

...3ـ ثم ذكرت الآية التي بعدها هذه القصة، وصرحت بأن المقتول كان رجلاً من الأعداء ، فهي تقول :{ فاستغاثه الذي من شيعته على الذي من عدوّه ، فوكزه موسى فقضى عليه}.

...والمراد بالعداوة عداوة الدين والإيمان.

...4ـ وقوله:{ هذا من عمل الشيطان} يقصد به أن الاقتتال بين الرجلين قد نشأ من وسوسة الشيطان، الذي حرّض على الفتنة، حتى انتهى الأمر إلى القتال بين الرجلين، الذين أغاث موسى(ع) أحدهما،الذي كان من شيعته على الذي من عدوّه، ولا يقصد به أن موسى(ع) نفسه قد تأثر بالشيطان، فإن كلمة هذا ليست إشارة إلى القتل، وإنما هي إشارة إلى القتال الذي بدأه العدو، وانتهى بمبادرة موسى(ع) لنصرة ذلك المظلوم.

5ـ إن موسى (ع) بنصرته لذلك المظلوم،لم يكن مجرماً ولا مخطئاً، وإنما

كان يطيع أمر الله، ويعمل بتكليفه وواجبه الشرعي في دفع الكافر الظالم عن المؤمن المظلوم ولو أدى ذلك إلى قتل هذا الكافر.

... وقد روي عن الإمام الرضا عليه السلام قوله:" فقضى على العدوّ بحكم الله تعالى ذكره، فوكزه موسى

فقضى عليه"، وحينما قال له فرعون: {وفعلت فعلتك وأنت من الكافرين} أجابه هازئاً ومستنكراً مردداً قول فرعون بصيغة السؤال:{فعلتها إذاً وأنا من الضالين} ؟!.

...ولو لم يكن ذلك ، فلا معنى لإقحام كلمة "إذاً" التي يراد بها ردّ الكلام على قائله، على سبيل الإنكار عليه .

6...ً ومما يشير إلى ذلك أيضاً : أن موسى (ع) حين قتل الذي من عدوه لم يكن من الضالين.. بل كان الله قد آتاه حكماً وعلماً.. كما ذكرت الآيات .

...كما انه عليه السلام قد كان من عباد الله المحسنين، فاستحق المكافأة على إحسانه، فلم يكن ليظلم غيره، فيقتل نفساً بريئة ويرتكب جريمة دينية!!!

7...ً فما حكاه الله سبحانه عن موسى(ع) بعد تلك الحادثة بقوله:{ قال رب إني ظلمت نفسي فاغفر لي، فغفر له }، يراد به : أنه قد انتهى به الأمر بدخوله المدينة، ثم بقتله للذي من عدوّه، إلى أن يحتاج إلى تدخل إلهي ليستره عن عيون الفراعنة، الذين يطلبونه.. فقد صدر منه فعل له عواقب تعود على النفس بالمشقة والمتاعب، ويحتاج إلى ستر الله سبحانه، وإلى معونته، وقد روي عن الإمام الرضا عليه السلام في تفسير هذا الموضع قوله:{ فاغفر لي} ، أي استرني من أعدائك لئلا يظفروا بي، فيقتلوني، {فغفر له، انه هو الغفور الرحيم}، ومعنى الغفران الستر، وسمي المِغفَر –الذي يستعمل في الحرب– مغفراً لأنه يستر الرأس، ويقيه ضرب السيوف.

ولو صح منه (ع) طلب المغفرة من الذنوب،فقدعرفت أنها إنما تكون من المعصومين بمعنى دفع المعصية عنهم، لا رفع آثارها بعد وقوعها منهم.

8...ً ثم إن موسى (ع) يصر على مواصلة الطريق في نصرة المظلومين، ويقطع على نفسه عهداً بذلك فيقول:{رب بما أنعمت علي} أي بهذه الحماية والستر، {فلن أكون ظهيراً للمجرمين} وسوف أستمر.. يقول الإمام الرضا عليه السلام: رب بما أنعمت علي من القوة حتى قتلت رجلاً بوكزة، فلن أكون ظهيراً للمجرمين بل أجاهدهم بهذه القوة حتى ترضى .

9...ً ثم وجد موسى(ع) ذلك الرجل الذي استنصره بالأمس يستصرخه اليوم على آخر، فعاتبه على دخوله في هذا النزاع الجديد بقوله:{ إنك لغوي مبين}، لا تسلك سبيل الرشد ولماذا لا تتفادى المشكلات مع أعداء الله بحكمة وروية؟ ثم بادر موسى عليه السلام ليبطش بعدوّ الله ، فظن المؤمن أنه يريد البطش به هو ، لأنه كان قد أنّبه قبل ذلك، لا البطش بعدوّه، فقال له { أتريد أن تقتلني كما قتلت نفساً بالأمس}، فسمعها الذي من عدوّه وذهب إلى فرعون وأخبره بالأمر.

...وهكذا يتضح أن الآيات المذكورة بعيدة عن إفادة تلك القضايا التي حاول البعض استفادتها منها، حتى احتمل بحق نبي من أولي العزم ما لا يصح نسبته إلى من رتبته دون ذلك بكثير، والإستيحاء من الآيات إذا كان على هذا النحو، فهو غير مقبول،لا عقلاً ولا شرعاً.

...59 . خطأ الأنبياء في تقدير الأمور .

...60 . العصمة إنما هي فيما يعتقد أنه معصية .

...61 . الجهل المركب عند الأنبياء .

...62 . نقاط ضعف الأنبياء في حياتهم العملية .

...63 . الضعف البشري عند الأنبياء .

64 . جهل النبي بتكليفه الشرعي .

...ثم هو يتحدث عن خطأ الأنبياء في تقدير الأمور، فيقول:"

...وتبقى لفكرة العصمة بعض التساؤلات: كيف يخطئ هارون(ع) في تقدير الموقف وهو نبي؟ أو كيف يخطئ موسى (ع) في تقدير موقف هارون(ع) ، وهو النبي العظيم؟!. وكيف يتصرف معه هذا التصرف؟!

...ولكننا قد لا نجد مثل هذه الأمور ضارة بمستوى العصمة، لأننا لا نفهم المبدأ بالطريقة الغيبية التي تمنع الإنسان من مثل هذه الأخطاء في تقدير الأمور، بل كل ما هناك أن لا يعصي الله فيما يعتقد أنه معصية، أما أنه لا يتصرف تصرفاً يعتقد أنه صحيح ومشروع، فهذا ما لا نجد دليلاً عليه .

...بل ربما نلاحظ في هذا المجال أن أسلوب القرآن في الحديث عن حياة الأنبياء(ع)، في نقاط ضعفهم في حياتهم العملية قد يؤكد الحاجة إلى الإيحاء بأن الرسالة لا تتنافى مع بعض نقاط الضعف البشري في الخطأ في تقدير الأمور"(1)....

...ونقول : إذا جوّزنا على النبي أن يقع في التصرف الخاطئ، وإن اعتقد أنه صحيح ومشروع، فلازم ذلك أن لا يكون فعل النبي حجة، مع أن من المسلّم به: أن سيرة المعصومين بأجمعهم حجة وطريق إلى أحكام الله تعالى.. هذا كله عدا عما تقدم في مختلف العناوين التي استخلصناها من كلمات ذلك البعض فلتراجع .

---

(1) من وحي القرآن ج10 ص178و179.

...وسنتحدّث بإيجاز بعد الفقرة التالية عن حقيقة موقفي هارون(ع) وموسى(ع) حيث سيظهر: أن الآيات تدل على خلاف ما ينسبه هذا البعض إلى أنبياء الله سبحانه، فانتظر .

...

...65 . إختلاف نبيَّين في الرأي في مسألة واحدة .
...66 . موسى (ع) يغضب لله سبحانه على هارون (ع) .
...67 . موسى(ع) يحمّل هارون مسؤولية ضلال قومه .
...68 . هارون (ع) يتساهل مع قومه وموسى يعنف .
...69 . موسى (ع) يشعر بالحرج مما صدر منه .
...70 . لو احتاط موسى وهارون لكانت النتائج أفضل.
...71 . خطأ موسى أو هارون (ع) في تقدير الموقف .
...72 . مرة أخرى العصمة لا تمنع من الخطأ في ..... تقدير الأمور .
...73 . الجهل المركّب لدى الأنبياء (ع) ...ثانية.
...74 . لا يفهم العصمة بالطريقة الغيبية.
...75 . هارون (ع) مقصر لكنّه ليس بعاصٍ.

...ويقول ذلك البعض:
..و" أخذ برأس أخيه يجرّه إليه، في تعبير صارخ عن الحالة النفسية التي كان يعيشها موسى إزاء ما حدث،.. وربما تحدّث الكثيرون عن مبدأ العصمة في شخصيته كنبّي.. وعن التساؤل الإيماني، في مدى انسجام هذا التصرف الغاضب مع هذا المبدأ .. ولكننا لا نجد هناك تنافياً بينهما إذا أردنا أن نأخذ القضية ببساطة تحليلية بعيداً عن التعقيد والتكلف.. فموسى بشر يغضب كما يغضب البشر، ولكن الفرق بينه وبينهم، أن لغضبه ضوابط في التصرفات، فلا يتصرف بما لا يرضي الله وفي الدوافع فلا يغضب إلا لما يرضاه الله.. وقد غضب على قومه لله .. وعلى أخيه هارون لنفس الغرض.. لأنه اعتبره مسؤولاً عما حدث، من خلل التساهل معهم، وعدم ممارسة الضغط الشديد عليهم، ومنعهم من ذلك، فقد كان تقديره ، أن رفع درجة الضغط يمكن أن تساهم في

منع ما حدث.. ما لم يقم به هارون.. فكان موسى منسجماً مع نفسه، ومع دوره، وصفته.. فيما اتخذه من إجراء مع هارون.. ولكن هارون كان له رأي آخر .. فقد وقف ضدّهم، وواجههم بكل الوسائل التي يملكها في الضغط عليهم.. ولكنهم كانوا لا يهابونه كما يهابون موسى من خلال شخصيته القوية، فيما عاشه من عنف المواجهة مع فرعون، حتى قهره".
...إلى أن قال:
..."{ قال ابن أم إنّ القوم استضعفوني وكادوا يقتلونني فلا تشمت بي الأعداء...} فلم أفعل ما أحاسب عليه، لأن الظروف كانت أقوى من قدرتي.. فقاومت حتى لم يعد هناك مجال للمقاومة.. وجابهت..

حتى كدت أن أقتل.. فإذا تصرّفت معي بهذه الطريقة.. فإن ذلك سوف يكون دافعا لشماتة الأعداء بي .. لأنني قاومتهم وجابهتهم.. وها هم يرونني أمامك واقفاً وقفة المذنب من دون ذنب.. فلا تفعل بي ذلك { ولا تجعلني مع القوم الظالمين}، لأني قمت بما اعتقدت انه مسؤوليتي من دون تقصير..

...وشعر موسى بالحرج.. وسكن غضبه.. فرجع إلى الله يستغفره، لنفسه ولأخيه، لا لذنب ارتكباه.. ولكن للجوّ الذي ابتعد فيه القوم عن الله ، من خلال الفكرة التي كانت تلح عليهما.. فيما لو كان الإحتياط للموقف أكثر، فقد تكون النتائج أفضل..".

...إلى أن قال :

..."وتبقى لفكرة العصمة .. بعض التساؤلات، كيف يخطئ هارون في تقدير الموقف، وهو نبي.. أو كيف يخطئ موسى في تقدير موقف هارون، وهو النبي العظيم.. وكيف يتصرف معه هذا التصرف.. ولكننا قد لا نجد مثل هذه الأمور ضارّة بمستوى العصمة.. لأننا لا نفهم المبدأ بالطريقة الغيبية التي تمنع الإنسان من مثل هذه الأخطاء في تقدير الأمور.. بل كل ما هناك ، أنه لا يعصي الله في ما يعتقد أنه معصية، أمّا أنه لا يتصرف تصرفاً خاطئاً يعتقد أنه صحيح ومشروع.. فهذا ما لا نجد دليلاً عليه.. بل ربما نلاحظ في هذا المجال ، أن أسلوب القرآن في الحديث عن حياة الأنبياء، في نقاط ضعفهم في حياتهم العملية.. قد يؤكّد الحاجة إلى الإيحاء بأن الرسالية لا تتنافى مع بعض نقاط الضعف البشري في الخطأ في تقدير الأمور.. والله العالم بأسرار خلقه.."(1).

...ويقول البعض أيضاً:

..." ربما كانت القضية على أساس أنه اعتبر أن هارون قصّر، وليس من الضروري أن يكون تقصيره معصية...".

...إلى أن قال :

..." هارون عنده تقييم معين للمسألة، وانطلق فيها من حالة أنه قال:{ إني خشيت أن تقول : فرقت بين بني إسرائيل}، ولهذا واجه القضية بطريقة لينة.

...وكان موسى(ع) يعتقد على أنه لازم تواجه القضية بقوة، لأن بني إسرائيل لا يفهمون إلاّ بلغة القوة.. الخ"(2).

...وقفة قصيرة:

...إن من الواضح: أن مخالفة هارون لموسى، الذي هو إمام لهارون، إنما تعني التأسيس لتجويز مخالفة كل مأموم لإمامه، وتبرير خروجه عليه. أضف إلى ذلك أن الإختلاف في الرأي هنا يستبطن وجود مخطئ ومصيب، فبأيهما تكون الأسوة والقدوة للناس والحالة هذه؟

...وأضف إلى ذلك أيضاً: أنه إذا كان اختلاف الرأي يرتبط بالدعوة وأسلوبها، فذلك يعني أن هذا النبي يجهل تكليفه الشرعي، فكيف يمكنه تبليغه للناس، وإعلامهم به؟! ألا يلزم من ذلك تبليغ حكم خاطئ لا واقع له؟!

---

(1) من وحي القرآن ج10 ص176-179.
(2) مجلة الموسم عدد21-22 ص321.

...والذي نقوله نحن هنا هو: أنه لم يكن ثمة اختلاف في الرأي، فيما بين موسى وهارون عليهما السلام، ولا كان ثمّة جهل بالتكليف الشرعي، ولا غير ذلك مما تقدم، فان الإختلاف في الموقف تجاه الواقعة الواحدة، ينبئ عن جهل بالحكم الشرعي، في كيفية التعاطي مع بني إسرائيل.
كما أن اتهام نبي بالتساهل في القيام بمهماته، وتسببه في ما حصل للناس، من انحراف وضلال تعتبر تهمة خطيرة على مستوى الإعتقاد في الأنبياء وفي النبوات بصورة عامة، بل في هذا اتهام صريح لحكمة الله تعالى، حيث أرسل مع موسى من ينقض غرضه في تبليغ الرسالة، ويكذب توقعاته فيه، كما جاء في الآية الكريمة: {واجعل لي وزيراً من أهلي، هارون أخي، أشدد به أزري}(1).
...ومهما يكن من أمر فإن الآيات الشريفة قد فسرت على غير وجهها الصحيح، إذ أنّ ما أظهره موسى(ع) تجاه أخيه هارون(ع) لم يكن سببه الإختلاف في الرأي بينهما في كيفية المعاملة، بل كان من أجل إظهار خطر ما صدر منهم، ومدى بشاعة الجريمة التي ارتكبوها.. ثمّ من أجل إظهار براءة هارون(ع)، وتحصينه من نسبة القصور أو التقصير إليه .
...وقد بين موسى(ع) : أنه لم يتهمه بمعصية أمره ليستحق -بزعم البعض- هذه المواجهة القاسية، وهذا العتاب والتوبيخ بهذه القوة، بل وجّه إليه سؤالاً عن ذلك ليسمع الناس جوابه الذي يتضمن برهاناً إقناعيّاً يدل على دقّته، وحسن تقديره للأمور، وقد قبل موسى منه ذلك بمجرد تفوهه به ، ودعا لنفسه وله، كما جاء في قوله تعالى:{ ربي اغفر لي ولأخي، وأدخلنا في رحمتك، وأنت أرحم الراحمين}.
...وأما ما زعمه هذا البعض من أن هارون عليه السلام كان يرى لزوم معاملتهم باللين، وكان موسى عليه السلام يرى لزوم الشدة في ذلك، فهو لا يصح، وذلك لما ذكرناه آنفاً، ولأن هارون قد وصل معهم إلى درجة المواجهة، حتى لقد قال لأخيه موسى: { إنّ القوم استضعفوني، وكادوا يقتلونني}.

---

(1) سورة طه الآية 29-31 .

...وأما القول بأن موسى عليه السلام قد غضب على أخيه هارون عليه السلام، وكان غضبه لله سبحانه وتعالى، فذلك يعني أنه عليه السلام كان يتهم أخاه النبي هارون صلوات الله وسلامه عليه بارتكاب المعصية، ويحمّله مسؤولية ما جرى، ويتهمه بالتساهل والتخلف عن أن يكون عضداً له، يشد أزرهو يشركه في أمره، وذلك مما لا يمكن قبوله في حق الأنبياء.

...وهكذا يتضح أن كل ما ذكره ذلك البعض أجنبي عن دلالة الآيات.

...

...76 . أصول العقيدة تعرف بالسمع لا بالعقل.

...77 . لا دليل يصرف معنى الرؤية عن الرؤية الحسية .

...78 . النبي موسى(ع) لا يعرف: أن الله لا يرى .

...79 . الله يعلّم أنبياءه أصول العقيدة بالتدريج .

...80 . لا يبعد أن سؤال موسىعن رؤية الله الحسية.

...81 . وأيضاً...نقاط الضعف لدى الأنبياء .

...82 . الله يسلط نوره على الجبل فكيف لو تسلط

... عليه بنفسه؟

...83 . موسى والتحاليل الفلسفية والمعادلات العقلية

... في استحالة تجسد الإله وإمكانه .

...

ويقول ذلك البعض:

..." ولما جاء موسى لميقاتنا وكلمه ربه قال رب ارني انظر إليك،.. ووصل موسى إلى الموعد الذي أعطاه الله له.. وكلمه ربه.. فيما يريد أن يوحي به إليه.. واندمج موسى في الجوّ الإلهي.. وشعر بالسعادة الغامرة تغمر قلبه.. ففاضت روحه بالأشواق الروحية، فيما توحيه كلمات الله إليه.. وفيما تمثله من معاني القرب من الله ، والوصول إلى الدرجة العليا من رضوانه.. وبما توهج في كيانه من إشراق النور الإلهي في لحظة روحية حالمة.. فطلب من ربه أن ينظر إليه.. فقال: رب ارني انظر إليك فقد خيل إليه أن من يسمع كلام الله، يستحق أن يراه.. أو يمكن له أن يطلب رؤيته.. وهنا يقف المفسرون وقفة حيرة فلسفية كلامية.. فكيف يمكن لهذا النبي العظيم أن يطلب مثل هذا الطلب المستحيل من ربه.. وهو يعرف من خلال سموّ درجته، ورفعة منزلته في عالم المعرفة بالله.. أن الله ليس جسداً مادياً محسوساً لتمكن رؤيته.. فهو ليس كمثله شيء.. وأجاب بعضهم أن المراد بالنظر.. الرؤية القلبية التي هي كناية عن العلم الواسع بالحقيقة الإلهية.. وأجاب آخرون.. بأنه لم يسأل انطلاقاً من قناعة بالسؤال،

أو انسجام معه.. بل كان سؤاله استجابة لسؤال قومه الذين رافقوه إلى الموعد الإلهي.. فأراد أن يجعلهم وجهاً لوجه أمام الجواب الصاعق على هذا السؤال.. ولكننا لا نستبعد أن يسأل موسى هذا السؤال.. فقد لا نجد من البعيد في مجال التصور والإحتمال أن لا يكون قد مرّ في خاطر موسى مثل هذا التصور التفصيلي للذات الإلهية.. لأن الوحي لم يكن قد تنزل عليه بذلك.. ولم يكن هناك مجال للمزيد من التحاليل التأملية للجانب الفلسفي من المعادلات العقلية التي تتحدث عن استحالة تجسد الإله أو إمكانه.. لأن ذلك قد لا يكون مطروحا لدى موسى(ع) .. ونحن نعرف، تماماً، معنى التكامل التدريجي للتصور الإيماني في شخصية الرسول الفكرية.. ولهذا فإننا نحاول –هنا–أن نسجل تحفظنا على الكثير من الأحكام المسبقة التي تحاول

تطويق النص القرآني ببعض الإستبعادات الذاتية.. كما في مثل هذه الآية.. فإننا نلاحظ أن تصورنا لشخصية الأنبياء، يبدأ من القرآن، فيما يحدثنا عنهم من أحاديث، ويسبغه عليهم من صفات فهو المصدر الأساس الأمين الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه.. ونحن نرى أن الحديث القرآني يركز في بعض نقاطه على نقاط الضعف لدى الأنبياء كما يركز على نقاط القوة عندهم.. من موقع البشرية التي يريد القرآن أن يركزها في التصور القرآني في أكثر من اتجاه.. فهل نريد أن ندخل في مزايدة كلامية على القرآن، فيما يتعلق بمثل هذه الأمور.. فنفرض لأنفسنا تصورات معينة للأنبياء ثم نحاول تأويل كلام الله بطريقة لا يتقبلها النص في بعض الأحيان.. إننا نفهم التأويل حملاً للفظ على خلاف الظاهر، على أساس المجاز أو الكناية أو ما يقترب منهما.. ولا بد للخروج من الظاهر أن يكون هناك دليل لفظي أو عقلي حتى نصرف اللفظ عن الظاهر من خلاله.. ولا نجد شيئاً من هذين في موضوع هذه الآية، فليس هناك مانع من إرادة النظر بالمعنى الحسي فيما طلبه موسى بل هو الظاهر الواضح جداً في أجواء الآية من خلال التجربة التي قدمها الله أمامه، فيما تعطيه كلمة التجلي من أجواء استحالة الرؤية البصرية فيما وجّهه الله للجبل من نوره الذي لا يستطيع الجبل أن يتماسك معه.. فكيف لو كان التجلي له –سبحانه–.. ثم لو كان المراد الرؤية القلبية لما كان هناك وجه قريب لهذه التجربة في انهيار الجبل، فيما تعطيه من معنى مادي للمسألة... لأن الجبل لا يحمل أي جوّ للجانب القلبي في الموضوع في تأثره بنور الله.. "قال لن تراني.." لأن الرؤية لا تكون إلا للمحدود الذي يحمل خصائص مادية، فيما يستحيل فرضه بالنسبة إلى الله الذي لا تدركه الأبصار وليس كمثله شيء.. " ولكن انظر إلى الجبل فان استقر مكانه فسوف تراني .." إنها التجربة التي تعطي لموسى فكرة توضيحية للمسألة المطلوبة.. ولكن من جانب آخر.. فقد

أراد الله له أن ينظر إلى هذا الجبل العظيم.. وهو يتهاوى قطعة قطعة حتى يتحول إلى رميم أمام التجلي الإلهي الذي قد يكون كناية عن تسليط نوره عليه.. فكيف يمكن لمخلوق مثله أن يواجه نور الله.. فضلاً عن أن يواجه الله بذاته–لو كان ذلك أمراً ممكناً (1).

...وقفة قصيرة:

...إن موضوع رؤية الله سبحانه، وصفاته، وأصول العقيدة، هي من الأمور التي يدركها العقل، وبه تعرف ، وليست مما يعرف بالسمع، إلا من حيث تأكيد حكم العقل، والإرشاد إليه .

...إذن كيف لم يكن موسى النبي(ع)، الذي سبق له مواجهة فرعون، المدعي للربوبية،كيف لم يكن يعرف–على حد قول البعض– إلى مضي زمن طويل من نبوته إن الله سبحانه لا يرى؟.

... فهل يعقل انه لم يخطر في بال موسى أن يستعد لمواجهة طلب محتمل جداً من فرعون ومن بني إسرائيل رؤية هذا الإله الذي كان يأتيه جبرئيل بالأوامر والتوجيهات والتوجهات من قبله، ولم يطلب من جبرئيل أن يجمعه به ويتحدث إليه!!

...ويقول: " لذلك فان الله تعالى لم يعرِّف موسى حتى ذلك الوقت انه لا يرى"(2).

.و. لا ندري لماذا لم يكن قد مر في خاطر موسى هذا التصور التفصيلي للذات الإلهية؟ وكيف خيّل إليه ذلك في هذا الوقت بالذات، ولم يخيل ذلك قبل هذا الوقت؟! ولماذا لم يعرفه الله ذلك في بدايات نبوته وانتظر إلى أن مضت هذه المدة كلها؟! وهل يمكن أن يرسل تعالى نبياً لا يعرفه حق المعرفة؟ وهل يمكن أن نقبل ممن لا يعرف أصول الدين وصفات الباري تعالى أن يكون مرشداً دينيا في قرية؟ فكيف نرتضي أن يكون نبياً لله سبحانه– فضلاً عن أن يكون نبياً من أولي العزم– أرسله الله إلى فرعون مدعي الربوبية؟ وكيف نسي فرعون، ومن معه، أن يسألوه عن هذا الإله الذي أرسله، من هو، وأين وكيف هو؟..

---

(1) من وحي القرآن ج10 ص165–167.

(2) – نشرة بينات 1997/2/21.

...وكيف يمكن أن نفهم تعليل ذلك البعض وتوضيحه لهذا الأمر بقوله:" إن الله كان يعرف أنبياءه أصول العقيدة وصفاته بالتدريج"(1).

...ومن أين عرف هذا البعض، هذا الأمر التاريخي المرتبط بالتعاطي التعليمي لله سبحانه مع أنبيائه؟!! وهل صحيح: أن أصول العقيدة تعرف بالسمع؟! وبالتدريج؟! أَوَلا يوجد دليل عقلي يمنع عن الأخذ بظاهر الآية ويصرف الرؤية عن ظاهرها؟!..

...وهل كان هذا الطلب اقتراحاً من موسى مباشرة؟ أم كان استجابة لطلب قومه منه، ليؤكد لهم بصورة عملية عدم صحة طلب كهذا..

...84 . يونس(ع) ليس لديه الصبر الكافي .
...85 . الله يؤدِّب نَبِيَّه يونس (ع) .
...86 . يونس (ع) تهرَّب من مسؤولياته .
...87 . الله يعتبر يونس(ع) هارباً كإباق العبد من سيده .
...88 . يونس(ع) يخرج دون أن يتلقى تعليمات من الله .
...

...يتحدث البعض عن تأديب الله ليونس بسبب عدم صبره، بملاحظة حجم يونس، فيقول ب"لهجة عامية":

..."ما كان عنده الصبر الذي تحتاجه المسألة، فتفسير {فظن أن لن نقدر عليه} ليس معناها أنه ظن أن الله لا يقدر عليه، أن لن نقدر عليه، يعني أن نضيق عليه كأنه في هذا المجال، وما في مانع أن الأنبياء الله سبحانه يتعهدهم بالتربية وبالتأديب في حالة من الحالات، لا سيما إذا كانوا أنبياء في حجم يونس، وأمثال يونس من الأنبياء المحليين الخ.."(2).

---

(1) –نفس المصدر السابق.
(2) – الموسم عدد 21–22 ص 322.

...ويتحدث عن هروب يونس(ع) من مسؤولياته، وإباقه من الله، وأنه عندما لم يستجب له فيها منهم الكثيرون :"خرج مغاضباً احتجاجاً على ذلك، من دون أن يتلقى أية تعليمات من الله في ذلك منه (إعتقاداً منه)(1) بأن المسألة لا تحتاج إلى ذلك، فقد قام بدوره كما يجب، ولم يدّخر جهدا في الدعوة إلى الله بكل الأساليب والوسائل، ولم يبق هناك شيء مما يمكن عمله. ولكن الله اعتبرها نوعاً من الهروب، فيما يمثله ذلك من معنى الإباق، تماماً كما هو إباق العبد من مولاه"(2).

...ثم هو يقول:

..." نستوحي من هذه القصة الخاطفة: أن الله قد يبتلي الدعاة المؤمنين، من عباده ورسله، فيما يمكن أن يكونوا قد قصّروا فيه، أو تهربوا منه من مسؤوليات.

...وأن الداعية قد يضعف أمام حالات الفشل الأولى، أو أوضاع الضغط القاسية، أو مشاكل الظروف الصعبة، كنتيجة لفكرة انفعالية سريعة، أو لشعور حاد غاضب.

...ثم يلطف الله بهم بعد أن يتراجعوا عن ذلك، ويرجعوا إليه، فينجيهم من بلائه، ويحوطهم بنعمائه، ويسبغ عليهم من ألطافه وآلائه، لئلا يتعقد الخطأ، أو الإنفعال في شخصيتهم، لينطلقوا إلى الحياة من روحية الصفاء الروحي، والنقاء الشعوري، من جديد، ليبدأوا الدعوة من حيث انتهوا، ويتابعوا المسيرة بعزم، وقوة، وإخلاص.

...ثم نلتقي في أعماق الموقف بالابتهالات الخاشعة الخاضعة لله في روحية الإحساس بالعبودية، التي يشعر المؤمن معها بان الله يلتقيه في مواقع الإنابة، مهما كانت الخطايا والذنوب، وان الخطأ لا يتحول إلى عقدة، بل يتحول إلى فرصة للقاء بالله من جديد، في مواقع التوبة الحقيقية الخالصة، التي يبدأ فيها التائب تاريخاً جديداً، وصفحة بيضاء من حياته"(3).....

...وقفة قصيرة:...

...إننا قبل أن نتعرض لشرح الآيات الخاصة بنبي الله يونس عليه الصلاة والسلام، نشير إلى أمرين:

---

(1) أضفنا هذه الكلمة لينسجم الكلام ويتم المعنى.

(2) – من وحي القرآن ج 19 ص 241.

(3) – من وحي القرآن ج 15 ص 284.

...أحدهما: إن ذلك البعض–حسبما أسلفنا–قد استوحىمن قصة يونس(ع) أموراً ترتبط بما يبتلي به الدعاة من عباده ورسله، وذلك يعني: أن ما استوحاه من قصة هذا النبي ظهر له من قصته، وأنه مما ابتلي به هذا النبي نفسه، وذلك يعني أنه يمكن أن ينال جميع الأنبياء الآخرين، كما أنه قد قرر إمكانية ابتلاء الدعاة المؤمنين من عباد الله ورسله، بمثل ما ابتلى الله يونس، فيما يمكن أن يكونوا قد قصّروا فيه، أو تهربوا منه من مسؤوليات..وها نحن هنا نذكر النقاط التي استوحاها،وهي التالية:

...أ . الدعاة من الرسل قد يقصرون في واجباتهم كدعاة .

...ب . الدعاة والرسل قد يتهربون من مسؤولياتهم .

...ج . قد يضعفون أمام حالات الفشل الأولى .

...د . ضعفهم أمام الفشل قد يجعلهم ينفعلون ويغضبون .

...هـ . قد يلطف الله بهم لئلا يتعقدوا من الخطأ، أو الإنفعال .

و . يجب أن لا يتحول خطؤهم إلىعقدة بل إلى فرصة للقاء الله

...ز . توبتهم تكون بفتح صفحة بيضاء جديدة، أو تاريخ جديد .

...

...الثاني:...قد ظهر أن هذا البعض يرى أن تأديب الله لأنبيائه تابع لأحجامهم!! فثمّة أحجام تستدعي

التأديب وتبرره، وقد كان يونس عليه السلام من هذا النوع بالذات!!

...ولا ندري إذا كان السبب في اتخاذ يونس لهذا الحجم (!!) وهو كونه نبياً محلياً(!!) الأمر الذي يجعله –بنظر ذلك البعض–غير جامع للكمالات المطلوبة، وليس في المستوى الذي يؤهله لتقدير مسؤولياته، ويمنعه من الهروب منها!!

...ولكن ليت شعري أَيُّ نبي سَلِمَ من نسبة الخطأ في تقدير الأمور إليه، من قبل هذا البعض؟ فقد تقدم أن موسى عليه السلام –وهو من أولي العزم–وأخوه هارون (ع) قد أخطأا أو أحدهما في تقدير الأمور.. بل قد جُعِلَ الخطأ قاعدة –لدى هذا البعض– نالت جميع الأنبياء حتى سيّد المرسلين وأفضل الأنبياء نبيّنا محمد(ص) .

...تفسير الآيات:...

...ومهما يكن من أمر، فإننا نشير هنا إلى تفسير الآيات التي تحدثت عن يونس، فنقول:

...إن قصة يونس (ع) من خلال الآيات لا تدل على تلك المقولات التي أطلقها البعض، فقد تحدث الله سبحانه عن يونس(ع) في أكثر من موضع من كتابه العزيز، ونحن نذكر أولاً الآيات التي ذكرت، وهي التالية:

...أ . قال تعالى:{ وذا النون إذ ذهب مغاضباً، فظن أن لن نقدر عليه ، فنادى في الظلمات : أن لا إله إلاّ أنت سبحانك، إني كنت من الظالمين. فاستجبنا له، ونجيناه من الغمّ، وكذلك ننجي المؤمنين}.

...ب . وقال تعالى مخاطباً نبيّه:{.. فاصبر لحكم ربّك، ولا تكن كصاحب الحوت إذ نادى وهو مكظوم. لولا أن تداركه نعمة من ربه، لنبذ بالعراء ، وهو مذموم. فاجتباه ربه ، فجعله من الصالحين}.

...ج . وقال سبحانه:{وإن يونس لمن المرسلين، إذ أبق إلى الفلك المشحون. فساهم فكان من المدحضين، فالتقمه الحوت وهو مليم، فلولا أنه كان من المسبحين، للبث في بطنه إلى يوم يبعثون . فنبذناه بالعراء وهو سقيم. وأنبتنا عليه شجرة من يقطين. وأرسلناه إلى مئة ألف أو يزيدون. فآمنوا فمتعناهم إلى حين}.

...وهنا نذكر القارئ الكريم بنقاط تدل على براءة يونس(ع) مما ينسب إليه، وهي التالية:

...1 . كلمة "مغاضباً" التي تعني حدوث فعل الإغضاب من طرفين، –أحدهما يونس عليه السلام– حيث يريد كل منهما أن يغضب الآخر، ولا يصح القول بأن المغاضبة قد كانت بين يونس(ع) وبين الله سبحانه، فإن فرض ذلك لا يليق بمؤمن صالح فضلاً عن أن تكون قائمة بين الله سبحانه وبين يونس (ع)، فلم يكن ثمة سعي من يونس (ع) لإغضاب الله تعالى، ولا إرادة من الله سبحانه لإغضاب يونس

(ع)، فإذا كان الله سبحانه يقول عن سائر المؤمنين:{ رضي الله عنهم ورضوا عنه }،فكيف بالأنبياء الكرام، ومنهم يونس (ع)؟ ان الحقيقة هي أن المغاضبة كانت بين يونس(ع) وبين فريق آخر، والظاهر انهم قوم يونس(ع) ، الذين يئس من هدايتهم، وتنحى عنهم بعد أن علم أن العذاب سينزل عليهم. فالتجأ إلى الفلك المشحون بالناس، وكان قومه يطلبونه، ليوصلوا إليه الأذى، لأنهم كانوا يرونه قد أساء إليهم، فاعتبروه فارّاً وآبقاً منهم، وكانوا لا يصدقون بنزول العذاب عليهم.

...فلما رأوا علائم العذاب استكانوا إلى الله وخضعوا له، فكشف الله عنهم العذاب، ومتعهم إلى حين. وكان ذلك في غياب يونس(ع)، ولم يكن يونس (ع) يعلم بذلك، وتذكر بعض الروايات: أَنَّ جبرئيل عليه السلام كان قد استثنى في هلاكهم، ولم يسمعه يونس (ع)، فإن كان ذلك الإستثناء قد حصل حين الوحي ليونس فلا بد من توجيه الرواية أو طرحها، حتى لا يكون ثمة تقصير من قبل جبرئيل (ع) في إيصال الوحي،ولا في يونس (ع)في تلقيه له.

...وان كان ذلك على سبيل الحديث العادي، الذي يجري بين اثنين، فأراد جبرئيل أن يخبر يونس من عند نفسه، لا على سبيل إيصال الوحي الإلهي إليه، فلا مانع من أن يكون جبرئيل (ع) قد تعمد أن لا يسمع يونس (ع) هذا الإستثناء إذ لا يضر ذلك في تلقي الوحي، ولا في إلقائه، لأن هذا ليس من الوحي أساساً. "ولكننا لانجد مبرراً عقلانياً لتصرف كهذا من قبل جبرئيل (ع).وان كان حديثه مع الأنبياء في أمور ليست من الوحي الإلهي مما لاشك فيه".

...وقد روي أن جبرئيل كان بعد وفاة رسول الله (ص) يأتي إلى فاطمة (ع) ويحدثها بما يسليها، وكان علي عليه السلام يكتب ذلك في مصحف فاطمة(ع)(1).

...2 . قوله تعالى: {فظن أن لن نقدر عليه} أي: أن نضيق عليه، فالذي يكون آبقاً وهارباً من المسؤولية لا يظن أن الله سوف لا يضيق عليه، بل هو يتوقع التضييق ، وأن يلاقي جزاء هروبه هذا.. إذن الفقرة تشير إلى أنه (ع) كان واثقاً من رضا الله عنه، ولم يكن آبقاً منه تعالى، ولا هارباً من مسؤولياته.

...وكلمة "ظن" هنا بمعنى: عَلِم(2)، لكن بما أن العلم هو انكشاف للواقع .. وبما أن المتعلق هنا أمر مستقبلي، فإن المستساغ هو استعمال كلمة "ظن" بدل "علم" ، مراعاة لهذه الخصوصية ، في الظواهر التعبيرية، وحسب .

...3 . إن مناداة يونس عليه السلام في الظلمات الثلاث، اعني ظلمة الليل، وظلمة أعماق البحار، وظلمة بطن الحوت {لا إله إلاّ أنت سبحانك} تؤكد على حقيقة التوحيد الخالص لدى يونس (ع)- خصوصاً في هذا الموقع- حيث لم يتعلق بغير الله سبحانه كمنقذ له من ذلك البلاء.. فهو العالم به، وهو القادر دون سواه على إنقاذه.

...أما قوله: { إني كنت من الظالمين}، فهو تعبير يشير إلى رسوخ قدم هذا النبي في معرفة الله، فإنه

يرى نفسه باستمرار مقصراً عن أداء شكر ربه، وعن قيامه بواجبه تجاهه، وعن عبادته حق عبادته، فكلمة "كنت" قد جاءت مجردة عن الزمان، والمراد بها الحديث عن خصوصية ذاته، كما يقتضيه مقام العبودية .

...ويشير إلى ذلك ما روي من تفسير الإمام الرضا(ع) له بقوله :" إني كنت من الظالمين بتركي مثل هذه العبادة التي أفرغتني لها في بطن الحوت".

...وبكلمة موجزة نقول : لا بد من تنزيه الأنبياء عن ارتكاب الظلم الذي ربما يخطر بالبال حين سماع هذا التعبير، قبل التأمل والتعمق في فهم المراد..

---

(1) راجع كتاب مأساة الزهراء ج1 ص106-117.

(2) راجع قواميس اللغة.

...4 . انه لو كان سبحانه هو الذي ابتلى يونس(ع) بالتقام الحوت ليؤدبه بذلك على ما فرط منه، وعلى إباقه منه، فان المناسب أن يقول فرفعنا عنه العقوبة، لا أن يعبر بكلمة "أنجيناه من الغم" فان ذلك يشير إلى أن الله سبحانه قد نجاه من بلاء ناله من غير جهة الله سبحانه.

...5 . إن قوله تعالى: { وكذلك ننجي المؤمنين} كأنه تعليل لإنجائه تعالى ليونس(ع)، مشيراً بذلك إلى أن إيمان يونس (ع) هو السبب في هذا التدخل الإلهي، وهذا ما لا يتناسب مع ما يقوله هذا البعض من إباق يونس عليه السلام كاباق العبد من سيده، وهروبه من مسؤولياته..

...إذ لو كان الهروب من المسؤولية، لكان الأنسب سوق الحديث باتجاه تأكيد التوبة والإستغفار، لأنه هروب يحتاج إلى ندم وتضرع وتوبة، ثم قبول إلهي لها، فيقول مثلاً، وكذلك نرحم التائبين، ونحسن إليهم ونتوب عليهم، بدل أن يقول " وكذلك ننجي المؤمنين"، الظاهر في أن انجاءه له، إنما كان جائزةً ومكافأةً له على إيمانه..

6 . أما آيات سورة القلم، التي تقدمت في أوائل هذه الوقفة، فإنما يراد بها أن يتذرع الرسول الأكرم(ص) بالصبر، لينال بذلك مقاماً عظيماً يفوق مقام يونس عليه السلام.

...فان دعاء يونس (ع) وهو مكظوم أي مختنق بغيظه، لم يحط من مقام يونس، ولولا أن تداركته نعمة من الله لنبذ من قبل غير الله سبحانه–تماماً كما هي سنّة الله في هذه المواقع – بالعراء على أقبح صورة ممكنة ولناله أعظم السوء ،ولكنه لو تحمّل المزيد لحصل على مقام أسمى مما هو فيه..

...فالله يريد لنبيّه أن يتسامى في مدارج القرب ليصل إلى أبعد منازل الكرامة الإلهية، ولا يريد له أن يقف عند هذا الحد، ويرضى بما ناله ، وبما وصل إليه، كما كان الحال بالنسبة إلى يونس(ع) ، فالتشبيه إنما هو في هذه الناحية.

...فالآيات إذن ما هي إلاّ إرشاد من الله للرسول إلى هذه الخصوصية، التي لا يستلزم تركها تنزلاً عن المقام الذي هو فيه، غير أن فعلها له آثاره الكبيرة في نيل أسمى درجات القرب والكرامة.

...7 . فيونس (ع) إذن واقع في مأزق، فلحقته نعمة الله فنجا، ولو كان المراد قبول توبته، لكان الأنسب التعبير بالرحمة بدل النعمة.

...وقوله: { وهو مذموم } لا يراد به الذمّ من قبل الله سبحانه كما ألمحنا إليه.

...8 . قد ظهر أن الإباق إلى الفلك المشحون، لم يكن إباقاً من الله سبحانه، ولا هروباً من المسؤولية، بل هو إباق إليه ، من موقع المسؤولية في مواجهة تبعاتها.

...9 . وقوله تعالى: { فلولا أنه كان من المسبحين} يشير إلى عدم اباق يونس(ع) من الله تعالى، لأن من كانت كل حياته من المسبحين ، حتى استحق بذلك معونة الله له، فإنّه لا يهرب من ربّه، ولا يتمرد عليه.

...10. إن معنى أبق العبد: ذهب بلا خوف، ولا كد عمل، أو استخفى ، ثم هرب(1)، هذا هو المعنى اللغوي لكلمة أبق، فليس فيه أن هروبه لا بد أن يكون من مولاه، على صفة التمرد، والخروج عن زي العبودية.

...نعم قد فسّر في الشرع بذلك، فان الآبق شرعاً "مملوك فرّ من مولاه، تمرداً أو عناداً لسوء خلقه"(2).

...11. قوله :{ وهو مليم } أي يلوم غيره، لا أنه يلوم نفسه، فان هذه الكلمة هي اسم فاعل من (ألام) بمعنى (لام)، أو بمعنى (أتى ما لا يستحق اللوم عليه)، وتلك إشارة أخرى تؤكد عدم استحقاق يونس(ع) لأدنى لوم، ولو كان آبقاً من ربّه لاستحقّ أشدّ اللوم بل العقاب بلا ريب.

...89 . قضية داود (ع)كقضية آدم (ع).

...90 . داود(ع) يستسلم لعواطفه في قضائه .

...91 . داود(ع) يعتمد على ما لا يصح الإعتماد عليه
في القضاء.

...92 . داود (ع) يخطىء في إجراء الحكم.

...93 . الله هو الذي أراد لداود(ع) أن يقع في الخطأ.

...94 . خطأ داود(ع) كانت له نتائج سلبية .

...95 . الخطأ لا يتنافى مع مقام النبوّة .

---

(1) – محيط المحيط ص 2

(2) – المصدر السابق.

...ويقول البعض عن قصة حكم داود(ع) بين الخصمين:

..." وهكذا أطلق داود الحكم، وتدخل في تفسير المسألة من ناحية اعتبارها مظهراً من مظاهر الإنحراف الإجتماعي في العلاقات العامّة في الحقوق المتنازع عليها بين الناس.. ولم يكن قد استمع إلى الطرف الآخر مما تقتضيه طبيعة إدارة الحكم في جانب الشكل والمضمون، فعليه أن يدرس الدعوى، من خلال الإستماع إلى حجة المدعي ودفاع المدّعى عليه.. لأن مسألة الغنى والفقر، والكثرة والقلة، لا يصلحان أساساً للحكم على الغني الذي يملك الكثير لحساب الفقير الذي يملك القليل أو لا يملك شيئاً في دائرة الحق المختلف فيه..

...ولكن المشاعر العاطفية قد تجذب الإنسان إلى الجانب الضعيف في الدعوى، لتثير فيه الإحساس بالمأساة التي يعيشها هذا الإنسان من خلال ظروفه الصعبة بينما يعيش الإنسان الآخر الراحة والسعة في أجواء اللامشكلة، مما يجعل من الحكم على الضعيف تعقيداً لمشكلته بينما لا يمثل الحكم عليه لمصلحة الضعيف مشكلة صعبة بالنسبة إليه.. هذا بالإضافة إلى أن طبيعة الواقع الذي يتحرك في حياة الناس تستبعد أن يكون هذا الفقير معتدياً على الغني، لا سيما في هذا الشيء البسيط، بينما يمكن أن يكون الغني في جشعه وطمعه معتدياً على الفقير من موقع قوته، كما هي حال الأقوياء بالنسبة إلى الضعفاء..

...{ وظن داود أنما فتنّاه} أي أوقعناه في الفتنة، أي في البلاء والإختبار الذي يفتتن به الإنسان فيكون معرضاً للخطأ من خلال طبيعة الأجواء المثيرة الضاغطة المحيطة به وانتبه– بعد إصدار حكمه لمصلحة صاحب النعجة، إلى استسلامه للمشاعر العاطفية أمام مأساة هذا الإنسان الفقير ، وخطأه في عدم الإستماع إلى وجهة النظر الأخرى {فاستغفر ربّه} على هذا الخطأ في إجراءات الحكم الشكلية { وخرّ راكعاً وأناب } أي رجع إلى الله وتاب إليه وأخلص إليه .

...قصة داود أمام علامات الإستفهام:

...فغفرنا له ذلك الخطأ الذي لم يؤد إلى نتيجة سلبية كبيرة في الحياة العامة ولم يصل إلى الموقف الحاسم في تغيير الواقع { وإن له عندنا لزلفى } وهي المنزلة والحظوة {وحسن مآب} فيما يرجع إليه من رحمة الله ورضوانه،".. إلى أن قال في جملة نقاط ذكرها:

..." النقطة الثانية: كيف نفهم المسألة في دائرة فكرة عصمة الأنبياء، أمام تصريح الآية بالإستغفار والرجوع إلى الله بعد الفتنة التي لم يستطع النجاح فيها، فأخطأ في إدارة مسألة الحكم في الجانب الإجرائي منه..

...ربما تطرح القضية، على أساس أن الخصمين إذا كانا من الملائكة، فإنها لا تكون تكليفاً حقيقياً، بل

هي قضيّة تمثيلية على سبيل التدريب العملي ليتفادى التجارب المستقبلية فيما يمارسه من الحكم بين الناس، ..

...تماماً كما هي قضية آدم التي كانت قضية إمتحانية لا تكليفاً شرعياً، فلم تكن هناك معصية بالمعنى المصطلح، وبذلك يكون الإستغفار مجرد تعبير عن الإنفتاح على الله والمحبة له، والخضوع له فيما يمكن أن يكون قد صدر عنه من صورة الخطيئة، لا من واقعها، وأما إذا كان الخصمان من البشر، فقد يقال بأن القضاء الصادر من داود لم يكن قضاء فعلياً حاسماً بل كان قضاء تقديرياً، بحيث يكون قوله:{ لقد ظلمك بسؤال نعجتك إلى نعاجه}، بتقدير قوله: لو لم يأت خصمك بحجّة بيّنة.

...ولكن ذلك كله لا يمنع صدور الخطأ منه، فإنّه لم ينتبه إلى أن الخصمين ملكان، بل كان يمارس القضاء بالطريقة الطبيعية على أساس أنهما من البشر.. وبذلك فلم تكن المشكلة هي إنفاذ الحكم ليتحدث متحدث بأن المسألة قد انكشفت قبل إنفاذه، أو أنها لم تكن واقعية بل كانت تمثيلية، بل المشكلة هي الخطأ في طريقة إجراء الحكم..

...فلا بدّ من الإعتراف بأن مثل هذه الأخطاء لا تتنافى مع مقام النبوّة، لا سيّما إذا كانت الأمور جارية في بداياتها مما قد يراد به الوقوع في الخطأ من أجل أن يكون ذلك بمثابة الصدمة القويّة التي تمنع عن الخطأ في المستقبل.

...وتابع هذا البعض فقال:

...وقد أكّد الإمام الرضا (ع)–ذلك– فيما روي عنه في عيون أخبار الرضا، قال الراوي وهو يسأله عن خطيئة داود(ع) : يا بن رسول الله ما كانت خطيئته فقال : ويحك إن داود إنما ظن أنه ما خلق الله خلقاً هو أعلم منه، فبعث الله إليه الملكين فتسوّرا المحراب فقالا: {خصمان بغى بعضنا على بعض فاحكم بيننا بالحق ولا تشطط واهدنا إلى سواء الصراط، إن هذا أخي له تسع وتسعون نعجة ولي نعجة واحدة فقال أكفلنيها وعزّني في الخطاب} فعجّل داود على المدعى عليه فقال: {لقد ظلمك بسؤال نعجتك إلى نعاجه} ، ولم يسأل المدعي البيّنة على ذلك ولم يقبل على المدعي عليه فيقول له: ما تقول؟ فكان هذا خطيئة رسم الحكم لا ما ذهبتم إليه .

...وقد ذكرنا في هذا التفسير أن علينا أن نأخذ الفكر في طبيعة العقيدة من نصوص القرآن الظاهرة، لا من أفكار خارجة عنه، مما قد تتحرك به الفلسفات غير الدقيقة"(1).

...آيات حكم داود عليه السلام:

---

(1) من وحي القرآن ج19 ص278.

...قال الله تعالى:{ إصبر على ما يقولون واذكر عبدنا داود ذا الأيد إنّه أوّاب. إنّا سخّرنا الجبال معه يسبّحن بالعشيّ والإشراق. والطير محشورة كلٌّ له أوّاب. وشددنا ملكه وآتيناه الحكمة وفصل الخطاب. وهل أتاك نبأ الخصم إذ تسوّروا المحراب إذ دخلوا على داود ففزع منهم قالوا لا تخف خصمان بغى بعضنا على بعض فاحكم بيننا بالحق ولا تشطط واهدنا إلى سواء الصراط. إنّ هذا أخي له تسع وتسعون نعجة ولي نعجة واحدة فقال أكفلنيها وعزّني في الخطاب. قال لقد ظلمك بسؤال نعجتك إلى نعاجه وإنّ كثيراً من الخلطاء ليبغي بعضهم على بعض إلاّ الذين آمنوا وعملوا الصالحات وقليل ما هم، وظن داود أنما فتنّاه فاستغفر ربّهو خرّ راكعاً وأناب. فغفرنا له ذلك وإنّ له عندنا لزلفى وحسن مآب. يا داود إنّا جعلناك خليفة في الأرض فاحكم بين الناس بالحق ولا تتبع الهوى فيضلّك عن سبيل الله ان الذين يضلّون عن سبيل الله لهم عذاب شديد بما نسوا يوم الحساب}(1).

...وقفة قصيرة:

...قد ذكر العلامة الطباطبائي: إن اكثر المفسرين يقولون: إن الخصمين كانا من الملائكة، وأيّد رحمه الله ذلك ببعض الشواهد، فلم يكن هناك نعجة ولا متخاصمان في عالم المادة، لأن القضية أنها هي في ظرف التمثل، ولا تكليف هناك، فلا توجد خطيئة ولا حكم، ولا غير ذلك في عالم الشهود..

...وأما على قول بعض المفسرين من أن المتخاصمين كانا بشراً ، فينبغي أن يؤخذ قوله تعالى:{ لقد ظلمك} الآية... قضاء تقديرياً، أي انك مظلوم لو لم يأت خصمك بحجةٍ بيّنة"(2).

---

(1) سورة ص الآية 17 –26.

(2) فكأنه قال له :أرأيت لو كنا واحتكمنا اليك..فقال له انك مظلوم لو لم يأت خصمك بحجة بينة.

...وإنما ذلك للحفاظ على ما قامت عليه الحجة من طريقي العقل والنقل: أن الأنبياء معصومون بعصمة من الله، لا يجوز عليهم لا كبيرة ولا صغيرة، على أن الله صرّح قبل هذا بأنّه آتاه الحكمة، وفصل الخطاب، ولا يلائم ذلك خطأه في القضاء (1).

...ولو أغمضنا النظر عمّا قاله العلاّمة الطباطبائي فإننا نقول:

...1 . إن افتراض الخطأ في ما جرى لداود(ع) على النحو الذي يقوله ذلك البعض، معناه عدم مصداقيّة كونه أسوة وقدوة، ومعناه أنه يحكم بين الناس بغير الحق، وأنه يتبع الهوى في أحكامه مما ترتب عليه آثار سلبية باعترافه هو نفسه، لكنه قال إنها غير أكيدة، مع أن الله سبحانه قد قال عن داود: { .. وشددنا ملكه، وآتيناه الحكمة وفصل الخطاب} ثم تلتها الآيات التي تتحدث عن نبأ الخصم إذ تسوروا المحراب وذلك يشير إلى أن الآيات التي تحدثت عن قضية النعاج التسعة والتسعين لم يرد الله منها تخطئة داود (ع)، فان من آتاه الله فصل الخطاب – الذي هو تفكيك الكلام الحاصل من مخاطبة

واحد لغيره، وتمييز حقه من باطله، وينطبق على القضاء– لا يعقل أن يخطئ في نفس ما آتاه الله إيّاه.

...أضف إلى ما تقدّم: أن دعوى: كون داود(ع) قد استعجل في الحكم انسياقاً مع عاطفته، أو نحو ذلك ينافي الحكمة التي آتاه الله إياها، لأنها وضع الشيء في موضعه، كما أنه ينافي القضاء العادل بالحق الذي أعطاه الله إيّاه أيضاً..

...2 . إنّه يلاحظ: أن أحد الخصمين قد طرح سؤالاً لا يتضمن ادعاء ملكية ، ولا يتضمن شيئاً خلاف الشرع، حيث ادعى أن أخاه صاحب التسعة وتسعين نعجة قد طلب منه أن يجعلها تحت تكفله، وألحّ عليه في ذلك، ولم يدّع أنّه اغتصبها منه، أو أنه ادّعى ملكيتها، أو أي شيء آخر، ومجرّد طلب تكفّل شيء للاستفادة من منافعه ليس حراماً..

---

(1) راجع: تفسير الميزان ج17 ص193–194، وراجع تنزيه الأنبياء ص127–130.

...3 . إن قول داود عليه السلام:{لقد ظلمك بسؤال نعجتك إلى نعاجه}، لا يدلّ على انه كان في مقام إصدار حكم .إذ يمكن أن يكون ذلك مجرد إخبار له بالواقع الذي عرفه داود(ع) عن طريق الوحي أو عن أي طريق آخر..

...4 . وأما قوله تعالى:{ فظن داود أنما فتنّاه} فيراد به– والله أعلم – : أنه ظن أن الله سبحانه قد أرسل إليه من يسأله هذا السؤال، وقد أراد سبحانه امتحانه بذلك، كما انه قد ظن أن مبادرته إلى إخبار السائل بما علمه لم تكن هي المطلوب، بل لعل المطلوب هو رسم الحكم بطريقة محاكمة قضائية.

... وهكذا يتضح أنه لا يصح قول هذا البعض ان داودلم يستطع النجاح في هذه الفتنة فأخطأ .

...5–وربما يكون المتخاصمان قد تخيّلا أن ما قاله داود(ع) قد كان حكماً قضائياً منه، من موقع كونه حاكماً وقاضياً، لا إخباراً عن معرفة حصلت له من موقع كونه نبياً، لا سيّما وأنهما قد طلبا منه أن يحكم بينهما، فأخبرهما بالواقع، ولم يستجب لطلبهما بإصدار الحكم.. ولعل هذا هو السبب في عدم اعتراض صاحب النعاج التسعة والتسعين، وعدم دفاعه عن نفسه، ولم يذكّر داود(ع) بأن له الحق بذلك.

...والنتيجة لما تقدّم هي:

...أ . إن من الطبيعي أن يفكر داود (ع) بأن هذه القضية قد تكون امتحاناً له، فطلب من الله سبحانه أن يستر له ما قد يراه الناس تقصيراً، وهو ليس كذلك في الواقع، وأن يعود عليه بالرحمات والألطاف، فكان له ما أراد .

...ب . إن داود(ع) لم يبادر إلى تشكيل محكمة لفصل القضية قضائياً، بل اكتفى بإخبار الخصمين بحكم المسألة. وأخيراً فالرواية إن كانت موافقة لحكم العقل القطعي فلا مانع من الأخذ بها، وإلا فهي

مطروحة أو مؤولة، ولا فرق في ذلك بين كونها صحيحة السند أو لا.
ولا ننسى الإشارة أخيراً الى تناقض كلامه عن آدم (ع) في هذا المقام حيث نفى عنه المعصية هنا، مع كلامه المتقدم في صدر الكتاب والذي قال فيه: إن معصية آدم كمعصية إبليس.
...

...96 . "إستعراض الخيل" شغل سليمان(ع) ففاتته ... ... الصلاة.
...97 . نقاط الضعف في الأنبياء لا تنافي العصمة .
...98 . سليمان ابتعد عن الخط الرسالي قليلاً .
...99 . الضغط الإلهي أعاد سليمان(ع) إلى الخط .
...100 .... سليمان(ع) يضرب أعناق الخيل وسوقها
ليؤلم نفسه فيما تحبه.
...

...يقول البعض عن سليمان (ع) في تفسير قوله تعالى: {إذ عرض عليه بالعشي الصافنات الجياد} :
..." المراد بالخير: الخيل، فيما قد تطلق عليه هذه الكلمة من المعنى، وبذلك يكون المعنى، أنه استبدل حب الخيل عن ذكر الله حتى شغل عن صلاته {حتى توارت بالحجاب} أي حتى غابت الشمس، وفاتته صلاة العصر بسبب ذلك.. وهذا هو المشهور بين المفسرين، من أن استعراض الخيل أمامه امتدّ بحيث شغله عن صلاته .
...وقد أثار بعض المفسرين احتمال تعلق (وحبه لها عن ذكر ربي)، بـ (حب الخير) بلحاظ انطلاقه عن أمر الله، ليكون استعراضه لها وحبه لها عملاً عباديّاً ليتهيّأ بها للجهاد في سبيل الله، وبذلك يكون الشاغل له عن عبادة الله، عملاً يختزن في داخله عبادة الله .
...ولعل الأساس في هذا التوجيه التفسيري، هو الخروج بعمل سليمان عن كونه مخالفاً لموقعه الرسالي، في انشغاله باستعراض الخير عن عبادة الله الواجبة في وقت معين..
...ولكن ذلك لا يفيد شيئاً في هذا الجانب، لأن صلاة العصر إذا كانت موقتةً بوقت معين، بحيث يذهب وقتها بغروب الشمس وتواريها بالحجاب، كما يظهر من بعض الروايات، فإن الإنشغال عنها المؤدي إلى تركها، بعمل آخر مرضي لله، موسّع في وقته، غير مبرر شرعاً .
...ولهذا فقد يكون من الأقرب لإبقاء الآية على ظاهرها الذي يوحي بان سليمان كان في مقام توبيخ نفسه أو الاعتذار إلى الله عما حدث له، مما لا يتناسب مع التوجيه المذكور الذي قد لا يكون له معنى، إلا أن يقال، إن ذلك بلحاظ أهمية الصلاة وبذلك يكون قد قدم المهم على الأهم في الوقت الذي يتسع لها جميعا، مع كون تقديم الصلاة أفضل، بلحاظ الوقت..

...كيف نفهم حدود العصمة؟:

...وقد نلاحظ في هذا المجال، أن مسألة حدود العصمة، فيما يراد من خلاله تأكيد القيمة الأخلاقية المنفتحة على الله في القيام بما يحقق رضاه في أفق محبته.. لا يكفي فيها التركيز على ترك المعصية، بل لا بد فيها من الإنفتاح على العمق الروحي الذي يتناسب مع قيمة النبوّة في جانب القدوة الرسالية منها..

..... وقد ينبغي دراسة الأسس التي يحاول الكلاميون الذين يتبنّون مسألة عصمة الأنبياء بالشكل المطلق، لنتعرف ماذا يمكن لنا أن نواجه به الظواهر القرآنية التي تمنح الجانب الإنساني قيمةً واقعية في تقييم شخصية النبي، بالمستوى الذي لا يبتعد عن الإخلاص في الصدق الواعي في خط الرسالة، مع إفساح المجال لبعض نقاط الضعف الإنساني أن تنفذ إلى حياته، بشكل جزئيٍّ طبيعيّ..

...{ردّوها عليّ} أي الخيل- على ما هو الظاهر- في عملية استعادة للإستعراض ولكن بروحية أخرى {فطفق مسحاً بالسوق والأعناق} قيل في معناه: أنه شرع يمسح بيده مسحاً بسوقها وأعناقها ويجعلها مسبلة في سبيل الله جزاء ما اشتغل بها عن الصلاة .

...وقيل: المراد بمسح أعناق الخيل وسوقها ضربها بالسيف وقطعها، والمسح القطع، فهو، غضب عليها في الله لما شغلته عن ذكر الله فأمر بردّها ثم ضرب بالسيف أعناقها وسوقها فقتلها جميعاً .

...ويتابع البعض كلامه فيقول:

...ويعلق صاحب الميزان على هذا الوجه بأن هذا الفعل مما تتنزه عنه ساحة الأنبياء عليهم السلام فما ذنب الخيل لو شغله النظر إليها عن الصلاة حتى تؤاخذ بأشد المؤاخذة فتقتل تلك القتلة الفظيعة عن آخرها مع ما فيه من إتلاف المال المحترم (1) .

...ويذكر في موضع آخر (2) أن الروايات التي تؤكد على هذه القصة بهذا الشكل تنتهي إلى كعب الأحبار، بالإضافة إلى الإغراق في التفاصيل التي تدخل في دائرة الأعاجيب .

---

(1) الميزان في تفسير القرآن ج17 ص304.

(2) نفس المصدر ص307.

...أمّا تعليقنا على ذلك، فان الظاهر من الآية قد يؤكد فكرة ضرب أعناقها وسوقها، لأن مسألة تسبيلها في سبيل الله لا يتوقف على ردها عليه وكما أنه لا يفسر مسح أعناقها وسوقها، فان من المتعارف مسح الخيل على نواصيها كما أن هذه الروايات تلتقي مع ظهور الآية في ردّ الفعل الذي قام به سليمان إزاء انشغاله بها عن الصلاة، مما جعله يفكر بالخلاص منها بقتلها، من غير ضرورة لأن يكون ذلك على سبيل الإنتقام منها، أو إتلافها كمالٍ محترم لا يجوز إتلافه بل قد يكون ذلك بمثابة ضغط على نفسه

التي أحبت الخيل بهذا المستوى الأمر الذي يريد إيلامها فيما تحبه بهذه الطريقة ، مع ملاحظة أن ذلك حلال في شريعته لأن الخيل كانت تذبح كالأنعام، للطعام، والله العالم.

...{ولقد فتنّا سليمان وألقينا على كرسيّه جسداً} إن هذه الآية توحي بوجود فتنة واختبار في حياة سليمان، لتوجيه بعض أوضاعه التي يريد الله له أن يركزها على أساس من الإستقامة في الفكر والعمل، فيما يبتلي الله به عباده ورسله من أجل أن يربيهم على الثبات في مواقع الإهتزاز من خلال حركة التجربة في الواقع العملي في حياتهم التي يراد لها أن تطل على حياة الآخرين من موقع القيادة الرسالية.. وربما توحي الآية من خلال قوله{ثم أناب} ، بأنه ابتعد عن الخط قليلاً، فيما هو القرب السلوكي من الله، ثم عاد إليه بعد أن رأى الضغط عليه، فيما ابتلاه به من ناحية فعلية"(1).

...عرض الآيات:

---

(1) من وحي القرآن ج19 ص289-294.

...قال تعالى:{ووهبنا لداود سليمان نعم العبد انه أوّاب. إذ عرض عليه بالعشي الصافنات الجياد. فقال إني أحببت حب الخير عن ذكر ربي حتى توارت بالحجاب. ردّوها علي فطفق مسحاً بالسوق والأعناق. ولقد فتنّا سليمان وألقينا على كرسيه جسداً ثمّ أناب. قال ربّ اغفر لي وهب لي ملكاً لا ينبغي لأحد من بعدي إنّك أنت الوهّاب. فسخّرنا له الريح تجري بأمره رخاء حيث أصاب. والشياطين كل بنّاء وغوّاص. وآخرين مقرنين في الأصفاد. هذا عطاؤنا فامنن أو أمسك بغير حساب. وإن له عندنا لزلفى وحسن مآب}(1).

...

...وقفة قصيرة:...

...إننا بالنسبة إلى الآيات الشريفة، نذكر القارئ بما يلي:

...1 . قال السيد المرتضى:" ظاهر الآية لا يدل على إضافة قبيح إلى النبي، والرواية إذا كانت مخالفة لما تقتضيه الأدلة لا يلتفت إليها لو كانت قوية ظاهرة فكيف إذا كانت ضعيفة واهية(2).

...2 . وإذا رجعنا إلى الآيات الكريمة نفسها نجدها تصرح بان عرض الخيل على سليمان(ع) قد كان بالعشي، ولا دلالة فيها على أن العرض قد حصل في حين كانت الشمس ظاهرة..

...3 . إن ضمير ردّوها يرجع إلى الصافنات (وهي الخيل) وكذلك ضمير توارت بالحجاب، فما معنى إرجاع الضمير إلى الشمس، وهي لم تذكر في الكلام..

...4 . إن عبارة (أحببت حب الخير) قد أريد به بيان نوع الحب الذي أحبّه، فهو لم يحب حب الشهوات،

أو حب الدنيا الذي هو باطل وغير مشروع، بل كان حبه من نوع حب الخير، إذن ، فليست كلمة (حب الخير) مفعولاً به (لأحببت).

...وقوله {عن ذكر ربي} بيان لمنشأ ذلك الحب، وأنه حب ناشئ عن ذكر الله سبحانه..

---

(1) –سورة ص الآية 30 –ومابعدها

(2) تنزيه الأنبياء ص132 والبحار ج 14 ص102.

...5 . إن قول سليمان(ع): {إني أحببت }الآية.. قد جاء تفريعاً "بالفاء" على قوله {عرضت}..أي أن الخيل عرضت عليه فقال هذا القول، ولعله ليدفع أي تصور خاطئ عنه يريد أن يتهمه بان استعراضه للخيل قد كان من منطلق حب الهوى وحب الدنيا ولذّاتها، فأوضح لهم سليمان(ع) أن الأمر ليس كذلك، بل هو من منطلق حب آخر، هو حب الخير، وتقوية الدين، لأن الخيل من أهم وسائل الجهاد، ومن أسباب القوة للمؤمنين على أعدائهم .

...6 . وحين انتهى العرض، أمر الموكلين بالخيل بأن يردّوها عليه، فطفق يمسح سوقها وأعناقها إيناساً لها، وتحببا وإعجاباً بها .

...7 . وقد ظهر مما تقدّم: أنه ليس في الآيات ما يشير إلى قتل الخيل.

...8 . إن تعلق نفس سليمان بالخيل، لا يخوله أن يقطع قوائمها ورؤوسها، فهل يصح أن يكون هو المذنب، والخيل هي التي تعاقب ؟!!

...9 . قال السيد المرتضى: "إن الله تعالى ابتدأ الآية بمدحه والثناء عليه، فقال:{ نِعْمَ العبد إنّه أوّاب}، وليس يجوز أن يثني عليه بهذا الثناء، ثم يتبعه من غير فصل بإضافة القبيح إليه، وأنه تلّهى بعرض الخيل عن فعل المفروض عليه من الصلاة"(1).

...10 . هل يمكن لنبي معصوم أن ينسى واجباً مكلفاً به إذا كان أهم من العمل الذي يتصدى له؟ وإذا لم يكن أهم فلماذا يقطع أرجل الخيل ورؤوسها؟.

...11 . لو كان المقصود أنه آثر حب الخيل وقدّمه على ذكر ربه، فالمناسب أن يأتي بكلمة (على) لا بكلمة (عن) .

...

الفصل الثاني

النبي (ص)

.....وعلي (ع)
..... والزهراء (ع)

...

...بداية :

...إننا نورد في هذا الفصل فقرات يسيرة من مقولات سجلها البعض حول النبي صلى الله عليه وآله وسلم، وعلي عليه السلام، والزهراء صلوات الله وسلامه عليها..

---

(1) تنزيه الأنبياء ص132 والبحارج14 ص102.

...وقد قلنا، وما زلنا نردد: إن ما نذكره ما هو إلا غيض من فيض، وإن استقصاء ذلك يحتاج إلى مزيد من الوقت والجهد..ولم يكن ذلك هدفنا، بل ولا هو محط نظرنا. بل المقصود هو بيان الحال عبر إثارة السؤال علنا نجد الجواب المقنع والمفيد.
...فإلى ما يلي من مطالب:

...101 . لا تفعلوا مثل فعل النبي(ص) .
...102 . لا تكن منطلقاتكم منطلقات النبي محمد(ص) .
...103 . النبي(ص) لا يعرف المهم من الأهم .
...104 . النبي(ص) يقوم بتجربة غير ذات موضوع .
...105 . الله يربي رسوله تدريجياً بعد الوقوع في الخطأ .
...106 . النبي(ص) يحتاج إلى تكامل الوحي، وسعة الأفق، وعمق النظر للأمور .
...107 . النبي(ص) يستغرق فيما فيه مضيعة للوقت .
...108 . النبي يفوّت الفرص المهمة .
...109 . النبي(ص) يخطيء في التشخيص .
...110 . النبي(ص) لا يعرف مسؤوليته المباشرة .

...

...ويقول البعض ، إن آيات عبس وتولّى قد نزلت في النبي محمد(ص)، وكلماته حول هذا الأمر كثيرة، ونحن نختار منها ما يلي:

...يقول البعض:" لكن الله أراد أن يبين طبيعة المسألة، وأن يخاطب الآخرين: إذا ابتليتم بمثل هذه القضية طبعاً لا تكن منطلقاتكم منطلقات النبي(ص)، فلا تفعلوا مثل ذلك" (1).

...يقول هذا مع أن الله سبحانه يقول:{ لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة}(2) ،ويقول:

---

(1) الموسم العددان 21–22 ص295 وراجع ص86 .

(2) سورة الأحزاب الآية 21 .

..." ..{ أما من استغنى ، فأنت له تصدّى، وما عليك ألاّ يزّكى}، للإيحاء له بأن عدم حصوله على التزكية، بعد إقامة الحجة عليه من قبلك مدة طويلة، لا يمثل مشكلة بالنسبة إليك، لأنك لم تقصر في تقديم الفرص الفكرية بما قدّمته من أساليب الإقناع، مما جعل من التجربة الجديدة تجربة غير ذات موضوع لأنه – يعني ذلك الغني– يرفض الهداية من خلال ما يظهر من سلوكه، الأمر الذي يجعل من الإستغراق في ذلك مضيعة للوقت، وتفويتاً لفرصة مهمة أخرى، وهي تنمية معرفة هذا المؤمن الداعية الذي يمكن أن يتحول إلى عنصر مؤثر في الدعوة الإسلامية"(1).

...وذكر في موضع آخر كيف أن النبي قد أخطأ في تشخيص ما ينبغي عليه، فهو يقول:

..."{ فأنت عنه تلهّى} لأنك تحسب أن إيمان هؤلاء الصناديد قد ينفع الإسلام أكثر من نمو إيمان هذا الأعمى الذي يمكن أن يؤجل السؤال لوقت آخر، ولكن المسألة ليست كذلك.. لأن هذا الأعمى وأمثاله ، يمثلون مسؤوليتك المباشرة كرسول يعمل على تنمية خط الدعوة بتنمية الدعاة حوله، من أجل أن يؤثروا عليك في بعض الجهد، أو يوسعوا ساحة الدعوة في مواقع جديدة .

...وهذا هو ما يريد الله أن يفتح قلبك عليه فيما يريد لك من تكامل الوعي، وسعة الأفق، وعمق النظرة للأمور.

...ولا مانع من أن يربي الله رسوله تدريجياً ، ويثبت قلبه بطريقة متحركة الخ(2)..."

...ويقول عن ابن أم مكتوم:

---

(1) – من وحي القرآن ج24 ص 67.

(2) من وحي القرآن ج24 ص 76 .

..."فأراد أن ينتهز فرصة وجود النبي مع المسلمين أن يأخذ من علمه فيما أنزله الله عليه من كتاب، وما ألهمه من علم الشريعة والمنهج والحياة.. ولكن النبي لم يستجب له لأن هناك حالة مهمة يعالجها في دوره الرسالي المسؤول في محاولة لتزكية هؤلاء الكفار من وجهاء المشركين، طمعا في أن يسلموا ليتسع الإسلام في اتباع جماعتهم لهم، لأنهم يقفون كحاجز بين الناس وبين الدعوة، ولذلك أجّل النبي(ص) الحديث مع هذا الأعمى إلى وقت آخر، فيما كانت الفرص الكثيرة تتسع للقاء به أكثر من مرة فتكون له الحرية في إغناء معلوماته بما يجب في جوّ هادئ ملائم، بينما لا تحصل فرصة اللقاء بهؤلاء دائماً، فكانت المسألة دائرة، –في وعيه الرسالي– بين المهم ، في دور هذا الأعمى، وبين الأهم، في دور هؤلاء الصناديد .

...ولكن الله يوجه المسألة إلى ما هو الأعمق في قضية الأهمية في مصلحة الرسالة، باعتبار أن هذا الأعمى قد يتحول إلى داعية إسلامي كبير، { وما يدريك لعله يزكى} فيما يمكن أن يستلهمه من آيات القرآن التي يسمعها، مما يُغني له روحه، فتصفو أفكاره، وترقّ مشاعره، وتتسع آفاقه"(1).

...

...وقفة قصيرة:

...ونقول: إن آيات سورة عبس هي التالية:{عبس وتولّى . أن جاءه الأعمى. وما يدريك لعله يزّكى . أو يذّكّر فتنفعه الذّكرى . أمّا من استغنى . فأنت له تصدّى . وما عليك ألاّ يزّكّى . وأمّا من جاءك يسعى. وهو يخشى . فأنت عنه تلهّى }(2).

...ونحن نشير هنا إلى ما يلي:

...1 . إن الذي يلاحظ الآيات الشريفة لا يجد فيها أي شيء يدل على أن المقصود بها هو شخص رسول الله(ص) بل فيها ما يدل على أنها لا تليق به (ص)، فلماذا الإصرار على ذلك؟من قبل البعض، وبشكل لا يقول به حتى من يدّعي نزولها في النبي(ص) من العامة .

...2 . إنّ قوله تعالى:{ وما يدريك} ليس خطاباً لرسول الله، وإنما هو التفات من الغيبة إلى الخطاب، مع العابس نفسه .

---

(1) من وحي القرآن ج24 ص73.

(2) سورة عبس الآيات1–10.

...3 . إنّ قوله تعالى:{ فأنت له تصدّى} لا يدل على أنّه كان يتصدى له لأجل الدين، فلعله كان يتصدّى للأغنياء لأهداف دنيوية، ولعل ذلك العابس يتظاهر بأنّه مهتمّ بنشر هذا الدين، وقد جاء مع أولئك الأغنياء مظهراً حرصه على إيمانهم، فكان يتلهّى بالحديث معهم، مظهراً الضّيق والإشمئزاز من

ذلك الفقير .

...4 . وقوله تعالى: "وما يدريك لعله يزّكى" ليس فيه أن الغني سوف يزّكى على يد ذلك العابس، فلعله يتزكى على يد شخص آخر غيره، ممن هم في ذلك المجلس، كالنبي(ص)..

...5 . إن الآيات تشعر – إن لم نقل تدل – أنّه قد كان من عادة العابس أن يتصدّى للأغنياء ويتلهّى عن الفقراء، ولم يكن ذلك من عادة النبي(ص) .

...6 . قد روي عن أهل البيت (ع) أن الآيات قد نزلت في رجل من بني أمية، وبعض الروايات قد صرحت باسمه(1)، وروى الطبرسي أيضاً عن الإمام الصادق عليه السلام: أن رسول الله كان إذا رأى ابن أم مكتوم قال: "مرحبا مرحبا، لا والله، لا يعاتبني الله فيك أبداً، وكان يصنع به من اللطف ، حتى كان يكف عن النبي (ص) مما يفعل به . والظاهر أنه (ص) كان يريد بهذا الفعل التعريض بمن صدر منه ذلك في حق ابن أم مكتوم.. كأنه يقول له : والله أنا لا أعاملك كما عاملك فلان...

...هذا بالإضافة إلى أن دعوى نزول الآيات في النبي (ص) إنما وردت في روايات غير الشيعة.

...واغترار البعض بها، وقبوله لها وترك ما روي عن أهل البيت (ع)، لا يعلم له وجه صحيح، علماً أن بعض مفسري العامة، ومنهم الفخر الرازي في رسالته في عصمة الأنبياء قد طرح هذه الروايات، وعلل ذلك بأنها أخبار آحاد ومخالفتها للقواعد العقلية .

---

(1) راجع تفسير القمي ج2ص405 وتفسير البرهان ج4ص427و428 وتفسير نور الثقلين ج5ص508و509 ومجمع البيان ج10ص437.

...7 . إن الإعتذار عن نزول الآية في النبي(ص) : بأن ابن أم مكتوم كان أعمى، وليس في العبوس إساءة له، لأنه لا يرى، إعتذار غير سديد، لأن الله سبحانه قد طالب العابس بهذا الأمر، واعتبره أمراً يستحق اللوم والعتاب..

...وإذا كان ابن أم مكتوم لا يرى العبوس ، فان الحاضرين قد رأوه وأدركوه ، واستقر في أنفسهم أن العابس غير مرتاح من ذلك الأعمى .

...8 . إن الإعتذار عن ذلك بوجود وحدة حال بين الأعمى وبين النبي(ص) هو الآخر اعتذار غير سديد، إذ لا يوجد ما يثبت وجود وحدة الحال هذه ، وقصة دخوله على بعض زوجات النبي(ص) لا تدل على وجود وحدة حال .. وذلك لعدة أمور:

...أولاً: عدم وجود ما يشهد لتكرر ذلك، فالرواية لا تذكر أزيد من أنه جاء واستأذن، فقال النبي(ص) لزوجتيه قوما وادخلا البيت، فاحتجا بأنه أعمى، فقال لهما أفعمياوان أنتما؟ ألستما تبصرانه؟(1).

...ثانياً: إن وقوع مثل هذه الأمور لا يدل على وحدة الحال، فقد كان الكثيرون من الصحابة يدخلون

على النبي(ص) ، في حين تكون زوجاته عنده، لا سيّما مع عدم تعدد الحجرات التي كانت تسكنها النساء مما قد بني حول المسجد .

...ثالثاً: إذا كانت هذه الحادثة قد حدثت في مكة وفي أوائل البعثة، فمن أين يثبت لنا وجود وحدة الحال هذه، في تلك الفترة بالذات، فيما بين ابن ام مكتوم وبين النبي(ص)..

...رابعاً: إن وجود وحدة الحال المزعومة، لا يبرر تضييع حق ذلك الأعمى ، ففي الخبر: لا تضيعن حق أخيك اتكالاً على ما بينك وبينه، فإنه ليس لك بأخ من أضعت حقه(2).

...خامساً: إن نفس صدور ذلك من النبي(ص) أمام المشركين يعطي انطباعاً سيئاً عن أخلاق الإسلام، ومنطلقاته في التعامل مع الآخرين .

---

(1) مجمع البيان ج10ص437 وتفسير البرهان ج4ص428 وتفسير نور الثقلين ج5ص509.

(2) الوسائل كتاب الحج ابواب العشرة باب 122 حديث12.

...سادساً: إنه لا معنى للنهي عن أن يفعل الناس مثل فعل النبي(ص)، وقد قال تعالى:{لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة}.

...سابعاً: كيف يمكن أن يقول أحد عن أفضل الرسل: أنه لا يعرف الأهم من المهم، وأنه يستغرق فيما هو مضيعة للوقت، ويفوت الفرص، ويفرط في تنمية المعرفة الإيمانية لدى المؤمنين، وأنه يجهل بحقيقة مسؤولياته، ويخطيء في تشخيص تكليفه، وأي نبي هذا الذي أرسله الله وفيه كل هذه العلل؟!..

...

...111 . الخطأ غير المقصود للنبي(ص) .

...

...ويتحدث ذلك البعض عن الخطأ غير المقصود لنبينا محمد(ص) ، فيورد احتمالاً يقول:"{عفا الله عنك}(1) وهذا أسلوب في العتاب لا يعنف في المواجهة، بل يرق ليخفف من وقع الخطأ، انطلاقاً من عدم الإطلاع على مواقفهم الحقيقية، مما يؤدي إلى تصديقهم فيما يقولون"(2).

...

...وقفة قصيرة :

...إن من المعلوم: انه ليس ثمة من خطأ على الإطلاق ، وأن النبي(ص) كان مطلعاً على حالهم، ولا يصح احتمال الخطأ، وغيره مما ذكره في حق النبي(ص)، بل المتعين أن يقال: إن النبي(ص) كان عالماً بحقيقة نواياهم، ولكنه كان يظهر تصديقهم لأن عليه أن يعاملهم وفق الإمارات الظاهرية، لا وفق علمه الخاص بحالهم ، كما أشارت إليه الآيات، فإذا كان يعرف ذلك، ثم يعاملهم بمنتهى الإحسان

والرفق، فانه يكون غاية في الخلق النبوي الكريم..

---

(1) سورة التوبة الآية 43

(2) من وحي القرآن ج 11 ص129 .

...وقوله:{ عفا الله عنك } تعبير يستعمل عادة في مقام إظهار استحقاق الطرف الذي يجري الحديث عنه إلى العقوبة، ولكن استعمال هذا التعبير لا يعني أن العفو عنه كان خطأ ، فهو كقولك: سامحك الله لم عفوت عن فلان ، فان العفو عنه حسن ، لكن المطلوب هو إبراز استحقاقه للعقوبة، وهنا قد جاء التعبير الإلهي عنهم بذلك من أجل فضحهم ، واظهار نواياهم ، بل إننا إذا رجعنا إلى ما هو المتعارف عند الناس في مجال التعامل، فإننا نجدهم لا يتسامحون مع هذا النوع من الناس، بل يعاملونهم بصرامة وحزم ، حين يدركون خبث باطنهم وسوء نواياهم، ومكرهم ، واحتيالهم ، ويرون أن معاملتهم بهذا المستوى من الصفح واللين خطيئة وذنب ، فيكون قوله:{عفا الله عنك} أيضاً مشيراً إلى ما بلغته معاملة رسول الله(ص) لهم من نبل وكرامة وصفاء ، مع وجود هذا الحجم الهائل من خبثهم ، ومن إجرامهم الكبير، ولا ينبغي إغفال حقيقة كون نسبة الخطأ إلى النبي(ص) منافية لعصمته في مذهب الشيعة الإمامية، لأنهم قائلون بعصمة الأنبياء(ع) عن الخطأ والخطيئة والسهو والنسيان قبل البعثة وبعدها في التبليغ والإعتقاد والأفعال والأحكام .

...

...112 . الزهراء(ع) عوضت النبي(ص) ما فقده من حنان .

...113 . جوع النبي(ص) وهو في القمة إلى الحنان .

...

...إن البعض يقول :

..."...وإذا كانت كلمة "أم أبيها" تعني الإحساس القوي باستعادة عاطفة الأم التي فقدها في طفولته فعاش فراغها في مشاعره من خلال إبنته فاطمة...إلى أن يقول: إن النبي إستعاد أمه في ابنته، ومعنى ذلك، أنه عاش الإمتلاء الروحي العاطفي الشعوري الذي يحتاجه في بشريته حتى وهو في قمة الفعلية لأن الرسول بشر، يتألم ويفرح ، ويحزن ويتعب، ويتحسس كل الأجواء التي تثبت موقفه وتثبت موقعه، وتطلق آفاقه..."(1).

...ونجده يقول أيضاً:

---

(1) مقابلة مع إذاعة النور بتاريخ 22 -11-1997 .موجود لدينا في شريط رقم 5

..."بدأ النبي حياته وهو يشكو فقد حنان الأم، لأن حنان الأم ليس شيئاً يمكن أن تتكفله مرضعة أو مربية، إنه شيء من عمق الروح، من عمق القلب، لأن الولد جزء من الأم، ولذلك فإن إحساسه كإحساس الإنسان بنفسه، ليس شيئاً خارجاً عن حياته، ولكنه شيء داخل في حياته وكانت هي جزءاً من الرسول، والجزء يتفاعل مع الأجزاء الأخرى،ولذلك أعطته أمومتها باحتضانها له، وقالها رسول الله وهو يشعر أن ذاك الفراغ الذي فقده بفقدان أمه استطاع أن يملأَه من خلال ابنته، فابنته هي أمه بالروح وابنته بالجسد، ولذلك قال عنها أنها (أم أبيها)، كم تحمل هذه الكلمة من دلالات؟..ألخ"(1).

...ويقول في نص آخر:

..."إن كلمة النبي(ص) عن الزهراء (ع) إنها "أم أبيها" توحي لنا: أن النبي (ص) عاش مع ابنته الزهراء(ع) حنان الأم وعطفها، بحيث عوضته عما فقده من حنان أمه وعاطفتها، حتى إنه(ص)، وهو يتمثلها كيف ترعاه، وتحنو عليه، وتبكي إذا مسّه سوء، كان يحس كما لو أن أمه كانت تفعل ذلك، وتعيش معه، وليس هذا عقدة نقص في شخصيته(ص) وهو(ص) لم يشك عقدة نقص على الإطلاق".

...إلى أن قال:

..."فالنبي(ص) يمثل الكمال كله. وعلى هذا، فإن إحساس البشر بالجوع لا يعني نقصاً فيه، وليس هناك فرق بين الجوع الى الطعام ، وبين الجوع الى الحنان. فنحن نعيش الجوع الى الحنان كما نعيش الجوع الى الطعام. فهل هناك نقص في النبي(ص) عندما يحس بالجوع، إن كان جوعاً للحنان، أو للطعام؟..الخ"(2).

...ونقول:

---

(1) الندوة ج1 ص 58 .

(2) نشرة بينات عدد 35 بتاريخ 30-5-1997 .

...أنه ليس في كلام النبي(ص)، ما يشير الى وجود هذا الجوع الى الحنان في داخل نفسه كما ينسبه إليه هذا البعض. وإذا صح قياس الجوع الى الحنان على الجوع للطعام، صح أيضاً قياسه على الجوع الجنسي أيضاً. فهل يصح أن يقال :إن عزوبة النبي التي استمرت سنوات، قد أوجدت عنده جوعاً جنسياً يحتاج الى تعويض؟ ! ثم يفسّر تعدد زوجاته(ص) على هذا الأساس؟! وهل أن النبي(ص) قد بقي جائعاً الى الحنان ما يقرب من خمسين سنة، حتى أصبح جوعاً "مزمناً" يكتوي (ص) بناره، وفراغاً مستمراً،لا يجد ما يدفع غائلته،أو يدفع عنه؟

...إننا نقول:

...إنه لا يصح قياس الجوع الى الحنان على الجوع الى الطعام. فلو افترضنا أن النبي (ص)قد احتاج

في طفولته الى العطف، فذلك لا يعني أن تستمر حاجته إليه الى ما بعد خمسين سنة، ولا أن يكون لديه فراغ عاطفي يحتاج الى ملء وتعويض، وذلك لأن بعض الأمور تفقد مبرراتها ومواقعها ومقتضياتها،ولا يبقى لها مجال، فتزول وتتلاشى.فمن حرم في طفولته من الرضاعة فإنه لا يعوض عنها برضاعه بعد خمسين سنة بحيث يحتاج الى أم يلتقم ثديها، ويرتضع من لبنها.

...ولا ندري لماذا يقيس هذا البعض الحاجة الى الحنان في الطفولة على الحاجة للأكل والشرب، ولا يقيسها على الحاجة الى الرضاعة، فإنها بها أنسب وإليها أقرب. فإن الكلام هو عن حاجات الطفولة، وليس الكلام عن وسائل بقاء الحياة واستمرارها. وهل إذا كان الطفل يحتاج في حال طفولته الى ثوب يلبسه ولم يحصل له ذلك، فهل يبقى بعد خمسين سنة بحاجة الى لبس نفس الثوب؟. واستبعاد كلمة "عقدة نقص" لا يدفع الإشكال ولا يحل العقدة.

...فإن القول بوجود فراغ نفسي في الشخصية الإنسانية للنبي(ص)، أمر مرفوض .. تماماً كرفضنا لمقولة معاناته(ص) من عقدة نقص.. ونحن نعتقد: أنه(ص) هو الإنسان الكامل في عقله، وفي مشاعره، وفي تكوينه النفسي والعاطفي.

...ونعتقد: أنه(ص) حتى حين تعطف ابنته عليه، فإنها إنما تقوم بمسؤولياتها وتؤدي واجباتها، وتعبر عن رفيع أدبها تجاهه(ص).و الزهراء هي الأسوة والقدوة في ذلك كله ..

... ويمكن تقريب هذا المعنى إذا لاحظنا حال أي إنسان يكرم والديه أو يحترم معلمه، أو يعبد الله تعالى فإنه إذا فعل ذلك وقبل يد والده أو معلمه، أو صلّى لربّه لا يكون قد ملأَ فراغاً في نفس والده أو لدى ذلك العالم، كما أن الله ليس بحاجة إلى صلاته، ولا هي تملأ له فراغاً، أو تحل له عقدةً تعالى الله وأنبياؤه عن ذلك علوّاً كبيرا.

...وأما معنى قوله(ص) في حقّها سلام الله عليها أنها"أمّ أبيها" فلا يعني أن أباها كان بحاجة إلى عاطفتها، بل معناه أنها على صِغَرِ سنّها قد ظهر منها من العطف والحنوّ والتفاعل الروحي والعاطفي معه(ص) كما لو كانت أمّاً تتفاعل مع ولدها، دون أن يكون النبي (ص) بحاجة الى ذلك، ولا كان يعاني من فراغ ملأته عليه. فلماذا هذا الإصرار على أن ينسب للنبي(ص) فراغاً في تكوينه النفسي وفي شخصيته النبوية؟!!.

...114 . قبل البعثة لا تجربة ثقافية للنبي(ص) ....

...115 . عناوين الشكّ في شخصية النبي(ص) .

...

...يقول البعض :

..." عندما ندرس حياة النبي تبدو لنا هذه الحياة بسيطة، ليست فيها أية حالة ثقافية، وأن القرآن كان

أميناً في نقل الأفكار المضادة تماماً كما هو أمين في نقل الأفكار المناصرة، لقد استطاع القرآن أن يحدثنا بأمانة عن عناوين الشك في شخصية النبي الذي لم يستطع أن يحصل تجربة ثقافيةكافية قبل النبوة أو اية معلومات تاريخية يستطيع من خلالها التأثر بما قبله من الأنبياء"(1)....

...

...وقفة قصيرة:

...ونقول إن النبي قد كان نبياً منذ صغره، "ولقد قرن الله به(ص)من لدن أن كان فطيماً أعظم ملك من ملائكته، يسلك به طريق المكارم، ومحاسن أخلاق العالم ليله ونهاره"(2).

---

(1) أسئلة وردود من القلب ص63 .

(2) نهج البلاغة الخطبة 190 وهي الخطبة القاصعة .

...وعلى هذا الأساس، فإنه لولا هذا الوحي الإلهي، وهذا الملك المسدد له،فإنه(ص) لم يكن يدري ما الكتاب ولا الإيمان، قال تعالى:{وكذلك أوحينا إليك روحاً من أمرنا، ما كنت تدري ما الكتاب ولا الإيمان، ولكن جعلناه نوراً نهدي به من نشاء من عبادنا، وإنك لتهدي إلى صراط مستقيم}(1).وذلك هو معنى قوله تعالى:{ ووجدك ضالاً فهدى }.

...إذن .. فما معنى وجود عناوين للشك في شخصية النبي(ص)، استطاع القرآن أن يحدّثنا عنها بأمانة !!؟

...وإذا كان الله قد قرن به ملكاً يسدده منذ أن كان فطيماً، ويسلك به سبيل المكارم، فما معنى عدم حصوله على تجربة ثقافية كافية قبل نبوّته ؟!!...

...116 . لا خصوصيات غير عادية في شخصية الزهراء(ع) .

...117 . لا توجد عناصر غيبية تخرج الزهراء(ع) عن

.....مستوى المرأة العادي .

...118 . "الروح" لطف وجّه مريم(ع) عملياً وثبتها روحيّاً .

...119 . "الروح" لا يمثل حالة غيبية في الذات .

...120 . نقاط الضعف الإنساني في شخصية مريم(ع) .

...

...يقول ذلك البعض :

(1) سورة الشورى آية 52 .

..."نلاحظ ، في المقارنة بين الرجل والمرأة اللذين يعيشان في ظروف ثقافية واجتماعية وسياسية متشابهة ، أنه من الصعب التمييز بينهما ؛ إذ ليس من الضروري أن يكون وعي الرجل للمسألة الثقافية والإجتماعية والسياسية أكثر من وعي المرأة لها ، بل قد نجد نماذج متعدّدة لتفوّق المرأة على الرجل في سعة النظرة ، ودقّة الفكر ، وعمق الوعي ، ووضوح الرؤية ، وذلك من خلال ملاحظة بعض العناصر الداخلية أو الخارجية المميّزة لها بشكل خاص . وهذا ما نلاحظه في بعض التجارب التاريخية التي عاشت فيها بعض النساء في ظروف متوازنة من خلال الظروف الملائمة لنشأتها العقلية والثقافية والإجتماعية . فقد استطاعت أن تؤكد موقعها الفاعل ومواقفها الثابتة المرتكزة إلى قاعدة الفكر والإيمان ، وهذا ما حدّثنا الله عنه في شخصية مريم ، وامرأة فرعون ، وما حدّثنا التاريخ عنه في شخصية خديجة الكبرى(رض) وفاطمة الزهراء(ع) والسيّدة زينب ابنة علي(ع) .

...إن المواقف التي تمثلت ، في حياة هؤلاء النسوة العظيمات ، تؤكد الوعي الكامل المنفتح على القضايا الكبرى التي ملأت حياتهن على مستوى حركة القوة في الوعي والمسؤولية والمواجهة للتحدّيات المحيطة بهن في الساحة العامة .. وقد لا يملك الإنسان أن يفرّق بأيّة ميزة عقليّة ، أو إيمانيّة ، في القضايا المشتركة بينهن وبين الرجال الذين عاشوا في مرحلتهن .

...وإذا كان بعض الناس يتحدّث عن بعض الخصوصيات غير العاديّة في شخصيات هؤلاء النساء ، فإننا لا نجد هناك خصوصية إلاّ الظروف الطبيعية التي كفلت لهن إمكانات النمو الروحي والعقلي والإلتزام العملي بالمستوى الذي تتوازن فيه عناصر الشخصية بشكل طبيعي في مسألة النمو الذاتي . ولا نستطيع إطلاق الحديث المسؤول القائل بوجود عناصر غيبية مميزة تخرجهن عن مستوى المرأة العادي ، لأن ذلك لا يخضع لأي إثبات قطعي ، مع ملاحظة أن الله ، سبحانه وتعالى ، تحدّث عن اصطفاء إحدى النساء ، وهي مريم ، عليها السلام، من خلال الروحانية التي تميّزها والسلوك المستقيم في طاعتها لله . وهذا واضح في ما قصّه الله من ملامح شخصيتها ، عندما كفلها زكريّا ، وعندما واجهت الموقف الصعب في حملها لعيسى عليه السلام، وفي ولادتها له .

...وإذا كان الله قد وجهها من خلال الروح الذي أرسله إليها فإن ذلك لا يمثل حالة غيبيّة في الذات بل يمثل لطفاً إلهياً في التوجيه العملي والتثبيت الروحي ، على أساس ممارستها الطبيعية للموقف في هذا الخط من خلال عناصرها الشخصية الإنسانية التي كانت تعاني من نقاط الضعف الإنساني في داخلها ، تماماً كما هي المسألة في الرجل في الحالات المماثلة .. وهذا يعني أننا لا نجد فرقاً بين الرجل والمرأة

عند تعرّض أيٍّ منهما للتجربة القاسية في الموقف الذي يرفضه المجتمع من دون أن يملك فيه أي عذر معقول ؛ الأمر الذي يخرج فيه الموقف عن القائمة المتمثلة فيه من حيث القيمة الإجتماعية السلبية في دائرة الإنحراف الأخلاقي (1).

---

(1) تأملات إسلامية حول المرأة ص 8 – 9 ط سنة 1413 هـ ق.

...وحين أثير النقد القوي ضد هذا التصريح الذي يشمل فاطمة ومريم عليهما السلام وغيرهما، وكتب المرجع الديني الشيخ التبريزي حكمه القاطع ببطلان هذا القول ، وقال :" ما يكتب وينشر في إنكار خصوصية خلقها وظلامتها ، فهو داخل في كتب الضلال (1).

...أجابه ذلك البعض بقوله :

..." إن المقصود من الظروف الطبيعية التي كفلت النمو الروحي والعقلي للسيدة الزهراء(ع) وغيرها من النساء الجليلات هو مثل تربية النبي (ص) للزهراء(ع) وتربية زكريا لمريم(ع) .

... أما المقصود من عدم وجود عناصر غيبية ، فهو أن أخلاقياتها، وعناصر العظمة فيها كانت باختيارها ، ولم تكن حاصلة من أمر غيبي غير إختياري .

...ولا ينافي ذلك حصول بعض الكرامات لها ، وهي ما زالت جنيناً في بطن أمّها ، أو بنزول الملك عليها .ثم إننا ذكرنا في ختام الحديث الذي ذكره السائل : أن الله أعطى هؤلاء النساء–وكان الحديث عن مريم–لطفاً منه ، بحيث يرتفع بهن إلى الدرجات العليا . وهذا هو معنى "العصمة" ، ولكن السائل حذف ذلك ، واقتطع من النص ما يناسب سؤاله" (2).

...ونقول :

1 . إن هذا الإعتذار من البعض لا يتلاءم مع قوله :" لا نستطيع إطلاق الحديث المسؤول القائل بوجود عناصر غيبية مميزة تخرجهن عن مستوى المرأة العادي" .

---

(1) الجواب الخامس من الإستفتاءات المقدمة للتبريزي حول مقولات البعض، كما كتب ما يشبه ذلك كل من أية الله الشيخ بهجت وآية الله الشيخ فاضل اللنكراني .

(2) أجوبة ذلك البعض على المرجع الديني الشيخ التبريزي ، الجواب الخامس .

...إذ أن حصول بعض الكرامات لها وهي ما زالت جنيناً في بطن أمّها ، وكذلك كونها نوراً ، وكونها حوراء إنسية ، وكونها لا تبتلى بالطمث ، وكونها قد ولدت من ثمرة الجنة ، ونزول الملك ليحدثها ، وكذلك مريم ، التي كانت {كلما دخل عليها زكريا المحراب وجد عندها رزقاً، قال يا مريم أنى لك هذا

قالت هو من عند الله يرزق من يشاء بغير حساب}(1)، وغير ذلك أمور غيبية وميزات وكرامات لا تتلاءم مع القول بأنها :لم تخرج عن مستوى المرأة العادي .

...2 . وأما ما ذكره من انه قد ذكر في الفقرة الأولى أن الله أعطى مريم لطفاً منه بحيث يرتفع بها إلى الدرجات العليا .. وهذا هو معنى العصمة .. وان السائل قد حذف ذلك، واقتطع من النص ما يناسب سؤاله ..

...أما هذا الذي ذكره .. فلا يصلح الإعتماد عليه ، لأن الفقرة التي تحدثت عن مريم ليس فيها : أن الله أعطاها لطفاً منه يرتفع بها إلى الدرجات العليا .. بل فيها ما يظهر منه النفي لهذا الأمر ؛ لأنها قد ذكرت : أن الله وجّهها بواسطة الملك (الروح) الذي أرسله إليها ، –وجّهها– كيف تتصرف وثبّتها حين واجهت المشكلة فيما يرتبط بولادتها عيسى عليه السلام ، أي أن الملك قد ثبّتها وعلمها كيف تمارس الموقف بصورة طبيعية لتخرج من المأزق الذي وجدت نفسها فيه ..

...فأراد لها أن تتصرف بصورة طبيعية "من خلال عناصر ها الشخصية الإنسانية التي كانت تعاني من نقاط الضعف الإنساني في داخلها" .

...3 . إذن قد أصبح واضحاً أن وجود ملك يرشد مريم(ع) ، ويثبتها في أزمتها لا ربط له بعصمتها وإن كانت العصمة لطفاً–على بعض الأقوال–، كما لا يعني أن غيرها من النساء اللواتي ذكرهن قد كان لهن ملك يرشدهن ويثبتهن .

...4 . إن هذا الإعتذار لو صح ، فإن على هذا البعض أن يلتزم بوجود ملك يرشد ويثبّت زينب ابنة علي(ع) وكذلك سائر النساء اللواتي ذكرهن في حديثه في الكلام المذكور آنفاً .

---

(1) سورة آل عمران الآية 37 .

...5 . وأخيراً فان تربية النبي(ص) للزهراء (ع) ، وزكريا لمريم عليهما السلام ، لا يصح الإعتماد عليه في إعطاء الضابطة التي نشأ عنها استبعاد "الحديث المسؤول القائل بوجود عناصر غيبية مميزة تخرجهن عن مستوى المرأة العادي" ، على حدّ تعبير ذلك البعض .

...إذ أن ذلك لا يشمل خديجة بنت خويلد ، ولا آسية بنت مزاحم، إلاّ إذا قيل أن أبويهما كانا من الأنبياء ، أو الأوصياء أيضاً .. ولو سلمنا ذلك بالنسبة لآسية ، ولم نناقش في الرواية التي تحدثت عن ذلك ، فلا شك في أن خويلداً لم يكن نبيا ولا وصيّا .. كما هو معلوم ..

...

...121 . علي عليه السلام يبين حاله .

...122 . علي(ع) يطلب من الله أن يغفر ذنوبه وخطاياه .

...123 . يدا علي(ع) تقترفان الذنوب .

...124 . قلب علي(ع) يكسب الآثام .

...125 . الذنوب تقصم ظهر علي (ع) .

...126 . الأجواء توقظ غرائز علي(ع) .

...127 . غرائز علي (ع) تغلب عقله .

...128 . علي (ع) يقع في المعصية .

...129 . علي(ع) يعد الله بأنه سيتراجع عن خطأه
وإساءته ومعصيته .

...130 . علي(ع) يطلب من الله أن لا يفضح ما اطلع
... عليه من سرّه .

...

...وفيما يرتبط بلغة الحديث مع علي(ع) نجد أن البعض حين يشرح دعاء كميل، ليقرأه كل راغب حتى غير المسلم الذي يريد أن يتعرف من خلاله على نظرة المسلمين إلى إمامهم باعتبارهم اعرف الناس به وبشؤونه وحالاته .

...فإذا رجع أحدٌ مّا إلى كتاب هذا البعض فسيجده يقول عنه :

... " فلأن الله سبحانه وتعالى هو خير مرجو واكرم مدعو فان الإمام علي (ع) يقسم عليه بعزته أن لا يحجب عنه دعاءه بسبب مما اقترفته يداه من الذنوب ، أو بما كسب قلبه من الأثام . وكأن لسان حال الإمام (ع) في كل ذلك :

...يا رب أنت العزيز الذي لا يذل ، وأنا الذليل أمامك ، وأنت الرب الرحيم ، أنا أدعوك وأتضرع إليك ، أريد منك شيئا واحدا ، وهو أن لا يحجب عنك دعائي وهو في طريقه إليك ، ولا تجعل ذنوبي تمنع عنك دعائي ، فالمهم عندي بمكان أن يخرج دعائي من قلبي ويصل إليك. إجعل قلبي ودعائي منفتحا عليك ، لأن دعائي إذا وصل إليك فإنك تتقبل الدعاء ، لأنك " خير مرجوّ "،و " أكرم مدعوّ "

...ويتابع الإمام (ع) ببيان حاله قائلا :

..."ولا تفضحني بخفي ما اطلعت عليه من سري " يا رب هنالك الكثير من الأشياء التي أقوم بها من دون أن يراني أحد ، أو أتكلم بشيء ولا يسمعني أحد ، وأنت الساتر الرحيم . فيا رب ، لا تفضحني في الدنيا وفي الآخرة ، وأعدك بأني سأتراجع عن خطئي وإساءتي ومعصيتي"(1).

وقال :

..." فلسان حال علي يقول أنت يا ربي أهل التقوى والمغفرة أي بيدك أن تغفر وتتوب ، وتسامح، لا بيد

أحد سواك ، وحدك المؤهل لأن تتجاوز عن السيئات ، والأخطاء والمعاصي ، فلذلك أنت الرب الرحيم ، الحنان ، المنان ، المفضل المعطي ، الجواد الكريم ، الشفيق العطوف ، .... بينما أنا يا رب أنا أهل للعذاب ، استأهل العذاب ، لأني في مقام العاصي ، والمذنب ، والمقصر بحقك وواجباتك .
ولذلك يا رب أسألك بحق محمد وآل محمد أن تحاسبني بما أنت أهل له، لأن في ذلك نجاتي ولا تؤاخذني بما أنا أهل له لان في ذلك خسراني وعذابي "(2).
..."ماذا نشعر ونحن نرى علياً (ع) يسأل المغفرة تلو المغفرة ، ثم لا يكتفي بذلك بل يتجاوزه إلى سؤال شفاعة الله سبحانه وتعالى له. ...ألا تشعر : أن علياً (ع) لا يزال خائفا ، ولا سيما أن الذنوب والخطايا التي طلب من الله سبحانه وتعالى أن يغفرها له ، هي من الذنوب الكبيرة التي يكفي ذنب واحد لينقسم الظهر منها"(3).
...وقال أيضا :

---

(1) –في رحاب دعاء كميل ص159.
(2) –المصدر السابق ص 276/275
(3) –المصدر السابق ص94

..." فالإمام عليه السلام يقول : يا رب ، لقد خلقت لي هذه الغرائز ، ومن حولي أجواء تثير هذه الغرائز ، تستيقظ غرائزي عندما تحف بها الروائح والأجواء الطيبة التي تثيرها .
...أعطيتني عقلا ولكن غرائزي في بعض الحالات تغلب عقلي فأقع في المعصية "(1) .
...وقد ذكرتني الكلمة الأخيرة بما يذكر ذلك البعض عن يوسف وامرأة العزيز ، من أنه يندفع إليها كما يندفع الجائع إلى الطعام بصورة لا إرادية (أو إرادية) حسب تصريحه في مجلس آخر . وفي نص آخر قال : إنه (ع) عزم على أن ينال منها ما كانت تريد نيله منه ...

الفصل الثالث

الإمامة والتشيع

...

بداية :
...إن الأمور التي تشير إلى –أو تدل على– ما يرمي إليه البعض في حديثه عن الإمام والإمامة، وعن

الشيعة والتشيع، كثيرة ومتنوعة، والمكتوب منها كثير وخطير، فكيف بالمسموع في النوادي، والمدارس، والسهرات، والمجالس .

...ولأجل ذلك، فإننا نوكل ذلك إلى الأجزاء اللاحقة من هذا الكتاب، حيث لا بد من الإختصار، والإقتصار على نماذج تعطي صورة عن الإتجاه الفكري العام، وعما تحتله هذه الشؤون الحساسة فيما يراد له أن يأخذ موقعه في عقل وفكر الناس، وتكون له آثاره على مواقفهم، وحتى على مواقعهم..

...فإلى ما يلي من صفحات، ومن الله نستمد القوة والحول، ومنه نطلب السداد والرشاد.

...131 . الشيعة في قفص الإتهام .

...

...ثم إن ذلك البعض يشير بطريقته الخاصة إلى أن الشيعة هم الذين اعتبروا أنفسهم مجتمعاً يختلف عن غيرهم.. وكأن الآخرين هم الأساس، الذي فصل الشيعة أنفسهم عنه، وبالتالي، فإنهم قد نأوا بأنفسهم عن معونة أهل السنّة ونصحهم ، على عكس ما كان من عليّ أمير المؤمنين عليه السلام تجاه الخلفاء– مع أنّه هو صاحب القضية معهم ، فصاحب القضية يتعاون ، ويقدم النصح والمشورة ، والشيعة لا يفعلون ذلك ، مما يوضح : أنهم أقل وعياً ، وأقل إسلامية من المتقدمين ، فهو يقول:

---

(1) –المصدر السابق ص 169

..."المسلمون في عصر الخلافة الراشدة (!!) كانوا أقرب إلى المواجهة الواقعية لمثل هذه المشكلة، بعدها ، عاش المسلمون أوضاعاً حادّة تحولت إلى حروب بين السنّة والشيعة ، ثم إلى حالة انفصال اعتبرت الشيعة نفسها مجتمعا يختلف عن مجتمع السنة، بينما كان الإمام علي–وهو صاحب القضية–يتعاون مع الخلفاء ، ويعطيهم المشورة والنصح ، بالرغم من رفضه للمسألة ، مما يعني: أن المتقدمين كانوا أكثر وعياً ، وأكثر إسلامية"(1).

...

...132 . الشيعة إرهابيون في المجال الفكري !

...133 . دعوة السنّة والشيعة إلى التنازل عما ورثوه .

...134 . الشيعة مصداق للآية: "انا وجدنا آباءنا على امة..".

...135 . لا يوجد نقد علمي عند الشيعة والسنة .

...136 . لا حرية إلا لمناقشة القضايا السنية .

...

...ثم هو يتهم الشيعة بالإرهاب الفكري ، وأنه ليست هناك أية حريّة في داخل المذهب الشيعي ، ويظهر

رغبته في تنازل الشيعة والسنة عما ورثوه .

...فهو يقول:

..." المشكلة هي أن السنّة لا يريدون أن يتنازلوا عن أي شيء مما ورثوه ، وأن الشيعة لا يريدون أن يتنازلوا عن أي شيء مما ورثوه ، بقطع النظر عما إذا كان ما ورثوه يخضع للبرهان أو للدليل أو لا يخضع ، لأن القضية في بعض أوضاعها :{إنّا وجدنا آباءنا على أمة وإنا على آثارهم مقتدون} (2) .

...لذلك لا نجد أية حرية في داخل المذهب السني لمناقشة القضايا السنية ، وليست هناك أية حرية في داخل المذهب الشيعي لمناقشة القضايا الشيعية.. الحرية المطروحة هنا وهناك هي مناقشة الآخر.. أما أن نناقش فكرنا في عملية نقد علمي فهذا ليس وارداً ، بل قد تجد هناك إرهاباً فكرياً هنا ، وإرهاباً فكرياً هناك"(3).

...

...137 . الخلاف بعد النبي لم يضر بالإسلام .

...138 . المسيرة الإسلامية لم تنحرف بعد النبي(ص) .

...

---

(1) أسئلة وردود من القلب، الطبعة الثانية ، ص83 .ومجلة المرشد العددان 3و4 ص 47 .

(2) سورة الزخرف الآية 23.

(3) للإنسان والحياة ص 195 الطبعة الثانية.

...ويتحدث عن خلافات الصحابة بعد النبي(ص) فيقول :

..." علينا أن نمارس خلافنا في الرأي كما مارسه الأولون ، فقد مارسوه فيما لم يكن الاختلاف مضرة للإسلام ، حتى سارت المسيرة الإسلامية في طريقها المستقيم"(1).

...ظاهر الكلام أن الصحابة لم يمارسوا خلافاتهم بصورة مضرة للإسلام ، فلم يكن اغتصاب بعضهم للإمامة مثلاً ضرراً على الدين ، ولا انحرافاً بل سارت المسيرة الإسلامية في طريقها المستقيم!!!

...

...139 . التشيع وجهة نظر في فهم الإسلام .

...140. إتهام الشيعة بأنهم انفصاليون ، لا يتعاونون مع إخوانهم ... ولا ينصحونهم .

...

...وهو يعتبر التشيع مجرد وجهة نظر ، في مقابل وجهة نظر أخرى هي التسنن ، ووجهة النظر عموماً : قد تكون خطأً ، وقد تكون صواباً.. كما أن وجهة النظر الأخرى كذلك . مع أن التشيع هو حقيقة

الإسلام ، وصريح هذا الدين ، فهو يقول :

..." وقد تكون القضية المطروحة هي أن لا يكون خط التشيع – فيما هو التشيع وجهة نظر في فهم الإسلام – حالة معزولة عن الواقع العام للمسلمين"(2).

...141 . الفكر الإلهي ! والفكر البشري .

...142 . الإمامة فكر بشري..!

...143 . كل التراث الفقهي والكلامي فكر بشري .

...144 . الحقيقة نسبية ..

...145 . بديهيات الإسلام فقط فكر إلهي .

...

...وهو يعتبر أن كل التراث الفكري والعقيدي والفلسفي، فكر بشري ، باستثناء البديهيات ، فإنها : فكر إلهي .

...ولا ندري كيف نفسر عبارة (فكر إلهي)، وما تحمله من جرأة على الذات الإلهية ، فهل الله يجلس ليوازن ويفكر ، ويقدم ويؤخر ، ثم يخرج بهذه النتيجة أو تلك؟

...ولنتوقف قليلاً أيضاً عند اعتبار ذلك كله فكراً بشرياً ..!!

...أما عباراته التي تضمنت ذلك فهي التالية :

---

(1) الندوة ج1 ص 439 .

(2) تأملات في آفاق الإمام الكاظم(ع) ص 94 الطبعة الأولى– دار التعارف .

..."..ونحن نعتقد : من خلال ذلك : أن كل ما جاءنا من تراث فقهي ، وكلامي ، وفلسفي ، هو نتاج المجتهدين والفقهاء والفلاسفة والمفكرين ، من خلال معطياتهم الفكرية ، ولا يمثل الحقيقة ، إلاّ بمقدار ما نقتنع به من تجسيده للحقيقة على أساس ما نملكه من مقاييس الحقيقة .

...وبهذا ، فإننا نعتبر : أن كل الفكر الإسلامي ، ما عدا الحقائق الإسلامية البديهية هو فكر بشري ، وليس فكراً إلهيّاً ، قد يخطئ فيه البشر فيما يفهمونه من كلام الله ، وكلام رسول الله(ص) وقد يصيبون .

...وعلى هذا الأساس ، فإننا نعتقد أن من الضروري جداً أن ننظر إلى التراث المنطلق من اجتهادات المفكرين ، أينما كانت مواقع تفكيرهم ، نظرة بعيدة عن القداسة في حياتهم ومؤهلاتهم الروحية والعملية في حياة الناس الآخرين ، فيمن يكون على مستوى المراجع أو الأولياء في تقواهم لله سبحانه وتعالى الخ.."(1).

...

...وقفة قصيرة :

...إن هذا البعض قد اعتبر كل التراث الفقهي والكلامي (أي العقائدي) والفلسفي هو نتاج أفكار المجتهدين ، وهو كله ليس إلهياً ، وإنما هو فكر بشري ، حتى الإمامة فإنها عنده من المتحول ، لأن النص لم يكن عنده صريح الدلالة بحيث لا مجال لاحتمال الخلاف فيه ،ولا موثوق السند إلى درجة لا يمكن الشك فيه (2)، فالإمامة إذن فكر بشري أيضاً ، لأنها بحاجة إلى الاجتهاد، وليست من البديهيات عند جميع المسلمين .

...هذا كله عدا عن أن كلامه الآنف الذكر صريح في انه يعتبر الحقيقة نسبية ، فلا يستطيع أحد أن يدعي أنه يملك الحقيقة كلها ، بل هو يملك منها بحسب ما يقتنع به من مقاييس الحقيقة..

...فقد يكون أمر مّا يمثل الحقيقة عند شخص ، –بحسب تلك المقاييس– ويمثل الباطل عند آخر بحسب المقاييس التي يملكها ذلك الآخر أيضاً .

---

(1) حوارات في الفكر والسياسة والإجتماع ص 480 .

(2) مجلة المنهاج العدد الثاني مقالة الألة والتجديد ص 60 .

...ونحن قد ناقشنا هذه المقولات في كتابنا " لماذا كتاب مأساة الزهراء ؟"، ونؤكد على القارىء الكريم أن يراجع ما كتبناه هناك ..

...غير أنّا نذكّر هنا بأن ما هو فكر إلهي عند هذا البعض، هو أمور يسيرة وعناوين محدودة جدّاً، عبّر عنها في بعض كتاباته بالثّابت، ويقابلها المتحوّل . فقال :

..." إن من الثابت : التوحيد، والنبوة ، والمعاد ، ومسلمات الشريعة، مثل : وجوب الصلاة ، والصوم ، والجهاد ، والحج، والزكاة ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وتحريم الزنا والسرقة ، والخمر ، والميسر، والنميمة ، واللواط ، والغيبة ، وقتل النفس المحترمة ، ونحوها مما لا يخرج عن دائرة العناوين العامة جداً ، دون تفاصيلها ، فإن التفاصيل تدخل في نطاق الإجتهادات الشخصية البشرية، غير الإلهية ، وهو ما عبّر عنه هذا البعض بالمتحول (1).

...ويقول :" المراد من الضروري الشيء البديهي الثابت بشكل طبيعي جداً ، وعفوي جداً، من دون حاجة إلى الإستدلال بين المسلمين، مثل وجوب الصلاة ، ووجوب الصوم ، ووجوب الحج ، ووجوب الزكاة ، كما ذكرنا . أما تفاصيل الصلاة ، وتفاصيل الصوم، أو الحج، أو الزكاة ، فهذه أمور يختلف فيها المسلمون ، ويحتاج فيها إلى أن يستدل بعضهم على بعض ، ليثبت قناعته من خلال ذلك ، وكل شيء يحتاج إلى الإستدلال بحسب طبيعته ، أو بحسب طبيعة الواقع العام ، باعتبار أن الناس يختلفون فيه

فهو أمر نظري"(2) .

...

...146 . "حديث الكساء المتواتر"، في سنده مناقشة!!

...

...سئل عن حديث الكساء الذي يفسر آية التطهير ، فجاء السؤال والجواب كما يلي:

..." س : ما صحة رواية أهل الكساء؟

...ج . " الرواية مشهورة ، ولكن بعض العلماء يناقش في سندها، باعتبار أن بعض رجال السند ضعاف"(3)....

---

(1) مجلة المنهاج العدد الثاني مقالة الأصالة والتجديد ص 60 .

(2) فقه الحياة ص 276 .

(3) مجلة الموسم عدد 21–22 ص 315.

...مع أن حديث الكساء متواتر وليس مشهوراً فقط ، وهذا مما لا يخفى على أحد من العلماء ، ولا معنى لأن يبحث في سند الحديث المتواتر، أما المشهور فإن للبحث في سنده مجالاً .

...

...147–سند حديث: "من مات ولم يعرف إمام زمانه"

... موضع نقد.

...

...أجاب البعض عن سؤال حول حديث النبي(ص):

..."س:...قال الرسول: من لم يعرف إمام زمانه مات ميتة جاهلية؟.

...ج: الواقع أن سند هذا الحديث ليس فوق مستوى النقد".(1)

...ومن الواضح : أن أبرز تجليات هذا الحديث قد كانت في موقف فاطمة الزهراء(ع) من أبي بكر، حيث ماتت وهي مهاجرة له، كما دلت عليه النصوص القاطعة، ولم تكن تعتبره إمام زمانها، ولا يمكن بحال أن يقال : إنها ماتت ميتة جاهلية، وهي التي يغضب الله لغضبها، ويرضى لرضاها.

...وهو من الأحاديث الثابتة المروية لدى أهل السنة والشيعة، وتجدهم به يستدلون، وعليه يعتمدون، على اختلاف مذاهبهم ومشاربهم.

...ولا ندري ما هو الداعي لإثارة الشبهة حول سند هذا الحديث؟! مع أن الأفرقاء قد تلقوه بالقبول كما ألمحنا إليه ؟!.. وذكرنا ذلك في كتابنا "مأساة الزهراء(ع)" .

...

...148. كانت قلوبهم مملوءة بحب الزهراء فكيف
نتصور أن يهجموا عليها .

...

...يقول البعض :

..." أنا ما قلت ما صار، قلت عندي تحفظ بأن الزهراء لها من المكانةفي نفوس المسلمين ما يمنع هؤلاء أن يتجرّأوا، لهذا لمّا جاب عمر هول الجماعة ليحرقوا البيت، أول ما قالوا له هني: قالوا: كيف تحرق بابهم إن فيها فاطمة(ع)، كيف نتصور إنه يهجموا عليها ويقوموا بهالشي، علامة إستفهام يا جماعة.."(2).

---

(1) كلام هذا البعض،ورد في شريط مسجل بصوته، وهو موجود لدى المؤلف برقم 32.
(2) كلام هذا البعض ورد في درس الثلاثاء وبثته إذاعة تابعة له،وهو في شريط مسجل بصوته رقم 22و39 موجود لدى المؤلف.

..." بعض الناس الفضلاء جاي يتكلم بأن قلب أبو بكر وعمر ممتلىء بحب الزهراء (ع).. أناشو كنت أقول أقول:إن جماهير المسلمين قلوبهم مملوءة بحب الزهراء لأنهم يحبون الزهراء حب كبير ولم .. طبعاً كيف يكون واحد قلبه ممتلىء بحب الزهراء وجاي يحرق البيت على أهل بيت النبوة، ويقول أخرجوا وإلا أحرقت عليكم البيت هذا .. قالوا إن فيها فاطمة قال وإن .. حتى لو كان هذا قلبه .."(1).

...وقد كان من المهاجمين: المغيرة بن شعبة، وخالد بن الوليد، وقنفذ، وعثمان بن عفان، وأسيد بن حضير، ومحمد بن مسلمة، وعبد الرحمن بن عوف، وآخرون غير هؤلاء .. وقد كانت قلوب هؤلاء جميعاً(!!!) مملوءة بحب الزهراء(ع) فكيف نتصوّر أن يهجموا عليها!!

...

...149 . إبعاد علي(ع) كان نتيجة فهم الكلام بطريقة معينة .

...150 . المسلمون(!!) فهموا ذلك .

...151 . الخطأ في إجتهاد أهل السقيفة .

...152 . مشكلتنا: أن حديث الغدير مروي بشكل مكثف .

...153 . ينبغي لأهل السنّة أن يناقشوا سند حديث الغدير .

...154 . كلمات النبي(ص) في الغدير، تجعل الشك
في أذهان الناس .

...155 . النبي (ص) لم يكتب كتاباً للأمة لأنه أراد
للتجربة أن تتحرك .
...ويقول البعض :
...أ – " إنطلق رسول الله(ص) ليؤكد مسألة القيادة من بعده ، حتى لا تكون حركة المسلمين في فراغ ، بعد أن ينتقل(ص) إلى الرفيق الأعلى .
...ولكن المسلمين فهموا القضية بطريقة معينة ، ففرضت الأوضاع الجديدة نفسها ، والتي أوجدوها خارج دائرة توجيهات رسول الله (ص)؛ فأبعد علي (ع) .."(2).
...فالفهم الخاطىء لكلام النبي(ص) كان هو السبب في إبعاد علي عليه السلام..
...ب . ولكنه يذكر في مورد آخر: أن سبب فهم المسلمين لهذا الأمر بطريقة معينة هو أن النبي (ص) قد تكلم بطريقة تخلي بأذهان الناس شك، فهو يقول :

---

(1) كلام هذا البعض قاله في درس الثلاثاء وبثته إذاعة محلية تابعة له وهو موجود لدى المؤلف في الشريط رقم 22 .
(2) للإنسان والحياة ص 257.

..." بيعة الغدير مما يذكره السنة والشيعة، لكن دخل بعض الناس على الخط ، كما يقرأ في كلمة (مولى): من كنت مولاه فعلي مولاه، يعني ناصره ، فالقضية ربما كانت من خلال طبيعة الكلمات مجالاً لأن النبي(ص) مثلاً ، بأذهان الناس يصير شك .
...أما لماذا لم يكتب النبي(ص) كتاباً ؟كان النبي ذاك الوقت يريد للتجربة أن تتحرك"(1).
...ج . وإذا ضممنا إلى ما تقدم حديث البعض عن سند حديث الغدير ، ودعوته أهل السنة للبحث فيه أيضاً ، فهو يقول في نطاق سؤال وجواب :
...سؤال :"يقول تاريخ الشيعة بأن رسول الله (ص) نصّب علياً (كرّم الله وجهه) على مشهد من (120) ألف مسلم ما بقي منهم إلاّ أربعة أو خمسة ، فهل هذا مقبول منطقياً؟
...جواب . عندما ندرس كيف تتبدل الأوضاع ، وكيف تتغير الأفكار وكيف تختلط الأوراق فإننا نجد بالتجربة الكثير من واقعنا ، والسبب في ذلك هو أن المؤثرات التي يمكن أن تتحرك في الواقع الإجتماعي أمام أية قضية لا تتحرك في المجرى الإجتماعي الذي يرضاه الناس أو يحبونه .
...فلا بد أن تتحرك الكثير من الأساليب والوسائل من أجل إبعاد القضية عن خطها المستقيم ولو بالقول .

(1) من شريط مسجل بصوته بتاريخ 14-10-1995.

...لقد قال رسول الله (ص) "من كنت مولاه فعلي مولاه" فهل أن معناه من كنت أحبه فعلي يحبه ومن كنت ناصره فعلي ناصره ، أو أن معناه من كنت أولى به من نفسه-وهو معنى الحاكمية- فعلي أولى به من نفسه ، فبعض الناس يقول هذا تصريح وليس تأكيداً . إنّ مشكلتنا هي أن (حديث الغدير) هو من الأحاديث المروية بشكل مكثف من السنة والشيعة ، ولذلك فان الكثير من إخواننا المسلمين السنة يناقشون الدلالة ولا يناقشون السند ، في الوقت الذي لا بد أن ندرس القضية من خلال ذلك أيضاً ، فعندما ندرس قصة الحسن والحسين(ع) نجد أن النبي(ص) ربّى لهم حبّاً في نفوس المسلمين وقد استطاعوا أن يعمقوا هذا الحب من خلال سلوكهم وسيرتهم . وكدليل على ذلك عندما انطلق الإمام الحسين(ع) وقد بايعه أهل الكوفة التقى (الفرزدق) في الطريق فقال له؟ (قلوبهم معك وسيوفهم عليك) ونحن عشنا أيها الأحبة ، الكثير من هذا في (العراق) وعشناه في (لبنان) ونعيشه في أكثر من موقع في العالم ، لأن مسألة الجماهير هي أنها تنطلق بانفعال وتتحرك بانفعال أيضاً . هذه هي المسألة التي تجعل هذا الواقع واقعا قريبا من المنطق"(1) .

...ف "مشكلة" هذا البعض إذن هي أن حديث الغدير مروي بشكل مكثف عند السنة والشيعة.. ورغم أن أهل السنة يناقشون في دلالة حديث الغدير فقط ، فإنه يتمنى عليهم أن يناقشوا السند بالإضافة إلى المتن..

...د . ومهما يكن من أمر ، فإن ذلك البعض نفسه هو الذي اعتبر قضية الإمامة من المتحول الذي لا صراحة فيه من حيث الدلالة إلى درجة عدم احتمال الخلاف فيه ، ولا موثوقاً سنداً إلى درجة عدم إمكان الشك فيه ، فهو يقول وهو يتحدث عن الثابت والمتحول داخل الثقافة الإسلامية:

(1) الندوة ج1 ص422.

..." هناك المتحول الذي يتحرك في عالم النصوص الخاضعة في توثيقها ومدلولها للإجتهاد ، ما لم يكن صريحاً بالمستوى الذي لا مجال لاحتمال الخلاف فيه ، ولم يكن موثوقاً بالدرجة التي لا يمكن الشك فيه، وهذا هو الذي عاش المسلمون الجدل فيه ، كالخلافة والإمامة،والحسن والقبح العقليين"(1). ...

...فالإمامة إذن تعاني من مشكلة ، إما في السند أو في الدلالة ، ولأجل ذلك اختلف المسلمون؛ فهم مأجورون فيما توصلت إليه اجتهاداتهم ، ولو أخطأوا في تلك الإجتهادات .

...

...وقفة قصيرة :

...ونحن قبل أن نتابع حديثنا نلفت النظر إلى النقاط التالية :

...1 . أمّا بالنسبة لأسانيد أحاديث الإمامة .. فنقول : إنها متواترة في موارد عديدة منها.. عند السنة والشيعة معاً، وصحيحة السند في موارد كثيرة أخرى عند السنة والشيعة أيضاً.. وحديث الغدير أيضاً من الأحاديث المتواترة ، كما لا يخفى على من لاحظ كتاب الغدير للعلاّمة الأميني ، وغيره من مؤلفات علماء هذا المذهب، وكذلك مؤلفات سائر المسلمين .

...فلا معنى للحديث حول هذا الموضوع ، كما لا معنى لاعتبار الإمامة من المتحول إستناداً إلى ذلك ، ولو جزئياً .

...2 . إن النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم ، قد أمره الله بتبليغ ما أنزله إليه في قوله تعالى :{وإن لم تفعل فما بلّغت رسالته}(2).

...فإذا كان قد تكلم بكلمات تستوجب الشك في أذهان الناس، فمعنى ذلك : أنه لم يبلغ ما أمره الله بتبليغه .

...فإمّا أنه تعمّد زرع الشكّ والشبهة في عقول الناس ، أو أنه لم يحسن التبليغ ، ولم يعرف الطريقة المناسبة التي يتحقق بها ذلك، وكلا الأمرين باطل لا يصح نسبته إلى النبي(ص).

...وفي كلا الحالين : كيف يصح أن ينزل الله سبحانه بعد إتمام الحجة في يوم الغدير الآية الشريفة التي تقول :

---

(1) – مجلة المنهاج عدد 2 .مقالة الأصالة والتجديد.

(2) – سورة المائدة الآية 67.

...{اليوم أكملت لكم دينكم ، وأتممت عليكم نعمتي ، ورضيت لكم الإسلام دينا}(1).

...فهل يصح –والعياذ بالله– أن يقال : إن الله سبحانه لم يكن عالماً بأن رسوله قد أوهم الناس وشكّكهم ، ولم يبلغهم ذلك ، ولم يمتثل أمره .. أم أن الله–والعياذ بالله– قد أراد أن يمتنّ على الناس بأمر وهمي لا حقيقة له ؟!..

...3 . إن فهم المسلمين للنص بطريقة معينة ، هل يعني : أن القصة كانت مجرد فهم واجتهاد خاطئ– ولم يكن ثمة تعمد إلى إبعاده عليه الصلاة والسلام؟!– وإذا كان ذلك نتيجة فهم خاطىء فالظاهر أنهم مأجورون على هذا الخطأ في الإجتهاد ..؟

...4 . إن هذا الفهم المعيّن للنص هل كان عامّاً للمسلمين كلّهم–كما هو ظاهر عبارته– وهل شمل هذا الفهم المعيّن عليّاً وسلمان ، وأبا ذر، والهاشميين وغيرهم .. أم اقتصر على فريق دون فريق ..؟!

...وماذا نصنع بقول القائل بعدما بايعوا علياً (ع) يوم الغدير :بخ بخ لك يا علي، أصبحت مولاي ومولى كل مؤمن ومؤمنة ؟!

...5 . وإذا كانت الإمامة لا بد فيها من ثبوت النص ، ثم وضوحه، فهل يعني ذلك : أن تصبح الإمامة فاقدة لكلا هذين الشرطين ، ويكون عدّها من المتحول قد وقع من أهله في محله؟! وذلك لأنها ليست من البديهيات عند بعض المسلمين ، منذ وفاة الرسول (ص) على حدّ زعم البعض ، فهي إذن فكر بشري قابل للإجتهاد وليس إلهيّاً على حدّ تعبير ذلك البعض أيضاً، كما تقدّم في مطلع هذا الفصل .

...ولسنا ندري هل أن وجود شبهة في أمر بديهي لدى البعض يجعل هذا البديهي من المتحول ، ومجرد وجهة نظر ؟ وبالتالي يجعله فكراً بشرياً ؟.. وهل إذا كانت هناك شبهة في مقابل البديهة تسقط البديهة عن بداهتها؟!

...نعم قد دل الدليل على أن من لم يقل بالإمامة–مع بداهتها–لشبهة طرأت عليه، لا لجحود وإنكار، يحكم بإسلامه .

الفصل الرابع

عقائد الإمامية وشعائرهم

...

...

...بداية :

...

---

(1) – سورة المائدة الآية 3.

...إننا نذكر في هذا الفصل بعض الشعائر والعقائد التي يناقش البعض في جدواها ، أو في صحتها ، أو يرى فيها نوعاً من التخلف ، ويعتبرها من الموروث ، الذي لا يتردّد في توجيه النقد القاسي واللاذع له ، إلى درجة يمكن أن يقال : إنها تتجاوز حدّ التشهير المهين ، ولا نريد أن نمعن في إفساح المجال هنا أمام الظنون في أن يكون الهدف هو استبعاد تلك الشعائر ، أو إسقاط أو زعزعة ثبات تلك العقائد بهذا الأسلوب .. بل نريد هنا –فقط– عرض نماذج يسيرة من تلك الأقاويل..

...ويبقى للقارئ أن يختار متابعة سائر ما سجّله ذلك البعض في هذا السياق ، ليصدر حكمه بعد ذلك على تلك المقولات ، وفق الضوابط والموازين المرضيّة والموثوقة ، والمعتمدة والمقبولة،عقلاً وشرعاً وعرفاً .

...أمّا البحث المشبع حول تلك الأقاويل ، فنتركه إلى فرصة أخرى ، لأن ذلك قد يثقل على القارئ ، الذي حصل منّا على وعد مسبق بأن لا يتعرض هذا الكتاب بأجزائه الثلاثة إلى البحث والإستدلال ، وإن كان يتوخى بعض التوضيح والتصحيح ، كلما يتبلور لدينا شعور بضرورة المبادرة إلى إلفات نظر القارئ الكريم إلى ذلك ، لسبب أو لآخر ..

...

...فإلى ما يلي من مطالب:

...

...156 . لا فائدة من مسك حديد قبر النبي (ص) .

...157 . الدعوة إلى تغيير الزيارات المرسومة .

...

...ومع أن النبي (ص) كان إذا قصّ شعره ، وزّع ذلك الشعر على أصحابه، وكان (ص) يؤتى بالأواني وفيها الماء ليضع يده الشريفة فيها كي يتبركوا بها ، وكان عرقه يؤخذ ويجعل في القوارير، وكانت فاطمة تتبرّك بتراب قبر حمزة عليه السلام ، فجعلت منه مسبحة لها .. إضافة إلىأن الصحابة كانوا يأخذون تراب قبر النبي (ص) للبركة إلى غير ذلك مما لا مجال لتتبعه واستقصائه ، وقد جمع حجة الإسلام والمسلمين الشيخ علي الأحمدي كتاباً ضخماً أسماه : التبرك (تبرك الصحابة والتابعين بآثار الأنبياء والصالحين) ، أورد فيه مئات النصوص الدالّة على ذلك ...

...نعم ... مع ذلك نجد البعض يتحدث عن فائدة التبرك بقبر النبي الأعظم(ص) فيقول :

..."ما الفائدة التي نستفيدها من أن نمسك الشباك ، أو نمسك الحديد .. فكما قلنا هذا ليس حراماً ، كما يقول الآخرون ، وليس ضرورياً ، فيمكن ترك ذلك"(1) .

...ويقول :" ليس من الضروري أن يذهب إلى قرب الضريح ولا يعني أن مسك الضريح، أنه يمسك جسد النبي، يكفي الزيارة من المسجد، وان يتصور الانسان حياته .

...وبهذا يمكن أن يحصل على ثواب الزيارة ، مع الإبتعاد عن القبر، وعن الزحام ، وربما تكون الزيارة أكثر ثواباً وأجراً" (2).

...ثم هو يدعو إلى تغيير الزيارات المرسومة ، فيقول:

..." قد ينبغي لنا أن نفكّر بالعمل على تجديد الزيارات المرسومة للنبي محمد(ص) ، أو للأئمة من أهل

البيت (ع) باعتبار حاجة المرحلة المعاصرة إلى تربية الأمة على المفاهيم الإسلامية التي تفرضها حاجة الحركة الإسلامية العالمية"(3).

...ونقول:

...لو سلمنا الحاجة الى تربية الامة على المفاهيم التي تفرضها الحاجة في هذه المرحلة ،فما الداعي الى الغاء الزيارات المرسومة التي تمثل ثوابت المذهب وتتحدث عنها ..

...158 . التعبد لقبر النبي والولي وتمثال المسيح(ع) .

...159 . صنمية لا شعورية للشخصيات المقدسة .

...160 . تعليق صورة علي (ع) صنمية .

...161 . قدّمنا للناس أشكالاً إعتبرناها طقوساً ومقدسات .

...162 . لا يخطر في بال أحد "الرحلة" في أجواء صاحب القبر .

...163 . تجميد الشخصية المقدسة في القبر أو التمثال .

...

...ويقول : "الإنسان وهو يحدق بالصورة قد ينسى حتى الإيحاءات التي يراد للصورة أن تنقلها ، أو حتى أنه ينسى كل القيم التي يعبر عنها صاحب الصورة ، أو كما هي الحال في تماثيل تمثيل السيد المسيح(ع) ، أو زيارة قبور الأنبياء والأولياء فيما هي التجربة مشتركة بين الإسلام والمسيحية" .

---

(1) مجلة الموسم العددان 21–22 ص 299 .

(2) مجلة الموسم العددان 21–22 ص 74 .

(3) تأملات في آفاق الإمام الكاظم (ع) ص 11.

..."فإنك حين ترصد وعي هؤلاء الناس للصورة ، للتمثال ، فإنك لا تجد في الغالب أن هناك وعياً للآفاق التي يمثلها صاحب الصورة أو التمثال ، فنجد أن الناس تتجه إلى القبر(قبر النبي أو الولي) لتقبل الضريح ، لتتمسّك به لتخاطب صاحب القبر بطريقة مادية لتتصوره وجوداً مادياً تخاطبه ، من دون أن يخطر في بال أحد البدء برحلة في أجواء صاحب التمثال أو صاحب القبر .

...إن هذا يمثل نوعاً من تجميد الشخصية المقدسة أو الشخصية المعظمة في هذا التمثال أو في القبر بحيث يتعبد الناس لا شعورياً للتمثال ، فحين يجلسون أمام تمثال السيدة مريم(ع) أو تمثال السيد المسيح(ع) أو حين يجلسون أمام قبر نبي أو ولي أو إمام ، فإننا نجد العنصر المادي هو الطاغي ، تماماً كما لو أنهم يتعبدون .

...لذلك أنا أتصوّر أن هناك نوعاً من الصنمية اللاشعورية الموجودة لدى المؤمنين من مسلمين

ومسيحيين للشخصيات التي يقدسونها من خلال هذه الأشكال التي قدمناها إليهم ، واعتبرناها طقوساً ومقدسات ، بحيث ينتقل الإنسان عن القيمة الدينية أمام الصورة المادية .

...وحتى مسألة تعليق الإنسان في صدره أيقونة ، حتى أن بعضهم يعلق صورة السيد المسيح ، أو العذراء ، ونجد عندنا من يعلق صورة الإمام علي ، أو صورة الإمام الخميني ، أو صورة بعض الشخصيات"(1).

...إنه يقول هذا، مع أننا – نحن شيعة أهل البيت – لم نزل طيلة مئات السنين نزور قبر النبي(ص) ، والأئمّة(ع) ، وقبور الأولياء والعلماء والصلحاء.. كما أن معظم المسلمين يزورون قبر النبي (ص) والأولياء عندهم ، ولم يصبح أحد عابداً لأحد منهم ، ولا أحسسنا بهذه المعاني التي نسبها إلى من يزور قبور النبي (ص) والأئمة عليهم السلام .

---

(1) مجلة المعارج عدد 28–31 ص 624 و 625.

...أضف إلى ذلك: أنه لايصح قياس المسلمين بالمسيحيين، فإن المسيحيين يعيشون حالة العبادة الشعورية.. أما المسلمون، فلا يعيشون حالة الصنمية أصلاً، بل هم يمتثلون أمر الله سبحانه، وما شرعه من علاقة عاطفية تجاه أنبيائه وأوليائه وأصفيائه، وخيرته من خلقه .

...

...164 . الإحتفال بشرب الخمر في عاشوراء .

...

...ثم إن هذا البعض يقول :

..." ثمّة أناس في العراق يحتفلون في عاشوراء بشرب الخمر ، فأي حزن على الحسين عندما يصبح الإنسان في غيبوبة . لقد كان البعض يشرب الخمر ليلة العاشر من المحرم من أجل الإحماء"(1).

...ولكنه اعتذر عن هذا الكلام في أجوبته على الشيخ التبريزي بأنه لم يقصد الشيعة في كلامه ، واليك نص عبارته :

..." لم أقصد الشيعة في كلامي الذي حرّفه المحرّفون ، بل قصدت بعض الناس في شمال العراق من غير الشيعة ، من أهل الفرق الباطلة ، وعلى هذا فان حساب هذا المحرف على ربّه يوم القيامة ؛ لأني ذكرت في العدد الثاني من منبر السبت : أن الشيعة لم يقوموا بذلك ، وأن لهم الأثر الكبير في تخليد قضية الحسين(ع) في العراق".

...ونقول: إن كلام هذا البعض مذكور في (منبر السبت) بتاريخ 20 حزيران 1996 بعين العبارة، ولم نجد فرقاً بينها وبين نقل السائل .

(1) نشرة منبر السبت بتاريخ 20-6-1996 .

...ونقول: كيف يصح هذا الإعتذار مع أن عبارة (من أجل الاحماء) انما تنطبق على خصوص الشيعة. ومن جهة أخرى: إن كلام هذا البعض مذكور في (منبر السبت) بتاريخ 20/ حزيران/ 1996 بعين العبارة ولم نجد فرقاً بينها وبين السائل. غير أننا رجعنا إلى كلامه في(منبر السبت)، العدد الثاني ، الموجود أيضاً بصورة معدلة في العدد الثاني من (رؤى ومواقف) ص 118 ، فوجدناه يذكر أن هؤلاء الناس "ربما لا يتبعون التشيع بالمعنى الصحيح"، وذكر أيضاً: " الحديث جاء عن مناطق تسيء إلى التشيع في عاشوراء"، وذلك يعني: أن مقصوده هو الشيعة الذين ليس لديهم التزام ديني.. وعبارته في (منبر السبت) العدد الثاني هي التالية :

..." .. قلت: إنه في بعض المواقع في العراق ومما يناسب القرى التي لها وضع خاص ، وفيها الكثير من الانحراف العقيدي ، فإن الناس هناك يعيشون هذا الجّو، وربما هم لا يتبعون التشيع بالمعنى الصحيح، ..

...ونحن نعرف أن العراقيين استطاعوا أن يجسّدوا شعائر أهل البيت(ع) ، ويجسّدوا روحيّة أهل البيت(ع) .

...وأعتقد أن الجوّ الذي انطلقت فيه مآتم أهل البيت(ع)، ومواكب أهل البيت(ع) هي التي حفظت الإسلام، في كثير من مواقعه.

...أنا لم أقل هذا عن النجف أو كربلاء ، أو الكاظمية ، إنّما جاء الحديث عن مناطق تسيء إلى التشيع في عاشوراء" (1).

...وأما عبارته التي نقلها السائل عن (منبر السبت)، فهي موجودة في العدد الصادر بتاريخ 20 حزيران 1996 بعين العبارة التي ذكرناها ، ولم يحرفها أحد كما ذكرنا، أما ما ذكره بعد ذلك، فهو لا يصلح تفسيراً لعبارته الآنفة الذكر، لأن غير الشيعة من أهل الفرق الباطلة لا يعنيهم الحزن على الحسين في عاشوراء ؛ ليقال: أي حزن على الحسين عندما يصبح الإنسان في غيبوبة؟.

(1) نشرة منبر السبت ، بتاريخ 29-6-1996 . تحت عنوان إنصاف العراقيين .

...وسيأتي كلامه عن الشهادة لعلي (ع) بالولاية في الإقامة للصلاة، وكلامه حول التكتف، وقول (آمين) في الصلاة في آخر هذا الجزء ؛ فانتظر ..

...165 . الإلتفات إلى الجانب الإنساني دون الرسالي

.....في قضية الحسين(ع) تخلّف .

...166 . تمثيل عاشوراء صنمية .

...

...سُئِلَ البعض عن الإجتماعات وتمثيل واقعة عاشوراء ، فكان له جواب مميز(!!) وذلك كما يلي :

...س : ... الإجتماعات والتماثيل ؟!

...ج : هذه صنمية . نحن الآن ليس عندنا شغل بالإمام الحسين (ع) بصفته الشخصية ، كما أنه هناك جماعة يؤلّهون الإمام علي (ع)، هل نحن يعني نقبل منهم ؟. نلعنهم ... "

...إلى أن قال :

..." نحن نخاطب الحسين من خلال دوره الرسالي ، ومن خلال ممارسته الشخصية للخط الرسالي الذي يدعو إليه ، فإذن لا يمكن لنا أن نغير صورة الحسين (ع) ونجعله مجرد شخص لا يوحي لنا إلا بالبكاء، ولا يوحي لنا إلا باللطم . لا ، إنما يوحي لنا بالحركة في سبيل الإسلام ، وبالحركة في سبيل تغيير أنفسنا ، الواقع قضية الحسين هو هذا .. وهذا الموجود عندنا من الإستغراق في قضية الحسين(ع) بعيداً عن الجانب الرسالي ، إنما هو تخلف . هذا ناشئ من انه أخذنا يعني الكثير من خصائص التخلف وغرقنا فيها و لا زلنا غارقين فيها "(1) .

... ثمّ يذكر أن عنصر المأساة لازم يبقى . فنبكي على الحسين حتى تبقى قضية الحسين خالدة .

...فيلاحظ : أنه يعتبر تمثيل قضية عاشوراء صنمية مع أنه كان قد دعا الى تمثيل عاشوراء في مسرحية وقد أعلن ذلك في مقابلة اجرتها معه جريدة السفير في عشرة محرم سنة 1417هـ (2).

وهو يعتبر ان الالتفات الى الجانب الانساني من قضية الامام الحسين (ع) مع غض النظر عن الجانب الرسالي منها تخلفاً، ثم هو يركز على الجانب الرسالي ، بعيداً عن صفته الشخصية ، وتجد الكثير من تصريحاته المشيرة إلى ذلك ، فلنقرأ معاً النص التالي أيضاً..

...

---

(1) مجلة الموسم العددان21و22 ص309و310 .

(2) – كتاب الندوة ج1 ص 460 – 461.

...167 . ذاتيات الحسين (ع) في زيارة وارث .

...168 . التوجه إلى الله مباشرة ، لا إلى الحسين(ع) .

...

...وفي شرح زيارة الإمام الحسين عليه السلام ، أعني (زيارة وارث).
نجده يقول : إنه لم يحدثنا عن آية ذاتية من ذاتيات الحسين(ع) وذاتية الحسين تمثل الكمال، ولكنه حدثنا عن عبودية الحسين لله سبحانه تعالى ، لذلك فإن الله يريدنا ألا نتوجه إلى الناس مباشرة بل أن نتوجه إلى الله مباشرة (1).
...1ً – إن هذا البعض يقول هذا مع أن الزيارة تشير إلى بعض ذاتيات الإمام عليه السلام أيضا ، فقد جاء فيها : " أشهد أنك كنت نورا في الأصلاب الشامخة والأرحام المطهرة لم تنجسك الجاهلية بأنجاسها ولم تلبسك من مدلهمات ثيابها " (2).
...أليس هذا حديثاً عن ذاتيات الحسين عليه السلام ؟!..
...2ً– ألايريد الله منا: أن نستشفع اليه بأنبيائه، وأوليائه.. فما معنى نفي التوجه الى الناس مباشرة؟.!..
...169 . التشنيع على اللطم في عزاء الحسين (ع)
...ويقول البعض : " هل نفكر أيها الأحبة كيف نضرب رقاب العدو ، وكيف نضرب رؤوس الأعداء بالمقدار الذي نفكر فيه كيف نضرب رؤوسنا وبأيدينا ؟ أي همّ هو الهمّ الكبير عندنا ؟ .. "
" القوم يتسلحون ، وأمريكا تعطيهم أقوى السلاح ليضربوننا ويقتلوننا... ونحن نتناقش : كيف لنا أن نضرب رؤوسنا ، ونجلد ظهورنا ، ونظل نلعن بعضنا بعضاً؟ والعدو يصب علينا كل لعنات التاريخ ... من كان صغيرا بهذا الحجم ، فليس من شأنه أن يتحدث عن الكبار ... "(3).

...170 . علي (ع) يشرب الخمر .
...ولا نريد أن نتهم البعض بما هو بريء منه ، ولكننا نقف متحيرين حين تتناهى إلى مسامعنا أخبار متضاربة حول اعتذاراته عن ذكر رواية في تفسير له ، تنسب إلى علي (ع) شرب الخمر . ونكتفي هنا بتسجيل واحدة من تلك الأعذار حيث سأله أحدهم:

---

(1) الندوة ج1 ص 312–313 .
(2) مفتاح الجنات ج 2 ص111 ، ومصباح المتهجد ص 664 .
(3) –فكر وثقافة العدد 17 الصفحة 4.

..." س : نسب البعض اليكم بأنكم تقولون : بأن آية: { ولا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى} نزلت في الإمام علي (ع).
...ج: "ناقشنا هذه المقولة الباطلة والمفتراة علينا اكثر من مرة. والذي صف حروف التفسير للطبعة

الجديدة لم يصف مناقشتنا لهذه المقولة، خيانة منه وكيداً وحسابه على الله سبحانه" ((هذه العبارات في اجوبته على أسئلة قدمت إليه وموقعة ومختومة بختمه بتاريخ 16/ج2/1410 هـ. ق)). ومرة أخرى قيل له: " روي عنكم أنكم ذكرتم في حلقات التفسير، رواية يرويها إخواننا من أهل السنة في أن الإمام علي (ع) كان يشرب، بدون أي تعليق من جنابكم" أي أنه ذكرها في تفسيره – بعنوان أنها سبب نزول آية: {لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى} ، ولم يعلق عليها ..

...فأجاب : " لم تذكر في تفسير (من وحي القرآن) الرواية المذكورة . وثانيا : فإن هذا الكلام قد دس في الطبعة الجديدة من قبل من كان يتولى صف الأحرف . وعندما يرى تفسير (من وحي القرآن)، في طبعته الجديدة ، فسوف ترون فيه مناقشة علمية من جميع الجهات حول هذه الرواية "(1).

...

...171–زيارة الناحية المقدسة للامام الحسين (ع) موضوعة .

...172– ذيل زيارة عاشوراء موضوعة أيضاً .

...

...ويقول البعض في سؤال وجواب جاء على النحو التالي :

...س: في الزيارة المعروفة (وخرجن ناشرات الشعور لاطمات الخدود) فكيف يمكن لبنات الرسالة أن يخرجن ناشرات الشعور؟

...ج : أولا : إن هذا المقطع هو من " زيارة الناحية " وهي زيارة موضوعة من قبل بعض العلماء لم يثبت –لدينا – صدورها عن الإمام الحجة (ع) فلم يثبت سندها عنه ، ولذلك فهي زيارة مفجعة تثير الشعور، ولكنها لا تمثل كلام الإمام خصوصا وأن مسألة خروجهن ناشرات الشعور شيء لا يمكن تصديقه في هذه القصة ، وإنما ذكرت إثارة للجو بلسان الحال ، أي أنهن لولا وجود الرجال الأجانب لنشرن شعورهن . "(2).

---

(1) –فكر وثقافة العدد 17 اصفحة 4 .

(2) –الندوة ج1 ص 456.

...وقد حكم أيضا على ذيل زيارة عاشوراء بأنه غير ثابت ، فقد سئل عن الادعية والزيارات التي ثبتت مصادرها عن الائمة الاطهار (ع) فقال في الجواب:

...هناك زيارة وارث وزيارة امين الله وهكذا زيارة عاشوراء بدون ذيلها... الذي قد يرى العلماء أنه من الزيادات الخ..

...ونقول :

...إن المبادرة إلى الحكم القاطع على زيارة الناحية بأنها موضوعة من قبل بعض العلماء ، في غير محله . وذلك للأسباب التالية :

...1ً- إن هذا البعض تارة يقول هي موضوعة ،ثم يلحق ذلك مباشرة بقوله "لم يثبت لدينا صدورها عن الإمام الحجة " .

...ومن المعلوم أن عدم ثبوت ذلك عنده لا يبرر الحكم القاطع عليها بأنها موضوعة من قبل بعض العلماء ..

...2ً-إن الفقرة التي هي مورد السؤال قد وردت في الزيارة المنقولة عن الشريف المرتضى رحمه الله(1)، وهي التي قال المجلسي عنها :

"والظاهر أن الزيارة من مؤلفات السيد والمفيد رحمهما الله . ولعله وصل إليهما خبر في كيفية الصلاة ، فان الاختراع فيها غير جائز "(2) .

...وقال أيضا :" الظاهر أنه من تأليف السيد المرتضى رضي الله عنه، قال في مصباح الزائر " زيارة بألفاظ شافية، يذكر فيها بعض مصائب يوم الطف يزار بها الحسين صلوات الله عليه، زار بها المرتضى علم الهدى رضوان الله عليه، وسأذكرها على الوصف الذي أشار هو إليه (3)".

...ولكن عاد المجلسي رحمه الله، وذكر نصاً آخر للزيارة يختلف عن النص الذي أورده السيد المرتضى، وقد ذكرت الفقرة السابقة فيها أيضا ... ولكنه استظهر منها أنها زيارة مروية وليست من تأليف أحد ... ثم احتمل أن يكون المرتضى قد أخذ هذه الرواية ثم زاد عليها ما شفى غليل صدره ، وأبان فيه عن مكنون سره ... واحتمل أيضا أن تكون رواية أخرى له خاصة به ..

---

(1) -البحار ج98 ص240 وأشار في الهامش الى مصباح الزائر ص 121-124.

(2) -البحار ج98 ص 251

(3) -البحار ج 98 ص 231 وأشار في الهامش الى مصباح الزائر ص 116 .

...وإليك نص عبارة المجلسي رحمه الله: " ... أقول : قال مؤلف (المزار الكبير) زيارة أخرى في يوم عاشوراء مما خرج من الناحية إلى أحد الأبواب ، قال : تقف عليه وتقول :السلام على آدم صفوة الله وخليفته، وساق الزيارة إلى آخرها مثل ما مر "(1).

...فظهر أن هذه الزيارة منقولة مروية ، ويحتمل أن لا تكون مختصة بيوم عاشوراء ، كما فعله السيد المرتضى .

...وأما الاختلاف الواقع بين تلك الزيارة وبين ما نسب إلى السيد المرتضى ، فلعله مبني على اختلاف الروايات .

...والأظهر أن السيد أخذ هذه الزيارة ، وأضاف إليها من قبل نفسه ما أضاف "(2).

...3ً- وأما بالنسبة لاستبعاد أن تكون النساء قد خرجن من الخدور ناشرات الشعور ، كما ورد في الزيارة الناحية والتشكيك في الزيارة استناداً إلى ذلك ، فلا يصلح أساساً للتشكيك ، وذلك لأن ظروف الحروب الضارية ربما توجد حالة من الذعر والإندهاش ، تؤدي بالنساء أن يخرجن على حالة لا يخرجن عليها في الظروف العادية . والنساء اللواتي حضرن كربلاء من مختلف القبائل العربية ، وقد يكون فيهن نساء يسرع إليهن الخوف ، ونساء أكثر صلابةً وثباتاً، فلم يكن كل من حضر من النساء في كربلاء في مستوى زينب عليها السلام من حيث المعرفة والصلابة والثبات .

...وبعد كل ما تقدم فإننا لا نستطيع قبول هذا الحكم القاطع من ذلك البعض على هذه الزيارة بالوضع . ونظير هذا كلامه على (ذيل) زيارة عاشوراء بعد ثبوته عن الأئمة عليهم السلام من دون مبرر ظاهر .وكيف يثبت لديه أول الزيارة ولم يثبت لديه ذيلها مع أن الذي اثبتها هو سند واحد ثبت به فقرات هذه الزيا ة جميعاً

...

...173. الإعتراض على النبي في الحديبية كان وعي الصحابة !!

...174 . عدالة الصحابة .

...175 . نفي جرأة أحد على النبي (ص)

...176 . لا سلبية من الصحابة تجاه النبي (ص)

...

---

(1) -المزار الكبير ص 171.

(2) - البحار ج98 ص 328 .

... ومما يدل على نظرته إلى الصحابة قوله : " نلاحظ أن ليس هناك في التاريخ شخصية اتفق عليها المسلمون كشخصية النبي (ص) . ولم يحدث هناك أية سلبية حيال النبي في كل واقع الإسلام "(1) .

...والملفت للنظر: أن هذا النص بعينه قد ذكر في كتاب الندوة ج2 ص 376، لكن فقرة :"ولم يحدث هناك أيّة حالة سلبية تجاه النبي في كل واقع الإسلام"، قد حذفت، مع أن هذه الفقرة قد ذكرها في سياق حديثه عن التحريف وإدانته علما أن كتاب الندوة انما هو عبارة عن مجموع المحاضرات التي ألقيت في دمشق وطبعت في نشرة فكر وثقافة كما هو

واضح لمن راجع هذا الكتاب.

...مع أن بعض الصحابة قد نفروا الناقة برسول الله (ص) ليلة العقبة؟ ورفضوا تجهيز أسامة ؟ وقال

بعضهم عنه (ص) : إن النبي ليهجر؟
والكل يعلم ماذا جرى له (ص) مع بعضهم في يوم الحديبية .
...وإن كان هذا البعض قد اعتبر اعتراض من اعترض على النبي (ص) مظهراً عدم تسليمه لما يقرره الرسول (ص) وعن شكه في صوابية تصرفاته (ص) –اعتبر البعض ذلك – وعي الصحابة !!
...مع أن من اعترض معروف ومحدد ، ولا يمكن نسبة ما صدر عنه إلى الصحابة ، كما لا يمكن اعتبار ذلك وعياً !!
...يقول ذلك البعض " لا يمكن لأية قيادة إسلامية أن تقدم التنازلات للأعداء ، حتى إن ذلك كان وعي الصحابة في عهد الرسالة، عندما كان النبي يقدم التنازلات التكتيكية لمصلحة الخطة الإستراتيجية ، فان المسلمين كانوا يقفون ويقولون : إننا لا نعطي الدينة في ديننا . وإننا كنا لا نتنازل لهم قبل الإسلام ، فكيف نتنازل لهم بعد أن أعزنا الله بالإسلام(2)" .

...177 . المعصوم يخطئ في الترجمة .
...178 . تعبير المعصوم ليس دقيقا .
...179 . الأحاديث القدسية مترجمة .

---

(1) –نشرة فكر وثقافة – الصفحة 2 بتاريخ 1997/6/27
(2) –الانسان والحياة ص 318 .

...يقول البعض عن الأحاديث القدسية :" لعلها هي الأحاديث تمثل ما كان ينزل على الأنبياء السابقين ، ونقل عن النبي (ص) ، وعن الأئمة(ع) .. الظاهر هكذا "(1).
...ثم يقول عن الحديث القدسيّ :"عبدي أطعني تكن مثلي تقول للشيء كن فيكون" :
..." إن الأحاديث القدسية قد تكون منطلقة مما بقي لنا من الكتب السابقة ، إمّا من الكتب التي بقي لنا بعضها ، كالإنجيل ،و التوراة ، وإما من الكتب التي لم تبق لنا في كيانها الكتابي ، مثل صحف إبراهيم عليه السلام ، أو ما يقال عن صحف إدريس (ع) ، وما إلى ذلك .
...ومن الطبيعي أنّ هذه الأحاديث على تقدير صحتها ، ترجمت من اللغة الأصلية التي نزلت بها إلى اللغة العربية ، وقد لا تكون الترجمة دقيقة في الكثير من الحالات ، لأن المترجم قد ينقل معنى الكلمة في اللغة ، ولكن من الصعب أن ينقل أجواء اللغة ، فلكل لغة أجواؤها ، ولكل لغة إيحاءاتها وطريقتها في التعبير ، ولذلك من الصعب جدّاً أن نجد ترجمة دقيقة لأي أثر فكري ، سواء كان دينياً أو غير ديني .

...معنى الحديث

---

(1) مجلة الموسم عدد 21-22 ص 315 .

...وفيما أفهمه من هذا الحديث ، فإن الله، يقول للإنسان ، أطعني ، فإنّك إذا أطعتني ، قربت إليّ ، وإذا قربت إليّ كنت مهيئا ، لأن أعطيك ما تريد ، فأنا على كل شيء قدير ... ومن الممكن أن أجعلك تقول للشيء :كن فيكون ، كما جعلت ذلك لعيسى (ع) ، عندما أبرأ الأكمه، وشفى الأبرص ، وأحيى الميت ، ولكن ليس معنى ذلك أن الطاعة تستلزم هذه القدرة وليس كل من أطاع الله حصل على هذه القدرة ، ولكنها قد تكون كناية على أن الإنسان ، إذا أطاع الله كما يجب أن يطيعه في قدرته ، كان ولياً لله ، ومن كان ولياً لله فان الله يمكن أن يعطيه القدرة التي يستطيع من خلالها أن يقول للشئ :كن فيكون ... وليس من الضروري أن يكون تعبير " مثلي " دقيقا ، لأن الإنسان – وحتى الأنبياء – عندما يمارسون القدرة ، فإنما يمارسونها بإذن الله { وأبرئ الأكمه والأبرص وأحيي الموتى بإذن الله} فالله تعالى ليس كمثله شيء ، لذلك كلمة " مثلي " ليست دقيقة ، وأظن أنها تحمل خللاً في الترجمة . "(1)

...ويقول عند سؤاله أيضاً :

...س : ما هو رأيكم في الحديث القدسي المشهور " عبدي أطعني تكن مثلي تقول للشيء كن فيكون" ؟

---

(1) -الانسان والحياة ص329-330

...ج : " فيما أفهمه من هذا الحديث فان الله يقول للإنسان أطعني فانك إذا أطعتني قربت إلي وإذا قربت إلي كنت مهيئاً لأن أعطيك ما تريد، فأنا على كل شيء قدير ، ومن الممكن أن أجعلك تقول للشيء كن فيكون، كما جعلت ذلك لعيسى (ع) عندما كان يبرئ الأكمه والأعمى بإذن الله ويحيي الموتى بإذن الله...، فمن الممكن جداً أن الطاعة تستلزم ذلك أي الحصول على هذه القدرة ، ولكنها قد تكون كناية عن أن الإنسان يجب أن يطيع الله كما أطاعه بقدرته (كن ولياً لله) ومن كان ولياً فان الله يمكن أن يعطيه القدرة التي يستطيع بواسطتها أن يقول للشيء كن فيكون ، لكن ليس من الضروري أن يكون تعبير (مثلي) دقيقا لأنه عندما يمارسون ذلك فانهم يمارسونه بإذن الله { أبرىء الأكمه وأحيي الموتى بإذن الله } { ليس كمثله شيء } لذلك فكلمة مثلي ليست دقيقة (1).

...وواضح أنه لا معنى لإدعاء الخطأ في الترجمة إذا كان الحديث قد قاله المعصوم. لأن المعصوم إنما ينقل الحديث الصافي والمبرئ والسالم عن أي عيب أو خطأ. ولا ينقل الخطأ على أنه الحقيقة ، ولأن المعصوم ليس صحفيا يأخذ من الكتب .

...180 . اطلب من الله أن يشفع علياً فيك.

...181 . يا محمد ، يا علي ، شرك في العبادة .

...

...وهو يقول :

..." وكما قلنا فان الشرك في العبادة ،هو أن تدعو غير الله ، حتى الأنبياء والأئمة ،لا يمكن أبداً أن تدعوهم بمعنى أن تقول : يا الله، يا محمد ، هذا لا يجوز " .

...نعم أن تتوسل بمحمد ليشفع لك إلى الله هذا لا يضر . أن تقول: " يا الله يا علي بالمعنى الذي تقول به : يا الله .. هذا لا يجوز .. نعم أن تطلب من الله أن يشفّع عليا بك لقربه منه ، ولأنه يشفّع أولياءه فهذا لا يضر".(2)

...ونقول :

---

(1) – الندوة ج1 ص 353.

(2) في رحاب دعاء الإفتتاح ص 76، ويمكن مراجعة الندوة ج1 ص 312–313 .

...إن هذا هو نفس قول الوهابيين ، وتلك هي كتبهم مشحونة برمي الشيعة بالكفر والشرك من أجل ذلك ..ولأجل ذلك ينكر هذا البعض دعاء التوسل مع أنه يقال أنه مروي عن أهل البيت .

...182 . الله لا يريدنا أن نتوجه الى أحد من الناس

...183 . الشفاعة بالشكل وليست حقيقية .

...184 . لا معنى للتقرب للأنبياء ، والأوصياء لأجل شفاعتهم .

...ويقول البعض :

..." لذلك فإن الله يريدنا ألا نتوجه إلى الناس مباشرة ، بل أن نتوجه إلى الله مباشرة وأن يكون الناس أولياء ، لاحظوا مثلا في " دعاء يوم الخميس " { وجعل توسلي به شافعا } شفّعه فيّ ، أن تختزن في نفسك أن النبي (ص) لا يملك الشفاعة في نفسه بل تجعله شفيعا أمام الله وتطلب من الله أن يشفعه فيك ، فمعنى ذلك وكما في أدب أهل البيت لنا أن الشفاعة عندما تطلبها فإنك تطلبها من الله { واجعله شفيعا مشفعا } أي أن يكون شفيعا تشفعه فالله سبحانه وتعالى الذي يجعل الأنبياء شفعاء { ولا يشفعون إلا لمن ارتضى } –الأنبياء 28 – { ولا تنفع الشفاعة إلا من أذن له الرحمن } ولذلك فإن بعض الناس إذا ذبح

ذبيحة للسيدة زينب أو للعباس أو للحسين أو طعاما تصور أنه عمل بطريقة (أطعم الفم تستحي العين) (1) " .

...ثم هو يقول:

... إن الشفاعة إنما هي بالشكل فقط ، وليست حالة وساطة بالمعنى الذي يفهمه الناس في علاقاتهم بالعظماء حيث يلجأون إلى – الأشخاص الذين تربطهم بهم علاقة مودة أو مصلحة أو موقع معين ليكونوا الواسطة في إيصال مطالبهم وقضاء حوائجهم عنده –

...ثم يقول بالحرف :

" إن الشفاعة هي كرامة من الله لبعض عباده فيما يريد أن يظهره من فضلهم في الآخرة فيشفعهم في من يريد المغفرة له ، ورفع درجته عنده، لتكون المسألة –في الشكل – واسطة في النتائج التي يتمثل فيها العفو الإلهي الرباني ، تماما كما لو كان النبي السبب ، أو الولي هو الواسطة " .

...إلى أن قال :

---

(1) – الندوة ج 1 ص 313 .

..." وفي ضوء ذلك لا معنى للتقرب للأنبياء ، والأولياء ، ليحصل الناس على شفاعتهم ، لأنهم لا يملكون من أمرها شيئا بالمعنى الذاتي المستقل . بل الله هو المالك لذلك كله على جميع المستويات ، فهو الذي يأذن لهم بذلك في مواقع محددة ، ليس لهم أن يتجاوزوها . الأمر الذي يفرض التقرب إلى الله في أن يجعلنا ممن يأذن لهم بالشفاعة له " .(1)

...ويقول ابن عبد الوهاب عن الشفاعة المنفية عنده هي التي"تطلب من غير الله فيما لا يقدر عليه إلا الله" إلى أن قال :" والمثبتة هي التي تطلب من الله، الشافع مكرم بالشفاعة .... الخ "

...ويقول ابن عبد الوهاب أيضاً:" فالشفاعة كلها لله فاطلبها منه، وأقول اللهم لا تحرمني شفاعته، اللهم شفعه فيّ. وأمثال هذا، فإن قال: النبي (ص) أعطي الشفاعة وأنا اطلبه مما أعطاه الله، فالجواب: إن الله أعطاه الشفاعة ونهاك عن هذا، وقال: فلا تدعوا مع الله أحداً.. الخ".(2)

...

...وقفة قصيرة :

...إننا لا نريد هنا بحث موضوع الشفاعة ، ولكننا نلمح إلى بعض الأمور بصورة عابرة ، فنقول :

...1 . إن الكل يعلم : أن لا أحد يدعو محمداً صلى الله عليه وآله ، أو علياً عليه السلام ، أو أي نبي أو ولي ، كوجودات منفصلة عن الله تعالى ، ومستقلة عنه بالتأثير ، ولم تحدث في كل هذا التاريخ الطويل أن تكونت ذهنية شرك عند الشيعة نتيجة لذلك ، فضلاً عن غيرهم .

...2 . إننا نوضح معنى الشفاعة في ضمن النقاط التالية :

...أ . إن الإنسان المذنب ، قد لا يجد في نفسه الأهلية أو الشجاعة لمخاطبة ذلك الذي أحسن إليه ، وأجرم هو في حقّه ، أو هكذا ينبغي أن يكون شعوره في مواقع كهذه ، فيوسط له من يحل مشكلته معه ، ممن لا يرد هذا المحسن طلبهم ولا تخيب مسألتهم ..

---

(1) من وحي القرآن ج 25 ص 66و67 .

(2) -كشف الارتياب ص 194-195 طبعة سنة 1411هـ

...ب . إن الله إنما يريد المغفرة للعبد المذنب ، بعد شفاعة الشفيع له .. ولم تكن تلك الإرادة لتتعلق بالمغفرة لولا تحقق الشفاعة .. فلو أن الشفيع لم يبادر إلى الشفاعة لكان العذاب قد نال ذلك العبد المذنب .

...وهذا كما لو صدر من أحد أولادك ذنب ، فتبادر إلى عقوبته ، فإذا وقف في وجهك من يعز عليك ، وتشفع به ، فانك تعفو عنه إكراما له ، وان لم يفعل ذلك ، كما لو لم يكن حاضراً مثلاً ، فانك ستمضي عقوبتك في ذلك الولد المذنب لا محالة ..

...فالشفاعة على هذا سبب في العفو ، أو جزء سبب له.

...إذن فليس صحيحا ما يقوله البعض من أن الله تعالى له قد تعلقت إرادته بالمغفرة للعبد قبل الشفاعة ، بحيث تكون المغفرة له حاصلة على كل حال ، ثم يكرم الله نبيه ويقول له : هذا العبد أريد أن أغفر له ، فتعال وتشفّع إلي فيه ..

...ج . إذا كان الشخص المذنب قد أقام علاقة طيبة مع ذلك الشافع، وتودّد إليه ، ورأى منه سلوكاً حسناً ، واستقامة وانقياداً ، فان الشافع يرى أن من اللائق المبادرة الى مساعدته في حل مشكلته، أما إذا كان قد أغضبه وأساء إليه أو تعامل معه بصورة لا توحي بالثقة، ولا تشير الى الإستقامة، فإنه لا يبادر الى مساعدته، ولا يلتفت إليه .. فسلوك المشفوع له أثر كبير في مبادرة الشافع إلى الشفاعة .

...د . وحين يكون الشفيع لا يريد شيئاً لنفسه من ذلك الشخص ولا من غيره ، ويكون ما يرضيه هو ما يرضي الله سبحانه ، فان تقديم الصدقات والقربات للفقراء ، والإهتمام بما يرضي الشافع هو في الواقع إثباتات عملية على أن ذلك المذنب راغب في تصحيح خطأه وتدارك ما فاته، وهو براهين وإثباتات على انه قد التزم جادة الاستقامة ، وندم على ما فرط منه ، فإذا قدم مالا للفقراء ، أو أطعم أو ذبح شاة ،وفرقها على المحتاجين ، فان ذلك لا يكون رشوة للنبي ، أو الولي .. وهو يعلم أن النبي والولي لا يأخذ ذلك لنفسه ، بل يعود نفعه إلى الفقراء والمحتاجين ، أو يستثمر في سبيل الله ، وفي نشر الدين ، والباذل

إنما يبذل ذلك رغبة في الحصول على رضا الشافع ، الذي رضاه رضا الله.

...هـ . أما إذا أدار ذلك المذنب ظهره للنبي وللوصي ، ولم يلمس الشافع منه أنه يتحرق لتحصيل العفو ، والرضا عنه ، ويقرع كل باب ، ويتوسل بكل ما من شأنه أن يحل هذا الإشكال ، ويبادر إلى العمل بكل ما يعلم أنه يرضي سيده عنه ، فانه لا يشفع له ، ولا كرامة ..

...و . ومن الواضح : أن من يكون جرمه هائلاً وعظيماً ، فان إمكانية وفرص الإقدام على الشفاعة له تتضاءل وتضعف ..

...فلا يضع النبي والوصي نفسه في مواضع كهذه ، ولا يرضى الله سبحانه له ذلك ..

...كما أن من يدير ظهره لأولياء الله ، ولا يهتم لرضاهم ، ولا يزعجه سخطهم ، فإنه لا يستحق شفاعتهم قطعاً ، لأن الإهتمام بهم وبرضاهم جزء من عبادته تعالى ، ومن المقربات إليه ، وموجبات رضاه..

...فالتوسل إليهم ، والفوز بمحبتهم وبرضاهم سبيل نجاة ، وطريق هدى وسلامة وسعادة .

...ز . إن من الواضح أن المجرم لا يمكن أن يتشفع في مجرم مثله ، وأن المقصر لا يتشفع بنظيره ، لأن الشفاعة مقام عظيم ، وكرامة إلهية . فلا يقبل الله سبحانه شفاعة كل أحد ، بل الذين يشفعون هم أناس مخصوصون بكرامة الله سبحانه ، لأنهم يستحقونها ..

...ح . قد ظهر مما تقدم : أن إرادة الله لم تكن قد تعلقت بالمغفرة للمذنب قبل الشفاعة ؛لتكون شفاعة النبي أو الوصي بعدها –بالشكل– ومن دون أن يكون لها تسبيب حقيقي ..

...بل هناك تسبيب حقيقي للشفاعة ، فإنها هي سبب المغفرة ، وهي سبب إرادة الله بان يغفر لذلك المذنب ،ولو لم يقم الشافع بها لم يغفر الله لذلك المذنب.

...ولولا ذلك ، فانه لا يبقى معنى للشفاعة .. ولا يكون العفو إكراما للشافع ، واستجابة له ، وقد نجدفي حديث الرسول(ص) ما يفيد هذا المعنى فهو يقول :"إدّخرتُ الشفاعة لأهل الكبائر من أمتي"، حيث لم يقل إدّخرها الله لأهل الكبائر من أمتي ..

...

185... الصراط أمر رمزي .

186... اللوح المحفوظ أيضاً قد يكون رمزيّاً .

...

...يقول البعض :

..." والظاهر أن الكلمة لا تعبر عن شيء مادّي، فلم يرد في القرآن الحديث عن الصراط إلاّ بالطريق أو الخط الذي يعبّر عن المنهج الذي يسلكه الإنسان الى غاياته الخيّرة أو الشريرة في الحياة، وبذلك يكون الحديث عن الدقّة في تصوير الصراط في الآخرة كناية عن الدقة في التمييز بين خط الإستقامة وخط

الإنحراف، فمن استطاع أن يعرف الحدّ الفاصل بينهما وأخذ بالحق الخالص من الباطل سار الى الجنة ومن اختلف عليه الأمر وأخذ بالباطل سار الى النار، ومن خلال ذلك يطلق على الأنبياء والأولياء كلمة الصراط المستقيم باعتبار أن خطّهم هو الخط المستقيم الذي أنعم الله على السائرين عليه في مقابل الخط المنحرف الذي غضب الله على السائرين عليه من المتمردين والضالين"(1).

...ويُسأل هذا البعض :

... ما معنى قوله(ص) "الصراط أحدّ من السيف وأدقّ من الشعرة"؟

...فيجيب:

---

(1) المعارج المجلد السادس السنة الثامنة ص368 .

..."لو صحّ هذا الحديث فالمقصود قد لا يكون الجانب المادّي طبعاً، فالإنسان عندما يمشي على الصراط المستقيم مع كل هذه الإلتواءات والإنحرافات يكون مسيره دقيقاً جدّاً كدقّة الشعرة وكحد السيف لأنه إذا لم يكن دقيقاًفلا يمكنه أن يعرف أو يتفهم الفرق بين الخط المنحرف والخط المستقيم فيقع في الهاوية وهذا كناية عن ذلك وهناك من يحمله على الواقع المادي بحيث يكون هناك خيط طويل أحدّ من السيفو أدقّ من الشعرة فمن كان مؤمناً سار عليه بشكل طبيعي ومن لم يكن مؤمنا اهتز ووقع في النار، والله العالم"(1).

...وقال في أجوبته على المرجع الدّيني الشيخ التبريزي :

..."ليس القول بأن الصراط أمر رمزي قولاً بغير علم ، بل هو ناشئ من الإستفادة من الآيات القرآنية، مع الأخذ بعين الإعتبار المقارنة مع الروايات التي ترد على نحو الإستعارة، لا على النحو المطابقي، الذي يلحظ فيه المعنى الحقيقي"(2).

...ويقول عن اللوح المحفوظ :

..."ربّما تكون الكلمة رمزاً لما عند الله سبحانه.. "(3).

...ونقول :

...كنّا نتمنى أن يذكر لنا تلك الآيات والروايات التي استفاد منها رمزيّة الصراط، وكيف؟! .. وكنّا نتمنى أن لا يفتح باب الرمزيّة على مصراعيه، لأن ذلك قد يطال الكثير من المفردات الدينية والإيمانية، خصوصاً ما يتعلق منها بالغيب وكل ما هو غيبي، ومن جملة ذلك ما يرتبط بالآخرة .. والجنة والنار، وما الى ذلك .

...

...187 . إغلاق ملف البداء من عقائد الشيعة .

...188 . الإشكال في البداء تعبيري .

...189 . لنسقط عقائدنا تلافياً للحملات الظالمة .

...

...ثم إن ذلك البعض يدعو إلى إخراج عقيدة البداء من عقائد الشيعة، تفادياً للحملات الظالمة ، ويعتبر أن الخلاف في هذا الموضوع تعبيري لا معنوي ، فهو يقول :

---

(1) – الندوة ج1 ص382 .

(2) – أجوبة البعض على فتاوى المرجع الديني الشيخ التبريزي ، الجواب رقم 14 .

..." ولعل أفضل طريقة شيعية للتعبير عن معنى البداء لدى الشيعة ما ذكره الشيخ المفيد في أوائل المقالات بقوله :" أقول في معنى البداء ما يقوله المسلمون بأجمعهم في النسخ وأمثاله من الإفقار بعد الإغناء والإمراض بعد الإعفاء والإماتة بعد الإحياء وما يذهب إليه أهل العدل خاصّة من الزيادة في الآجال والأرزاق والنقصان منها بالأعمال. فأما إطلاق لفظ البداء فإنما صرت إليه بالسمع الوارد عن الوسائل بين العبد وبين الله عزّ وجلّ ، ولو لم يرد به سمع أعلم صحّته ما استجزت إطلاقه كما انه لو لم يرد على سمع بان الله تعالى يغضب ويرضى ويحب ويعجب لما أطلقت ذلك عليه سبحانه . ولكنه لما جاء السمع به صرت إليه على المعاني التي لا تأباها العقول ، وليس بيني وبين كافة المسلمين في هذا الباب ، وإنما خالفهم من خالفهم في اللفظ دون ما سواه وقد أوضحت من كلمتي في إطلاقه بما يقصر معه الكلام وهذا مذهب الإمامية بأسرها ، وكل من فارقها في المذهب ينكره على ما وصفت من الإسم دون المعنى ولا يرضاه .

...وإنني أرى أنه لا بد من إغلاق ملف الحديثو عدم إدخاله في تفاصيل عقيدة الإمامية ، لأن الإشكال فيه تعبيري لا معنوي ، وقد كانت هناك تعبيرات صادرة عن الأئمة (ع) في مواجهة بعض الأفكار المطروحة في زمانهم ضد اليهود ، أو لحالات معينة ظرفية، ليكون الحديث عنها مقتصرا على مواقع الجدل في تفسير أحاديث الأئمة (ع) التي وردت فيها هذه الكلمة مقارنة بالأحاديث التي وردت فيها الإشارة إلى المعنى الظاهر منها لتتفادى من خلال إبعاد عنوان البداء عن خط العقيدة –كما هو الصحيح– مواجهة الحملات الظالمة التي يشنها البعض على الشيعة ، وليستنبطوا من بعض الكلمات أن الشيعة يبررون بالبداء ما يصدر عن الأئمة (ع) أو منهم بطريقة معينة ، ثم يصدر منهم أو من الأئمة بطريقة أخرى مخالفة لها تماماً ، كما يتحدثون –بنفس الأسلوب– عن عقيدة الشيعة في التقية ، لأن الإصرار على الكلمات الموحية في ظاهرها بغير ما نعتقده ، هو إصرار على أمر لا ضرورة فيه بل

قد يكون فيه ضرر كبير على العقيدة والمذهب ، ونحن نعرف أن الكلمات قد تموت في زمن المستقبل بعد أن كانت حية في الزمان الماضي ، لأن الظروف التي اقتضت استعمالها في هذا المعنى أو ذاك حقيقة أو مجازاً ، تغيرت وتبدلت مما يعني تغيّر وسائل التعبير عن المعاني في حركة التطور في التعبير"(1).

...وقفة قصيرة :

...ونقول : هل كل عقيدة تشن الحملات الظالمة علينا من أجلها يلزم أن نتخلى عنها ؟! وماذا سيبقى من هذه العقائد والشعائر في نهاية الأمر ؟! وماذا لو كان البعض يشن حملات ظالمة على الإسلام نفسه فهل نتخلى عنه أيضا .

---

(1) المعارج المجلد السادس، السنة الثامنة العدد 28-31 ص352و353.ومجلة الفكر الجديد، مقالة:مع المفيد في تصحيح الإعتقاد ص 37و38 .

...على أنه تحسن الإشارة إلى أن هذا البعض قد ذكر أن الشيخ المفيد قد أشار إلى الفرق الجوهري بين عقيدة الشيعة في البداء وعقيدة غيرهم ، حيث قال أهل العدل خاصة بالزيادة في الآجال والأرزاق ، والنقصان منها بالأعمال(1).

...هذا وقد روي عن الإمام الصادق والباقر عليهما السلام :"ما عبد الله تعالى بشيء مثل البداء"(2).

...

...190 . فكرة "التفضيل" إتعاب للفكر وإرضاء للزّهو .

...191 . التفضيل ليس جزءاً من العقيدة لا من الخط .

...

...والله سبحانه يقول :{ تلك الرسل فضّلنا بعضهم على بعض}..

...لكن البعض يقول :

..." فكرة تفضيل نبي على آخر ، أو تفضيل إمام على نبي ، كما قد يثار ذلك لدى بعض الفرقاء ، أو فيما يثار من تفضيل فاطمة الزهراء (ع) على مريم ، أو العكس، فإن هذا حديث لا يجني الخائض فيه أية فائدة على مستوى الدين أو الدنيا سوى إتعاب الفكر ، أو إرضاء الزهو الذاتي.." (3).

...ويقول :

..." هذه الأمور ليست جزءاً من العقيدة ، وليست جزءاً من الخط"(4).

...

...وقفة قصيرة :

...إن النبي (ص) والأئمة(ع) هم الذين تحدّثوا عن تفضيل أناس على غيرهم ، وكذلك القرآن حين قال :{ تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض } ، فهل كان ذلك إتعاباً للفكر ، وإرضاءً للزهو الذاتي ؟!.

...وإذا لم نستطع فهم فوائد بعض الأمور ، فهل يجوز لنا أن نبادر إلى التشكيك فيها ، وتسخيفها ، وردّها بهذه الطريقة ؟!.

...

192... ضرورة تأويل أحاديث الرجعة .

193... لا ضرورة للرجعة بمعناها المعروف .

...

...لقد حاول البعض إنكار الرجعة بمعناها الدقيق ، باعتبار عدم وجود مبررات كافية لها... فهو يقول :

---

(1) راجع: مع المفيد في تصحيح الإعتقاد ص 37 .

(2) سفينة البحار ج1 ص61 .

(3) من وحي القرآن ج5 ص15 .

(4) مجلة الموسم عدد 21-22 ص 303 .

..." ويحدّثنا الشيخ المفيد في كتابه في "أوائل المقالات"، عن اختلاف علماء الإمامية في تفسير معنى الرجعة التي اتفقوا عليها من ناحية المبدأ ، فقد كان جماعة من الشيعة يؤولون الأخبار الواردة في الرجعة على طريق الإستفاضة إلى رجوع الدولة ورجوع الأمر والنهي إلى الأئمة(ع) وإلى شيعتهم وأخذهم بمجاري الأمور دون رجوع أعيان الأشخاص كما نقل ذلك السيد المرتضى عن جماعة من الشيعة تأوّلوا الرجعة بذلك .

...وإذا كان محققو الشيعة قد رفضوا هذا التأويل لعدم لزوم محال عقلي في هذا الموضوع ، فإننا نتصور أن هؤلاء القوم لم ينطلقوا في تأويلهم من الإستحالة العقلية لأن الرجعة ليست أشد صعوبة من البعث ولكنهم انطلقوا من الفكرة التي تثير التساؤل حول ضرورة ذلك فإذا كان المقصود الإنتصاف للمظلومين من الظالمين وغلبة المحقين على المبطلين ، فإن ذلك حاصل في يوم القيامة ، وإذا كانت القضية هي إظهار الحق على الباطل ، وبسط العدل في الكون فإن وجود الدولة المهديّة الشاملة كفيل بذلك ، وإذا كانت المسألة تحقيق الأمنيات في دولة الحق للمؤمنين وشفاء غيظهم من معاصريهم من المبطلين فيما يمكن أن تحققه الرجعة من حصول الأماني وشفاء الغيظ ، فإن يوم القيامة يحقق ذلك بأعظم مما يحدث من خلال الرجعة لأنه يتصل بالمصير الأبدي في النعيم والشقاء .

...إن المسألة ليست مرتبطة بالإمكان والإستحالة ، بل هي مرتبطة بالمبررات العملية الواقعية في

ضرورة ذلك ، مما يجعل التأويل أكثر قرباً للإلتزام بالأحاديث من إبقائها على ظاهرها ، لا سيّما عند مواجهة التحدّيات الفكريّة في هذه المسألة التي لا تمثل –في طبيعتها– أصلاً من أصول العقيدة "(1).

---

(1) مجلة الفكر الجديد ص 13 (مقالة مع الشيخ المفيد في تصحيح الإعتقاد) ومجلة المعارج ، المجلد السادس السنة الثامنة ص328و329 .

...مع أن عدم التمكن من فهم مبررات الرجعة ، وعدم قدرة البعض على مواجهة التحديات المعاصرة ، لا يخوّله تأويل الأحاديث التي قد تصل إلى مائتين وعشرين حديثاً ، بالإضافة إلى أدلة وشواهد عديدة أخرى ..

...وقد تحدّثنا عن هذا الأمر في كتابنا: مأساة الزهراء عليها السلام

ج1 ص103–106 فراجع .

...

...194 . المنطقة الجغرافية للعرش .

.....

...وحين يصل الأمر إلى ذكر(العرش) نجد أن البعض لا يبادر إلى اعتباره أمراً رمزيّاً كما فعل بالنسبة إلى الصراط المؤدي إلى الجنّة يوم القيامة ، بل اتخذ موقفاً آخر .. يقترب تارة ، ويبتعد أخرى .. قد جاء في ضمن سؤال وجواب ما يلي :

..." س : ما المقصود بالعرش ، وأين هو ؟

...ج : طبعاً هناك قول بأن المراد من العرش هو منطقة من مناطق السماء ، وهناك قول بان المراد من العرش إنما هو أعلى مرتبة ، يعني له جانب معنوي أكثر من جانب مادي .

...أما أين هو ؟ طبعاً ، ليس عندنا جغرافيّة السماء ، حتى نعرف المنطقة الجغرافية التي يقع فيها العرش"(1) .

...ويقول عن العرش أيضاً :" هو منطقة من المناطق التي تمثل أعلى منطقة"(2) .

...فالعرش إذن هو منطقة جغرافية ، فهل يمكن تفسير "استواء الله" في قوله تعالى :{الرحمن على العرش استوى} ... بالجلوس ، أو بالكينونة في تلك المنطقة ، أو عليها ؟!

...مع أنه من الواضح عند علمائنا الأبرار كافة: أن المقصود بآية : {الرحمن على العرش استوى} ، مقام القدرة والهيمنة الإلهيّة .

...

...195 . نفي النبوّة عن النبي(ص) قبل سنّ الأربعين .

...

---

(1) مجلة الموسم عدد 21-22 ص250 .
(2) للإنسان والحياة ص301.

...ومن الواضح : أن هناك روايات رواها السنة والشيعة تدل على أن النبي (ص) قد كان نبيّاً منذ ولد يكلمه الملك ويسمع الصوت ثم أرسله الله رسولاً للناس كافّة بعد أن بلغ الأربعين ، وكلمه الملك معاينة، ونزل عليه القرآن ، قال المجلسي رحمه الله : إن ذلك ظهر له من الآثار المعتبرة والأخبار المستفيضة ..(1)

...لكن البعض يقول : " النبوّة الفعلية لا بد لها من الوحي ، ومن التكليف الإلهي ، ولم يكلفه الله بالنبوّة إلا بعد أربعين سنة"(2).

...وقد كنا نتمنى أن يشير إلى تلك الآثار ، والأخبار المستفيضة ، ومن بينها ما هو معتبر وصحيح ، التي اعتمد عليها المجلسي وغيره ، خصوصاً وأن هذا الأمر يحتاج إلى التعريف والتوقيف ، و ليس هو من الامور التي يمكن ان تنالها العقول والأفهام ..

...

...196 . الولاية التكوينية شرك .

.....

...ويقول البعض :

..." رأينا في الولاية التكوينية – بحسب الدلالة القرآنية – هو أن الله يعطي القدرة للأنبياء من علم الغيب ومن المعاجز والكرامات ما يحتاجونه في نبوّتهم وإمامتهم ، ولم يعطهم أكثر من ذلك"(3).

...ويقول :

..." أنا من الناس الذين لا يرون الولاية التكوينية ؛ لأنني أتصور كل القرآن دليل على عدم الولاية التكوينية"(4).

...ويقول عن الولاية التكوينية :

..." الولاية التكوينية . نحن نقول ولاية تكوينية ، يعني بعض الناس يقول: انه يعني الأنبياء والأئمة مشاركين الله ، مثل ما الله ولي الكون هم أولياء الكون"(5).

...

...ونقول :...

---

(1) البحار ج18 ص277، وراجع كتابنا الصحيح من سيرة النبي الأعظم(ص) ج2 ص195-198 .
(2) نشرة فكر وثقافة بتاريخ 3-8-1996 ،ص2
(3) راجع أجوبة البعض على فتاوى المرجع الديني الشيخ جواد التبريزي، الجواب رقم 11 .
(4) المصدر السابق
(5) راجع الولاية التكوينية ص134للشيخ جلال الدين الصغير، عن شريط مسجل بصوت البعض، وقد استبدلنا الكلمات العامية بمشابهاتها الفصيحة.

...1 . لا يقول أحد من الإمامية بأن الولاية التكوينية تفويضية على النحو الذي أشير إليه في النص الأخير، فإذا كان هذا البعض قد درس الموضوع دراسة موسّعة فليدلّنا على قائل بهذا القول من الإمامية .

...2-ان هذا البعض نفسه قد كرر عند الكلام عن الحديث القدسي (عبدي أطعني) قوله: " ومن الممكن أن أجعلك تقول للشيئ كن فيكون كما جعلت ذلك لعيسى(ع) " ، وهو معنى الولاية التكوينية.
...ولكن ناقض هذا البعض نفسه!! فقال مرّة :
..."ومن الممكن أن أجعلك تقول للشيىء كن فيكون، كما جعلت ذلك لعيسى (ع)... ، فمن الممكن جدّاً أن الطاعة تستلزم ذلك أي الحصول على هذه القدرة".
...وقال أخرى:
..." ... ولكن ليس معنى ذلك أن الطاعة تستلزم هذه القدرة، وليس كل من أطاع الله حصل على هذه القدرة". ...

...3 . اذا كانت الولاية التكوينية تفويضية كما يقول ، فكيف كانت ممكنة عنده لعيسى(ع) أو لغيره من عبيد الله المطيعين .؟! وكيف صحت لعبيد الله المطيعين من غير المعصومين بينما منع من صحتها في حق الائمة الاطهار عليهم السلام ؟.
...ثم كيف لم تثبت الولاية التكوينية عنده بحسب الدلالة القرآنية -كما يقول - مع أن الله تعالى يصرّح في كتابه فيقول :{ إذ قال الله يا عيسى بن مريم اذكر نعمتي عليك وعلى والدتك إذ أيدتك بروح القدس تكلم الناس بالمهد وكهلا واذ علمتك الكتاب والحكمة والتوراة والانجيل واذ تخلق من الطين كهيئة الطير باذني فتنفخ فيها فتكون طيرا بإذني وتبرئ الاكمه والابرص باذني واذ تخرج الموتى باذني} وهذه الآية صريحة الدلالة على اعطاء الله تعالى لعيسى (ع) الولاية التكوينية.
...قد يقال: قد قيّد الله تعالى كل ذلك بإذنه ، فلا دلالة على ما
تقولون من أنه (ع) يتصرف باختياره من دون إذن الله .

...والجواب:

... أولا: لم ندعّ أن اصحاب الولاية التكوينية يمكن أن يفعلوا شيئاَ بغير إذن الله .

...ثانيا : قال الله تعالى { وما كان لنفس أن تؤمن الا بإذن الله } ففي هذه الآية دلالة على أن الفعل – وهو الايمان – مع كونه اختياريا ، فهو صادر عن العبد بإذن الله تعالى . فكذلك الافعال التي يقوم بها المعصوم صاحب الولاية التكوينية ، فهي مع كونها صادرة عنه بكامل اختياره (ع) ،كلها حادثة بإذن الله .

...4 . إن من يقرأ القرآن يدرك أنه لا يمكن أن يكون كله دليلاً على نفي الولاية التكوينية، بل في القرآن ما يدل على إعطاء الولاية التكوينية لمثل آصف بن برخيا ، الذي جاء بعرش بلقيس من اليمن قبل ارتداد الطرف .. ودعوى أن الله لم يعطه أزيد من مقدار الحاجة في دوره الموكول إليه تحتاج إلى دليل ، فان هذا المستدل نفسه يقول : إن النفي يحتاج إلى دليل كما إن الإثبات يحتاج إلى دليل .

...على انه لم نتبين كيف كانت حاجة سليمان في دوره النبوي لإحضار عرش بلقيس ، فهل كانت حاجته الإتيان بعرشها قبل ارتداد الطرف ، في حين أن عفريتاً من الجن كان قد عرض عليه أن يأتيه به قبل أن يقوم من مقامه .وكل هذا لا ربط له بالدور الظاهري لسليمان
النبي (ع) .

...5 . إن ذلك البعض قد ذكر في أجوبته على المرجع الدّيني الشيخ التبريزي : أن الله "لم يعطهم –أي الأنبياء والأئمة–أكثر من ذلك " أي أكثر مما يحتاجونه في نبوّتهم وإمامتهم .

...ولكنه حين بدأ يستدلّ على ذلك ، قال عن عيسى (ع): "وليس هناك دليل على أنه أعطاه غير ذلك في تدبير أمور الكون الأخرى ، كما أنها لا تدل على أنه أعطاه الكمال النفسي الذي يتصرف به في أمور الكون بإذن الله ، فان هذا وان كان أمراً ممكناً من حيث الثبوت، إلا أن الكلام في إثبات ذلك يحتاج إلى دليل" .

...فهو تارة ينفي عنهم ذلك بصورة قاطعة ،ويجعله من التفويض الباطل قطعا لرجوعه الى الشرك ، وتارة يعترف بالإمكان في مقام الثبوت من دون لزوم محذور ، ثم يدّعي بعد ذلك عدم وجود ما يدلّ على الإثبات! وثالثة يقر بجعل الولاية التكوينية كما أقر بذلك فيما يتعلق بعيسى (ع).

...6–وقول البعض في أجوبته على المرجع الديني الشيخ التبريزي(1):" وأما الأخبار الواردة في ذلك فهي ضعيفة سنداً ودلالةً" ، لا يصح لوجود روايات صحيحة وموثّقة ، فراجع كتاب : الولاية التكوينية: "الحق الطبيعي للمعصوم ص 112–121 ".

...وثمّة مناقشات لكلامه في هذا الموضوع من وجوه عديدة ، نسأل الله للتوفيق لإيرادها في دراسات

مستقلة .

...

الفصل الخامس

التوحيد – وأهل الكتاب

...

...بداية:

...

...إننا نذكر هنا نبذة من مقولات البعض التي ذكرها في كتبه ونشراته ومؤلفاته لكي نكون قد قمنا بواجبنا ، وليعرف الجميع : أننا حين كتبنا كتابنا : " مأساة الزهراء "لم يكن الدافع لنا هو مجرد الانفعال والتعصب لقضية تاريخية ، هامشية (!) أخطأ فيها من أخطأ ، وأصاب فيها من أصاب ... كما يقوله البعض ويروّج له آخرون . فإن نقاشنا مع صاحب هذه المقولات لا ينحصر في هذه القضية ، بل يتعداها إلى ما هو أعظم وأكبر، وأدهى وأخطر ....

...ونذكر هنا نماذج من مقولاته مما يرتبط بموضوع: التوحيد وأهل الكتاب .

...وسوف يجد القارئ الكريم أمامه مصادر ذلك كله مع ذكر رقم الجزء والصفحة، ليتمكن من الرجوع بنفسه إليها، من أجل الوقوف عليها ... وإذا أراد المزيد فسيجد في كتب ذلك البعض ما يريد . والموارد التي اخترناها هي التالية :

...

...197 . الإنجيل أكثره "على الأقل" كلام الله .

...198 . بعض المسلمين قد يقول بتحريف الإنجيل .

...

...البعض يعتبر أن هذا الإنجيل المتداول . أكثره –على الأقل – كلام الله ، فقد وجه إليه سؤال :

..." هل تعتبر الإنجيل الذي بين أيدينا كلام الله "؟ .

---

(1) الجواب رقم 11 .

...فأجاب :" هو على الأقل في أكثره كلام الله . لكن هناك جدل بين المسلمين والمسيحيين في بعض الأمور التي قد يختلف فيها المسلمون والمسيحيون .

...ربما يقول بعض المسلمين : أن هناك تحريفا، وربما يرد عليهم المسيحيون ذلك ، لكن لا إشكال أن الإنجيل الذي جاء به السيد المسيح أنزله الله سبحانه وتعالى"(1).

...ونقول:

...1-يلاحظ كلمة " على الأقل " فهل يريد أن يقول ان الإنجيل الموجود فعلاً، يحتمل أن يكون" كله كلام الله " ؟ .

...وليلاحظ أيضا قوله :" ربما يقول بعض المسلمين الخ..." . فهل بعض المسلمين فقط يقول ذلك؟ أم انهم جميعا يقولون بذلك؟ وهل يوجد فعلاً من المسلمين من يقول بعدم تحريف الإنجيل؟؟

...وهل أكثر هذا الإنجيل -على الأقل - هو كلام الله ؟

...ألا يعني احتماله أن يكون جميعه كلام الله أنه ليس في الإنجيل أي تحريف فضلا عن أن يكون كله من التأليف؟! .

...2-إن المسيحيين أنفسهم يصرحون بأن هذه الأناجيل هي من تأليف من هي بأسمائهم . واليك بعض كلماتهم حول ذلك :

...أ - " إن النظرية السائدة بين العلماء في الوقت الحاضر : أن إنجيل مرقس كان أقدم إنجيل كتب . وأن متّى ولوقا أسسا كتابيهما جزئيا على مرقس .... وجزئيا على مصادر أخرى غير معروفة حصلا عليها ."(2)

...ب - " إن مرقس هو المرجع الأكبر لمتّى ولوقا ، لأن إنجيل مرقس هو على العموم الكرازة الشفوية ، التي أراد الكرازة البشريون كتابتها"(3)

---

(1) في آفاق الحوار الإسلامي المسيحي ص285 .

(2) - تفسير الكتاب المقدس ج 5 ص 10 تأليف جماعة من اللاهوتيين .

(3) -المصدر السابق ج 1 ص 118

...ج - " حسب التقليد المبكر جدا ، المسلم للكنيسة ، فان القديس يوحنا كتب إنجيله تحت إلحاح شديد ومتواصل من رجال الكنيسة .... وبهذا يقول التقليد : إنهم اضطروا يوحنا لكتابة إنجيله بعد أن تعهدوا بالصوم والصلاة ... إذن فسرُّ الإلحاح على القديس يوحنا لكتابة إنجيله واضح ، لأن بلبلة الأفكار بسبب مهاجمة الهراطقة للإيمان المسيحي الخ ..." .(1)

...د - " ويذكر هو- أي لوقا- انه كتب هذا الإنجيل بعد بحث دقيق ، إذ كانت ظروف طيبة ، ولا بد

أن موارده كانت جيدة " .(2)

...هـ – أسفار الكتاب المقدس هي عمل مؤلفين عرفوا بأنهم لسان حال الله في وسط شعبهم ، ظل عدد كبير منهم مجهولا ... " (3)

...و – وقال لوقا في أول إنجيله :" إذ كان الكثيرون – قد أخذوا في إنشاء رواية للأحداث التي جرت فيما بيناه ، على حسب ما سلمها إلينا الذين كانوا منذ البدء شهود عيان ، ثم صاروا خداما للكلمة رأيت أنا أيضا – بعد إذ تحققت بدقة جميع الأشياء من البدء، أن أكتبها إليك بحسب ترتيبها أيها الشريف ، ثاوفليس ، ولكي تعرف جيداً قوة التعليم الذي وعظت به " (4)

...

...199 . الإسلام يلتزم مقدسات أهل الكتاب .

...

...وفي محاولة لتقديم اغراءات، هي في الحقيقة عبارة عن تنازلات، نجد البعض يقول :

..." إن المسلمين عندما يطلقون المسألة الإسلامية للجمهورية الإسلامية في أي مكان فانهم ينطلقون من الخط القرآني الذي يعترف بأهل الكتاب ، ويدعو أهل الكتاب إلى كلمة سواء ، ويلتزم مقدسات أهل الكتاب ولا يلغيهم ".

...فهل يلتزم الإسلام بثالوث أهل الكتاب أم يقبل بإنجيلهم ، وتوراتهم ، ؟ . أم بكنائسهم وبيعهم ؟ أم بغير ذلك مما يظنون قداسته كما هو ظاهر كلامه ؟

---

(1) – مدخل لشرح انجيل يوحنا ، للأب متّى المسكين ص 52 و53.

(2) – تفسير العهد الجديد لوليم باركلي ، انجيل لوقا ص 11.

(3) – مدخل الى الكتاب المقدس ، للأباء اليسوعيين ص :خ

(4) –العهد الجديد ، مطبعة البوليسية سنة 1980 جونية لبنان ص 107.

...أما قوله تعالى :{ قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم : أن لا نعبد ألا الله} . فلا يعني أنه يقول عنهم : انهم موحّدون. كما يزعم هذا البعض بل هو يدعوهم إلى قبول هذا التوحيد فلا يعبدوا غير الله ، ولا يشركوا به عيسى ولا غيره .. وقد صرّح القرآن بمقولتهم هذه كما سيأتي ..

...

...200 . الثالوث المسيحي لا إشكال فيه .

...

...وينقل المطران الياس عودة في مقدمة كتاب :"تحدي الممنوع" عن ذلك البعض قوله :" ... وهو لا

يتردد في الإشارة إلى الفرق بين المعنى الظاهري لعقيدة الثالوث المسيحية ، وهو الذي يثير التساؤلات والمعنى اللاهوتي والعميق لها "(1) .

...وكتاب " تحدي الممنوع " يتبناه ذلك البعض ويلتزم به ، وقد وضع كلام المطران عودة في مقدمته ، وقد اسند المطران هذا الكلام إلى ذلك البعض ولم يعترض عليه .

...إذن فالمعنى اللاهوتي العميق للثالوث لا يثير التساؤلات ... وليس فيه إشكال !! مع أن الله سبحانه قد قال :{ لقد كفر الذين قالوا : إن الله ثالث ثلاثة }.!!!

...

...201 ."أهل الكتاب" ليسوا كفارا بالمصطلح القرآني .

...202 . التوحيد الإيماني لأهل الكتاب .

...

...ثم إن ذلك البعض يقول عن كتاب تحدي الممنوع – الذي يعتبر نفسه مسئولا عنه :" إذا كان هناك شخص يترجم الكتاب إلى الإنكليزية ، فنحن مستعدون لإجازته في ذلك "(2).

...ثم نجد المطران الياس عودة يقول في مقدمة الكتاب عن النص القرآني فيما يتصل بأهل الكتاب إنه :" محكم من حيث تمييزه بينهم وبين الكفار ، ومن حيث عدم نفيه للتوحيد الإيماني عندهم ، إن القرآن لا ينفي التوحيد الإيماني عن المسيحيين ، ويعتبر أهل الكتاب عنصرا آخر غير المشركين "(3)

...ويقول البعض:" المسلمون يعتبرون أن المسيحيين يكفرون ، باعتبار انهم يكفرون برسول الله (ص) ، ويكفرون بالقرآن، ليس المراد الكفر بالله .

---

(1) تحدي الممنوع ص8 والمرشد ص354 .

(2) الندوة ج1 ص548 .

(3) –في آفاق الحوار الاسلامي المسيحي ص 295

...فالقرآن أكد أن المسيحيين يلتقون مع المسلمين في توحيد الله {وقولوا : آمنا بالذي انزل إلينا ، وأنزل إليكم ،وإلهنا وإلهكم واحد ، ونحن له مسلمون} .

...فالمسلم لا يعتبر المسيحي كافرا في مسألة الإيمان بالله ، وان كان يناقشه في تفاصيل هذا الإيمان " .(1)

...ويقول :" ليس معنى أن القرآن يقول عن أهل الكتاب انهم كافرون : أنه الكفر الذي يخرجهم عن الإيمان بالله ،وعن توحيده ، ولكن معناه الكفر بالرسول "(2) .

...ونقول :

...1- قد تحدث القرآن عن كفر النصارى في قوله تعالى :{ لقد كفر الذين قالوا : إن الله هو المسيح بن مريم }(3)

...ويقول سبحانه :{ يا أهل الكتاب : هل تنقمون منا إلا أن آمنا بالله ورسوله وما أنزل إلينا ...}(4)

...وقال تعالى :{ لقد كفر الذين قالوا : إن الله ثالث ثلاثة ، وما من اله إلا اله واحد ، وان لم ينتهوا عما يقولون ليمسّن الذين كفروا منهم عذاب اليم ، أفلا يتوبون إلى الله ويستغفرونه والله غفور رحيم. ما المسيح بن مريم إلا رسول قد خلت من قبله الرسل ، وأمه صديقة كانا يأكلان الطعام ،أنظر كيف نبيّن لهم الآيات ثم انظر أنى يؤفكون. قل أتعبدون من دون الله ما لا يملك لكم ضرا ولا نفعا والله هو السميع العليم . قل : يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم غير الحق ...}.(5)

...وقال عز وجل :{ وإذ قال الله: يا عيسى بن مريم أأنت قلت للناس اتخذوني وأمي الهين من دون الله }.(6)

---

(1) - المصدر السابق ص .321

(2) - المصددر السابق ص 294.

(3) - سورة المائدة : الآية 178 و 72.

(4) - سورة المائدة ، الآية 59 .

(5) - سورة المائدة الآية 73-77.

(6) - سورة المائدة الآية 116 .

...وقال سبحانه :{ وقالت اليهود : عزير ابن الله ، وقالت النصارى: المسيح ابن الله، ذلك قولهم بأفواههم ، يضاهئون قول الذين كفروا من قبل، قاتلهم الله أنّى يؤفكون . اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله والمسيح ابن مريم ، وما أمروا إلا ليعبدوا إلهاً واحداً لا اله إلا هو سبحانه عما يشركون. يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم ، ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون }(1).

...فظهر من الآيات السابقة أن القرآن يعتبر النصارى كفارا بل ومشركين أيضا . لا من حيث كفرهم بالرسول وحسب ، وإنما لما يعتقدونه في الألوهية أيضا ..

...2- أما قوله تعالى : { قولوا آمنا بالذي أنزل إلينا وأنزل إليكم، وإلهنا وإلهكم واحد} فإما هو ناظر لأولئك الذين بقوا على شريعة عيسى عليه السلام، لأن ما يؤمن به المسلمون ليس هو ما عليه المسيحيون بالفعل، وإنما هو ما أنزله الله حقيقة على عيسى(ع) .

...وإما أن يراد به تقرير الحقيقة التي أكّدها الإسلام، من وجهة نظر الإسلام الذي لا يحكي إلاّ الواقع، وإلاّ الحقيقة .

...3- أما ما نقله عنه المطران الياس عودة من أن القرآن لا يعتبر أهل الشرك كفارا ، فهو لا يصح أيضا ، وذلك لما ذكرناه من الآيات الصريحة في كفرهم . هذا بالإضافة إلى قوله تعالى :{ لم يكن الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين منفكين حتى تأتيهم البينة }.

...فقد حكم الله سبحانه على أهل الكتاب كلهم بالكفر ، لأن كلمة " من " هنا بيانية لا تبعيضية ، إذ لو كانت تبعيضية لكان عليه أن يقول :" والمشركون " -بالرفع- إذ أن جرّها يقتضي أن يكون بكلمة "من" المقدرة ، فهل يلتزم بأن يكون بعض المشركين مؤمنين ؟!.

...

...203 . التثليث شرك فلسفي وليس شركاً إيمانياً.

...204 . الشرك الفلسفي والشرك المباشر .

...205 . تجسد الله كتجسد الكلمة في كتاب.

...206 . كفر أهل الكتاب ككفر بعض المسلمين بالمعنى العميق.

...

---

(1) - سورة التوبة الآية 30-32.

...ثم هو يعتبر تثليث الأقانيم مسألة فلسفية تتحرك في دائرة فهم سر الله، وهذه محاولة للتقليل من بشاعة هذا الأمر وغرابته إسلامياً، فيقول:

..."إن مسألة تثليث الاقانيم هي مسألة فلسفية تتحرك في دائرة فهم سر الله ، وفهم شخصية الخالق . ربما كانت هناك أفكار تتحدث عن ابن بالتجسد ، وأب بالتجسد ، ولكن الفكرة الموجودة في اغلب التفكير المسيحي هي أن المسألة ليست مسألة تجسد كما هو التجسد الإنساني عندما يكون هناك ابن منفصل عن أب ، ولكنه تماما كما هي الكلمة عندما تتجسد في كتاب ، قد تتجسد في شخص "(1).

...فالثالوث بذلك قد أصبح أقل غرابة وخطأ مما قد يتصوره الناس، بل لم يعد فيه أي إشكال، فلم يعد ثمة حرج من الجهر بالقول:

...إن القرآن حين تحدث عن كفر النصارى ، فإنما تحدث عنه باعتباره" كفراً فلسفيا في التفاصيل بلحاظ الصفات تماما كما هو الرأي الكلامي ، أو الفقهي الذي يرى المجسمة في الدائرة الإسلامية كافرين بالمعنى العميق. وهذا هو ما تحرك فيه الجدل الكلامي بين القائلين بخلق القرآن ، والقائلين بقدمه"(2).

...وفي مورد آخر يقول:" إن الإسلام اعتبر الكلمة السواء التي تجمعهم بالمسلمين تمثل عبادة الله الواحد ، ورفض اعتبار الإنسان رباً للإنسان.

...ويختلف معهم في اعتبار المسيح تجسيداً له؛ فإن الله لا يمكن أن يتجسد، مما يجعل هذه العقيدة

شركاً فلسفياً، لا شركاً مباشراً"(3).

...وقد راقت هذه الأفكار لبعض المسيحيين أنفسهم إلى درجة أن قال أحد رجالاتهم الكبار عن دفاعات هذا البعض عن تثليث المسيحيين:" هو نوع من التقريب بين المعتقدات لا تفوته العبقرية"(4).

---

(1) آفاق الحوارالإسلامي المسيحي ص 246

(2) – في آفاق الحوار الاسلامي المسيحي ص100–101.

(3) – المسائل الفقهية ج 2 ص451.

(4) –المرشد العددان 3و4 ص 373.

...مع أن القرآن قد قال : {لقد كفر الذين قالوا إن الله ثالث ثلاثة}، وقال: {وإذ قال الله يا عيسى ابن مريم أأنت قلت للناس اتخذوني وأمي إلهين من دون الله؟ قال سبحانك ما يكون لي أن أقول ما ليس لي بحق}.المائدة 116 .

...ولا ندري كيف استفاد من القرآن كفر النصارى فلسفيّاً وتوحيدهم إيمانياً، ومن جهة ثانية فقد تقدم أن دعوة الله تعالى أهل الكتاب إلى كلمة سواء ليس معناها الإعتراف بأنهم موحدون، بل هي دعوة منه لهم إلى التوحيد، ونبذ عبادة غير الله سبحانه ، فهي على كفرهم أدلّ.

...

...207 . ما دمت في دائرة الشك فلست بكافر.

...208 . لا يوجد كافر في العالم.

...209 . الإسلام يشجع على الشك.

...

...يقول البعض :" إن الناس منقسمون إلى مؤمنين وشاكين"(1)، والشاكون عنده ليسوا كفاراً بمقتضى قوله:" الإنسان الذي يشك بالإسلام لا يعتبر كافراً، ولكن الذي يجحد بالله ورسوله، فالإسلام يفسح المجال للتعبير عن الشكوك لدى الناس ، ويحاورهم، فإن أقيمت عليهم الحجة ، فلا معنى لجحوده ، وإذا لم يقتنع، ولم تقم الحجة، فليس للمسلمين سبيل عليه."(2)

..ويقول :

..." نحن نعرف من حديث الإمام الصادق(ع) أن الإسلام يشجع على الشك، الشك طريق لليقين، الشك الموضوعي، أو الشك العلمي.

...والشك ليس كفراً، وإنما الجحود هو الكفر، فلقد

جاء شخص وسأل الإمام جعفر الصادق . كما في الكافي . قال : رجل شك في الله؟

...قال : كافر .

...قال : شك في رسول الله؟.

...قال : كافر .. ثم قبل أن يقوم الرجل ، قال إنما يكفر إذا جحد، الحديث .

...فما دمت في دائرة الشك، فأنت لست بكافر".(3)

...ونقول :

---

(1) في آفاق الحوار الإسلامي المسيحي ص 10 ، وراجع المرشد عدد 3 و4 ص 362.

(2) في آفاق الحوار الإسلامي المسيحي ص 439.

(3) الندوة ج1 ص 549 وراجع:رؤى ومواقف عدد1 ص 139.

...1. واضح : أن الإسلام لا يشجع المتيقنين بالإسلام على الشك فيه، وإن كان يشجعهم على التعمق في دراسته، كل بحسب استعداده، ولكنه يشجع غيرهم على الشك ليمكن بذلك فتح مجال البحث أمامهم.

...2. إن الشك العلمي والموضوعي لا يحتاج إلى أكثر من فرض القضية في دائرة الشك، وإن كان ذلك الفارض مؤمناً بها لم يتزلزل إيمانه.

...3. إن بعض الروايات قد أشارت إلى أن خطور بعض الأمور بالبال، ولو من خلال وسوسة شيطانية لا ينافي الإيمان، فقد روي بسند حسن كالصحيح عن أبي عبد الله عليه السلام أنه قال : جاء رجل إلى النبي (ص) فقال : يا رسول الله، هلكت. فقال له : أتاك الخبيث فقال لك: من خلقك؟! فقلت له :الله. فقال لك: الله من خلقه؟ فقال إي والذي بعثك بالحق لكان كذا. فقال رسول الله (ص) : ذاك والله محض الإيمان.

...قال ابن أبي عمير : فحدثت بذلك عبد الرحمن بن الحجاج، فقال: حدثني أبو عبد الله عليه السلام: أن رسول الله(ص) إنما عنى : بقوله: "ذاك . والله . محض الإيمان" خوفه أن يكون قد هلك، حيث عرض له ذلك في قلبه.(1)

...وثمة روايات أخرى في هذا المجال ، فمن أرادها فليراجعها في مظانها.

...4. إن من الواضح: أن البقاء في دائرة الشك يوجب الكفر، لأن ذلك يستبطن الجحود، وإن لم يصرح به، خصوصا إذا أقيمت الحجة عليه، ولم يقبل بها، فان استمرار الشك بعد ذلك يكون تكلفاً للشك، وحملا للنفس عليه عناداً، وذلك يمثل استمرار رفض الحق والإباء عن تحمل مسئولياته..

...فلا يصح إطلاق القول : "ما دمت في دائرة الشك فأنت لست بكافر".

...ويدل على ذلك ما روي بسند صحيح عن أبي عبد الله (ع) : من شك في الله وفي رسوله فهو كافر(2)

...وروي بسند صحيح أيضاً عن منصور بن حازم قال:

...قلت لأبي عبد الله عليه السلام:

... من شك في رسول الله؟

...قال : كافر.

...قلت: فمن شك في كفر الشاك، فهو كافر؟

---

(1) الكافي ج 1 ص 425 والبحار ج55 ص 324.

(2) الكافي ج2 ص386.

...فأمسك عني، فرددت عليه ثلاث مرات، فاستبنت في وجهه الغضب(1).

...وروي بسند صحيح آخر عنه عليه السلام: إن الشك والمعصية في النار، ليسا منا ولا إلينا(2).

...وروي عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه كان يقول في خطبته: لا ترتابوا فتشكوا، ولا تشكوا فتكفروا (3).

...

...

الفصل السادس

التشهير بالحوزات العلمية
وبعلماء المذهب

...

...بداية:

...

...أمّا بالنسبة للتشهير بالحوزات العلميّة ، وبعلماء الأمة ، ومراجع الدّين ، ثم نعتهم بأوصاف لا تليق بهم فحدّث عن ذلك ولا حرج ، ونحن نكتفي هنا بذكر نموذج ضئيل جدّاً من مقولات البعض في هذا

المجال ، فلاحظ ما يلي :

210 . ليس في الحوزات العلمية حريّة فكر .

211. لا يستطيع الطالب مناقشة العقائديات والفقه والإجتماعيّات .

212 . تغيير الحوزات يحتاج إلى ما يشبه الثورة .

213 . هناك تجربة (تغييرية) تمشي بين الألغام .

...

...يقول البعض :

..."ولقد أطلق العصر تحدّيات في العقائد بالنسبة للمفاهيم الإسلامية وفي الإتجاهات الفكريّة التي لا تنطلق من الجانب الفلسفي فقط ، وإنما تنطلق في الجانب الحركي الذي يتصل بقضايا الناس وحركة الناس وواقع الناس وقضايا التقنين والتشريع . لذلك فنحن لحدّ الآن لم نحصل للأسف على نقلة نوعيّة في الحوزات . وإن مسألة تغيير الحوزات تحتاج إلى ما يشبه الثورة ، وأظن أن ظروف الثورة لحد الآن ليست متوفرة ، لأننا نعرف أنه ليست في الحوزات حرية فكر ، فلا يستطيع الطالب أن يناقش فيها حتى بعض القضايا التاريخية في الهواء الطلق . فكيف يمكن أن يناقش فيها قضايا عقيدية أو إجتماعية أو فقهية ، وما إلى ذلك؟! علماً أن هناك محاولة تجربة تمشي بين الألغام وإن شاء الله تتكلل بالنجاح (4)".

...

...214 . انتخاب المرجع كانتخاب البابا.

---

(1) الكافي ج2 ص387.

(2) الكافي ج2 ص400 ومن لا يحضره الفقيه ج3 ص573 وفيه: إن صاحب الشك الخ..

(3) الكافي ج1ص45 وج2 ص399.

(4) الندوة ج1 ص523 .

...215 . المرجعية : فردية، شخصية، مزاجية.

...216 . مرجعيات لاعلاقة لها بالواقع المعاصر، وتحدياته، .....وتطلعاته.

...

...يقول البعض :

..."كما أن المسألة لا بد أن تنطلق من أن يشارك علماء الشيعة بأجمعهم أو بأكثريتهم لانتخاب المرجع

، تماماً كما هي المسألة بالنسبة للبابا في انتخابه عالمياً، لأن المرجعية بحسب واقعها الفردي الشخصي المزاجي كالتي تتحرك في واقعنا قد تخرّج مرجعاً طليعياً وقد تخرج مرجعا ليس له أي علاقة بالواقع المعاصر وتحدياته وتطلعاته" .

...إلى أن قال :

..."كنت أضع تشبيها للمسألة المرجعية –كطرح المسألة في إطار استكمال مشروع– بـ(الفاتيكان) وإن كانت خصائصنا الفكرية تختلف عن خصائصهم ، ولكننا نشير إلى طبيعة التنظيم الموجودة هناك ، فهناك أجهزة تتصل بجانب التنسيق وأجهزة تتصل بجانب العلاقات السياسية والإجتماعية وتدرس كل الوسط الكاثوليكي في العالم"(1).

...

...217 . توهين وهتك الحوزات العلمية الدينية .

...218 . يشربون المخدرات لعدم الدليل عندهم على الحرمة .

...219 . الأفيون والترياك في الحوزات العلمية .

...

...يقول البعض :

..." وكذلك الأمر في مسألة الأفيون والترياك بل في الحوزات العلمية كانوا يمارسون شرب الترياك على أساس أنه ليس فيها دليل ، وحتى فقهاؤنا عندما أرادوا أن يفتوا بحرمة هذا الإدمان هل أنه بنفسه محرم أم لا ، فلم يثبت لديهم إلا في الحالات التي يتحول الإدمان إلى مشكلة صحية غالبة فوق العادة"(2).

...ونحن رغم أننا قضينا في الحوزات العلمية ما يقرب من ثلاث وثلاثين سنة، فإننا لم نجد لهذا الأفيون وسواه من المخدرات المحرمة عند الفقهاء أثراً فيها، بل وجدنا رجال الدين من أشد الناس حنقاً ، وشدّةً، وأعظمهم جهاداً في مواجهة ظاهرة انتشار المخدرات في المجتمعات .

...

...220 . الغوغاء منعت الفقهاء من إعلان فتاواهم .

...221 . الغوغاء منعت المفكرين من أن ينطلقوا في

.....أفكارهم بحريّة .

---

(1) الندوة ج1 ص498.

(2) الندوة ج1 ص509

...222 . العامّة أصبحت تحكم الخاصّة .

...223 . لا يمكن الفتوى بخلاف ما اعتاده الناس .

...

...ويُسأل البعض .. :

..." ألا ترى أن بعض فقهائنا يبالغون في مسايرة العرف والناس في طرح المسائل الشفوية ولا يدونونها في رسائلهم؟

...فيجيب :" قد يكون لهؤلاء العذر، لأن المشكلة هي أن كثيراً منهم يبتلون بالغوغاء الذين يعطلون عليهم أمرهم ، ذلك أن مشكلة الكثيرين هي مشكلة قيادة الغوغاء وحركة الغوغاء ، يقول الإمام علي (ع) : " الناس ثلاثة عالم رباني ، ومتعلم على سبيل نجاة ، وهمج رعاع أتباع كل ناعق يسيرون مع كل ريح لم يستضيئوا بنور الحق ولم يلجأوا إلى ركن وثيق" ، فهذا هو الذي منع الكثيرين من المفكرين أن ينطلقوا في أفكارهم بكل حرية ، ومنع الكثير من الفقهاء أن يعلنوا عن فتاواهم لأنهم يخافون من العامّة .

...والمشكلة أن العامّة أصبحت تحكم الخاصّة ، فهل يستطيع أحد أن يفتي في شيء اعتاد الناس عليه؟ أو يحرم شيئاً لم ينطلق الناس فيه من قاعدة ولكنهم ألفوا المشكلة"(1)....

...224 . إجتهاد فقهائنا غير منفتح على كل تفاصيل القرآن ....225 . القرآن أساس لاستنباط فتاواه .

...226 . المنهج التقليدي أبعد الفقهاء عن استيحاء القرآن .

...

...يقول البعض :

..." ولقد رأيت أن فقهاءنا الأقدمين والمحدثين لم تنفتح حركة الإجتهاد لديهم على كل تفاصيل القرآن ، وهم الذين تعلمنا منهم ، ولكن كان لهم منهج تقليدي خاص يجعلهم لا يستوحون من القرآن كثيراً من الأحكام الشرعية والمفاهيم الإسلامية العامّة . فحاولت أن أدخل القرآن كأساس لاستنباطي للفتاوى لأعتبر القرآن هو الذي يشع ضوءا على الأحاسيس ويعطيها إشراقة"(2).

...

...227 . الخطاب الإسلامي يمثل هروباً من الواقع .

...228 . أسلوب العلماء في الخطاب فوقي غالباً .

...

...يقول البعض :

---

(1) الندوة ج1 ص501 .

(2) الندوة ج1 ص508 .

..." إن الغالب في الخطاب الإسلامي –ويمكنكم ملاحظة ذلك–كونه خطاباً واقعياً غير أن الأسلوب الخطابي الإسلامي لدى الكثير من الذين يمارسونه على مستوى الوعّاظ والمرشدين والعلماء غالباً ما يصاغ بطريقة فوقية وبطريقة كلية لا بطريقة حركة الجزئيات".

...إلى أن قال :

..." كما أتصور أن هناك تجارب جيدة في هذا المجال . وأنا مع الأخ السائل في أن الخطاب العام الإسلامي هو خطاب وعظي فوقي لا يلامس الواقع بل يمثّل هروباً من الواقع لأن الكثيرين من الوعّاظ لا يريدون أن يضعوا أيديهم على الجرح بل يريدون أن يعظوا الجرح في أن يدبّر أمره بنفسه"(1).

...

...229 . تشويه العلماء صورة فهم النص القرآني والنبوي .

...

...يقول :" ومع الأسف إن الطريقة التي درج عليها الكثيرون من العلماء في استنطاق قواعد اللغة العربية ، ربما تؤدي إلى الكثير من تشويه صورة فهم النص القرآني ، أو فهم النص النبوي ، أو أحاديث أهل البيت (ع) .."(2).

...

...230 . علماؤنا لا يهتمون بالقرآن .

...

...وهو القائل عبر أثير إذاعة تابعة له :

..."علماؤنا لا يهتمون بالقرآن ، القرآن عندهم على الهامش" .

...

...231 . إختصاص العلماء مقتصر على الفقه .

...232 . العلماء لا يملكون عمق التحليل في العقائد .

...233 . العلماء لا يهتمون بالمسائل العقيدية .

...234 . لا إلمام للعلماء بالعقائد .

...235 . خوف العلماء من العامة هو سبب عدم اهتمامهم بالعقائد....

...ويقول :

..." من المؤسف أن المسائل العقيدية لا تولي الإهتمام المناسب عند العلماء انطلاقاً من اقتصار تخصصهم على الفقه وأصوله ، مما يجعلهم غير ملمين بالجانب العلمي للعقائد ، فلا يملكون عمق التحليل فيه ، وربما كانت مراقبة العوام سببا لذلك لدى البعض منهم"(3).

...ونقول :

---

(1) الندوة ج1 ص538و539.

(2) المرأة بين واقعها وحقّها في الإجتماع الإسلامي .

(3) المسائل الفقهية ج1ص317.

...لعله غاب عن ذهنه توقف الإجتهاد على كثير من العلوم ومن جملتها علم الكلام في كثير من مباحثه، علماً أن الفقهاء المتكلمين كثيرون، ومنهم المفيد ، وابن شاذان ، والعلاّمة الحلي ، والشيخ الطوسي، والسيد المرتضى ، والفاضل المقداد ، وغيرهم مما لا تتيسّر الإحاطة بهم ، ولا مجال لحصر أسمائهم ، وليراجع الفهرست الذي وضعه في هذا الشأن السيد محسن الأمين في الجزء الأول من أعيان الشيعة ، وليراجع أيضاً : تأسيس الشيعة لفنون الإسلام وغيرهما .

...

...236 . المرجعيات تقبع في الزاوية .

...237 . اكتفاء المرجعيات بالعاطفة .

...238 . لا توجد مرجعية رائدة .

...239 . الأسماء المطروحة للمرجعية تقليدية غير منفتحة .

...240 . حركة المراجع تنطلق من طموحاتهم للمرجعية .

...

...ويقول :

..." إن المرجعيّات عندما تنطلق في صيغتها التقليديّة فإنّها تقبع في زاوية معينة من الساحة ، وتكتفي بهذا الجوّ العاطفي الذي تمنحه إياها الساحة"(1).

...ويقول :

..." إن الأسماء المطروحة لا تزال أسماء تقليدية تنطلق طموحاتها للمرجعية من خلال خبرتها في الفقه والأصول ، وقد تختلف بعض الأسماء عن بعض في بعض نوافذ الوعي ".

...إلى أن قال :

..." لذلك فان من الصعب من خلال هذه الأسماء أن ينفتح الواقع على مرجعية رائدة منفتحة على الواقع الإسلامي كله"(2).

...ونحن نجلّ علماءنا عن أن يكون لهم طموحات للمرجعية ، فان هذا ما لم نعهده منهم ، بحسب ما عرفناه عنهم وألفناه منهم .

...

241... أسماء المرجعيات لا تملك الكثير من الوعي .

242... لا إضاءات كبيرة في الحركة التاريخية للمرجعيّات .

...

...ويقول ذلك البعض :

---

(1) المعالم الجديدة للمرجعية ص128 .

(2) المعالم الجديدة للمرجعية ص122و123.

..." إن الأسماء المطروحة في ساحة الحوزات العلمية لا تملك الكثير من الوعي المرجعي الذي يطل على المسألة السياسية من موقع متقدم ، باعتبار أن حركتهم التاريخية من حياتهم الماضية لا تمثل إضاءات كبيرة "(1).

...

243... التخلف سبَّب خطأ العلماء في فهم النص والواقع .

244... أغلب العلماء لا تزال نظرتهم سلبية للمرأة .

245... قليل من العلماء درس القضايا بعمق .

...يقول :

..."إن جو التخلف حين يتفشى لا يستثني علماء الدين من الإصابة والتأثر به ، إذا ما كان عندهم الإستعداد لذلك ، بحيث يعكس عالم الدين هذا التأثر اللاشعوري بالبيئة ، ورواسب التخلف الموجودة فيها في فهمه للنص والواقع .

...لذلك فان غالبية علماء الدين تبنّوا ولا يزالون نظرة سلبية تجاه المرأة ، وقليل منهم من درس القضايا بالعمق الخ .."(2).

...

246... الفكر في مسألة المرجعيّة لا يزال تقليدياً .

...

...وحين سئل عن العقبات التي تعترض إنجاز مشروعه حول المؤسسة المرجعية أجاب بقوله:

..." لا يزال هذا المشروع يبحث عن كثير من مجالات البحث والحوار والنقاش، حتى يتحول إلى مشروع واقعي علمي ، لذلك لا يزال الفكر تقليدياً في مسألة المرجعية. ونحن نعرف أنه حتى الناس الذين يختلفون في تعيين هذا المرجع وذلك المرجع يختلفون بطريقة متصلبة، لذلك تحتاج إلى وعي كبير الخ ..."(3).

...

الفصل السابع

المنهج الإستنباطي . والفقه الجواهري

...

...

...

...

...

...

...المنهج الإستنباطي :...

...

...أمّا فيما يرتبط بالمنهج الإستدلالي لذلك البعض ، فنحن نكتفي بذكر النقاط التالية:

...

...247 . العمل بالقياس عند الحاجة ولو في مسألة واحدة .

...248 . النهي عن القياس لأجل عدم الحاجة إليه .

...

---

(1) المعالم الجديدة للمرجعية ص81 .

(2) دنيا المرأة ص30 .

(3) الندوة ج1ص496.

... إنه لا مانع عند البعض من العمل بالقياس وغيره من الطرق الظنية في أي مورد لا يجد في الكتاب وفي الحديث، ما يفيد في إنتاج الحكم الشرعي . على اعتبار أن نهي الأئمة عن العمل بالقياس إنما هو بسبب عدم الحاجة إليه . فإذا احتاج الناس إليه ولو في مسألة واحدة فلا مانع من العمل به(1).

...وقد صرّح بذلك في كتابه تأملات في آفاق الإمام الكاظم عليه السلام ، كما سنرى .. مع أن ما ورد عن أئمة أهل البيت من النهي الصحيح والصريح عن القياس لا مجال للنقاش فيه ، وهو معروف من مذهب الشيعة الإمامية ..

...ونختار بعض ما كتبه ذلك البعض حول موضوع القياس ، فهو يقول :

..." جاء في الحديث عن الإمام موسى الكاظم (ع) ما رواه المفيد بسنده عن الحسن بن فضال عن أبي الفراء عن سماعة عن العبد الصالح: سألته فقلت : إن أناسا من أصحابنا قد لقوا أباك وجدّك وسمعوا منهما الحديث فربما كان شيء يبتلى به بعض أصحابنا وليس عندهم في ذلك شيء يفتيه ، وعندهم ما يشبهه ، يسعهم أن يأخذوا بالقياس ؟ فقال :لا ، إنما هلك من كان قبلكم بالقياس ، فقلت له : لم لا يقبل ذلك ؟ فقال: لأنه ليس من شيء إلاّ جاء في الكتاب والسنة .

---

(1) تأملات في آفاق الإمام الكاظم ص40-44 ولا سيما ص43 .

...إن هذا الحديث يوحي بأن رفض القياس كان بسبب عدم الحاجة إليه لشمولية الكتاب والسنة لكل ما يحتاجه الناس من الأحكام الشرعية في شؤون الحياة العامة والخاصة بحيث يمكنهم أن يجدوا فيها المعالجة الخاصة للقضايا الجزئية ، والمعالجة العامّة للقواعد الكليّة المنفتحة على أكثر من موقع .. فيكون الرجوع إلى القياس رجوعاً إلى ما لا ضرورة له ، بالإضافة إلى أنه لا يملك أساساً للحجيّة لأنه يعتمد على الظن الذي لا يغني من الحق شيئا ، لا سيّما أن علل التشريع قد لا تكون واضحة وضوحاً كلياً بالمستوى الذي يستطيع الإنسان أن يدرك معه أساس التشريع في هذا المورد بشكل قطعي ليستنتج من ذلك حكم المورد الآخر الذي يشابهه ، فقد يدرك الإنسان جانباً من المدرك ويغفل عن الكلية التي

تزن الأمور بميزان دقيق ، حيث يختلف في الموضوع حسب الإنطباعات الذاتية في فهمهم لأسرار الحكم والموضوع معاً".

...إلى أن قال :

..."وقد ورد في بعض الروايات أن الإمام موسى الكاظم سأل أبا يوسف عندما سأله عن الفرق بين التظليل للمحرم في الركوب وفي النزول ، فقال له ما تقول في الطامث أتقضي الصلاة؟ قال : لا ، قال: فتقضي الصوم؟ قال : نعم . قال: ولم؟ قال : هكذا جاء. فقال أبو الحسن : وهكذا جاء هذا .

...وهذا الذي أراد أهل البيت أن يؤكدوه ، وهو أن دين الله لا يصاب بالعقول ، لأن العقول تدرك بعض الأمور ولكنها قد تغفل عن إدراك البعض الآخر مما يوحي بأن الحكم الشرعي لم يستكمل ملاكه بشكل دقيق وهذا ما نلاحظه في اختلاف الحكم في بعض الموارد المتشابهة في أكثر من وجه كما في الصلاة والصوم اللذين تجمعهما الناحية العبادية، ولكن حكمهما في القضاء مختلف ، وهكذا أمر الله في كتابه بالطلاق وأكد فيه شاهدين ولم يرض بهما إلاّ عدلين ، وأمر في كتابه بالتزويج وأهمله بلا شهود . وربما نستفيد من الحديث الأول الذي يؤكد عدم الحاجة إلى القياس لوفاء الكتاب والسنة بجميع الأحكام ، إن الأمر لو لم يكن كذلك بحيث كانت هناك حاجة ملحة إلى معرفة الحكم الشرعي لبعض الأمور ولم يكن لدينا طريق إلى معرفته من الكتاب أو السنة ، فإن من الممكن أن نلجأ إلى القياس أو نحوه من الطرق الظنية في حال الإنسداد انطلاقاً من أن الإعتماد على الطرق الظنية العقلائية أو الشرعية كان مرتكزاً على الحاجة إليها لإدارة الشؤون العامة للناس بحيث لولاها لاختل نظام حياتهم لأن العلم وحده لا يكفي في ذلك ، ولكننا قد لا نحتاج إلى ذلك لأن في القواعد العامة كفاية ، ولأن في توسعة الإستظهار بإلغاء الخصوصية التي تجمد الحكم في مورد خاص من جهة الفهم العرفي الذي لا يجد للخصوصية أساساً في الحكم ونحو ذلك"(1).

...ويقول أيضاً:

---

(1) تأملات في آفاق الإمام الكاظم ص40-44. ويلاحظ : ان هذا البعض ينسب هنا كتاب الإختصاص المتضمن للمصائب التي جرت على الزهراء للشيخ المفيد رحمه الله تعالى الذي ينسب اليه انكار ذلك أو على الأقل عدم ذكره كهذا الأمر في مؤلفاته..

..." إننا نتصور انه لا بد لنا من أن ندرس هذه الأمور دراسة أكثر دقّة وأكثر حركية باعتبار أننا نستطيع في حال استنطاق الحكم الشرعي الوارد في هذا المورد نستطيع أن نصل إلى اطمئنان في كثير من الحالات من خلال دراستنا لعمق الموضوع الذي نحيط به من جميع جهاته مقارناً بموضوع آخر

مشابه له في جميع الحالات مما يجعل احتمال اختلافهما في الحكم احتمالاً ضعيفاً بحيث لا تكون المسألة ظنية بالمعنى المصطلح عليه للظن، بل قد تكون المسألة تقترب من الإطمئنان إن لم تكن اطمئناناً ، إن المشكلة هي أن الدراسة الأصولية والفقهية تؤطر ذهنية الإنسان في هذه الدائرة الضيقة . ومن هنا ينشأ الإنسان وفي قلبه وحشة من أن يمد الحكم الثابت لموضع إلى أمثاله، لأن ما أسميه لغة القياس التي تألفها الذهنية الشيعية تجعل كل شيء قياساً عندهم حتى ولو كان الإحتمال احتمالاً بعيداً جدّاً، لأنهم إذا لم يستطيعوا أن يشيروا إلى خصوصية الإحتمال في مضمونه، فإنهم يطلقون الإحتمال في المطلق ويقولون إن الله اعلم بالخصوصيات ونحن لا طريق لنا إلى معرفتها بحيث يغلقون الباب على أي استيحاء واستلهام للملاك الشرعي .

... حتى أننا نجد بعض الأصوليين عندما يتحدثون عن مورد من الموارد التي كانت متعلقة بالأمر الذي يكشف عن وجود ملاك ملزم في الموضوع ، فإننا نراهم أنهم إذا حدث هناك أي عنوان يسقط الأمر ؛ إمّا من جهة عدم القدرة أو من أي جانب من الجوانب أو من جهة التزاحم بأمر آخر أهم مثلاً، بحيث يصبح الموضوع من دون أمر ، فإنهم يقولون انه لا يمكننا أن نتقرب ، إذا كان المورد مما يتقرب به إلى الله بالملاك عينه لأننا لا نحرز وجود الملاك إلا من خلال الأمر ، فإذا سقط الأمر ولو من خلال أشياء أخرى طارئة خارجية عن ذات الموضوع فإننا لا نحرز الملاك ، ولذلك فنحن لا نستطيع أن نعتبر هذا الموضوع واجداً للملاك الشرعي بحيث نرتب عليه آثار أي موضوع وارد من ملاكه ، فيما هي من آثار الملاك .

...ما نتصوره أن علينا أن نعيد دراسة الأحاديث التي وردت في رفض القياس عن أئمة أهل البيت(عليهم السلام)، لأن الواضح أن بعض القضايا التي رفض فيها نقل الحكم من موضوع إلى موضوع آخر كانت منطلقة من أن السائل اعتقد الملاك في جانب مقاس بينما كان الملاك شيئاً آخر لا يسمح بهذا القياس ، لأنه لا يحقق عناصر القياس كما نلاحظ في رواية أبان بن تغلب عن أبي عبد الله الصادق (ع) " قال : قلت له : ما تقول في رجل قطع إصبعاً من أصابع المرأة؟

...قلت : كم فيها ؟

...قال : عشر من الإبل .

...قلت : قطع اثنتين .

...قال : عشرون .

...قلت : قطع ثلاثاً .

...قال : ثلاثون .

...قلت : قطع أربعاً .

...قال : عشرون .
...قلت : سبحان الله ، يقطع ثلاثاً فيكون عليه ثلاثون ، ويقطع أربعاً فيكون عليه عشرون!؟... إن هذا كان يبلغنا ونحن بالعراق فنبرأ ممن قاله ، ونقول : الذي جاء به شيطان!؟
...فقال : مهلاً يا أبان! هذا حكم رسول الله (ص) إن المرأة تعاقل الرجل إلى ثلث الدية ، فإذا بلغت الثلث رجعت إلى النصف . يا أبان إنك أخذتني بالقياس . والسّنة إذا قيست محق الدين"....

...اذاً تنطلق المسألة من جانب آخر ، لا من جانب العدد بالمقام ، وإنما من جانب طبيعة مشاركة المرأة في العقل الديتي(أي الدية)التي تتحملها العاقلة ، فالقضية لها جانب آخر هو تصور الملاك في جانب ولكن هناك ملاك آخر في جانب آخر ، ربما نجد بعض الحالات التي لا مجال فيها حتى للقياس ، كما في قضية قضاء الصوم بالنسبة إلى ذات العادة وعدم قضاء الصلاة وهكذا ... إنني أتصور أن ثمّة مسلّمات درج عليها الأصوليون والفقهاء في الحكم الشامل بالنسبة إلى القياس.
...ويمكننا أن نعيد النظر فيها ، فلعلنا نكتشف شيئاً جديداً . وفي هذا الإطار ، لا بد من الإلفات إلى أحد محفزات العمل بالقياس عند بعض المذاهب ، وهو انطلاقه من ضرورة معرفة الأحكام مع قلة الأحاديث الصحيحة ، فلجأ هذا البعض إلى القياس لملء الفراغ كما حصل مع الإمام أبي حنيفة الذي كان أول من نظّر للقياس وعمل به ، إذ لم يصح عنده من أحاديث النبي (ص)إلاّ ثمانية عشر حديثاً حسب ما أذكر . بمعنى أنه لا يملك أي مصدر لاستنباط الحكم الشرعي ، وهذا ما نعبر عنه بانسداد باب العلم والعلمي ، ومن الطبيعي أنه إذا انسد باب العلم بالأحكام أو باب الحجج الخاصة ، أي ما يعبر عنه بالعلمي، فإننا لا بد أن نرجع إلى حجية الظن على بعض المباني، كمبنى الكاشفية ، بمعنى أن العقل يحكم بذلك عند فقدان كل الوسائل لمعرفة الحكم الشرعي مع وجود علم إجمالي بوجود حكم شرعي لم يسقط . وإذا كان الأمر كذلك فلا بد أن يجعل الله حجة ويكون الظن حجة ، وعند ذلك يكون القياس أقرب الحجج من هذا الموضوع . ومن خلال هذا نفهم أن مسألة رفض القياس لدى أئمة أهل البيت (عليهم السلام) قد يكون منطلقاً من أن هناك أحاديث في السنة الشريفة واردة بشكل واسع جداً لا يحتاج فيه إلى القياس لأن باب العلم مفتوح من جميع الجهات مثلاً، سواء أكان من خلال القواعد العامة أم من خلال النصوص الخاصة"(1).
...

---

(1) مجلة المنطلق عدد111 ص 76-79.

...249 . سيرة العقلاء تشرع للإنسان المسلم أحكامه .

...250 . بناء العقلاء يشرع للمسلم أحكامه .

...

...ويقول البعض :

..." لا نتحدث عن منهج جديد ، فالمنهج هو المنهج ، وهو الإنطلاق من كتاب الله ، وسنة نبيه (ص) ، وما استوحى الفقهاء والأصوليون منهما في عملية تقعيد الفقه أو ما انفتح فيه الفقهاء على بناء العقلاء وسيرة العقلاء ، باعتبارهما المصدرين الذين لا يشرعان للمسلم أحكامه فحسب ، ولكنهما قد يطلان على جانب من جوانب السنة التي هي قول المعصوم وفعله وتقريره "(1) .

...

...وقفة قصيرة:

...ونقول : ظاهر العبارة : أن بناء العقلاء وسيرتهم لهما مهمتان : الأولى ، أنهما يشرعان للمسلم أحكامه ، والثانية : أنهما قد يطلان على قول المعصوم وفعله وتقريره .

...فهو إذن يرى لبناء ولسيرة العقلاء حق التشريع ، استقلالاً ، تارة، وبإمضاء المعصوم أخرى بقرينة قوله الأخير : قد يطلان على جانب .. الخ .

...ولكننا نلاحظ : انه قد أسهب في باقي كلامه الذي لم ننقله في الحديث عن الشق الثاني، وربّما أمكنه بذلك أن يدّعي أن هذه كانت زلة لسان ، لا تعبيراً صادقاً عمّا في الجنان ؟!

...

...251 . كل التراث الفقهي والكلامي والفلسفي فكر بشري .

...

...قد تقدّم أن البعض يعتبر : أن كل ما جاءنا من تراث فقهي ، وكلامي ، وفلسفي ، وكل الفكر الإسلامي –باستثناء البديهيات– هو فكر بشري وليس فكراً إلهيّاً على حدّ تعبيره..(2)

...فإذا كانت النظ ة هي هذه، فإن من الطبيعي أن يكون التعامل في مجال الإستدلال الفقهي منسجماً مع هذه النظرة، وأن تصبح أدوات الإستنباط والإستنتاج تحمل معالم هذا التوجه، وسمات هذا الفهم للقضية برمّتها .

...

...252 . القرآن يوسّع الحديث ويضيّقه .

...253 . الحديث لا يخصص ولا يقيد القرآن .

...

(1) مجلة المرشد عدد 3-4 ص 244 .
(2) راجع: حوارات في الفكر والسياسة والإجتماع ص 480 .

...إن البعض يعتبر أن القرآن هو الذي يوسع الحديث أو يضيقه ومعنى ذلك أن لا يستطيع الحديث تضييق المفهوم القرآني .
...فهو يقول : "انه لا بد من أن يرجع الفقهاء إلى القرآن"، على قاعدة أساسية هي :" أن العناوين القرآنية هي العناوين الأصلية التي تحكم وتفسر كل مفردات العناوين الموجودة في السنة فهي التي توسعها وتضيقها ، لأنها هي الأساس في حركة الأحكام في الموضوعات. كما أن المفهوم القرآني هو المفهوم الحاكم على كل جزئيات المفاهيم الموجودة في الأحاديث ، لأنه هو المقياس لصحة الأحاديث وفسادها .."(1).
...والذي نلفت النظر إليه هو خصوص الفقرات الأولى من النص المذكور ، فإذا كان مراده غير ما هو الظاهر ، أو كان لديه توضيحات وقيود ، فقد كان عليه أن يذكر ذلك في هذا الموضع بالذات ، لأنه موضع الحاجة للتوضيح والتصحيح .
...
254... ربط الناس بالعقل أغنى عن النبوّة .
...
...ويقول البعض في جواب على سؤال : لماذا تتغير النبوّات ، ولماذا اختتمت بالإسلام بالمعنى المصطلح ؟
...الجواب:
..." انطلقت النبوات من خلال حاجات الناس إلى خطوطها ومفرداتها العامّة ، ثمّ تطورت حاجات الناس فانطلقت نبوّات جديدة حتى كان الإسلام الذي ربط الناس بالعقل ، وبالخطوط العامّة ليستطيعوا من خلاله أن يطوّروا حياتهم بحيث لا حاجة بعد ذلك إلى نبوّة جديدة"(2).
...
255... النصوص المتوافقة مع ذهنيات المجتمعات
القديمة هي سبب الخطأ .
...
...ونجده يصف النصوص الإسلامية التي كان الفقهاء يتحركون في دائرتها بأنها متوافقة مع الذهنية الإجتماعية التي كانت سائدة في العصور السابقة ويعتبر ذلك هو السبب في عدم كون المعرفة على

هذه الدرجة من الصحة ، فهو يقول معللاً سبب حصول المعرفة الأصح بالنسبة للنظرة الإسلامية حول المرأة :

---

(1) مجلة المنطلق ، العدد 113 ص32.

(2) نشرة فكر وثقافة العدد 22 بتاريخ 23-11-1996 .

..." ربما يعود ذلك إلى الآفاق الجديدة التي فتحت في العالم ، الأمر الذي جعل العلماء يفكرون في الجانب الآخر من الصورة ، وقد كانوا مستغرقين في الجانب الوحيد الذي عاشوه في دائرة مجتمعهم وفي دائرة النصوص المتوافقة مع الذهنية الإجتماعية السائدة"(1).

...

...256 . الأئمة(ع) يستوحون القرآن .

...257 . هو يستوحي القرآن كما يستوحيه الأئمة(ع) .

...

...وحول آية :{ ومن أحياها ، فكأنما أحيا الناس جميعاً}(2)، قال الإمام الباقر(ع): تأويلها الأعظم : من نقلها من ضلال إلى هدى .

...فيعقب هذا البعض على ذلك بقوله:

..." فالإمام في ذلك يستوحي الحياة المعنوية من الحياة المادية" .

...ويتابع قائلاً :

..."أعتقد : أنه يجب أن نستوحي القرآن كما كان الأئمة يستوحونه"(3).

...فالله تعالى يقول:{لا يعلم تأويله إلاّ الله والراسخون في العلم}. والإمام عليه السلام يقول في هذه الرواية بالذّات : تأويلها الأعظم كذا.. وهذا البعض يعتبر هذا استيحاء !! ثم يرى لنفسه الحق في استيحاء القرآن كما كان الأئمة يستوحونه !!

...

...258 . الحديث المتفق على ضعفه مقبول عنده .

...259 . الحديث المتفق على رفض الاستدلال به

.....مقبول عنده .

...260 . " الوثوق الشخصي " بالخبر هو المعيار ولو

.....خالف كل العلماء .

...261 . توثيق أحاديث أهل البيت مشكلة معقدة .

262. مشكلة السند بسبب كثرة الكذب على
.....أهل البيت(ع).
...263 . فتح باب العمل بروايات العامّة .
...
... ثم هو يوثق الحديث الذي ينقل اتفاق العلماء على ضعفه ورفض الاستدلال به بدعوى أنه لا داعي للكذب فيه (4)
...وهذا يعني أنه يقول بجواز العمل بالروايات بدون وثوق نوعي . إذ مع الاتفاق على ضعف الحديث ورفض الاستدلال به كيف يمكن الوثوق النوعي به .

---

(1) دنيا المرأة ص29 .
(2) سورة المائدة الآية 32 .
(3) للإنسان والحياة ص307-310 .
(4) كتاب النكاح ج1 ص58 .

...ثم هو لنفس السبب ، أعني عدم وجود داع للكذب يصحح العمل بروايات العامة(1) غير ملتفت إلى لزوم قيام القرائن العامة والشواهد المفيدة للوثوق النوعي بها ، مع أنه قد صرّح في بعض مؤلفاته الأخرى بأنه يشترط الوثوق النوعي ، فراجع(2)
...أما بالنسبة لروايات أهل البيت عليهم السلام ، فله موقف آخر ، حيث أنه يعتبر توثيق أحاديثهم عليهم السلام مشكلة معقدة لوجود الركام الهائل من الكذب في حديثهم(ع) . ويرى أن كثرة الكذب على أهل البيت عليهم السلام تجعلنا نواجه مشكلة السند .
...ويقول :
..." ربما كان توثيق أحاديث أهل البيت عليهم السلام مشكلة معقدة ، من حيث اختلاف الرأي في أسس التوثيق للنصوص المأثورة عنهم ، وعن النبي محمد (ص) ، وفي طبيعة الحقيقة التاريخية ، في وثاقة هذا الراوي أو ذاك ، مما يجعل الصورة غير واضحة الملامح في التعبير عن الخطوط الفكرية والفقهية في منهج أهل البيت الإسلامي .
...وقد تزيد المسألة إشكالاً إذا لاحظنا اضطراب الأحاديث المرويّة عنهم ، من حيث التعارض والتنافي بين الروايات ، لا سيّما أن بعضها قد يكون صادراً عن راوٍ واحد ، يروي الفكرة برواية ، ليروي خلافها برواية ثانية ، وهنا يقع الخلاف حول تفسير ذلك ، وتوجيهه بالتقية تارة،
وبغير ذلك أخرى"(3) .

...ويقول :

..." إن المشكلة هي أن الكذب على أهل البيت كان كثيراً ، ولذلك فهناك مشكلة السند"(4).

...ويقول :

..." علينا أن نفهم السنة النبوية الشريفة فهماً جديداً ، ونفهم ما يأتينا من أحاديث أئمة أهل البيت (ع) ، وأن ننقي الأحاديث ، لأن هناك ركاماً من الأكاذيب ، ومن المواضيع التي دخلت إلى واقع الناس، وأصبحت حقائق"(5).

...

...264 . تصحيح الروايات التاريخية .

...

---

(1) نفس المصدر

(2) كتاب الوصية ص121 .

(3) مجلة المنطلق عدد 113 ص24

(4) الندوة ج1 ص503 .

(5) الندوة ج1 ص 539 .

...ومن جهة أخرى فان هذا البعض ، بنفس الطريقة ، وبنفس الأسلوب ، الذي حاول فيه العمل بروايات العامة ، وتصحيح الأخذ بها،

– مع مخالفته لما درج عليه علماء المذهب – حاول ذلك بالنسبة لما يرتبط بسيرة النبي (ص) ، باستثناء ما يرتبط بالخلافة ، فهو يقول :

..." نعتقد أن الكثير من سيرة النبي (ص) ، أخذه المسلمون يداً بيد ، ولم تكن هناك ضرورة للكذب في بعض الحالات ، فيمكن أن يقع التحريف في بعض ما يتعلق بالخلافة ، ولكن الأحاديث التي تتحدث عن أخلاقه لا ضرورة للكذب فيها .

...وكان هناك اهتمام كبير ، من قبل الصحابة لملاحقة أوضاعه ، كيف يأكل ، وكيف يلبس ، وكيف كان كذا وكذا ..

...فهناك حالة ارتباط عضوي رائع ، ولذلك فقضية نقل سيرة النبي (ص) كان أمراً طبيعياً ، بحيث يتناقله الناس جيلاً اثر جيل ، لأنها كانت محل اهتمامهم .

...فنحن نلاحظ : أنه ليس هناك في التاريخ شخصية اتفق عليها المسلمون كشخصية النبي (ص) ، ولم يحدث هناك أية حالة سلبية حيال النبي في كل واقع الإسلام"(1).

...ونقول :

...قد أشرنا إلى الإشكال في الفقرة الأخيرة في موضع سابق تحت عنوان عدالة الصحابة .

...ونشير هنا أيضاً إلى أن محاولة حصر التحريف في بعض ما يتعلق بالخلافة غير سديد ، فقد روي عن الإمام الجواد (ع) انه (ص) قد قال في حجة الوداع :" ..قد كثرت علي الكذّابة ، وستكثر ، فمن كذب علي متعمداً ، فليتبوّأ مقعده من النار ، فإذا أتاكم الحديث ، فاعرضوه على كتاب الله وسنتي ..الخ"(2).

---

(1) فكر وثقافة عدد 6 بتاريخ 27-7-1996 .

(2) البحار ج2 ص225 وج 50 ص80 عن الاحتجاج .

...وعن علي عليه السلام انه قال :" وقد كذب على رسول الله (ص) على عهده حتى قام خطيباً ، فقال : أيها الناس ، قد كثرت على الكذابة فمن كذب علي متعمداً ، فليتبوّأ مقعده من النار ، ثم كذب عليه من بعده .. الخ"(1).

...وقد تحدثنا في كتابنا الصحيح من سيرة النبي الأعظم عن الكثير من الموارد في سيرة النبي (ص) التي كُذِبَ فيها عليه فراجع ذلك الكتاب.

...وإذا كانت كل الفئات والفرق تريد أن تحصل على الشرعية ، وعلى المبررات لمواقفها ، تحتاج إلى الإ تباط برسول الله (ص) ، وإلصاق نفسها به ، والتقوي على خصومها ، أو منافسيها بما تنسبه إلى رسول الله (ص) وتبرير التصرفات والفتاوى والحركات وغير ذلك ، فإن الكذب والحال هذه لا يعرف قيوداً ولا حدوداً ، ولن يقتصر التحريف على بعض ما يتعلق بالخلافة كما يقوله هذا البعض، ولسنا ندري كيف يدّعي اقتصار الكذب على موضوع الخلافة في حديث أهل السنة وهو يؤكد على الركام الهائل من الروايات الموضوعة في حديث أهل البيت(ع)، حسبما تقدّم، مع أن حديث أهل البيت(ع) ليس بأقل من حديث غيرهم، إن هذا لشيىء عجاب .

...

...265 . قاعدة التزاحم هي المصالح المرسلة عند السنة .

...

...وهو يعتبر قاعدة المصالح المرسلة التي يستند إليها أهل السنة في اجتهاداتهم ، هي نفس قاعدة التزاحم في مدرسة أهل البيت(ع) ! مع أن الفرق بينهما كالنار على المنار ، وكالشمس في رابعة النهار .

---

(1) البحار ج2 ص229 وج34 ص169 عن الخصال وعن نهج البلاغة وعن تحف العقول وعن غيبة النعماني وعن الاحتجاج ج1 ص263 ط بيروت .

...فهو يقول :" هناك قاعدة في العلم الأصولي تسمى بقاعدة "التزاحم" في المذهب الشيعي الإمامي ، وتسمى بـ "المصالح المرسلة" في مذهب المسلمين السنة "(1).

...ثم يضرب مثالاً لهذه القاعدة بالغريق الذي يتوقف إنقاذه على أن تكسر باباً ، أو تهدم غرفة للغير(2) .

...ولا يفوتنا التذكير بأن اعتماده لقاعدة(الغاية تبرر الوسيلة)قد كان مبتنياً عنده على قاعدة التزاحم أيضاً .

...وقال وهو يتحدث عن ولاية الفقيه ، وبعد أن قدّم آية الله العظمى السيد الخوئي رحمه الله، كنموذج لمن يقول بولاية الفقيه الخاصّة، ثم يتصدّى لهذا الأمر حينما واجهته التطورات في أيام ما عرف باسم "الإنتفاضة" في العراق :

..." ولذلك فالذين يقولون بالولاية الخاصّة عندما تجابههم التطورات، فانهم تلقائياً يقولون بالولاية العامة ، ولكن بالعنوان الثانوي ، أو المصالح المرسلة ، أو ما شاكل.."

...ولا نورد قوله هذا كشاهد على ما ذكرناه ، ولكننا أحببنا : أن نسأل من أين عرف أنهم استندوا في قولهم بالولاية العامّة إلى المصالح المرسلة ؟ وهل يمكن له أن يذكر لنا موردا صرحوا فيه بذلك ..؟!

---

(1) المصالح المرسلة : قد يجد المجتهد فعلاً من الأفعال ورد من الشارع فيه حكم ، ويرى فيه وصفاً يناسب حكماً آخر ، من خطر ، او طلب ، أو اباحة ، أو لم يرد عنه حكم في ذلك الفعل أو الوصف ليناسب حكماً ، وهذا الوصف قام الدليل على إعتباره بنوع من الإعتبارات الثلاثة السابقة بأن ورد عن الشارع ما يؤذن باعتبار عينه في جنس الحكم المراد إعطاؤه له أو اعتبار جنسه في عين ذلك الحكم ، أو جنسه .

...وهذا الحكم يسميه الأصوليون : المناسب المرسل الملائم ، ويسميه المالكية المصالح المرسلة ، ويسميه الغزالي: الإستصلاح . مجلة المرشد العددان 3و4 هامش ص246 عن محمد الخضري ، أصول الفقه ص 311 طبعة دار الفكر .

(2) للإنسان والحياة ص169

...وهو مع ذلك كله يقول : إنه يلتزم بالمنهج الجواهري في الإستنباط (1).

...

...266 . المحرم ما حرّمه القرآن والحلال ما أحله القرآن .

...267 . يجب موافقة الحديث للقرآن في حجم دلالته .

...

...وقيل له : ذكرتم أن المحرم هو ما حرم في القرآن ، وكذلك الحلال هو ما أحل في القرآن ..

...فأجاب : " ما ذكرت ذلك ، قلت : هناك بعض العمومات التي تدل على حصر المحرمات في مورد معين ، وهناك أشياء واردة في السنّة ، فعلينا أن نكتشف القاعدة التي نستطيع فيها أن نوفق بين ما جاء في القرآن وما جاء في السنة".راجع مجلة المرشد ص 265.

...فهل إذا لم يكتشف القاعدة سيرفض ما جاء في السنّة ؟!

...

فتاوي بديعة :

...

...بداية :

...يقول البعض :" ما من فتوى أفتيها في أي شيء ، وفي أي شأن من الشؤون العامّة أو الخاصّة ، إلاّ ولدي دليل اجتهادي على طريقة المجتهدين ، مما يسمّيه الإمام الخميني :"الإجتهاد الجواهري"، أي على طريقة صاحب جواهر الكلام .

...وما من فتوى أفتيها إلاّ وهناك فتوى مماثلة لأكثر من عالم من علمائنا الكبار ، وقد تكون الخصوصية هي إن الفتاوى هذه اجتمعت عندي بما لم تجتمع عند بعض العلماء ، ولذلك استغربها الناس"(2).

...ويقول ذلك البعض أيضاً عن فتاواه، التي ربما استظرفها بعض إخوانه :" إن هذه الفتاوى بأجمعها مستنبطة من أدلتها ، وما من فتوى إلاّ وهناك من العلماء من يوافقني فيها الرأي"(3).

...ونختم هذا الفصل بذكر نماذج فقهية ثلاثة فقط ، أحببنا أن نتحف بها القارئ الكريم ، على أن يغنينا ذلك عن ذكر المزيد مما هو بديع وفريد في الأجزاء اللاحقة ، فإن ما يهمّنا أكثر هو خصوص ما يدخل في هذا المجال العقيدي والإيماني .

---

(1) –فكر وقافة بتاريخ 1996/7/6. ص 2

(2) فكر وثقافة عدد 4 ص2 ، بتاريخ 6-7-1996 .
(3) الندوة ج1 ص 510 .

...وإشارتنا إلى بعض ما عدا ذلك ، إنما هي لأننا أردنا أن نساعد القارئ الكريم على تكوين صورة متقاربة الملامح ، فيما يتعلق بطروحات البعض وأفكاره ، وليس هدفنا الإستقصاء .
...فإلى ما يلي من صفحات ومطالب وعلى الله نتوكل ، وبه نستعين .
...
...268 . نظر الرجال إلى عورات النساء .
...269 . النظر إلى عورة الرجال جائز في المزاح .
...270 . حرمة النظر إلى العورات ليس تعبدياً .
...271 . من أسقط حرمة نفسه جاز النظر إلى عورته .
...272 . محاولة تجويز النظر إلى نوادي العراة .
...
...إن من الواضح بأن حرمة النظر إلى أجساد وعورات الناس معلومة بالبداهة ، وقد روي بسند صحيح عن أبي عبد الله(ع) في تفسير قوله تعالى :{ قل للمؤمنين يغضّوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم}، قال(ع):" كل آية في القرآن في ذكر الفروج فهي من الزنا ، إلاّ هذه الآية فإنّها من النظر ، فلا يحل لرجل مؤمن أن ينظر إلى فرج أخيه ، ولا يحل للمرأة أن تنظر إلى فرج أختها"(1).
...وروى الكليني عن الإمام الصادق(ع) أيضاً في تفسير الآية السابقة :" فنهاهم أن ينظروا إلى عوراتهم ، وأن ينظر المرء إلى فرج أخيه ، ويحفظ فرجه من أن ينظر إليه ، وقال :{ وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن ، ويحفظن فروجهن}، من أن تنظر إحداهن إلى فرج أختها وتحفظ فرجها من أن ينظر إليها ..الخ"(2).
...وعن أبي جعفر عليه السلام قال :"كان علي بن الحسين (ع) إذا حضرت ولادة المرأة ، قال : أخرجوا من في البيت من النساء ، لا يكن أول ناظر إلى عورتها"(3).
...وفي حديث المناهي قال : "ونهى المرأة أن تنظر إلى عورة المرأة"(4).

---

(1) تفسير القمي ج 2 ص 101 .
(2) الكافي ج 2 ص 35-36 .
(3) الخصال ج 2 ص585 والكافي ج6 ص 17 وتهذيب الأحكامج7 ص436 ومن لا يحضره الفقيه

ج3 ص365 والوسائل ج21 ص385 وج 20 ص 221 .
(4) من لا يحضره الفقيه ج4 ص202 والوسائل ج1 ص299 .

...وفي حديث آخر : "ليس للوالدين أن ينظرا إلى عورة الولد ، وليس للولد أن ينظر إلى عورة الوالد ، وقال : لعن رسول الله(ص) الناظر والمنظور إليه في الحمّام بلا مئزر"(1).
...وجاء في حديث آخر : "عورة المؤمن على المؤمن حرام"(2).
...وراجع أمر النبي(ص) لأم أنس وهو يعلمها كيف تغسل إحدى النساء غسل الأموات ، حيث أمرها أن تلقي على عورتها ثوباً ستيراً ثم تدخل يدها من تحت ذلك الثوب لمباشرة غسلها(3) .
...ولكن هذا البعض يحلل نظر المرأة إلى عورة المرأة، بل هو يحلل النظر إلى عورات النساء والرجال على حدّ سواء حتى المسلمين والمسلمات إذا أسقطوا وأسقطن حرمة أنفسهم وأنفسهن ، بل هو يقول:"إذا أراد البعض المزاح وأظهر عورته مصرّاً على ذلك جاز للآخرين النظر إليه"، وذلك استناداً إلى استحسانات عقلية والى القياس .
...فهلاّ ذكر لنا عالماً واحداً يوافقه في هذه الفتوى ؟!وكيف ثبت له أن إسقاط الإنسان المسلم لحرمة نفسه يوجب سقوطها بالفعل ؟! وهل حرمته تابعة لإسلامه ، وناشئة من الجعل الإلهي أم أنها تابعة لقرار الشخص نفسه ؟!
...ويستدل على ذلك بدليل استحساني فيقول :
...إن "عالم النظر هو عالم الاحترام فكل إنسان يسقط احترامه من هذا الجانب ، جاز للآخرين النظر إليه ، لأن النظر ليس حالة أخلاقية تنطلق من تحذير الناس من الوقوع في هذا الفخ ، بل في إحترام الإنسان الذي ينظر إليه .
...وهذا يختلف باختلاف الأزمان ، فلو أن النساء قد اعتادت الخروج بلباس البحر جاز النظر إليهن بهذا اللحاظ . وعلى هذا فلا بد من الإقتصار على ما جرت عادتهن على عدم ستره ولا يجوز التلصص على النساء للإطلاع على ما يخفينه ، وإن كن غير مسلمات.

---

(1) الكافي ج6 ص503 والوسائل ج2 ص56 .
(2) الكافي ج6 ص497 ومن لا يحضره الفقيه ج1 ص66 والوسائل ج2 ص39 .
(3) راجع : تهذيب الأحكام ج1 ص302 والإستبصار ج1 ص207 والوسائل ج2ص492 .

...وهناك نقطة مهمة ، وهي التعليل "بأنهن لا ينتهين إذا نهين" يشمل كل النساء من المسلمات والكافرات اللاتي يكشفن بعض أجزاء من الجسد ، مع الإصرار على ذلك بحيث لا يستجبن لأي نهي

عن الموضوع ، وذلك من خلال إلغاء خصوصية المورد .

...هذا بالإضافة إلى ما أشرنا إليه من أن حرمة النظر ناشئة من حرمة الجسد لدى صاحبه ، مما يخفيه منه ، لا من خلال حالة تعبدية في مثل هذه الموارد ، ولذلك ورد أنه لا مانع من النظر إلى عورة الكافر فهي كعورة الحمار ، من خلال عدم الإحترام له من قبل الشرع ، أو من قبل صاحبه .

...وفي ضوء ذلك قد يشمل الموضوع النظر إلى العورة عندما تكشفها صاحبتها ، كما في نوادي العراة ، أو السابحات في البحر في بعض البلدان ، أو نحو ذلك .

...بل قد يستوحي الإنسان جواز النظر إلى عورة الرجل ، إذا كان ممن لا ينتهي إذا نهي تمرّداً أو مزاحاً ، أو نحو ذلك ، لأنه لا خصوصية للمرأة في تلك الرخصة ، بل ربما كان التحفظ من المنع بالنسبة إلى المرأة أكثر من الرجل .

...فالقضية – من خلال استيحاء التعليل– هي أن كل إنسان يهتك حرمة نفسه بكشف ما لا يجوز كشفه في الشرع أو في العرف الإجتماعي، ولا يستجيب للردع عن ذلك من الناس ، فإن الشارع يسقط حرمته ، ولا يجعل منه مشكلة للآخرين ، في المنع عن النظر إلى ذلك"(1).

...ولا يصح لأحد أن يعترض هنا ويقول أن ذلك بحث علمي ، قد تطابقه الفتوى ، وقد لا تطابقه ..لأن ذلك البعض يصر على إطلاق الفتوى بمجرد تمامية الأدلّة عليها ، فهو يقول :

..." إن الإنسان إذا أراد أن يعيش اجتهاده لنفسه ، من خلال تحفظاته الذاتية ، فعليه أن لا يبرز للمجتمع كمرجع في الفتوى .بل عليه أن يحتفظ بفتاواه واحتياطاته لنفسه .

---

(1) كتاب النكاح ج1 ص66

...أما إذا كنت الإنسان الذي يقف لينيب عن المجتمع في اجتهاداته ، وفي اكتشاف الحكم الشرعي ، فعليك أن تتحمل مسئولياتك الإجتماعية، فإذا تمت لديك الأدلة الشرعية التي تستطيع أن تقدمها أمام الله لو حاسبك ، فليست هناك مشكلة في أن تطلق الفتوى ، ولن يحاسبك الله على ما لا يد لك فيه ، لو كان هناك خطأ غير مقصود"(1). ...

...ويقول :

..." عندما يثبت عندنا الحكم الشرعي ، من خلال أدلة ، ونرى أنه يحل مشكلة للناس ، فإننا نفتي بذلك ، ولا نحتاط ، لأن الإحتياط عندما لا يكون واجباً فسوف يعقد حياة الناس ، إلاّ إذا أردت أن تملأ الرسالة بالإحتياطات اجلس في بيتك واحتط لنفسك ، لأن للناس مشاكلهم وقضاياهم"(2)....

...وقد سجل ذلك في كتابه الذي طرحه للتداول، هو "المسائل الفقهية"، فقد أورد سؤالاً يقول :

..."النظر إلى النساء اللواتي إذا نهين لا ينتهين هل يجوز في موضع العورة أيضاً؟!

...فأجاب :" يجوز ذلك في الأوضاع التي اعتدن كشفها بشكل طبيعي"(3).

...

...273 . تعمد قول آمين ولو لم يقصد بها الدعاء لا يبطل الصلاة .

...274 . الميل إلى جواز التكتف في الصلاة.

...275 . الشهادة بالولاية فيها مفاسد كثيرة .

...

...وكنموذج للمفارقات في منهجه الفقهي نذكر المثال التالي :

...إنه يعتبر أن في قول :" أشهد أن علياً ولي الله"، في الإقامة مفاسد كثيرة ، حيث يقول وهو يتحدث عنها ، "لا أجد مصلحة شرعية في إدخال أي عنصر جديد في الصلاة ، في مقدماتها وأفعالها ، لأن ذلك قد يؤدي إلى مفاسد كثيرة "(4).

...ولا ندري لماذا لا يزيلها من الأذان أيضاً ، فإنه أيضاً من مقدمات الصلاة كما هو مقتضى عبارته؟!.

...ثم يقول وهو يعدد مبطلات الصلاة :

..."تعمّد قول آمين على الأحوط ، وإن كان للصحة وجه ، لا سيّما إذا قصد بها الدعاء"(5).

---

(1) المرشد ص 301و302 .

(2) فكر وثقافة عدد 3 بتاريخ6-7-1996.

(3) المسائل الفقهية ج 1 ص244 .

(4) المسائل الفقهية ج2 ص123 .

(5) المسائل الفقهية ج1 ص92 .

...ثم يعد من المبطلات أيضاً :"التكفير-وهو التكتف بوضع اليد اليمنى على الشمال ، أو العكس - على الأحوط ، ولا سيّما إذا قصد الجزئية ، وان كان الأقوى عدم البطلان بذلك ، في فرض عدم الجزئية ، وانتفاء التشريع ، خصوصاً إذا قصد به الخضوع والخشوع لله(1)..الخ"

...إذن فليس لديه دليل على بطلان الصلاة بالتكتف ، ولا بقول آمين تعمداً ، لكون المسألة احتياطية عنده ، والإحتياط عنده يستبطن الميل للجواز(2)، بل لا مانع عنده من قول آمين في الصلاة حتى لو لم يقصد بها الدعاء ، لوجود وجه للصحة عنده . وكذلك الحال بالنسبة للتكتف في الصلاة ، مع عدم قصد الجزئية .

...والملفت هنا : أنه لم يسجل أي تحفظ على ذلك -فلم يعتبره يؤدي إلى مفاسد كثيرة- كما تحفظ على

الشهادة الثالثة معتبراً لها كذلك، رغم أن التكتف وقول آمين كلاهما مثلها عنصران جديدان دخلا في أمر واجب –وهو الصلاة– لا في مستحب .

...فهذا العنصر قد دخل في الصلاة نفسها ، لا فيما يحتمل كونه جزءاً منها ، رغم أن هذا الإحتمال – أعني احتمال الجزئية – موهون جداً ..

...ولماذا هذا الإحتياط في الشهادة الثالثة ؟! أمن أجل مجرد إحتمال ؟ أليس هو نفسه يشن هجوماً قوياً على كل العلماء الذين يوجبون الإحتياط حتى في موارد الأحكام الإلزامية(3)؟!.

...أم أنه نسي قوله السابق: إن الإنسان إذا أراد أن يعيش اجتهاده لنفسه من خلال تحفظاته الذاتية، فعليه أن لا يبرز للمجتمع كمرجع في الفتوى، بل عليه أن يحتفظ بفتاواه واحتياطاته لنفسه .

...ومن الغريب أيضاً أن ينبذ الإحتياط في معظم مسائل الفقه، – ومسائله الفقهية تشهد بذلك – ثم ينبري للإحتياط في الشهادة الثالثة لاحتمالات بعيدة لا يصح له الإعتداد بها بعد النظر إلى حكمه في مثيلاتها .

---

(1) المسائل الفقهية ج1 ص91 .

(2) راجع فقه الحياة ص33–34 متناً وهامشاً .

(3) المرشد عدد3–4 ص263 .

...ولعل ما ذكرناه من التلميح يغني القارئ عن التصريح ، فيما يرتبط بموقفه من أمرين : أحدهما يرتبط بعلي(ع)، والآخر– أعني التكتف وتعمد قول آمين في الصلاة – يرتبط بجهة تريد أن تكرس ما سوى خط ونهج علي (ع)!!.بعد أن حكم باستلزام ذكر الشهادة لأمير المؤمنين(ع)–في كل من الأذان والإقامة–استلزام ذكرها لمفاسد كثيرة ، والذي نتمناه هو أن لا يتوسل إلى المنع من قولها فيهما بالجبر والقهر .. وذلك إمّا عملاً بالقاعدة التي استدل بها على حرمة التدخين ، وكل مضرّ، واستنبطها من قوله تعالى :{ وإثمهما أكبر من نفعهما}(1) حيث فسّر الإثم بالضرر ، من دون أن يكون لذلك شاهد من اللغة .. ولم يفسّر النفع بالمثوبة مع عدم وجود مرجح لأحدهما على الآخر في نفسه،ومن حيث الإستعمال في اللغة العربية، وإما عملاً بلزوم دفع المنكر والفساد على نحو التدرج في مراتب النهي عن المنكر، إلى أن تصل إلى حدّ القهر والغلبة مع إمكان ذلك .

...وبعد ، فإننا لا نريد أن نذكر هذا البعض بتعهداته بأن تكون جميع فتاواه تحظى بموافق لها من علماء الطائفة ، فإن حكمه الإحتياطي باستحباب ترك الشهادة لعلي(ع) في الإقامة والأذان من دون قصد الجزئية كحكمه بطهارة كل إنسان ، وأحكام له أخرى لم نجد له موافقاً،

لا من الأولين ولا من الآخرين ، بعد تتبعنا الواسع فيما يرتبط بالشهادة الثالثة لما يزيد على رأي مئة

عالم رضوان الله تعالى عليهم أجمعين ..

...فليته يذكر لنا عالماً واحداً يعتدّ برأيه في هذه الطائفة ، يقول: الأحوط استحباباً ترك الشهادة بالولاية في الإقامة وفي الأذان مع عدم قصد الجزئية .

...

...276 . الدليل على جواز الضحك .

...

...وتحدث عن جواز الضحك في نطاق الجواب على السؤال التالي:

---

(1) سورة البقرة الآية 219 .

... الحديث يقول: الضحك يميت القلب،.. والعلم يقول: إضحكوا تصحوا، فحين تضحك، فإنّك تساعد جسمك على العرق، وتحريك دمك، وفرز مادة الكربون، كما أن الفم قد يطلق عناصر هرمونية .

...ج: " من قال بأن الضحك غير جيد؟! كثرة الضحك تميت القلب، وإلاّ، فالله يقول:{ فليضحكوا قليلاً } ،ليس معناها أن لا يضحك أحد، لا، لازم دائماً يبتسم المؤمن، لازم دائماً يكون مبتسم.

...الآن الفرزدق في مدحه للإمام زين العابدين(ع):

يُغضِي حياء ويُغضَى من مهابته فلا يُكلَّم إلا حين يبتسم

...يعني ابتسامته تسبق كلمته. لا، يضحك الإنسان، يبتسم الانسان قي هذه الحياة.لكن عليه أن لا يكثر من الضحك،فإن كثرة الضحك تميت القلب"(1).

...ونقول:

...1 . لاحظ استدلاله على جواز الضحك بآية:{فليضحكوا قليلاً، وليبكوا كثيراً}، التي عنى الله بها غير المؤمنين من أهل العذاب في الآخرة.

...2 . ولا بأس بالتأمل أيضاً في استشهاده بشعر الفرزدق على جواز الضحك، مع أنه إنما تحدث عن التبسم، لا عن الضحك.

...3 . يلاحظ أخيراً أن فسّر بيت الفرزدق بطريقة تظهر أنه قد قرأ كلمة "يكلَّم" بصيغة المبني للمعلوم، أي بكسر اللام، مع أنّها بفتح اللام المشدّدة

خاتمة المقولات !!...

...277 . نظريّة داروين لا تنافي الفكر الديني .

...278 . نظريّة داروين قد تنافي بعض ما يفهم من التاريخ الديني.

...قال البعض:

---

(1) الموسم العددان 21و22 ص 315-316

..."من الخطأ جدّاً أن يطرح الفكر الديني على أساس أن قاعدة هذا الفكر، هو أن الله خلق الكون بشكل مباشر من دون أن يكون خاضعاً لقوانين في عمق تكوينه، إننا نؤمن من خلال صفتنا الإسلامية، من دون أن نحيد قيد شعرة عن التفكير الإسلامي. نؤمن بأن هناك في الكون سنناً كونية، وهي ما تمثّله قوانين الكون الطبيعية في الكون، وفي الحيوان وفي الإنسان. حتى أننا من وجهة النظر الإسلامية نؤمن بأن هلاك المجتمعات ونموّ المجتمعات تخضع لقوانين موجودة في حركة الكون بحيث أنها تتحرك ضمن نطاق خاص. ومسيرة خاصة، فنحن مثلاً، نجد أن النظرية (الداروينية) التي تقول أن جدّ الإنسان، والقرد من أصل واحد. هذه النظرية لا تنافي أساس الفكر الديني. لأن هذه تقول أن الإنسان تطور بفعل عوامل معينة موجودة في الكون، من قرد إلى هذه الصورة الحالية.

...والدين عندما يريد أن يتدخل في هذه المسألة يسأل من أين جاء هذا التطور ؟ هل التطور حالة ذاتية في الجماد؟ هل هو حالة حتمية؟ إذا كان حالة غير حتمية فكيف نشأ وما هي القوة التي دفعته؟ هنا يأتي الحديث عن الخالق. نعم انه ينافي التاريخ الديني. نظرية داروين لا تنافي الفكر الديني، يعني أصل ارتباط الأشياء بالله،؟ بل هي قد تنافي بعض ما يفهم من التاريخ الديني، الذي يقول :{ لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم، ثم رددناه أسفل سافلين }. وهذا يدل على أن الإنسان كان إنساناً في صورته الأولى ولم يكن قرداً"(1).

...

...وقفة قصيرة :

...1 . ونحن نبادر إلى تسجيل تحفظ على هذا القول:وهو أننا من ناحيتنا الشخصية نرفض ولا نعترف بأن القرد جدنا، فإننا من نسل أشرف الكائنات محمد وآله الطاهرين، ونرى أن النظرية الإسلامية، التي مصدرها الوحي تقرر أن الله قد خلق محمداً(ص) من نسل الإنسان الأول وهو آدم(ع)، وقد خلق آدم من تراب، وخلقه بيديه في أحسن تقويم .

---

(1) أسئلة وردود من القلب ص58و59 .

...2 . ولا ندري، لماذا قال البعض:"قد تنافي"،فأتى بكلمة "قد" التي تفيد التقليل، في درجة الإحتمال .. فهل تجده يحتمل عدم منافاتها لذلك أيضاً؟!

...ولماذا قال:"بعض ما يفهم"، فهل هو يرى: أن هذا الفهم قد يكون خاطئاً، أو أنه فكر بشري لا يصح نسبته إلى الله سبحانه؟!.

...3 . إذا كانت الآية:{ لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم }، دالّة على أن الإنسان في صورته الأولى لم يكن قرداً، فكيف لا تتنافى هذه المقولة مع الفكر الديني، بل كيف لا تتنافى مع بعض ما يفهم من التاريخ الديني، لو أردنا التدقيق في عبا اته وفي مرامي كلامه .

...

...

...

...كلمة أخيرة :

...وبعد هذه الجولة القصيرة بالقياس إلى غير ذلك من مقولات، سجلها البعض في كتبه ومؤلفاته، أو في صحفه ومجلاته، فقد أسفر الصبح لذي عينين، ولم يبق عذر لمعتذر، ولا حيلة لمتطلب حيلة .. ولم يعد مقبولاً من أي من الناس أن يقول: لا يوجد ما هو أساسي أو جوهري، وأن الحديث إنما هو عن أمور هامشية .

...وقد ظهر بذلك كله، وسواه مما نسأل الله أن يوفقنا لإيراده في الأجزاء التالية، ما هي الدوافع التي دعتنا لتأليف كتابنا:

"مأساة الزهراء(ع)، شبهات وردود".

... فهل يكون ما ذكرناه وسواه مما لم نذكره هو السبب الذي دعا مراجع الدين العظام إلى اتخاذ موقفهم القوي والصريح الذي عرف عنهم؟!

...أم أنهم لم يطلعوا على شيىء من ذلك، ولم يراعوا الدقة فيما قالوه أو أصدروه؟!

...إننا نرفض قبول هذه الفرضية الأخيرة .. وذلك وفقاً لما قاله البعض عنهم .. حيث سُئِلَ:

...كيف يتم إثبات المجتهد حتى يقلد، وإذا أنكر بعض المراجع اجتهاد هذا العالم فكيف يتم التمييز والتوصل إلى حلّ مثل هذه الحالة الصعبة؟ .. فأجاب:

..." عندما يشهد العلماء بنفي أو إثبات خاصةً إذا كانوا من المراجع فإن شهادتهم ناشئة عن خبرة وتأمل لأن الإنسان المؤمن العالم المجتهد الورع لا يمكن أن يقول بغير علم، لذلك لا بد للإنسان أن يأخذ بشهادته"(1) .

...تم الجزء الأول ، والحمد لله رب العالمين.

...

مصادر ومراجع البحث

1 – القرآن الكريم.

2 – المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم – محمد فؤاد عبد الباقي – دار إحياء التراث العربي.

التفاسير

3 – تفسير المنار – 1\12 محمد رشيد رضا – دار المعرفة، الطبعة الثانية.

4 – العياشي – 1\2 محمد بن مسعود بن عياش السلمي السمرقندي – المكتبة العلمية الإسلامية – طهران.

5 – تفسير البرهان 1\5 هاشم الحسيني البحراني – دار الكتب العلمية – قم – إيران.

6 – نور الثقلين 1\5 عبد علي بن جمعة الحويزي – مطبعة الحكمة – قم – ايران.

7 – الدر المنثور 1\6 جلال الدين السيوطي – المكتبة الإسلامية – طهران 1377هـ .

8 – مجمع البيان 1\6 الطبرسي.

9 – الميزان 1\21 محمد حسين الطباطبائي – مؤسسة الأعلمي – بيروت.

10 – التبيان 1\10 محمد بن الحسن الطوسي – مؤسسة الأعلمي – بيروت.

11– التفسير الكبير 1\16 فخر الدين الرازي – دار الفكر – ط 1 ، 1972 .

12 – جامع البيان في تفسير القرآن 1\30 محمد بن جرير الطبري – دار المعرفة – ط2، 1972.

13 – تفسير القرآن الكريم 1\8 صدر المتأهلين – إنتشارات طهران.

14 – تفسير الخازن 1\4 علاء الدين علي بن محمد بن ابراهيم البغدادي – دار المعرفة.

15- تفسير القرآن الكريم 1\4 مصطفى الخميني.
16- الكشاف 1\4 جار الله الزمخشري ،دار الكتاب العربي –بيروت .
17- الجامع لأحكام القرآن 1\20 محمد بن احمد الأنصاري القرطبي- دار احياء التراث العربي 1967.
18- البحر المحيط 1\9 محمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي – دار الكتب العلمية – بيروت ط3.
19 – أضواء على متشابهات القرآن – خليل ياسين.

---

(1) الندوة ج1 ص504 .

20 – روح البيان 1\10 اسماعيل حقي البروسوي – دار احياء التراث الوبي – ط7 – 1985.
21 – تفسير المراغي 1\10 احمد مصطفى المراغي – ط3 – 1974.
22 – فتح القدير 1\5 محمد بن علي بن محمد الشوكاني – دار المعرفة .
23 – صفوة التفاسير 1\3 محمد علي الصابوني – ادارة الشؤون الدينية – قطر –ط2 – 1981.
24 – الصراط المستقيم 1\3 حسين البروجردي – مؤسسة الوفاء – ط1 – 1983.
25 – الجديد في تفسير القرآن المجيد 1\7 محمد السبزواري – دار التعارف – ط1 – 1982 .
26 – تفسير القرآن العظيم 1\4 عماد الدين إبن كثير – دار الفكر .
27 – التفسير الحديث 1\11 محمد عزة دروزة – دار إحياء التراث العربي 1963.
28 – الماوردي 1\6 علي بن محمد بن حبيب الماوردي – دار الكتب العلمية – بيروت.
29 – الصافي 1\5 الفيض الكاشاني .
30 – الكاشف 1\7 محمد جواد مغنية – دار الجواد.
31 – حاشية الصاوي على تفسير الجلالين 1\6 احمد بن محمد الصاوي – دار الكتب العلمية .1995
32 – في ظلال القرآن 1\8 سيد قطب – دار إحياء التراث العربي – ط7 –1971.
33 – ألآء الرحمن في تفسير القرآن 1\20 محمد جواد البلاغي النجفي – دار إحياء التراث العربي.
34 – تفسير القرآن 1\2 محي الدين ابن عربي.

مصادر أخرى
35 – الصحيح من سيرة النبي الأعظم 1\10 جعفر مرتضى العاملي – دار السيرة – ط2 بيروت.
36 – تنزيه القرآن عن المطاعن.

37 – خلافة الإنسان وشهادة الأنبياء – محمد باقر الصدر.
38 – نظام الحكم في الشريعة والتاريخ (الحياة الدستورية) ظافر القاسمي – دار النفائس – 1985.
39 – نظام الحكم والإدارة في الإسلام – محمد مهدي شمس الدين – المؤسسة الدولية للدراسات والنشر – 1991.
40 – ولاية الفقيه 1\4 منتظري – دار الفكر – قم – ايران .
41 – بحار الأنوار 1\110 محمد باقر المجلسي – مؤسسة الوفاء – ط2 – 1983.
42 – الكافي 1\6 الكليني.
43 – لسان العرب 1\15 ابن منظور.
44 – معجم متن اللغة .
45 – القاموس المحيط.
46 – ولاية الإنسان في القرآن – جوادي آملي – دار الصفوة.
47 – شرح اصول الكافي 1\3 صدر المتألهين.
48 – في رحاب نهج البلاغة.
50 – شرح نهج البلاغة 1\10 ابن أبي الحديد.
51 – منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة 1\21 حبيب الله الخوئي – مؤسسة الوفاء – ط2 – 1983.
52 – في ظلال نهج البلاغة 1\4 محمد جواد مغنية.
53 – علم الامام – محمد رضا المظفر.
54 – ميزان الحكمة 1\10 محمدي ري شهري – مؤسسة الإعلام الإسلامي – قم – ايران .
55 – مسند الامام الرضا 1\2 عزيز الله العطاردي – المؤتمر العالمي للإمام الرضا.
56 – مسند الإمام الكاظم 1\3 عزيز الله العطاردي – المؤتمر العالمي للإمام الرضا.
57 – عيون أخبار الرضا 1\2 الشيخ الصدوق.
58 – مصباح الهداية الى الخلافة والولاية – روح الله الخميني.
59 – الحكمة المتعالية في الإسفار العقلية الأربعة 1\8 صدر المتأهلين.
60 – أسرار الشريعة وأطوار الطريقة – حيدر الآملي.
61 – فصوص الحكم – محي الدين ابن عربي – دار الفكر العربي.
62 – جامع الأسرار ومنابع الأنوار – حيدر الآملي.
63 – الرسائل التوحيدية – محمد حسين الطباطبائي.

64 – الفتوحات المكية 1\4 محي الدين ابن عربي – دار صادر .
65 – مصباح الأنس – الفنا ي.
66 – مفاهيم القرآن – جعفر السبحاني.

خلفيات
كتاب مأساة الزهراء
عليها السلام
خَلْفِيَّاتُ
كتاب مأساة الزهراء
عليها السلام

الجزء الثاني

العلاّمة المحقق
السيد جعفر مرتضىالعاملي

الطبعة الأولى
جمادى الأولى سنة 1419هـ ق
آب سنة 1998م
جميع حقوق الطبع محفوظة .

بسم الله الرحمن الرحيم

.....

محتَوِيَات الكتَاب

تقديم ... 21
من خارج "من وحي القرآن " ... 24

لفت نظر ... 25
الفصل الأول:صورة الأنبياء بين الواقع .. والشعار ... 27
بداية ... 29
279- إستسلم آدم ولم يشعر أن استسلامه يمثل تمرداً على الله وعصياناً لإرادته.. ... 30
280 . آدم يسقط إلى درك الخطيئة.. ... 30
281 . آدم أصبح منبوذاً من الله.. ... 30
282 . أراد الله تدريب آدم في مواجهة حالات السقوط ليتنبه لأمثالها 30
283 . أراد الله تدريب آدم ليَعِيَ كيف تتحرك الخطيئة في نفسه في المستقبل.. ... 30
284. آدم لا يحمل أية فكرة فطرية عن التوبة فتلقاها من الله 30
285 . الأقرب ان الكلمات التي تلقاها آدم ليست هي أسماء الأئمة 30
286 . الله يتحدث عن آدم في كل مورد للإيحاء بالضعف الإنساني 30
287 . آدم يسقط امام تجربة الإغراء فيتعرض للحرمان الأبدي 30
288 . آدم وتجربة الإنحراف بتسويل إبليس 31
289 . آدم لم يأخذ الموضوع مأخذ الجدية والإهتمام ولم يتعمق في وعيه.. ... 31
290 . آدم انحرف من موقع الغفلة واجواء الحلم لا من موقع الوعي 31
291 . آدم لم يفكر جيداً 31
292 . آدم إستسلم للجو الخيالي المشبع بالأحاسيس الذاتية المتحركة مع الأحلام 31
293 . آدم إبتعد عن خط الرشد.. ... 31
294 . معصية آدم معصية تكليف (لا إرشاد).. ... 31
295 . كان أمراً إرشادياً (لا تشريعياً).. ... 31
296 . آدم غير متوازن.. ... 31
297 . شعور آدم وحواء بالغ ي والعار ... 31
298 . يخصفان من ورق الجنة للتخلص من العار 31

299 . إبليس أسقط آدم لئلا يبقى هو الساقط الوحيد في عملية التمرد على الله 31
300 . جريمة آدم تمثلت له في مستوى الكارثة 31
301 . إبليس نجح في إثارة الضعف في شخصية آدم عليه السلام 31
302 . آدم عاد إلى الله في عملية توبة وتصحيح 31
303 . آدم أساء إلى نفسه بانحرافه عن خط المسؤولية في طاعة الله 31

304 . إبليس أوصل آدم وحواء إلى مرحلة السقوط ، بسبب الغرور الذي أوقعهما فيه.. ... 32
305 . سقط آدم في الإمتحان وأخفق في التجربة ... 32
306 . إبليس قاد آدم إلى الموقف المهين 32
307 . خطيئة آدم أبعدته عن الله 32
308 . آدم والشجرة المحرمة والرغبة المحرمة 32
309 . إبليس هبط بقيمة هذا المخلوق الذي كرمه الله 32
310 . إنحراف آدم طارئ بسيط 32
311 . آدم ثاب الى رشده ودخل عالم الإستقامة من جديد 32
وقفة قصيرة. ... 45
312 . الظاهر: أن آدم إستمر في الخط المستقيم 53
313 . عدم حديث الله عن خطأ آدم دليل عدم وقوعه منه بعد ذلك.. ... 53
وقفة قصيرة 54
314 . النبي يعقوب يحب ولده لجماله 54
315 . النبي يحب ولده لذكائه ووداعته ... 54
وقفة قصيرة 55
316 . لا يوجد دليل قطعي على حياة الخضر عليه السلام 57
317 . لا كبير فائدة في تحقيق أمر حياة الخضر عليه السلام 57
318 . إثبات حياته لا يتصل بالعقيدة ولا بالحياة 57
وقفة قصيرة ... 58
319 . درجات الأنبياء في الكمال تتفاوت حسب مواقعهم الإيمانية 61
320 . إستعجال يونس العذاب لقومه بسبب ضعفه البشري 61
321 . إستسلام الأنبياء للضعف البشري تابع لدرجاتهم 61
322 . يونس لم يصبر لتبلغ الرسالة مداها في تحقيق شروط النجاح ، أو نهاية التجربة 61
323 . ليس ضرورياً أن يكون الإستسلام للضعف في حجم المعصية 61
وقفة قصيرة 62

324 . ربما كان القبطي مستحقاً للقتل (أي وربما كان لا يستحق القتل). ... 65
325 . موسى يفعل أمر اً محرماً بغير قصد.. ... 65

326 . موسى يقرّ على نفسه بالضلالة وعدم الهدى 65
327 . موسى يعترف بجهله بالنتائج السلبية لقتله القبطي 65
328 . كان موسى حين قتل القبطي ضالاًّ لم يحدد لنفسه الطريق المستقيم المنطلق من قواعد الشريعة.. ... 65
329 . الضعف البشري قبل النبوة بسبب فقد الهداية التفصيلية.. ... 65
330 . موسى إرتكب ما لو كان في الموقع الذي هو فيه بعد النبوة لما فعله. ... 65
331 . لم يكن قتل القبطي ضرورياً.. ... 65
وقفة قصيرة.. ... 67
332 . غريزة الفضول لدى موسى عليه السلام.. ... 70
333 . لا دليل على ضرورة علم النبي بما لا يتصل بمسؤولياته من علوم الحياة والإنسان.. ... 70
334 . يمكن أن يكون لـ "من لا يعلم بعض الأمور" حق الطاعة على العالم بأمور أخرى ... 70
335 . القرآن لا يتحدث عن الأنبياء من خلال الكمال القريب من المطلق. ... 70
336 . القرآن لا يتحدث عن الأنبياء من خلال الأسرار الخفية.. ... 70
337 . موسى عليه السلام إستعجل المعرفة قبل توفر عناصر النضوج لديه.. ... 70
338 . إستعجال موسى من شأنه أن يحوله إلى إنسان سطحي في تفكيره.. ... 70
وقفة قصيرة.. ... 73
339 . شخصية موسى غير متوازنة.. ... 75
340 . موسى يعاني من عقدة نفسية ذاتية.. ... 76
341 . موسى ارتكب ذنباً أخلاقياً.. ... 76
342 . قتل القبطي خطأ أخلاقي مبرر بطريقة مّا 76
343 . مغفرة الله لموسى لطف في توازن الشخصية لا عفو عن ذنب.. ... 76
وقفة قصيرة.. ... 77
344 . خوف موسى كان الضعف البشري الذي كان يعيشه في حالات الغفلة.. ... 78
345 . كاد موسى أن يتأثر بسحرهم من خلال طاقته البشرية.. ... 78
وقفة قصيرة.. ... 79
346 . نقاط ضعف طبيعية ونقاط ضعف إنفعالية أيضاً 80
347 . بشرية النبي قد تدفعه إلى نقاط ضعف طبيعية.. ... 80
348 . قد يغفل النبي عن بعض المناسبات الشكلية أو المعنوية.. ... 80

349 . موسى ينساق مع نقاط الضعف الإنفعالية.. ... 80
وقفة قصيرة ... 81
350 . رأي موسى يخالف ما قرره الله له.. ... 82
351 . موسى يقول لربه : لا فائدة من إرسالي لأن النتيجة معلومة.. ... 82
352 . إحتباس كلام موسى يمنعه من الحوار والجدال بالكلمات القوية.. ... 82
353 . إحتباس كلام موسى (ع) يمنعه من الأسلوب اللبق 82
354 . موسى يعاني من نقص في الصفات التي يحتاج إليها.. ... 82
وقفة قصيرة.. ... 83
355 . القرآن يوحي بما لا يتفق مع كون النبي أعلم الناس، وأشجعهم وأكملهم في المطلق.. ... 86
356 . الرسالة تتصل بحركة الكلام في لسانه وطريقة التعبير في كلامه.. ... 86
357 . ضعف موسى في طبيعة الكلمة ، والمنهج ، والأسلوب ، وقوة هارون في ذلك.. ... 86
358 . لكنة في لسان موسى تؤدي إلى ضعف موقفه.. ... 86
359 . نقاط ضعف بشري تتحرك بشكل طبيعي في شخصية النبي حتى في مقام حمل الرسالة ... 86
360 . لكنة موسى تمنعه عن إفهام ما يريد للناس 86
361 . الجانب الغيبي لا يتدخل في تضخيم شخصية النبي على حساب بشريته العادية.. ... 86
362 . اللكنة في لسان موسى تثير السخرية ونحوها.. ... 86
وقفة قصيرة.. ... 90
363 . معركة أو (إشكال) بين الله والنبي زكريا.. ... 96
364 . زكريا يعتقد بإستحالة أن يولد له ولد.. ... 96
365 . فوجئ زكريا لأنه لم يحسب أن يتم الأمر بهذه السهولة.. ... 96
366 . ربما يتصور أن دعاءه مجرد تمنيات.. ... 96
367 . زكريا ينطلق في سؤاله ربّه بما يشبه الصراخ العنيف.. ... 96
368 . زكريا يعتقد أن الله لا يتدخل في الأمور بشكل غير عادي.. ... 96
369 . زكريا لا يطمئن إلى أن ما يلقى إليه هو الوحي إلاّ بآية معجزة.. ... 97
370 . زكريا يتفاجأ بالقدرة الإلهية في مخالفة السنن.. ... 97

وقفة قصيرة.. ... 99
371 . يحيى ليس نبياً.. ... 103

وقفة قصيرة.. ... 105
372 . إنكار نبوة عيسى (ع) وهو في المهد صبياً.. ... 106
373 . رد كلام الائمة في الإستدلال بآية على إمامة الجواد (ع).... ... 106
وقفة قصيرة.. ... 107
الفصل الثاني: نماذج من الأقوال حول نبينا الأكرم (ص). ... 109
بداية 111
374 . قد يكون ما ألقاه الشيطان في أمنية الرسول إنفتاحاً في الإنجذاب العاطفي إليهم ... 111
375 . ما ألقاه الشيطان يؤدي إلى إهتزاز الموقف في حركة الرسالة.. ... 111
376 . ما ألقاه الشيطان يؤثر على صلابة الفكرة في حركة المواجهة.. ... 111
377 . ما ألقاه الشيطان يؤدي إلى إضعاف المؤمنين.. ... 111
378 . ما ألقاه الشيطان يوجب إهتزاز إيمان المؤمنين.. ... 111
379 . اسلوب النبي (وهو ما القاه الشيطان) قد يوحي بغير ما يريده.. ... 112
380 . ألقى الشيطان للنبي أن يحاول إحتواء الساحة بالموقف المهادن.. ... 112
381 . ألقى الشيطان إليه (ص) أن يجامل عقيدتهم دون إعتراف بها.. ... 112
382 . إلقاءت الشيطان هي خطورات ذهنية تبرز في مظاهر السلوك.. ... 112
383 . النبي يخطئ في تشخيص تكليفه الشرعي.. ... 112
384 . الله يزيل إلقاءات الشيطان ، حتى لا يبقى أثر سلبي على حركة الرسالة في الفكرة والإسلوب.. ... 112
385 . المجتمع المؤمن يتأثر سلباً بإلقاءات الشيطان.. ... 112
386 . المجتمع المشرك يتأثر إيجاباً بإلقاءات الشيطان.. ... 112
387 . إلقاء الشيطان يدخل في فكر النبي وقلبه.. ... 112
388 . الآتي من الشيطان داخل في عمق الأمنية في داخل الذات 112
389 . إلقاءات الشيطان تطوف بذهن النبي (ص) وتتحرك بسرعة في مظاهر سلوكه.. ... 112
390 . هذه الأفكار كانت تخطر في أذهان الأنبياء والرسل السابقين أيضاً.. ... 112
وقفة قصيرة.. ... 118
391 . إنكار معجزة شق القمر للرسول (ص).. ... 126
392 . لا فائدة من إرسال الآيات في هذا الزمان.. ... 126
393 . الحديث المتواتر إذالم يوثق ببعض رجال سنده يتحول إلى خبَر واحد... ... 126

394 . لا يوجد أساس يقيني للإلتزام بروايات شق القمر.. ... 126
395 . وقوع شق القمر مخالف للظواهر القرآنية... ... 126
وقفة قصيرة.. ... 133
396 . الكثير من الخيال في خصوصيات الرواية المتواترة.. ... 142
397 . في الروايات ما لا يستطيع الباحث تفسيره بطريقة معقولة، فهو من الخيال.. ... 142
398 . الزمن لا يسمح بتغطية جميع الحوادث المذكورة في الإسراء والمعراج. ... 142
399 . ألمسألة الإعجازية تبقى في دائرة القدرة البشرية المحدودة للنبي (ص). ... 142
400 . قدرات النبي (ص) تخضع لعامل الزمان والمكان.. ... 142
401 . إذا كان الإسراء بالجسد فهو يخضع للقدرات البشرية.. ... 142
402 . إذا كان الإسراء بالجسد ، ففي الروايات خيال وإلاّ فلا خيال... ... 142
وقفة قصيرة.. ... 143
الفصل الثالث: أمور عقائدية عامة حول الأنبياء.. ... 149
403 – أحاديث الأسرار الخفية في الانبياء أحاديث مبالغة.. ... 151
404 . أحاديث الأجواء النوارنية في أجواء القدس للأنبياء مبالغة أيضاً... ... 151
405 . أحاديث ألأسرار والأجواء النوارنية لا تملأ الوجدان... ... 151
406 . أحاديث الأسرار والأجواء النورانية لا تغني الفكر.. ... 151
وقفة قصيرة.. ... 152
407 . الدور الرسالي ... يفجر المشكلة من الداخل ويحولها إلى صراع يثير النزاع
والخلاف والإهتزاز... ... 154
وقفة قصيرة.. ... 154
408 . عجز النبي عن الإتيان بالخوارق، إلا في مواقع قريبة من التحدي.. ... 155
409. الوحي هو الفارق بين النبي والناس.. ... 155
410 . لم نعهد تحدث النبي عن المغيبات في المجتمع لا في الشؤون العامة ولا الخاصة.. ... 155
411 . لم تحتج الرسالة إلى الحديث عن المغيبات الخاصة والعامة.. ... 155
وقفة قصيرة.. ... 156

412 . تفضيل نبي على نبي مبعث خصام وإنقسام.. ... 161
413 . تفضيل ألأنبياء على بعضهم هو في مواقع العمل.. ... 161
414 . تفضيل الله لبعض ألأنبياء لا يمثل مسؤولية لأتباعهم 161

415 . التفضيل هو في نوعية الكتب.. ... 161
416 . التفضيل هو في طبيعة المعجزة أيضاً... ... 161
417 . لا تستغرقوا في الأنبياء كأشخاص (كلام يتكرر عشرات أومئات المرات فيخطبه وكتبه) ... 161
418 . لا فائدة في الوقوف عند تفضيل نبي على نبي... ... 161
وقفة قصيرة.. ... 162
419 . حوارات لا حقيقة لها بين الله وبين ما لا يعقل ولا ينطق من مخلوقاته.. ... 167
420 . نستقرب كون حوار الله مع ملائكته ليس حقيقياً.. ... 167
421 . الإستشارة محاولة للوصول إلى الرأي الأصوب الذي يعني الجهل فلا يستشير الله ملائكته... ... 167
وقفة قصيرة.. ... 170
422 . الولاية التكوينية لسليمان (ع): (خدمات غير عادية).. ... 176
423 . سليمان إحتاج لهذه الخدمات لمشاريعه العمرانية ، وتنقلاته وحاجاته الإنسانية 176
وقفة قصيرة.. ... 177
424 . العلاقة الإلهية المميزة بالنبي تقتصر على الوحي.. ... 178
425 . دور النبي هو تبليغ الوحي للناس كرسالة فقط... ... 178
426 . دور النبي أن يغير العالم في صفته الفكرية والعملية ، لا التكوينية.. ... 178
427 . من يقول بقدرة النبي على التغيير الكوني كَمَن يقول بلزوم كونه ملَكاً.. ... 178
428 . الإعتقاد بأن الله تعالى جعل للنبي ولاية تكوينية مبعث إستغراب.. ... 178
429 . إستهجان الإعتقاد بأن النبي يعلم الغيب دون حدود إذا أراد.. ... 178
430 . لا داعي للبحث فيما ليس من الضرويات في العقيدة والعمل.. ... 178
431 . ما ليس من ضرورات العقيدة وفروض العمل لا قيمة عقيدية أو عملية له.. ... 178
432 . بعض العقائد التي تثبت بالروايات الصحيحة قد تكون مما لا قيمة له.. ... 179
433 . أنبياء يبرزون نقاط ضعفهم البشري بصراحة وتأكيد.. ... 179
434 . حتى ما يثبت من العقائد بالروايات الصحيحة قد يكون فيه سلبيات (كالغلو أو ما يشبه عبادة الشخصية).. ... 179
435 . تحدث القرآن عن الضعف البشري للأنبياء في واقعهم الداخلي والخا جي.. ... 179
وقفة قصيرة..

1-آيات التحدي لبشرية الرسول .
2- مهمة الانبياء وعلومهم .
3- المعصوم يعلم اذا اراد.
4- معجزات الانبياء خارج نطاق التحدي .
5- لا قيمة لغير العقائد الضرورية .
6- لا داعي للبحث في غير العقائد الضرورية .
7- العلاقة المميزة بين الله وبين اوليائه .
8- الولاية التكوينية للأنبياء .
- الولاية التكوينية ضرورة حياتية.
- الهدف من الخلقة وضروراتها الطبيعية .
- اعادة توضيح وبيان .
- النقاط على الحروف .
- ايضاح لا بد منه .
- نقاط لا بد من التأكيد عليها .
- حجم الكون حسب البيان الالهي.
- تسخير المخلوقات للانسان في الآيات القرآنية .
- الشعور والادراك لدى المخلوقات .
- نماذج حية من تسخير المخلوقات العاقلة
- قصة سليمان وداود (ع) نموذج فذ .
- مع آيات سورة النمل 186
188
189
192
192
195
195
196
196

197
199
206
208
210
212
213
213
217
218
221
222
223
الفصل الرابع: قواعد ومناهج.. ... 225
436 . الحكم الشرعي يتغير تبعاً لتغير الإجتهاد.. ... 227
وقفة قصيرة.. ... 229
437 . الأخبار كلها ليست حجة في غير الأحكام.. ... 233
438 . لا يصح الأخذ بالحديث الضعيف في جوانب الحياة.. ... 233
439 . لا بد من اليقين في الأحاديث عن أسرار الواقع.. ... 233
440 . لا بد من اليقين في الأحاديث عن ملكات الأشخاص.. ... 233
441 . أخبار الآحاد لا تقوم لها حجة في التفسير.. ... 233
442 . الإخبارات الكونية لا يكفي فيها خبر الواحد.. ... 233
443 . الإخبارات التاريخية لا يكفي فيها خبر الواحد أيضاً.. ... 233
444 . لا بد من القطع أو الإطمئنان في الكونيات ، وفي التاريخ.. ... 234
445 . القضايا الدينية المتصلة بأفعال الأنبياء لا بد فيها من اليقين والتواتر.. ... 234
446 . إشتراط اليقين في غير الشرعيات يخلصنا من كثير من الروايات.. ... 234
وقفة قصيرة.. ... 236
447 . هناك ما يشبه الإستيحاء للأئمة.. ... 241

448 . إستيحاءات الأئمة مجرد إجتهادات.. ... 241
وقفة قصيرة ... 242
449 . التأويل الإستيحاء للمعنى من خلال إلتقاء المعاني في الأهداف.. ... 245
450 . التأويل لا يعني المعنى الباطني للكلمة.. ... 245
451 . ليس للقرآن بطون ، بل نزل ليفهمه الجميع بشكل طبيعي.. ... 245
وقفة قصيرة
– بطون القرآن والاستيحاء والتأويل .
– تأويل القرآن .
– بطون القرآن .
– أهل البيت (ع) يعلمون بطون القرآن .
– مناوئوا علي (ع) وحساده .
– خلاصة وبيان. ... 247
249
250
254
258
262
265
الفصل الخامس : ماذا عن مقامات أهل البيت(ع) ؟ ... 267
452 . وردت عدة روايات في هذا الرأي أو ذاك الرأي (الظاهر أن مراده بذاك الرأي هو الخلفاء) ...
269
453 . لا يقبل بتفسير الأئمة للآية بالإمام المهدي (عج) ويتبنى رأي المخالفين.. ... 269
454 . ينسب إلى نهج البلاغة ما ليس في نهج البلاغة. ... 269
455 . لا بد من إدخال "المرحلة" الأولى للدعوة في مضمون الآية... ... 269
وقفة قصيرة ... 272
456 . آية البلاغ في" فضل " علي. ... 274
457 . نرجح أن الصحيح في نزول آية البلاغ في " فضل علي ". ... 274
وقفة قصيرة ... 275

458 . الثابتون مع الرسول (ص) في يوم أحد سوى علي.. ... 276
459 . دافع الثابتون عن النبي دفاع المستميت.. ... 276
460 . كسرت رباعية النبي صلى الله عليه واله وسلم.. ... 276
وقفة قصيرة
– سر الاختلاف في من ثبت .
– سر الحكم بثبات ابي دجانة ... 276
279
279
461 . المباهلة أسلوب تأثير نفسي... ... 280
462 . النبي (ص) هو الذي أشرك أهل بيته في المباهلة... ... 280
وقفة قصيرة ... 281
463 . لا فائدة من معرفة دابة الأرض... ... 282
464 . الأئمة يفسرون آية " بالرجعة " والبعض يفسرها بيوم القيامة.. ... 282
وقفة قصيرة ... 283
465 . سليمان يرث أباه في امتداد حركة النبوة فيأخذ موقعه... ... 288
466 . وراثة سليمان لداوود لا بمعنى الإرث المادي... ... 288
467 . المال ليس هو المشكلة المعقدة لدى زكريا في من يملكه بعدموته... ... 288
468 . يرثني ويرث من آل يعقوب ليكون إمتداداً لخط الرسالة... ... 288
469 . ليس المقصود في الآية هو إرث المال.. ... 289
470 . ألمال ليس هو الأساس في الإرث في تفكير زكريا... ... 289
471 . زكريا يريد من يرث موقعه (أي بالنسبة الى الرسالة).... ... 289
وقفة قصيرة.. ... 290
472 . تجاهل الأحاديث المفسرة للأسماء التي علمها الله لآدم بأسماء النبي والأئمة (ع). ... 293
473 . علم الله آدم أسماء الموجودات... ... 294
وقفة قصيرة.. ... 296
474 . سورة المعارج مكية 298
475 . جدال المشركين كان حول الآخرة (لا في إمامة علي). ... 298
476 . نفي ضمني لفضيلة لأمير المؤمنين (ع). ... 299

477 . الزكاة شرعت في المدينة. ... 299
وقفة قصيرة ... 301
478 . من الأساليب الشائعة في قراءة العزاء: أن الحسين فدى بنفسه ذنوب شيعته ... 306
479 . ذنوب الشيعة مغفورة بشكل مباشر كما في التفكير المسيحي.... ... 306
480 . ذنوب الشيعة مغفورة بشفاعة الحسين من خلال استشهاده..... ... 306
481 . الشفاعة من خلال الشهادة أسلوب بعيد عن التفكير الإسلامي 306
وقفة قصيرة ... 307
482 . أراد الله لعباده أن يدعوه بشكل مباشر ليستيجب لهم.. ... 308
483 . لا حاجة في الحديث مع الله إلى الوسائط من البشر ومن غيرهم... ... 308
وقفة قصيرة 309
484 . الله هو الجدير بالعبادة وطلب الشفاعة... ... 312

485 . الشافعون لا يقرّبون بعيداً من الله... ... 312
486 . الشفاعة كرامة للشافع فيشفعه الله بمن يريد أن يغفر له... ... 312
487 . الشفاعة لا تنطلق من رغبة الشفيع الخاصة.... ... 312
488 . الشفاعة "مهمة محددة" فلا تستغرق في ذات النبي والولي لأجلها... ... 312
489 . التوسل بالشفعاء معناه وجود نقاط ضعف في قدرة الله أو في عظمته تعالى.... ... 313
490 . لامعنى للتوجه للمخلوق لطلب الشفاعة ما دام لا يملكها بنفسه.. ... 313
491 . أطلب من الله ليمنح الخاطىء الشفاعة من خلال الشافع 313
492 . لا يطلب أحد من مخلوق شيئاً ، بل الطلب من الله فقط والقصد إليه حتى في الشفاعة... ... 313
493 . الشفاعة وظيفة إلهية محددة الموقع والشخص والدور ... 313
494 . طلب الشفاعة مباشرة من المخلوق لا ينسجم مع التوحيد... ... 313
وقفة قصيرة ... 317
الفصل السادس:متفرقات ... 333
495 . النصارى واليهود موحدون كالمسلمين.. ... 335
496 . لا شرك عند اليهود والنصارى، لا في العبادة ولا في العقيدة.. ... 335
497 . يمكن اكتشاف قناعات مشتركة ومشاعر قريبة مع اليهود.. ... 335
وقفة قصيرة.. ... 337

498 . بعض اليهود يعتقدون بأن لله ولداً... ... 338
499 . بعض النصارى يعتقدون بأن لله ولداً... ... 339
وقفة قصيرة ... 340
500 . الجزية ضريبة مقابل الحماية والإعفاء من الجندية... ... 341
501 . الجزية ضريبة تعني فرض سلطة الإسلام على غير المسلمين... ... 341
502 . المسيحية والإسلام مجرد تنوع في بعض التصورات التفصيلية للدين. ... 341
503 . فرضت الجزية لمعالجة الحالة القائمة في المجتمع الأول للدعوة.... ... 341
وقفة قصيرة.. ... 345
504 . البَرَكة لا تتجمد في المسجد ليتبرك الناس في أرضه وجدرانه.... ... 348
505 . المبارك ليس هومن يضع يده على الرؤوس ليمنحهم بركته.... ... 348
506 . المبارك ليس هوالحامل للأسرار الخفية التي تدفع الناس للمس ثوبه أو جسده.... ... 348
بداية توضيحية تغني عن الوقفة القصيرة ... 348
507 . نظام الإسلام نفعه أكثرمن ضرره.... ... 351
508 . لا يستطيع الإنسان الوصول إلى نظام لا سلبيات فيه ... 351
509 . سلبيات الزنى تتقدم على سلبيات الزواج . (او فقل : إيجابيات الزواج تتفوق على إيجابيات الزنا) ... 351
510 . سلبيات نظام الزواج أقل من إيجابياته 351
وقفة قصيرة ... 352
511 – مضاعفة الثواب تفضلاً دليل على ان أصل المثوبة تفضل أيضاً ... 353
512 . ينسب إلى العلماء ما لايقولون به في موضع الجزاء ... 353
وقفة قصيرة ... 354
فهرس المصادر والمراجع ... 359
كتب صدرت للمؤلف

بسم الله الرحمن الرحيم

...الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على خير خلق الله ، وأفضل رسله ، محمد وآله الطيبين الطاهرين ، واللعنة الدائمة على أعدائهم أجمعين الى قيام يوم الدين.

... وبعد ..

...فهذا هو الجزء الثاني من كتاب ، " خلفيات كتاب مأساة الزهراء" ، أقدمه الى القراءالكرام ، على أمل أن ينفع الله به من القى السمع وهو شهيد ، وأسأله تعالى أن يجعله خالصا لوجهه الكريم ، إنه خير مأمول ، وأكرم مسؤول .

...ولي رجاء أكيد من القارئ الكريم ، هو أن لا يغفل عن الجزء الأول من هذا الكتاب ، لأن هذا الجزء الذي بين يديه يتضمن إحالات متعددة على ذاك ، فلا بد من مراجعته ، للتوضيح أو للتتميم . ثم أطلب منه أن يراجع كتاب " مأساة الزهراء " في طبعته الثانية التي تشتمل على كتاب " لماذا كتاب مأساة الزهراء " .

...وثمة رجاء آخر آمل ان لا يردّه القارئ عليّ ، وهو أن ينظر الى ما قيل في هذا الكتاب وفي غيره ، ولا يكن همه النظر الى من قال . . . ولتكن القاعدة القوية والحاسمة عنده هي : " إن الحق لا يُعرف بالرجال ، وإنّما يعرف الرجال بالحق " . و"اعرف الحق تعرف أهله " و{ أفمن يهدي الى الحق أحق أن يتبع أمّن لا يهدّي الا أن يُهدى فما لكم كيف تحكمون} (1) .

...فليراجع النصوص التي نقلناها في مصادرها ، وليقارن ، ليتأكد من أننا لم نقطّع أوصال الكلام ، ولا أخللنا بالنقل.

...وليكن رائده هو معرفة الحق ليحدد موقفه من خلال معرفة تكليفه الشرعي الذي سيطالبه الله به يوم يلقاه ، حيث {لا ينفع مال ولا بنون ، الا من أتى الله بقلب سليم } . وإنا على ثقة ويقين أن من يعمل بهذه القاعدة بصدق، وينطلق منها بإخلاص ، فإن الله سيشرح صدره للحق وللحقيقة ، وسيكون إن شاء الله مسدداً ومؤيداً من الله سبحانه . . .

...قال تعالى: { و الذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا}

...وفقنا الله جميعاً للسير في طريق الهدى والرشاد ، وعصمنا الله بالسداد وبالتقوى ، بحق الرسول المصطفى صلى الله عليه وآله ، وبحق الأئمة الطاهرين صلوات الله عليهم أجمعين .

حرر بتاريخ 17 ربيع الأول 1419 هـ .ق

جعفر مرتضى العاملي

من خارج "من وحي القرآن"

سئل "البعض" في موسم الحج سنة 1418هـ/1998م

...نقل عنكم انكم ترون ان كل ما جاء في الطبعة الأولى في كتابكم " من وحي القرآن " صحيح ؟

...

...فأجاب :

...صحيح هذا . .غاية الأمر فيه تبديلات وتغييرات في الأساليب التي سترونها في الطبعة الثانية إن شاء الله .

من حوار مسجل بصوته
لفت نظر

---

(1) يونس /35

أ – قد اقتصرنا في هذا الجزء على نصوص ذكرها البعض في كتابه " من وحي القرآن " الطبعة الأولى ، ولا ندري إن كنا سنخصص الجزء الثالث والذي يليه بخصوص ما ورد في كتابه " من وحي القرآن " أيضاً أم أننا سنكتفي بهذا المقدار ، ونصرف النظر الى ما ورد في بقية كتبه ونشراته. . .
ب –أما محاضرا ته المسجلة على أشرطة الفيديو والكاسيت فقد صرفنا النظر عما فيها تحاشياً لأي التباس يمكن أن يثيره ذلك البعض أو غيره فيما يرتبط بصحة نسبتها اليه و بدقة النقل عنها. وربما يأتي يوم يحتاج القارئ فيه الى الاطلاع على بعض ما فيها أيضاً.
... على أننا لو أردنا أن نتابع إصداراتنا الى أكثر مما وعدنا به القارئ الكريم من اجزاء ، فسنبقى في غنى عن اعتماد غير المطبوع الصادر من قبل صاحب القضية
... ...فليعلم ذلك .

يقول البعض في كتابه "من وحي القرآن" ج2 ص171 :
...وقد يكون الأساس في إختيار النبي للخطاب، ثم إتباع اقسى الأساليب شدة في خطاب الله معه ، هو الإيحاء بأن هذه القضية هي من القضايا التي تبلغ مرحلة كبيرة من الأهمية والخطورة بالمستوى الذي لا يمكن فيها مراعاة جانب أي شخص ، وإن كان عظيماً في مستوى عظمة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم لأن عظمة الأشخاص وقداستهم مستمدة من طاعتهم لله فيما يريد وفيما لا يريد فإذا انحرفوا عن الخط ، ولن ينحرفوا عنه ، سقطت عظمتهم وتحولوا إلى أشخاص عاديين خاطئين لا يملكون لأنفسهم من دون الله ولياً ولا نصيرا .
...ويعتبر هذا اسلوب من الأساليب البارزة في القرآن في القضية التي تتخذ جانب الخطورة على أساس العقيدة وصدقها وسلامتها من الإنحراف. (1)

الفصل الأول

صورة الأنبياء

بين الواقع . . والشعار

بداية:

قد ذكرنا في الجزء الأول من هذا الكتاب طائفة من الأقوال التي أطلقها البعض في حق الأنبياء ، والأوصياء ، نحسب أنها تكفي لإعطاء تصور دقيق عن نظرة هذا الرجل إليهم والى دورهم ، ومواقفهم .

---

(1) – من وحي القرآن ج2ص171.

وكنا– ولازلنا– نرى أن ما أوردناه في الجزء الأول من مطالب مختلفة يكفي في ذلك ، ويعطي الدليل الحي على حقيقة ما وكيف يفكر فيه هذا البعض تجاه القضايا الإسلامية ، والإيمانية وغيرها .

...ولكن بما أن فريقاً من الناس لا يزال في منأى عن وعي هذه الحقيقة بصورة كافية وسليمة . . رأينا من اللازم الوقوف عند العهد الذي قطعناه على انفسنا بضرورة ذكر طائفة أخرى من الموارد تعطي بمجموعها مع ما تقدمها تصوراً أَوْفى عن تشعّب ، وتخالف ، وتنوع القضايا التي تعرض لها ، وعن أن ذلك يدخل في دائرة نهج تشكيكي عريض له ميزاته وخصائصه ، التي يهيئ من خلالها الفرصة لتكوين تيار يحاول الانفصال عن القاعدة الإيمانية الأم ، ليواصل هجرته عنها إلى غيرها . . فإلى ما يلي من مطالب نقرؤها في الصفحات التالية مع مراعاة التسلسل الرقمي الموجود في الجزء الاول:

يقول البعض :

...

..".. وتبدأ الآيات من جديد في هذه السورة ، لتضع الإنسان أمام بداية الخلق، ليعيش التصور الإسلامي عن تكريم الله للإنسان، وعن شخصية إبليس في خصائصه الذاتية ،وفي طريقته في التفكير ، وفي مخططاته من أجل إغواء الإنسان وإضلاله من خلال عقدة الكبرياء المتأصلة فيه. . . ثم في محاولاته الناجحة ، في البداية – فيما قام به من إثارة نقاط الضعف في شخصية آدم – حتى أخرجه وزوجه من الجنة . . . ثم . . . في عودة آدم إلى الله في عملية إنابة وتوبة وانطلاقة تصحيح ، وموقف قوة في حركة الصراع مع ابليس وذلك من أجل أن يعيش الانسان الوعي لدوره المتحرك في آفاق الصراع مع الشيطان في كل مجالات حياته . . . فكيف عالجت هذه الآيات القصة . . ؟ " (1)

ويقول أيضاً :

" وأراد الله أن يوحي إلى آدم بكرامته عليه ، فيما يمهد له من

(1) – من وحي القرآن ج10ص22و23.

سبل رضوانه ونعمه . . فقال له . . { اسكن أنت وزوجك الجنة} وخذا حريتكما في التمتع بأثمارها فيما تختاران منها ممّا تستلذانه أو تشتهيانه . . { فكلا من حيث شئتما } لا يمنعكما منه مانع {ولا تقربا هذه الشجرة } فهي محرمة عليكما . . هذه هي إرادة الله التي انطلقت من موقع حكمته في توجيهكما إلى أن تواجها المسؤولية من موقع الالتزام والإرادة ، في الامتناع عن بعض ما تشتهيانه من أجل إطاعة الله فيما يأمر به أو ينهى عنه فلا بد من تجربة أولى لحركة الإنسان في عملية الإرادة . . فلتبدأ تجربتكما الأولى .. في هذه الأجواء الفسيحة التي منحكما الله فيها كل شيء . . . مما يجعل من النهي الصادر منه إليكما ، تكليفا ميسرا لا صعوبة فيه ولا حرج . . . فبإمكانكما السير في نقطة البداية من أيسر طريق . . . فلا تقربا هذه الشجرة { فتكونا من الظالمين } الذين يظلمون أنفسهم ، ويسيئون إليها بالانحراف عن خط المسؤولية في طاعة الله ... ولم يكن لديهما أي حافز ذاتي يدفعهما إلى المعصية ، لأنهما لا يشعران بالحاجة إلى هذه الشجرة بالذات . . ما دامت الشجرة لا تمثل شيئا مميزا في شكلها وثمرها . . . فليست هناك أية مشكلة في ذلك ".(1)

ويقول أيضا :

(1) –من وحي القرآن ج10ص28و29.

..." ولم يكن عندهما أية تجربة سابقة في مخلوق يحلف بالله ويكذب ، أو يؤكد النصيحة ويخون . . . أو يغش ، فصدقاه ، وأقبلا على تلك الشجرة المحرمة يذوقان من ثمرتها ما شاءت لهما الرغبة أن يذوقا . . . { فَدَلاّهُما بغرور } أي أنزلهما عن درجتهما الرفيعة فأوصلهما إلى مرحلة السقوط بسبب الغرور الذي أوقعهما فيه ، فيما استعمله من أساليب الخداع { فلما ذاقا الشجرة بدت لهما سوأتهما} وشعرا بالعري. . الذي بدأ يبعث في نفسيهما الشعور بالخزي والعار ، في إحساس جديد لم يكن لهما به عهد من قبل .. وقيل . . انهما كانا يلبسان لباس أهل الجنة فسقط عنهما بسبب المعصية . . {وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة . . } ليستراها في إحساس بالحاجة إلى ذلك ، بطريقة غريزية من خلال شعورهما بالدور الخجول للعورة . . . أو لأمر آخر يعلمه الله . . . وسقطا في الامتحان وأخفقا في التجربة . . وبدأ هناك شعور خفي بالخيبة والمرارة . . فيما بدا لهما أنهما ارتكبا ما لا يجب أن يرتكباه . . . وربما تذكرا نهي الله لهما عن الأكل من الشجرة . . . وربما يكونان قد عاشا بعض الحيرة فيما يفعلانه في موقفهما هذا . . . فهذا أمر جديد لا يعرفان كيف يتصرفان فيه ... وهنا جاءهما النداء من

الله مذكرا ومؤنبا { وناداهما ربهما ألم أنهكما عن تلكما الشجرة . . . } فكيف خالفتما هذا النهي وعصيتماني .. ما هي حجتكما في ذلك ؟ .. هل هي وسوسة الشيطان . . ؟ وكيف لم تنتبها إلى وسوسته .. ؟ ألم أحذركما منه {وأقل لكما إن الشيطان لكما عدوّ مبين } يضمر لكما الحقد والعداوة والحسد . . . منذ رفض السجود مع الملائكة وخالف أمر الله بذلك . . . ووقف وقفة التحدي للإنسان ليغويه ويضره ويقوده إلى عذاب السعير . . . وها أنتما تريان كيف قادكما إلى هذا الموقف المهين . . وتمثلت لهما الجريمة في مستوى الكارثة . . كيف نسيا تحذير الله لهما . . كيف أقبلا على ممارسة الرغبة المحرمة وغفلا عن عداوة

الشيطان لهما . . وكيف خالفا أمر الله الذي خلقهما وانعم عليهما . . وبدءا يعيشان الندم كأعمق ما يكون . . في إحساس بالحسرة والمرارة والذعر . . ولكنهما لم يستسلما لهذه المشاعر السلبية طويلاً ولم يسقطا في وهدة اليأس . . فلهما من الله أكثر من أمل " (1) .

ويقول مشيراً إلى إحساس آدم بالخزي والعار :

" { ينزع عنهما لباسهما } الذي يستر عورتيهما . . فيما ألقى الله عليهما من ألوان الستر { ليريهما سوآتهما } ليعيشا الإحساس بالخزي والعار ." (2)

...ويقول أيضاً مشيراً إلى نفس الموضوع :

..."... وجاءت هذه الآيات التي تبدأ النداءات بكلمة { يا بني آدم } للإيحاء إليهم بالتجربة الحيّة التي عاشها آدم مع إبليس.. لئلا يكون التفكير في المسألة في المطلق . . بل يكون من موقع التاريخ الحي . . وقد استوحت الآيات قصة العري الذي شعر به آدم بسبب معصيته ، في حالة من الإحساس بالخزي والعار . . . لتوجه بنيه إلى النعمة التي أنعم الله بها عليهم ، فيما خلق لهم من اللباس الذي يصنعونه من أصواف الأنعام وأوبارها وشعورها ". (3)

ويقول أيضاً :

..."... كانت أول تجربة لهما في الوجود . . وانسجما مع التجربة في بساطة وعفوية . . وكان الشيطان لهما بالمرصاد . فقد عرف أن الفكر الذي يملكه الإنسان لا يقوى على مواجهة التحديات إلا من خلال التجارب المريرة التي يتعرف من خلالها أن الحياة لا تتمثل في وجه واحد ، فهناك عدة وجوه وألوان . . ولم تكن لهذين المخلوقين الجديدين أية تجربة سابقة مع الغش والكذب والخداع واللف والدوران . . كان الصدق . . وكانت البساطة في مواجهة الأشياء ، وكانت العفوية في تقبل الكلمات . . هي الطابع للشخصية البريئة الساذجة التي تتمثل في كيانهما . .

---

(1) من وحي القرآن ج10ص32و33.

(2) من وحي القرآن ج10ص39
(3) من وحي القرآن ج10ص37.

...وبدأت العملية من موقع حقده وحسده وعداوته. . فمشى إليهما في صورة الملاك الناصح ليقول لهم : إن هذا النهي عن الأكل من الشجرة لا يلزمهما ، بل سيحصلان – من خلال تجاوزه – على لذة الخلود والانطلاق في أجواء الملائكة . . وبدأت الكلمات الجديدة المغلفة بغلاف من البراءة والنصح تأخذ مفعولها في نفسيهما ، فهما لم يتصورا أن هناك غشا في النوايا ، وخداعاً في الأساليب . . . بل كل ما عندهما الصفاء والنقاء والنظر إلى الحياة من وجه واحد ، هو الحقيقة بعينها . . . فاستسلما للكلمات من دون أن يشعرا بأن ذلك يمثل تمردا على الله وعصيانا لإرادته فقد كان لأساليبه فعل الساحر في نفسيهما تماما كما هي الأحلام عندما تغرق الإنسان في أجواء روحية لذيذة فتبعده عن واقعه وعن حياته.

...وسقطا أمام أول تجربة . . ونجح إبليس في التحدي الأول للإنسان ، فأهبطه من عليائه وأسقطه من مكانته . . لئلا يبقى الساقط الوحيد في عملية التمرد على الله . . فها هو يشعر بالزهو والرضا ، لأنه استطاع أن يهبط بقيمة هذا المخلوق الذي كرمه الله عليه ، إلى درك الخطيئة ليصبح منبوذا من الله . . وجاء الأمر من الله إليهم جميعا.. آدم وحواء وإبليس أن يهبطوا جميعا . . وان يعيشوا في الأرض إلى المدى الذي يريد لهم أن يعيشوا فيه ، ويتمتعوا فيما هيأه الله لهم من صنوف المتع واللذات . . وان يواجهوا الموقف بين الفريقين ، فريق الانسان .. الخ .. " (1)

ويقول أيضا في مورد آخر :

---

(1) من وحي القرآن ج1ص181و182

..."... ويعود القرآن إلى حديث الإنسان الأول آدم في كل مورد للإيحاء بالضعف الإنساني الذي قد يسقط أمام تجربة الإغراء حتى يخيّل إليه أنه يمثل الفرصة السانحة السريعة التي إذا لم يستفد منها وينتهزها فإنه يتعرض للحرمان الأبدي . . ولذلك فإنه يبادر إلى انتهازها مدفوعا بهذا التصور الوهمي . . ثم يكتشف – بعد الوقوع في المشكلة – بأن المسألة ليست بهذه السرعة ، وأن النتائج الإيجابية الموعودة ليست بهذا الحجم ، فقد كان بإمكانه أن يصبر ويحصل على نتائج جيّدة أفضل وأكثر دواماً وثباتاً ."

إلى أن قال :

...{ ولقد عهدنا إلى آدم من قبل } وأوصيناه وحذرناه مما قد يواجهه من تجربة الانحراف بتسويل إبليس

الذي يحمل له أكثر من عقدة منذ إبعاده عن رحمة الله بابتعاده عن الاستجابة لأمره بالسجود لآدم . . في الوقت الذي لم يحمل له آدم أي شعور مضاد . . ولكن آدم لم يتعمق في وعي الموضوع ، ولم يأخذ مأخذ الجدّية والاهتمام ، وبقي مستمرا على خط العفوية والبساطة الصافية في مواجهته للأشياء {فنسي } ما ذكرناه به فترك الامتثال للنصيحة الإلهية التي لم تكن أمرا تشريعيا يستتبع عقابا جزائيا ، بل كان أمرا إرشاديا يتحرك من المنطق الطبيعي للأمور فيما ترتبط به النتائج بمقدماتها ."

إلى أن قال :

... { فوسوس إليهما الشيطان قال يا آدم هل أدلك على شجرة الخلد } التي إذا أكلت منها أعطتك خلود الحياة التي لا فناء فيها { وملك لا يبلى } فيما يشتمل عليه من سلطنة دائمة مطلقة لا تسقط أمام عوامل الاهتزاز والسقوط .

...وهكذا حاول الالتفاف على أحلامهما الإنسانية في الخلود والملك الباقي من دون أن يثير فيهما عقدة الخوف من المعصية لله ، ولهذا كان أسلوبه هو أسلوب التحذير الذاتي ، والغفلة الروحية عن النتائج السلبية التي تنتظرهما ، إذا استسلما إليه .

...وهذا هو الذي يجب أن ينتبه إليه الإنسان في مواقفه العملية، فيما قد يوسوس إليه الشيطان من التأكيد على حركة الحلم الوردي في مشاعره بطريقة غير واقعية ، مستغلا حالة الاسترخاء الروحي ، والغفلة الفكرية التي يخضع لها في وجدانه ، مما يجعله مشدودا إلى الجانب الخيالي من أفكاره من دون مناقشة لها في قليل أو كثير فينحرف من موقع الغفلة لا من موقع الوعي ، ومن أجواء الحلم لا من أجواء الواقع ، كما حدث تماما لآدم وحواء عندما كانا ينعمان بسعادة الجنة ونعيمها في ظلال عفو الله ورحمته ورضوانه ، يتبوءان من الجنة حيث يشاءان ، فليس لديهما مشكلة هناك . . فلم يكن من إبليس إلا أن وسوس إليهما مستغلاً جانب الغفلة ، فعزلهما عن الواقع ، ودفعهما إلى التفكير بالخلود والملك الباقي من خلال الأكل من الشجرة التي نهاهما الله عنها . . ولو فكرا جيدا لعرفا أن الخلود والملك ليسا من الأشياء التي تحصل بفعل الأكل من شجرة ، بل هما نتيجة الإرادة الإلهية التي تملك أمر الموت والحياة ، والملك الباقي أو الفاني ، ولكنهما استسلما للجو الخيالي المشبع بالأحاسيس الذاتية المتحركة مع الأحلام

...إن الموقف المتوازن هو الموقف الذي ينطلق من القرار المبني على الدراسة الموضوعية للأشياء ، وعلى النظرة الواقعية لموقعها من المستقبل مما يفرض على الإنسان أن يتخفف كثيرا من أحلامه ، لمصلحة الكثير من أفكاره ومواقفه الثابتة في الحياة .

...{فأكلا منها فبدت لهما سوءاتهما} فيما يعنيه ذلك من الإحساس بالعري الذي لا يغطيه شيء ،فيما يعيشان الشعور معه بالعار والخزي في الوقت الذي كانا يتحركان ببساطة من دون مراعاة لوجود شيء في جسديهما يوحي بالستر ، لأن مسألة الخطيئة في أفكارها وأحلامها لم تكن واردة في منطقة الشعور لديهما . . ولهذا كانا لا يشعران بوجود عورة . . لأن ذلك هو وليد الشعور بالمنطقة الخفية من شخصية الإنسان فيما يختزنه في داخله من أفكار وأحاسيس كامنة في الذات . { وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة } في عملية تغطية وإخفاء وتخلص من العار {وعصى آدم ربه فغوى } وابتعد عن خط الرشد الذي يقود الإنسان إلى ما فيه صلاحه في حياته المادية والمعنوية ولكن هذا الانحراف الطارئ البسيط لم يكن حالة معقدة في عمق الذات تفرض عليه الاستسلام للخطيئة كعنصر ذاتي لا يملك الانفكاك منه بل هو حالة إنسانية تستغرق في الغفلة لحظة ثم تثوب إلى رشدها لتدخل في عالم الاستقامة من جديد . . إلى أن قال : ...

...{ثم اجتباه ربه } واصطفاه إليه واختاره لنفسه فلم يتركه ضائعا حائرا في قبضة فرعون . . { فتاب عليه } ورضي عنه {وهدى} وفتح له أبواب رحمته ، ودله على الطريق المستقيم وأراده أن يواجه الحياة من مواقع قوة الإرادة في ساحة الصراع مع الشيطان ، ولعل الله سبحانه أراد أن يجعل له من تجربة العصيان في الجنة ، فترة تدريبية يمارس فيها حركة الوعي للجو الشيطاني الذي يتحرك فيه الكذب والغش والدجل والخيانة والرياء . . . ليختزن الفكرة قبل أن ينزل إلى الأرض التي أعده الله ليكون خليفة له فيها ، فيستفيد من تجربة سقوطه وخروجه من الجنة على أساس ذلك ، كيف يعمل على أن يتفادى السقوط في الأرض أمام الشيطان الذي غره من موقع العقدة الشيطانية المستعصية ، وكيف يجعل من دوره الرسالي ، موقع قوة للحياة وللإنسان لا موقع ضعف . وهكذا أراد الله له أن يعيش الشعور برضا الله عنه وهدايته له فيما يريد له أن يتحرك فيه ..."(1)

...ويقول أيضاً :

..."... قد يثور أمامنا سؤال : إننا نعرف في قصة خلق آدم ، في حوار الله مع الملائكة ، ان الله قد خلقه للأرض ولم يخلقه ابتداء ليعيش في الجنة ، فكيف نفسر هذا الأمر الذي يوحي بأن الجنة كانت المكان الطبيعي له لولا العصيان ؟ والجواب عن ذلك... هو أن الأمر الإلهي كان جزءاً من عملية التدريب الإلهي المرتكزة على فكرة الربط بين الجنة والطاعة في وعي الإنسان مع علم الله بأنه لن ينجح في الامتحان ،فكان تقديره في خلقه للأرض من اشتراط البقاء في الجنة بشرط غير متحقق ، فلا منافاة بين الأمرين .

---

(1) من وحي القرآن ج 15 ص 169-177

...وقد نستوضح الصورة في إطار الفكرة الأصولية التي يبحثها علماء الأصول في موضوع صيغة الأمر . . وهي أن دوافع الأمر قد تختلف ، فقد يكون الدافع له هو إرادة حصول الفعل من المأمور وقد يكون الدافع هو امتحان اخلاص المأمور وطاعته ، أو إظهار قوة إيمانه وإخلاصه ، من دون أن يكون هناك أي غرض يتعلق بالفعل ، كما نلاحظه في أمر الله لإبراهيم بذبح ولده ، لا لأن الله يريد ذلك(ولذلك رفعه قبل حصوله) بل ليظهر عظمة التسليم المطلق لله في سلوك الأب والابن ليكونا مثلا وقدوة للناس ، وقد يكون الداعي أمرا آخر ، وهو تدريب الإنسان على مواجهة حالات السقوط بتعريضه لتلك التجربة ليتنبه إلى أمثالها في المستقبل كما في حالة آدم (ع). ونحن لا نجد أي مانع عقلي في ذلك بل هو واقع كثيرا في أفعال العقلاء وأساليبهم في الأوامر والنواهي . . .

...ولا مجال للاعتراض هنا بأن الله كلف آدم بما يعلم أنه لا يمتثل من خلال الظروف الموضوعية المحيطة به ، أولا ، لان العلم بعدم الامتثال لا يمنع من التكليف أساسا باعتبار أن العلم معلول للمعلوم وليس الأمر بالعكس . . وثانيا : أن التكليف لم يستهدف حصول الفعل ، بل استهدف وعي التجربة المستقبلية من خلال التجربة الحاضرة وعلى ضوء هذا نجد أن الأمر هنا يشبه الأمر في قصة إبراهيم ولكن بطريقة متعاكسة في الموضعين .

التوبة ومدلولها في حياة الإنسان:

...{ فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه إنه هو التواب الرحيم ... } لعل في هذه الآية بعض الدلالة على أن الموقف كله في قضية آدم كان تدريبا من أجل أن يعي الإنسان في مستقبل حياته كيف تتحرك الخطيئة في نفسه وكيف تدفعه بعيدا عن الله . . فقد عالجت هذه الآية قضية التوبة ، ووضعها في نطاق الأشياء المتلقاة من الله مما يوحي بأن آدم لا يحمل أية فكرة فطرية عنها ، فكان الإيحاء والإلهام من الله من اجل أن يتعلم كيف يتراجع عن الخطأ فلا يستمر عليه . .. أما طبيعة الكلمات فقد اختلف المفسرون فيها ، ولكن الأقرب إلى الذهن هو ما حدثنا عنه القرآن في سورة الأعراف في قوله تعالى:{ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكوننّ من الخاسرين }–الاعراف/23

...انه الشعور العميق بطبيعة الخطأ وعلاقته بنفس الخاطئ وحياته وانعكاساته على قضية مصيره فليست القضية متصلة بالله باعتبارها شيئا يسيء إليه أو يمس سلطانه ، ولكنها متصلة بالموقف الإنساني من الله بقدر علاقته بموقفه من مصلحة نفسه ، مما يجعل من بقاء الذنب في موقعه خسارة كبيرة للإنسان في الدنيا والآخرة ، ويكون طلب المغفرة والرحمة منطلقا من الرفض الكبير للمصير الخاسر . فلا خسارة اعظم من خسارة الإنسان علاقة القرب إلى الله لأنه يخسر بذلك امتداده الإنساني في الطريق المستقيم . ((1).

وقفة قصيرة :

...1- إننا لا نريد أن نعلق على كل ما ورد في الصفحات المتقدمة حول آدم عليه السلام ، ولا سيما قوله : إن شخصية آدم بريئة وساذجة . وهوالأمر الذي اكده من جديد في محاضرته في قاعة الجنان بتاريخ 20 جمادى الثانية 1418 هـ . وطبعت بعنوان : الزهراء المعصومة النموذج للمراة العالمية ، ط سنة 1997 ص 50 . وليعلم القارئ الكريم أن ما تركناه من أقاويل هذا الرجل المشتملة على أمثال ما ذكر هنا ، هو اكثر مما أوردناه في هذا الجزء وفي الجزء الأول من هذا الكتاب .

---

(1) من وحي القرآن ج1ص188-191

...2- ان هذا البعض قد ذكر في ما نقلناه عنه : أن الله سبحانه أراد أن يضع الإنسان أمام بداية الخلق ، ليعيش التصور الإسلامي عن تكريم الله للإنسان .

...ولكن ليت شعري أي تكريم هذا الذي يتحدث عنه هذا البعض ، وهو نفسه يقدم لنا في كتابه " من وحي القرآن " بل وسائر كتبه – التي جدد التزامه بكل ما اورده فيها في محاضرته المشار اليها في قاعة الجنان- أوصافاً وأفعالا ينسبها إلى الانبياء ما يقزز النفس ، ويثير الغثيان، ويبعث على القرف ، حتى ليتمنى أي إنسان عادي لو أن الله خلق شيئا آخر بدلا عن هذا الإنسان الأضحوكة والمسخرة والساقط والمهان . وان سائر ما ذكرناه هنا وفي الجزء الأول من هذا الكتاب يكفي للدلالة على نوع الأفكار التي يقدمها هذا البعض عن أنبياء الله وأصفيائه ، فهي الى التوراة أقرب منها الى القرآن .

... وليس ثمة مجال للاعتذار عن ذلك بأن ظواهر القرآن تشير إلى ذلك لأننا في الجزء الأول من هذا الكتاب قد شرحنا الآيات الكريمة التي تعرضت لما جرى لآدم ولغيره من الأنبياء ، وظهر جليا ان ما يقوله هذا البعض لا ينطبق على تلك الآيات .

...3-على أن من الطريف أن نشير هنا إلى ان الحديث عن شعور آدم وحواء بالخزي والعار ، لا موقع له ، إذ انهما كانا وحدهما في الجنة ، ولم يكن ثمة ناظر لهما غيرهما ، وهما زوجان لا محذور من نظر أحدهما إلى الآخر . .

...إلا أن يقال : إن الجن والملائكة ، وحتى الشيطان كان أيضا موجوداً ، ولا يريدا أن ينظر احد – خصوصاً هذا المخلوق الشرير –إليهما ، أو يقال : إن إحساسهما بظهور عورتيهما كان هو المرفوض من قبلهما . وعلى أي حال ، فإننا لا نتفاعل !! مع تعبيره عن آدم النبي عليه السلام ، أنه شعر " بالخزي والعار (1) " فإن ذلك غير لائق في حقه عليه السلام .

(1) من وحي القرآن ج10 ص 37و 38

...كما أن ذلك مجرد دعوى بلا دليل ، ولم يكن هذا البعض حاضرا ولا ناظرا ،ولا مطلعا على آثار هذا الخجل الناشئ عن الشعور بالخزي والعار، ولا رأى عليهما آثار الاضطراب ولا شاهد حمرة الخجل في وجهيهما ، ولا غير ذلك من علامات .

...وبعد ، فإن من الواضح أن آدم عليه السلام ، قد أكل من الشجرة ، فواجه آثارا سلبية في جسده لم تكن قد مرت به من قبل . وقد كانت هذه الآثار متعددة عبّر عنها القرآن الكريم بكلمة "سوءات" التي هي صيغة جمع ، وقد نسب هذا الجمع إلى آدم وحواء كل على حدة ، ومعنى ذلك أنه قد ظهرت سوآت عديدة لكل واحد منهما ، لا سوءة واحدة لينحصر الأمر بموضوع ظهور العورة منهما ؛ إذ لو كان المراد هو خصوص ذلك لكان الأنسب أن يقول: بدت لهما سوأتاهما .وتبديل المثنى بالجمع انما يصار اليه في الموارد التي يقطع فيها بإرادة المثنى ، بحيث يكون العدول ؟؟

...4- إن العناوين التي ذكرناها في بداية كلام هذا البعض ، والمأخوذة من كلماته وتعابيره ، تعطينا فكرة عن طبيعة اللغة و اللهجة التي يتحدث بها عن أنبياء الله سبحانه وتعالى ؛ فإنها ليست لغة سليمة ولا مقبولة، مهما حاولنا التبرير والتوجيه ، والالتفاف على الكلمات بالتأويل أو بغيره .

...فهل يصح أن يقال : إن آدم عليه السلام وهو النبي المعصوم قد سقط أمام التجربة ، أو أنه أساء إلى نفسه بانحرافه عن خط الرشد والمسؤولية في طاعة الله ؟

...أو أن آدم قد تعرض للحرمان الأبدي حين سقط في تجربة الإغراء ؟!

...أو أن الله حذر هذا النبي من تجربة الانحراف بتسويل إبليس؟! ...وهل يصح وصف آدم بالمنحرف ؟ ، وما جرى له بالإنحراف؟!

...أم يصح أن يقال عن نبي : انه لم يفكر جيداً ؟!

...أو يقال إنه لم يشعر أن ذلك يمثل تمردا على الله وعصيانا لإرادته ؟!

...أو أنه لم يأخذ الموضوع – فيما يرتبط بالأمر الإلهي – مأخذ الجدية والاهتمام ؟!

...أو أن جريمة آدم تمثلت له في مستوى الكارثة ؟!

...وماذا يعني أن ينسب إلى آدم استسلامه للجو الخيالي المشبع بالأحاسيس المتحركة مع الأحلام ؟!

...أو أن يقال : إن الله تعالى أراد تدريبه ليعي كيف تتحرك الخطيئة في نفسه في المستقبل ؟! وكيف تبعده عن الله ؟!

...وهل يصح أن يقال عن نبي من الأنبياء: انه سقط إلى درك الخطيئة ؟!

...أو أن يقال : إن إبليس قاد آدم إلى الموقف المهين ؟!...

...أو أن هذا النبي قد أصبح منبوذا من الله سبحانه ؟!

...الا ترى معي أنها عبارات تستعمل عادة لأقل الناس و احطهم؟!

...5- وهل يمكن أن يقبل أحد مقولة أن هذا النبي لا يحمل فكرة فطرية عن التوبة فاحتاج إلى أن يتلقاها من الله سبحانه وتعالى ؟!. وأية آية دلّته على هذا النفي ؟! فإن تلقي الكلمات من الله وتعليم الله سبحانه لآدم كلمات (هي أسماء أصحاب الكساء) أو دعاءً مخصوصاً ، لا يعني انه كان لا يدرك حسن التوبة ، ومطلوبيتها ، فإن وجوب التوبة امر عقلي ، ثابت في الشرع ، والعقل يدرك حسنها كما هو معلوم لدى العلماء اذن فالذي علمه الله إياه من الكلمات-كما ورد في روايات اهل البيت (ع)- هو الدعاء ، والاستشفاع بأهل البيت من أجل أن يتوسل بذلك إلى الله في توبته التي يدرك بعقله حسنها ومطلوبيتها لله سبحانه وليس في الآية أنه تعالى علّمه ان يتوب .

...6- كما أننا نلاحظ : أنه يستقرب أن تكون الكلمات التي تلقاها آدم من ربه فتاب عليه ، هي خصوص قوله تعالى { قالا ربنا ظلمنا أنفسنا وان لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين } (1) .

...فإن هذه الكلمات تفيد أن آدم (ع) قد دعا بها ربه ، طالبا أن يغفر له ويرحمه حتى لا يكون من الخاسرين . وليس هناك ما يدل على أنها هي الكلمات التي علمها الله لآدم .

---

(1) سورة الأعراف الآية 23.

...7- إن الأنسب والأوفق بسياق الآيات هو أن تكون الكلمات التي علمها الله لآدم هي تلك التي وردت في الروايات الكثيرة عن اهل بيت العصمة عليهم السلام ، وهي أسماء الأئمة والحجج على الخلق عليهم أفضل السلام ، لأنها هي الكلمات التي تحتاج إلى تعليم في مقام كهذا لكي يستشفع آدم (ع) بمسمياتها لما لهم (ع) من كرامة على الله.

...وتكون هذه مناسبة جليلة يتعرف فيها آدم وذريته اكثر فاكثر على مقام هؤلاء الصفوة ليكون تعلقهم بهم أقوى ، ومحبتهم لهم أشد، وتقربهم منهم ومن خطهم ونهجهم أولى وأتم . . .

...ولا ندري لماذا لم يشر هذا البعض إلى هذه الأحاديث الكثيرة جدا التي صرحت بأن الكلمات التي علمها الله لآدم هي اسماء هؤلاء ، وكيف ولماذا استقرب أنها آية 23 من سورة الأعراف : { قالا ربنا ظلمنا انفسنا ... } مع أنه لا إشارة إلى ذلك أصلا لا في الآية ولا في الرواية . بل إن ما ورد في هذه الآية هو الموقف الطبيعي والعفوي الذي ينتظر صدوره من آدم عليه السلام من دون حاجة إلى أي تعليم .(1)

...8- على أن لنا أن نتوقف قليلا عند قصة سجود إبليس لآدم ، التي سبقت قضية الأكل من الشجرة ،

لأنها كانت في بدء خلقة آدم ، فهل بقي آدم غافلا عن حقيقة موقف إبليس منه ؟ ألم يطلعه الله سبحانه على سوء سريرة إبليس ، وعلى أنه عدو لهما { و أقل لكما إن الشيطان لكما عدو مبين }.

...أليس في قول الله سبحانه هذا لهما إشارة إلى أن هذا المخلوق ليس مأمونا ، وغير مرضي الطريقة ، ولا يسير في الصراط المستقيم؟.

...وألا يكفي آدم التوجيه الإلهي الصريح والواضح ، حتى يحتاج إلى التدريب والتجربة ؟!.. ولماذا اقتصرت تجربة آدم على الكذبو الغش ، ولم تتعد ذلك إلى سائر أنواع الفواحش ؟!

...أم أن هذا البعض يلتزم بأن آدم في نطاق دورته التدريبية قد واجه ابليس وعاينه حين ارتكابه لسائر الفواحش وممارسته لها عمليا؟!

---

(1) تفسير البرهان ج1ص 81-89عن مصادر كثيرة .

...وما هوالسر في ان التجربة قد اقتصرت على الكذب والغش ولم تتجاوزه إلى الفتنة والغيبة والنميمة وغير ذلك ، بل اكتفى في الباقي بالتوجيه والتعليم ؟! ولماذا لم يستغن عن هذه الدورة التدريبية ايضا بتعليم مناسب بالنسبة الى الغش والكذب ، يتفادى معه حصول ما حصل ؟! أم أن الأساليب الإلهية قد استنفدت مع آدم (ع) ولم يفد معه إلا هذا الأسلوب الصعب والقاسي ؟!

ولعل قوله :" الظاهر انه استمر في الخط المستقيم " (1) يشير الى صحة هذا الاحتمال الأخير لأنه المح الى أنه حتى هذا الأسلوب لم يكون مجدياً الى درجة يقطع معها باستقامة آدم على الطريق المستقيم .

...

ويقول البعض :

..."... وانتهت قصة إبليس مع آدم . . . واستطاع آدم بعد نزوله إلى الأرض أن يعي – تماما – معنى الدور الشيطاني لإبليس في الإضلال والإغواء ، من موقع العقدة المستحكمة في نفسه ضدّه . . . وأن يحفظ نفسه منه فلم يحدّثنا الله عن خطأ آخر في مخالفة أوامر الله ونواهيه . . . بل الظاهر ، أنه استمر في الخط المستقيم الذي ترتبط فيه كل ممارسات حياته وتطلعاته بالله ، بعيداً عن وساوس الشيطان وأضاليله . . .(2)

وقفة قصيرة :

...1- لا ندري كيف نعتذر عن هذا البعض في نسبة الخطأ في مخالفة أوامر الله ونواهيه إلى النبي آدم

عليه السلام . وقد تحدثنا عن المراد من الآيات في الجزء الأول من هذا الكتاب ، فليراجع . .

---

(1) من وحي القرآن ج 10 ص 36 .
(2) من وحي القرآن ج10 ص 36

...2- كما أننا لا ندري كيف لم يجزم بعصمة آدم عليه السلام عن الخطأ في مخالفة أمر الله ونهيه ، بل احتاط ، وحمله على الأحسن!! فاعتبر أن الظاهر من أمر آدم أنه استمر على الخط ، ولم يقطع بذلك وأبقى باب احتمال المعصية ،والانحراف عن خط الرشد مفتوحاً ، مع أنه يقول : إن العصمة عن الخطأ في الأنبياء تكوينية !! الا أن يريد : ان ذلك في خصوص العصمة عن الذنوب ، أما الخطأ فلا عصمة عنه و هو الظاهر من كلماته التي نقلناها و ننقلها.
...3- والذي لفت نظرنا أنه اعتبر عدم حديث الله سبحانه عن خطأ آخر لآدم عليه السلام دليلاً على عدم وقوع أي خطأ منه .. فهل هذا الدليل يصلح للإعتماد عليه في ذلك يا ترى .!؟.

يقول البعض :
..."... وجاء يوسف إلى أبيه . .وكان أثيرا عنده حبيبا إليه ، لجماله ووداعته وصفاء روحه . . .
وجلس عنده يقص عليه رؤياه الغريبة التي أثارت في نفسه القلق لما تشتمل عليه من جو يوحي بالسمو ولكنه حافل بالغموض "(1).
ويقول أيضا :
..."... ولكن يعقوب يعرف أن أولاده الآخرين يحسدون يوسف على ما تميز به عنهم من جمال وذكاء ووداعة وصفاء ... وعلى ما له من المنزلة عند أبيه ، كنتيجة لما يملكه من هذه الصفات وغيرها مما يجعله أهلاً للمعاملة المميزة " (2) .

وقفة قصيرة :

ونقول :
...أ- إننا لا نريد أن نرهق القارئ بالتعليق على هذه الفقرات ، لكننا نلفت نظره إلى أننا ما كنا نحسب أن علاقة نبي الله يعقوب عليه السلام بولده النبي يوسف عليه السلام كانت بسبب جمال صورة ولده ، أو بسبب ذكائه ، ووداعته ، فنحن نجل الأنبياء عن أمر كهذا.
...وإنما نعتقد أنه ينطلق في حبه له مما يلمسه فيه من معان إنسانية ، وصلاح وهدى ، واستقامة على

طريق الخير والرشاد .

---

(1) من وحي القرآن ج12ص178.
(2) من وحي القرآن ج12ص179.

...ب– وإذا كان الله سبحانه قد أعطى يوسف عليه السلام جمالا خصه به ، ولم يعط سائر أخوته ، فإن ذلك لم يكن بسوء اختيارهم ليستحقوا هم ذلك الإبعاد ، ويستحق يوسف(ع) هذا القرب .
...وإنما هي مشيئة الله سبحانه التي ليس لهم أو ليوسف (ع) معها أي اختيار ، أو خيار.
...ج–ولو أردنا أن نفسح المجال لموضوع الانجذاب للجمال ، بحجة أن هذا يعبر عن الذوق الرفيع ، ليكون هذا الأمر من المعايير والضوابط التي يعتمدها الأنبياء في حبهم وفي ارتباطهم العاطفي بالأشياء وبالأشخاص لا سيما بعد ملاحظة ما يذكره هذا البعض عن يوسف وامرأة العزيز ، فإن ذلك قد يدفع من لا تقوى لديه من أعداء الإسلام امثال سلمان رشدي الى كتابة " آيات شيطانية " جديدة تهدف إلى طرح وتسويق مثل أكذوبة زوجة أوريا ، حينما رآها النبي داود في حالة مثيرة كما يزعمون ، وكذلك الحال بالنسبة لقضية زينب بنت جحش وما افتروه من أن النبي قد عشقها بعد ما رآها بصورة مثيرة.. وغير ذلك .
وهذا باب خطير ، لا يمكن فتحه ، ولا مجال للقبول به .
ويقول :
..."... والتقيا بهذا العبد الصالح الذي لم يرد له ذكر في القرآن إلا في هذه القصة .. وتتحدث الروايات عنه أنه الخضر ، وفي حديث أئمة أهل البيت (ع) فيما رواه محمد بن عمارة عن الإمام جعفر الصادق إن الخضر كان نبيا مرسلا بعثه الله تبارك وتعالى إلى قومه فدعاهم إلى توحيده والإقرار بأنبيائه ورسله وكتبه .. وقد تذكر بعض الأحاديث أنه حيّ لم يمت بعد، وليس هناك دليل قطعي يثبت ذلك ، كما أنه ليس هناك دليل عقلي يمنع من ذلك من خلال قدرة الله المطلقة على ذلك وعلى اكثر منه .
...ولا نجد هناك كبير فائدة في تحقيق الأمر في شخصيته وفي خصوصيته .. لأن ذلك لا يتصل بأي جانب في العقيدة والحياة(1).

وقفة قصيرة :

---

(1) من وحي القرآن ج14ص385.

...أ- قوله :"لا كبير فائدة في تحقيق الأمر في شخصية الخضر عليه السلام، ولا في خصوصيته .." مما لا مجال لقبوله منه ؛ فإن حديث النبي (ص) والأئمة (ع) المستفيض والكثير جداً ، عن بقاء حياته عليه السلام يشير إلى عظيم الفائدة في ذلك .. وفي كتاب " البحار " من الحديث الشريف عشرات الأحاديث التي تحدثت عن الخضر عليه السلام ، وذكرت له دوراً في كثير من الأحداث ، فراجع فهارسه .

...ب- قوله: " إن ذلك لا يتصل بأي جانب في العقيدة والحياة " هو الآخر قول غير مقبول : لأن ذلك يعتبر شاهداً حياً على طول عمر الامام الحجة قائم آل محمد عليهم الصلاة والسلام .

...ج-أما بالنسبة لقوله : " إنه لا يوجد دليل قطعي يثبت حياة الخضر".

...فإننا نقول :إن الدليل القطعي هو الروايات الكثيرة جدا والمتواترة ، التي تحدثت عن ذلك ، والتي لا مجال لإحصائها غير أننا نذكر للقارئ الكريم هنا بعض موارد وجودها في خصوص الكتاب الشريف : بحار الأنوار ، واذا اراد الوقوف على المزيد فعليه بمراجعة فهارسه ليجد موارد كثيرة سوى ما اخترناه تقنعه ان هذا الأمر هو فوق حد التواتر .. المفيد للقطع ؛ والموارد المختارة هي التالية :

الجزء ... الصفحات ... الجزء ... الصفحات

3 ... 297حتى300-319-320 ... 6 ... 30-299

10 ... 119-159 ... 12 ... 175

22 ... 505-515 ... 46 ... 37-145-361-38

36 ... 415-130 ... 47 ... 138-21

39 ... 132-131 ... 61 ... 36

42 ... 9-45-303 ... 70 ... 8

44 ... 254 ... 77 ... 356

52 ... 152 ... 82 ... 97

71 ... 123-143 ... 100 ... 443-392-355

99 ... 204

وراجع إحقاق الحق ج9ص:397-401-وج 8 ص71

...ب- وبالمناسبة نشير إلى أن هذا البعض قد استدل على عدم بقاء الخضر عليه السلام إلى آخر الزمان بقوله تعالى { وما كان لبشر من قبلك الخلد أفإن مت فهم الخالدون } . (1)

...ونقول :

---

(1) سورة الأنبياء الآية 34 . والاستدلال المذكور مأخوذ من شريط مسجل بصوته .

...1ً- إذا كان هذا البعض يرفض بقاء الخضر عليه السلام على قيد الحياة إلى آخر الزمان ، ويقيم على ذلك الأدلة والشواهد ، فكيف يقول :" ... قد تذكر بعض الأحاديث أنه حي لم يمت بعد . وليس هناك دليل قطعي يثبت ذلك " .. إلى أن قال :" ولا نجد كبير فائدة في تحقيق الأمر في شخصيته وفي خصوصيته ، لأن ذلك لا يتصل بأي جانب في العقيدة والحياة ".؟!

... فها هو قد أقام الدليل على أنه لا يبقى حيا إلى آخر الزمان . ...كما أنه لم يزل هو نفسه يتصدى لتحقيق الأمر في خصوصية هذا النبي الكريم ..مع أن ذلك -بزعمه- لا فائدة فيه.

...2ً- إن دليله هذا الذي أقامه - لو صح - فهو يدل أيضاً على عدم صحة القول ببقاء صاحب الزمان (عجل الله تعالى فرجه) هذه المدة الطويلة ، لأنه فسر الخلد بامتداد الحياة .؟!

3ً- وللتذكير نقول :" إن المراد بالآية هو رد دعوى الخلود . والخلود ليس هو بقاء الحياة إلى آخر الزمان ، كما هو الحال بالنسبة لقائم آل محمد (عجل الله تعالى فرجه الشريف) وللخضر عليه السلام .. فعدم الخلود لأحد لا يدل على أنه لا يعيش إلى آخر الزمان ..

ويقول البعض :

" من إيحاءات الآية :

...وقد نستوحي من هذه الوصية للنبي أن لا يكون كصاحب الحوت الذي ضاق صدره بتكذيب قومه ، فاستعجل العذاب لهم ، ولم يصبر على الامتداد في تبليغ الرسالة لتبلغ مداها في تحقيق شروط النجاح أو نهاية التجربة .

...قد نستوحي من ذلك ، أن الأنبياء يستسلمون لنقاط الضعف البشري تبعا لدرجاتهم .. وقد لا يكون من الضروري أن يكون ذلك في حجم المعصية ، لأنهم ربما انطلقوا من معطيات إيمانية في الغضب لله ولرسوله ولكن ذلك يعني أن درجاتهم في الكمال تتفاوت حسب تفاوت مواقعهم الإيمانية الروحية . (1)

وقفة قصيرة :

---

(1) من وحي القرآن ج 23ص70

...قد شرحنا هذه الآيات في الجزء الأول من هذا الكتاب .. وأوضحنا أن الحديث فيها عن صبر يونس لا يتجه إلى اتهام يونس بالاستسلام للضعف البشري وعدم صبره إلى أن تبلغ الرسالة مداها في تحقيق شروط النجاح أو نهاية التجربة ليقول لنا البعض بعد ذلك : هل أن ذلك في حجم المعصية أم لا ؟ .

...ولكن الذي لفت نظرنا هنا هو قول هذا الرجل :" قد لا يكون من الضروري أن يكون ذلك في حجم المعصية ، لأنهم ربما انطلقوا من معطيات إيمانية الخ ... "

... فإن هذا الكلام يستبطن احتمال المعصية في حق يونس عليه السلام كما يفهم من قوله " قد لا يكون من الضروري !!" وقوله: "لأنهم ربما انطلقوا ".وهذا الأمر مرفوض في حق الأنبياء حتى على مستوى الاحتمال .

2ً-ولفت نظرنا أيضا : ما أطلقه في حق الأنبياء من أن استسلامهم لنقاط الضعف البشري يكون تبعا لدرجاتهم .

...فلو فرضنا جدلا : أنهم يستسلمون لنقاط الضعف البشري ، فمن أين استنتج أنهم يختلفون في درجات الاستسلام هذه تبعاً لدرجاتهم ، فما هي القرينة في الآية المباركة التي تدل على ذلك ؟ فالآية قد جاءت خطابا للنبي (ص) وهي تدل إذن على أن ذلك ممكن في حق نبينا (ص) كما هو ممكن في حق يونس (ع) مع علمنا باختلاف الدرجة فيما بينهما .

...هذا بالإضافة إلى أن هذا البعض يزعم عدم ثبوت تفضيل النبي (ص) على سائر الأنبياء (1) .ثم يشرح حقيقة ما فضل الله به بعض الأنبياء على بعض فيقول :".. {ولقد فضلنا بعض النبيين على بعض } (2) فيما ميزناهم به من مواقع العمل ، وطبيعة المعجزة ، ونوعية الكتب ، من قاعدة الحكمة التي أقام الله عليها الحياة"(3).

...3ً- ولفت نظرنا ايضا ما زعمه من أن استعجال يونس العذاب لقومه ، إنما هو لأن صدره قد ضاق بتكذيبهم .

---

(1) -راجع : من وحي القرآن ج5 الصفحات 8-14-15.

(2) - سورة الإسراء الآية 55.

(3) - من وحي القرآن ج14ص157.

...فهل ذلك يعني أن يونس عليه السلام كان متسرعا، وأن المسألة قد انطلقت من ضعف يونس الذي ألجأه إلى مواجهة ألوف من الناس بالعذاب الماحق ، وبالخطر الداهم والساحق ، الأمر الذي يعني أن قومه قد ذهبوا ضحية ضعفه البشري .؟!

...وهذه تهمة خطيرة في حق أنبياء الله صلوات الله عليهم .

...والأدهى من ذلك أن الله سبحانه قد جارى نبيه هذا الضعيف في ذلك حتى رأوا نذير العذاب بالفعل ..

...4ً- ثم هو ينسب إلى نبي من أنبياء الله انه لم يصبر على الامتداد في تبليغ الرسالة ، حتى تبلغ مداها في تحقيق شروط النجاح أو نهاية التجربة .

...وهذا معناه تسجيل تهمة على هذا النبي أنه لم يقم بمهمة التبليغ الرسالي على الوجه الأكمل والأمثل ، لأنه لم يصبر على الرسالة لتحقق شروط النجاح . مع انه هو نفسه يسلم بعصمة النبي في مقام التبليغ ،ولا بد ان يكون ذلك يشمل صورتي الخطأ والتقصير في التبليغ على حد سواء .

يقول البعض:

"... كيف اعترف موسى على نفسه بالضلال ؟

... {قال فعلتها إذاً - أي حينئذ- وأنا من الضالين } أي الجاهلين بالنتائج السلبية التي تترتب عليّ فيما أدى إلى أكثر من مشكلة اعترضت حياتي وأبعدتني عن أهلي وبلدي ، مع أن القضية كانت تحل بغير ذلك .. فلم أفعلها في حال الرسالة لتكون تلك نقطة سوداء تسجلها علي في موقعي الرسالي ، بل فعلتها قبل أن يلهمني الله الهدى المتحرك في خط الرسالة ، عندما كنت ضالاً لم أحدّد لنفسي الطريق الواضح المستقيم المنطلق من قواعد الشريعة المنزلة القائمة على التوازن فيما يصلح الإنسان أو يفسده .. وبذلك نستوحي من الفقرة في الآية أن الضلال ليس بالمعنى الوجودي المضاد الذي يعبر عن الإنحراف ، بل بالمعنى السلبي المعبر عن عدم معرفة طريق الهدى ، الذي يضيء عمق الأمور على أساس المصلحة الحقيقية للإنسان .

القرآن يثير نقاط الضعف البشري في الأنبياء

...وفي ضوء ذلك ، نفهم كيف يقدّم لنا القرآن شخصية النبي من نقاط الضعف البشري قبل النبوة ، عندما كان بعيدا عن الإهتداء التفصيلي بالشريعة والمنهج ، خلافا للفكرة المعروفة لدى الكثيرين من العلماء الذين لا يوافقون على أن النبي يمكن أن يضعف أمام عوامل الضعف الذاتي قبل النبوة أو بعدها ، حتى فيما لا يشكّل معصية ، أو إنحرافاً خطيراً عن الخط المستقيم .

...وهكذا واجه موسى الموقف بشجاعة الإعتراف بما فعله قبل أن يُبعث بالرسالة ، ويهتدي بالحق من خلال الوحي النازل من الله .. فلم يسقط أمام التحدي الذي وجهه فرعون للرسالة على أساس ما وجهه لشخصه من عمل سابق .. بل أكده في مواقعه الذاتية قبل الرسالة قبل أن ينزل عليه الهدى الذي يدعو إليه الناس الآن ، فارتكب ما ارتكبه في الجوّ الذي لو كان في الموقع الذي هو فيه الآن لما فعله ، لا

لأنه فعل حراماً فلم يكن متعمداً للمسألة ، وربما كان الشخص يستحق القتل ، بل لأنه لم يكن ضروريا بالمستوى الذي وصلت إليه القضية في نتائجها السلبية على مستوى حياته الشخصية فيما أدت إليه من إرباك وتعقيد..." (1) .

وقفة قصيرة

...إن ما ذكره هذا البعض قد تضمن عدة نقاط لا يمكن قبولها وهي التالية :

...1- قلنا في الجزء الأول من هذا الكتاب : إن جواب موسى(ع) لفرعون ، حين ذكر فعلته بقتله للقبطي :{ قال فعلتها إذن ، وأنا من الضالين } يراد به السخرية من كلام فرعون بقرينة كلمة "اذن ". وقد شرحنا ذلك هناك بما يناسب المقام فليراجع .

...ولم يكن موسى (ع) بصدد الإعتراف بالجهل بالنتائج السلبية لما فعله ، فإنه حتى الإنسان الغبي يدرِك النتائج المترتبة على قتل إنسان مّا من أيّ فئة كانت ، فكيف إذا كان يعلم أن وراء هذا المقتول أمة بأسرها ، بما فيها حاكمها المستكبر المدعي للألوهية ؟.

...2- ولا ندري كيف حكم هذا البعض على موسى(ع) أنه حين قتل القبطي كان ضالاً لا يعرف قواعد الشريعة ؟! ..

---

(1) -من وحي القرآن ج17ص108و109.

...مع أن هذا البعض قد فسر قوله تعالى: { لقد جئت شيئاً نكراً} (في مسألة قتل الغلام مع العبد الصالح بحظور موسى) بأنه قتل النفس أمر ينكره العقل و الشرع و العرف الامر الذي يبطل كلامه هنا.

...ألم يكن موسى (ع) على علم بشريعة إبراهيم التي كان البشر كلهم مطالبين بالعمل بها ؟!..

...ولنفترض أنه لم يكن على علم بتفاصيل أحكام الشريعة الربانية، فهل كان ما فعله من الأمور الغامضة ، التي تحتاج في الإقدام عليها إلى معرفة تفاصيل الشريعة ؟!.

... وهل كان يحتمل أحد أن تأبى الشريعة قتل هذا الكافر المحارب المتعدي على الأبرياء ، والذي يحاول قتلهم ؟!

...3-كيف عرف هذا البعض أن موسى (ع) قد ارتكب قبل النبوة ما لا يفعله بعدها ؟! فإن هذا الحكم الجازم ليس له ما يبرره ! كما أن هذا مخالف لما عند الشيعة الامامية من ان النبي معصوم مطلقاً قبل البعثة وبعدها .

...4-ومن اين عرف ان موسى (ع) لم يكن نبيا من اول امره .؟

...5- ومن أين عرف أيضا أن قتل القبطي لم يكن ضروريا حتى ادركه هو ، ولم يدركه موسى آنذاك ؟!.

...6- ومن أين استنتج أن قتل القبطي عائد إلى وجود ضعف بشري لدى موسى (ع) قبل نزول النبوة ، ثم استنتج من ذلك بطلان ما يذهب إليه البعض من تنزيه الأنبياء عن أي ضعف بشري قبل النبوة وبعدها ؟.

...وهل هذه إلا دعوى ليس لها ما يبررها ، لا من عقل ولا من نقل ؟.

...كما انه هو نفسه يصرح في نفس كتابه " من وحي القرآن " بأن كل ما كان يريده موسى هو أن يدافع عن الذي من شيعته ، ويخلصه من بين يدي القبطي ، فحصل القتل منه من دون قصد .

اذن فلم يكن في الأمر جريمة ناتجة عن ضعف بشري ولا غيره ..

...7- وأخيراً فإن هذا البعض يجوّز على الأنبياء أن يرتكبوا جرائم قبل النبوة حتى بمستوى قتل النفس البريئة ، وفقا لما احتمله في كتابه في هذا المورد بالذات ، وهذا امر مرفوض في عقائد الشيعة الامامية كما هو معلوم ، إذ قتل النفس المحترمة هو من الكبائر التي توعّد الله فاعلها بالنار .؟!.

يقول البعض :

..."...ولكن هنالك رأياً ، يقول : إن العقل لا يفرض ، في مسألة القيادة والإمامة والطاعة ، إلا أن يكون الشخص الذي يتحمل هذه المسؤوليات محيطا بالجوانب المتصلة بمسؤولياته ، فيما لا يحيط به الناس إلا من خلاله .. أما الجوانب الأخرى من جزئيات حياتهم العامة ، أو من مفردات علوم الحياة والإنسان ، أو من خفايا الأمور البعيدة عن عالم المسؤولية ، أماّ هذه الجوانب فلا دليل على ضرورة إحاطته بها .. ولا يمنع العقل أن يكون لشخص حق الطاعة في بعض الأمور التي يحيط بها ، على الناس الذين يملكون إحاطة في أشياء أخرى لا يحيط بها ولا تتعلق بحركة المسؤولية ..

...وربما كانت هذه القصّة دليلاً على صحة هذا الرأي الذي نميل إليه ، كما يميل إليه بعض العلماء القدامى .. لأنه يلتقي بالجو القرآني الذي يتحدث عن الأنبياء بطريقة معينة بعيدة عما اعتاده الناس في نظرتهم إليهم من خلال الأسرار الخفيّة ، والكمال القريب من المطلق. "

إلى أن قال :

..."...{ وكيف تصبر على ما لم تحط به خبرا }مما قد ترى فيه انحرافا عن الموازين التي تزن بها الأمور على أساس ما تراه قاعدة للشرعية أو فيما تتصوره منسجما مع طبيعة الواقع الذي تخضع في

تقييمك له ، لرؤية معينة .. الأمر الذي يجعلك تنتفض وتحتج وتستثير فضولك لتطرح السؤال تلو السؤال لتتعرف طبيعة المسألة، لأن الإنسان الذي رُكّب تكوينه على أساس غريزة الفضول ، فيما أراده الله من إثارة قلق المعرفة في ذاته كسبيل من سبل الحصول عليها ، أو الذي يملك قاعدة معينة للتفكير ، قد تختلف عن غيره ، لا بد له أن يعبّر عن موقفه بطريقة متوترة لا تملك الصبر على ما يواجهه من علامات الإستفهام ، أو على ما يراه من مظاهر الإنحراف .. ولكن موسى يصرّ على الحصول على شرف مرافقته ، لأن الله يريد له ذلك ، فهو مأمور بإتباعه .

...{ قال ستجدني إن شاء الله صابراً } فيما يصبر عليه طالب المعرفة من الجهد النفسي والعملي الذي يتحمله في سبيل الحصول عليها .. إنه العزم الذي يتحرك في إرادتي التي لا أضمن امتدادها في خط الإلتزام العملي إلا بمشيئة الله ، فيما يقدّره من أسباب ، وفيما يخلقه من ظروف ، وفيما يثيره في حياتي من أفكار ومشاعر ، قد تغير العزم ، وتسقط الالتزام ، إن القضية هي أني أعدك بالصبر ، فسأكون صابرا ، أتحمل كل النوازع الذاتية الصعبة { ولا أعصي لك أمرا } كما هو دور التلميذ مع أستاذه الذي يثق بكفاءته وحسن تقديره للأمور ، وإخلاصه في سبيل رفع مستواه .

...ولكن العبد الصالح يريد أن يحدد المسألة في دائرة محددة في خط الأسلوب العملي للمعرفة .. فهو لا يريد أن يبادر تلميذه بالمعرفة ، ولا يريد له أن يبادره بالسؤال .. بل يريد له أن يتأمل ، ويثير الفكرة في داخله ، ويحاول أن يحصل على طبيعة التعمّق في القضايا من خلال المعاناة الفكرية التي تمنحه قوّة عقلية متقدمة ، كما يريد له أن يحصل على ملكة الصبر في مواجهة المشاكل الفكرية المعقدة ، فلا يستعجل الوصول إليها قبل توفّر عناصر النضوج لديه فيتحول إلى إنسان سطحي في تفكيره ..

...{ قال فإن اتبعتني فلا تسألن عن شيء } مما لم تعرف وجهه، ولم تحط بخفاياه { حتى أُحدِثَ لك منه ذكرا } وأبدأ حواري معك ، عندما تحين اللحظة المناسبة ، التي أرى فيها المصلحة للحديث عن الموضوع معك .. وهذا هو شرطي الوحيد الذي أضعه أمامك للموافقة على أن تصاحبني في هذا الطريق ". (1)

وقفة قصيرة

ونقول :

...1ً-إن موسى (ع) لم يسأل العبد الصالح انطلاقا من غريزة الفضول لديه ، بل انطلاقا من الإحساس بالتكليف الشرعي القاضي بعدم السكوت على ما يخالف أحكام العقل والفطرة والدين . ولو بحسب الظاهر ، فبادر إلى السؤال ليستطيع على ضوء ذلك أن يحدد موقفه الشرعي .

...وهذا الأمر هو الذي أعطى موسى (ع) وسام الإستحقاق لمقام النبوة ،فإنه قد نجح في الامتحان الذي

استهدف تجسيد مدى حساسيته تجاه قضايا الحق والدين .

...2ً- إن اتهام نبي من أنبياء الله بأنه يتخذ مواقفه من خلال تحرّك غريزة الفضول لديه ناشئ عن عدم الاهتمام باحترام مقام الانبياء في مقام الخطاب والحديث عنهم ، وهو أمر مرفوض جملة وتفصيلا .

...3ً- إن ما استقربه من أنه لا دليل على لزوم معرفة النبي بأكثر مما يتصل بمسؤولياته في القيادة والإمامة والطاعة .

...وأنه يمكن أن يكون هناك من هو أعلم من النبي في مفردات علوم الحياة والإنسان .

---

(1) - من وحي القرآن ج14 ص386-389.

...إن ذلك مما لا مجال لقبوله منه ، وذلك لوجود أحاديث متواترة في مجالات مختلفة تدل على خلاف هذا الكلام . ففي الكافي -كتاب الحجة -، وفي بصائر الدرجات وفي البحار طائفة كبيرة جدا من هذه الأحاديث فليراجعها من أراد، وتلك هي الدليل القاطع على عدم صحة هذه المقولة .. وسيأتي حين الحديث عن الولاية التكوينية للمعصوم ما يفيد في هذا المجال ..

4ً- أما قوله " إن استعجال موسى (ع) بالسؤال يحوله إلى إنسان سطحي في تفكيره " فلو صح لمنع من مبادرة الأنبياء والأوصياء والأولياء والعلماء وغيرهم إلى طرح أسئلتهم في مختلف المجالات ، لأن ذلك يحولهم الى سطحيين ، مع أن من يراجع آيات القرآن الكريم والأحاديث الشريفة يجد أن الأمر قد جرى منهم على خلاف هذا التوجيه ، حيث نراها زاخرة بالأسئلة منهم عليهم السلام في مختلف الشؤون ، ولم يتحولوا بسبب ذلك الى أناس سطحيين .

...5ً- لا ندري من أين عرف هذا البعض : أن موسى (ع) قد استعجل المعرفة قبل توفّر عناصر النضوج لديه . فهل دله على ذلك آية أو رواية ؟ ام انه كان حاضراً وناظراً آنذاك ؟ ! أم هو الاستيحاء، والتظني الذي لا يقوم به حجة ، ولا يستند الى برهان ؟ ام ماذا ؟! .

...هذا مع الإغماض عما ذكرناه آنفاً من أن تكليف موسى عليه السلام كان هو المبادرة إلى السؤال ، ولولا ذلك ، لم ينل عليه السلام هذا المقام العظيم ..

...ولعل هذه هي الحكمة في إرساله عليه السلام إلى العبد الصالح، أو أنها أحد عناصر حكمة ذلك .

ويقول عن موسى عليه السلام في موضوع قتله القبطي :

..."...كان كل همه أن يدافع عن الإسرائيلي ويخلّصه من بين يدي القبطي الذي كان يريد أن يقتله ، فيما يبدو ، .. وبهذا لم يكن في الأمر جريمة ، بل كان الدخول شرعيا ، ولم تكن النتيجة مقصودة له .. ولكنه كان يفضّل أن لا يحدث ما حدث .. وبذلك كان يرى في ذلك نوعا من الذنب الأخلاقي ، أو الاجتماعي الذي يحسّ بالعقدة الذاتية منه ... وعلى ضوء هذا كان التعبير بأنه ظلم للنفس ، تعبيرا عن الحالة الشعورية أكثر مما كان تعبيرا عن حالة المسؤولية وربما كان تعبيرا عن القلق من النتائج الواقعية السلبية التي يمكن أن تترتب على ذلك في علاقاته الاجتماعية بمحيطه فيما يحمله من أخطار مستقبلية على شخصه بالذات . أما طلب المغفرة من الله ، فقد يكون ناشئا من الرغبة الروحية العميقة للإنسان المؤمن ، أن يضع أعماله بين يدي الله – حتى التي لا تمثل انحرافا عن أوامره ونواهيه ، .. بل تمثل نوعا من الخطأ الأخلاقي المبرر بطريقة ما ، ليحصل على لمسة الرحمة الالهية العابقة بالحنان والعطف ، فيبلغ – من خلال عصمته له – الكمال في سلوكه ، والتوازن في أخلاقه .. مما يجعل من المغفرة لطفا في توازن الشخصية لا عفواً عن ذنب .. وهكذا كان اللطف الإلهي بموسى .. فيما يعلمه الله من حاله في ظرفه الواقعي مما يحقق له الكثير من العذر في حساب المسؤولية { فغفر له إنه هو الغفور الرحيم } الذي تتحرك مغفرته من عمق رحمته لتفيض على الإنسان الراجع إليه بكل خير وإحسان. (1)

وقفة قصيرة

...إن ما ذكره هذا البعض لا يحتاج إلى تعليق ، ولكننا نرشد القارئ الكريم إلى ما شرحنا به الآيات التي تحدثت عن قتل القبطي في الجزء الأول من هذا الكتاب فليراجع .

...غير أن ما يحزّ في النفس ألمه ، ويدمي كَلْمَه أمور :

...1ً–أن ينسب إلى موسى عليه السلام وهو كليم الله و نبي من أولى العزم يقول تعالى في حقه { و اصطنعتك لنفسي } –ينسب اليه– أنه ارتكب ذنبا أخلاقيا .

---

(1) – من وحي القرآن ج17ص311.

...2ً–وانه كان يحس بالعقدة الذاتية منه !!.

...3ً –والأغرب من ذلك أن يصرح في كلامه : أن شخصية هذا النبي العظيم غير متوازنة فاحتاج إلى اللطف الإلهي لتتوازن شخصيته .

...4ً– ويبقى هنا سؤال حول الطريقة المجهولة التي أشار اليها والتي تبرر وقوع موسى عليه السلام في الخطأ الأخلاقي المتمثل في قتله للقبطي .

5ً- وأي خطأ أخلاقي في قتل الإنسان لرجل يهاجمه ويحاربه ويبطش بالناس ليقتلهم ، لا لشيء إلا لأنهم مؤمنون ، وهو كافر وعدو ؟!.

6ً- بل ان هذا البعض نفسه قد صرح في كلامه بأن موسى (ع) لم يقصد قتل القبطي ، فأي خطأ أخلاقي صدر عن موسى (ع) اذن ؟!.

ويقول البعض :

..."...وكانوا يملكون الفن العظيم الذي يسحر العيون ويخلب الألباب حتى كاد موسى أن يتأثر بها من خلال طاقته البشرية .. وطاف به خيال الإنسان الذي يتأثر بسرعة ، بما يحيط به { فخيل إليه من سحرهم أنها تسعى } في صورة سريعة متلاحقة { فأوجس في نفسه خيفةً موسى } من خلال الضعف البشري الذي يعيشه الإنسان في حالات الغفلة .. لا سيما أن موسى لا يعرف ماذا يحدث له من خلال التفاصيل الجزئية لأن المسألة ليست اختيارية له، بل هي مسألة التدبير الإلهي الذي يثق بحصوله، ولكنه لا يعرف طبيعته .. ولذا فانه كان ينتظر نداء الله وتعليماته " (1).

وقفة قصيرة

...إن من الواضح أن موسى عليه السلام : لم يخف على نفسه ، فإنه كان يعلم أنها حبال وليست حيات حقيقية ، كما أنها احتيالات وتخييلات لاواقع لها .{يخيل اليه من سحرهم انها تسعى } .

...وإنما خاف عليه السلام على الناس أن يتأثروا بسحرهم ، وأن يتسبب ذلك بضلالهم عن الحق ، وابتعادهم عن سبيل الرشاد والهدى.

---

(1) -من وحي القرآن ج15ص135و136

...ولذلك نجد الآيات القرآنية تشير إلى أن الله تعالى قد طمأن موسى إلى حقيقة إن الله سيبطل سحرهم وكيدهم ، ويكون موسى عليه السلام هو الغالب ، حيث قال الله تعالى له { لا تخف انك أنت الأعلى } (1) إذن فموسى عليه السلام قد خشي من أن تكون الغلبة لهم وان يكون لهم العلوّ الذي سينشأ عنه غواية الناس عن طريق الحق والهدى .

...وبذلك يتضح أيضا أن خوف موسى عليه السلام لم يكن ناشئا عن ضعف طاقته البشرية ، بل كان خائفا على الناس كما قلنا.

...و عن علي عليه السلام: "لم يوجس موسى عليه السلام خيفة على نفسه ، بل أشفق من غلبة الجهال ، و دول الضلال.(2)

ويقول البعض :

..." لنا ملاحظة في موقف موسى من هارون :

...ولنا ملاحظة ، في هذا الموقف الذي انطلق فيه موسى ضد أخيه ، من موقع غضبه لله وانفعاله بالوضع الجديد الذي عاش فيه بنو إسرائيل مبدأ الصنمية ..

...إننا لا نجد في موقفه هذا ابتعادا عن خط الطاعة لله ليكون منافيا للاستقامة الشرعية في دائرة العصمة ، ولكننا نجد فيه انسياقا مع نقاط الضعف الإنفعالية التي توحي بأن بشرية النبي قد تدفعه إلى نقاط الضعف الطبيعية التي قد يغفل فيها عن بعض المناسبات الشكلية أو المعنوية { قال فما خطبك يا سامري ..} كيف فعلت ما فعلته من هذا الأمر الخطير الذي جئت به " وهذا هو معنى الخطب الذي هو الأمر الخطير الذي يهمك " { قال بصرت بما لم يبصروا به فقبضت قبضة من أثر الرسول فنبذتها } (3)

وقفة قصيرة :

---

(1) – سورة طه الاية 68 ..

(2) _ نهج البلاغة ، الخطبة رقم 4

(3) –من وحي القرآن ج15ص156.

...قد تحدثنا في الجزء الأول من هذا الكتاب عن أن غضب موسى عليه السلام لم يكن على أخيه هارون صلوات الله وسلامه عليه، بسبب جرم ارتكبه ، أو تقصير منه في القيام بالواجب ، وإنما كان من أجل أن يعرّف بني إسرائيل بخطر ما أقدموا عليه ، وبمدى بشاعة الجريمة التي ارتكبوها .. ثم هو قد أراد أن يسمع الناس إجابة هارون عليه السلام من أجل إظهار براءته وتحصينه من نسبة القصور أو التقصير إليه ، وتكون النتيجة هي التالية :

...1–لم يكن موسى عليه السلام يقف ضد أخيه .

...2– إن موسى عليه السلام لم يغفل عن بعض المناسبات الشكلية ولا المعنوية –كما يقول هذا البعض – بل كانت الأمور واضحة لديه وضوحا تاما ، لا سيما ان المسألة هي من جملة ما يتعلق بامر التبليغ الذي ليس لمسلم أن يشكك في القول بعصمة الانبياء فيه .

...3– إن موسى عليه السلام قد انساق مع نقاط القوة ، وحقق الهدف الإلهي ، ولم يكن لديه نقاط ضعف انفعالية لينساق معها .

...وإن نسبة ذلك كله وسواه إلى هذا النبي العظيم هي مجرد تبرّع من هذا البعض لا مستند له فيه ، فضلا عن كونه مخالفاً للقواعد العقلية الصحيحة ، وليست الآيات ظاهرةً ولا ناظرة في شيء من معانيها

إلى شيء مما ذكره .

ويقول هذا البعض :

..."... { قال رب إني أخاف أن يكذبون } لأنني أعرف فيهم الطغيان الذي يمنعهم من الإذعان بالرسالة ويدفعهم إلى احتقار الناس من حولهم ، ممن هم دونهم في الطبقة الاجتماعية ، الأمر الذي يدعوهم إلى تكذيبي فيما أبلّغهم من رسالاتك ..فلا فائدة من إرسالي إليهم لأن النتيجة معلومة بالرفض { ويضيق صدري } في مواجهة الضغط الذي أتعرض له منهم ، مما لا أستطيع تحمّله في قدرتي الذاتية {ولا ينطلق لساني } فيما أعانيه من حالات احتباس الكلام ، مما لا يسمح لي المجال معه –بالحوار والجدال ، وإدارة الصراع بالكلمات القوية ،والأسلوب اللبق {فأرسل إلى هارون } ليكون عونا لي على أداء الرسالة ، لما يتميز به من صفات تسد النقص الذي أعاني منه كفصاحة اللسان ونحوها { ولهم علي ذنب} فقد قتلت شخصا منهم { فأخاف أن يقتلون} ثأرا له "(1).

وقفة قصيرة

...إن هذا البعض قد لا يكون الوحيد الذي فسر الآيات بهذه الطريقة . ولكننا نسجل عليه وهو داعية دراسة الأمور بعقلانية وموضوعية ، ما يلي:

...1ً–إن هذا البعض يقول : إن احتباس الكلام لدى موسى كان الى درجة لا يسمح له بإدارة الصراع بالأسلوب اللبق .

... كما أن هذا الإحتباس قد بلغ حداً لا يسمح له بالحوار والجدال .

...ولا ندري كيف استطاع عليه السلام أن يحاور فرعون حينما واجهه بالدعوة التي انتهت بجمع السحرة في يوم الزينة ؟ وكيف استطاع إن يحاور بني إسرائيل في شأن البقرة وغيرها ؟ بل كيف استطاع تأدية الرسالة التي بعث من أجلها لا سيما ان هارون الذي ارسل ليسد النقص الموجود عند موسى –كما يزعم هذا البعض – قد توفي قبل موسى (ع) ، فماذا صنع موسى (ع) بنقصه الذي يعاني ؟ ومن الذي قام مقام هارون في هذا الأمر؟

---

(1) – من وحي القرآن ج17ص102و103.

...2ً– هذا بالإضافة إلى أن هذا البعض يتحدث عن موسى (ع) ويصوره لنا كأنه يعترض على الله ، ويدلّه على أنه غير مصيب في إرساله ، لأن ذلك سيكون أمراً عقيما ،وعبثيا ، ومن دون فائدة.فانظر الى قول هذا البعض ":إنني اعرف فيهم الطغيان ... مما يوحي بأن سبب مبادرة موسى باقتراح ارسال

اخيه معه هو معرفته بطغيانهم " وكأن الباري تعالى لا يعرف ذلك .

...3ً- مع أن موسى (ع) حين تحدث عن خوفه من تكذيبهم ، وعن أن صدره يضيق بهذا التكذيب ، وأن لسانه لن ينطلق معهم في البيان لأنهم سيتعاملون معه من موقع المعادي والحاقد ، الذي لا يصغي إلى الحجة ، ولا يخضع للدليل – نعم إن موسى (ع) حين تحدّث عن ذلك ، فإنما أراد به أن يعرف من الله سبحانه أوجه معالجة الموقف في هذه الحالات والظروف الصعبة ، ولا يريد أن يعرّف الله – والعياذ بالله – أن إرساله لا فائدة منه ، لأن النتيجة معلومة على حد زعمه.

...4ً- أما بالنسبة لاحتباس لسان موسى (ع) ، إن المراد ليس هو اللكنة في اللسان ، التي تمثل عائقا عن الإفصاح في الكلام ، بل المراد هو أن قتل القبطي ، وكونه قد تربى عندهم سيجعلهم يتعاملون معه بطريقة حاقدة وغير عقلانية تمنعه من الإفصاح عن مراده ولذا فهو يطلب من الله أن يهديه إلى الطريقة المثلى في التعامل مع هذا الواقع الذي يواجهه .

...على أن هذا الإحتباس ، لا ربط له باللباقة ،وبالأسلوب ،كما هو معلوم.

...وسيأتي المزيد من توضيح هذا الأمر فيما يرتبط بالعقدة في لسان موسى عليه السلام في تعليقنا على الفقرة التالية .

وبعد ما تقدم نقول :

...يتحدث البعض عن طلب موسى من الله أن يشد عضده بأخيه هارون ، فكان مما لاحظه في هذه القصة ما أجمله بقوله :

..."...{وأحلل عقدة من لساني يفقهوا قولي } فقد كان يعيش حبسا في لسانه بحيث يمنعه من الطلاقة التي تفصح الكلمة بحيث يفهم الناس ما يريد أن يقوله ... لأن الرسالة تتصل بحركة الكلام في لسانه ، وطريقة التعبير في كلامه .

...وتلك هي مشكلته الخاصة التي أراد الله أن يساعده في حلها وترويضها وتيسيرها وتسهيل صعوباتها .. فيما يريد إن يمارسه بجهده الذاتي { واجعل لي وزيراً من أهلي هارون أخي أشدد به أزري وأشركه في أمري } لأن المهمة تحتاج إلى جهد آخر يشترك مع جهده في الدعوة والحركة والانطلاق .. ليعاون أحدهما فيما يمكن أن يواجههما من مشاكل وقضايا وصعوبات ، خصوصا في جانب الدعوة في طبيعة الكلمة والمنهج والأسلوب ، الذي يتمتع هارون بمميزات جيدة لأن لسانه أفصح من لسان موسى ، كما جاء في سورة أخرى .. وتلك هي الروح المتواضعة الجادة التي تدرس حجم المسؤولية ، وحجم إمكاناتها فإذا رأت بعضا من الخلل الذي قد يصيب المسؤولية أمام ضعف الإمكانات ، فإنها لا تتعقد ولا تهرب من الواقع لتلجأ إلى الذات في عملية استغراق في الإيحاء بالقدرة الشاملة غير الموجودة لينعكس ذلك

سلبا على حركة الموقف العملي ، بل تعمل على أن تستكمل القوة من جانب أخر لمصلحة العمل المسؤول .. وهذا هو ما فعله النبي موسى (ع) عندما أراد من الله أن يضيف إليه شريكا في أمره ، لأنه يعيش بعض نقاط الضعف التي يملك فيها هارون نقاط قوة ..

...وهذا هو الذي يوجب على العاملين في سبيل الله ، أن يواجهوه فيما يتحملونه من مسؤوليات ليعملوا على الإخلاص للدور العملي في استكمال كل الإمكانات التي يحتاجها ، ولو كانت لدى الآخرين .. لأن ما نعانيه في ساحة العمل ، هو أن بعض العاملين قد يدفعهم الشعور الأناني بالعظمة الفارغة ، فيسيئون إلى مسؤولياتهم للحفاظ على ذواتهم لأنهم لا يريدون الاعتراف بالحجم المحدود لقدراتهم ، وبالإمكانات المتوفرة لدى الآخرين .(1)

ويقول البعض أيضاً :

---

(1) – من وحي القرآن ج15ص108–110

...وقد نلاحظ في هذه القصة، أن النبوة لا تتنافى مع الضعف البشري الذي يعيشه النبي ويعترف به ، فيطلب إلى الله أن يقويه بإنسان آخر في أداء مهمته لا بواسطة تنمية قدراته الذاتية .. مما يوحي بأن الجانب الغيبي لا يتدخل في تضخيم شخصية النبي على حساب بشريته العادية ، بل يترك المسألة للطبيعة البشرية لتتكامل بطريقة عادية .. وهذا ما قد يحتاج إلى مزيد من الدراسة فيما يطلقه علماء الكلام فيما يتصل بصفات النبي ، بأن يكون أعلم الناس وأشجعهم وأكملهم في المطلق .. فإن تأكيد القرآن على نقاط الضعف البشري في شخصية الأنبياء ، لا سيما في شخصية موسى (ع) قد توحي بما لا يتفق مع ذلك . " (1)

ويقول أيضا :

..."...وهناك نقطة أخرى ، وهي أن الرسالة تفرض الدخول في جدل مرير مع هؤلاء القوم يمكن أن يثيروه من شبهات ، أو يطالبوه بالحجة ، فيحتاج إلى التحدث بطريقة مقنعة حاسمة ، بلسان فصيح ... وهذا ما لا يملكه موسى لِلَكْنة كانت في لسانه ، مما يؤدي إلى ضعف موقفه الذي ينعكس سلبا ، على موقف الرسالة فيما قد يثيره ذلك من سخريةٍ ونحوها .. لذلك كان بحاجة إلى شخص آخر يشاركه المسؤولية ، ليواجه مثل هذا الموقف الطارئ ، معه ، أو ليكون بديلا عنه في مقارعة الحجة بالحجة ..ولهذا فقد أراد أن يكون أخوه هارون معه { وأخي هارون هو أفصح مني لسانا فأرسله معي ردءاً } أي ناصراً ينصرني ويشد ظهري " يصدقني " ويشرح بفصاحته مواقع الصدق في رسالتي ، ومواطن القوة في موقفي ، { إني أخاف أن يكذبون } فيفرض ذلك عليّ الدفاع والجدال حول مفاهيم الرسالة ومواقعها ." (2)

...ونجد هذا البعض يقول أيضا في موضع آخر في تفسير قوله تعالى { إننا نخاف أن يفرط علينا أو أن يطغى } (3) :

---

(1) – من وحي القرآن ج15ص110و111.
(2) – من وحي القرآن ج17 ص326–328
(3) –سورة طه الآية 45.

..." ونلاحظ في هذه الآية الإشارة إلى ما يعيشه النبي من نقاط الضعف البشري التي تتحرك في شخصيته بشكل طبيعي ، حتى في مقام حمل الرسالة ... فيتدخل اللطف الإلهي من أجل أن يمنحه القوة الروحية التي تفتح قلبه ، بعمق على التأييد الإلهي في أوقات الشدة الأمر الذي يعطي الفكرة بأن النبي يتكامل في وعيه وقوته وحركته في الرسالة ." (1)

وقفة قصيرة

ونقول :

...إننا رغم أننا لم نذكر في العناوين المستخرجة من كلام هذا البعض ما ذكره عن الضعف البشري في شخصية الأنبياء ، فإننا نذكّر القارئ الكريم بما يلي :

...1ً– إن هذا البعض قد فسّر الآيات بطريقة أوصلته إلى أن ينسب إلى الأنبياء ما ألمحنا إليه في العناوين التي صدّرنا بها كلامه هذا الأخير ...

...ونحن نذكر هنا ما يشير إلى المراد من أفصحية هارون (ع) ، ليظهر للقارئ أن الآية ليست ناظرة إلى موضوع طلاقة اللسان من الأساس ..

...ولو سلمنا أنها ناظرة إلى طلاقة اللسان من حيث البلاغة والفصاحة الكلامية ، فذلك لا يستلزم ما ذكره ذلك البعض .

...ونحن نشرح ذلك ضمن النقاط التالية ، فنقول :

...أ– لقد طلب موسى (ع) من الله أن يشد عضده بأخيه هارون (ع). وهو طلب طبيعي ، ليس فيه أية مشكلة ، وهو لا يعني وجود نقص في شخصية النبي موسى (ع)يحتاج إلى رفعها بواسطة الاستعانة بهارون (ع)، ويدل على ذلك ما روي من أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قد طلب أيضا مثل ذلك من الله تعالى فقال (ص) ::واجعل لي وزيرا من أهلي ، عليا أخي ، اشدد به أزري .. "

...وقد صحت الرواية بذلك من طريق الفريقين على حد تعبير صاحب الميزان (2).

---

(1) –من وحي القرآن ج15ص119.
(2) –تفسير الميزان ج14ص147.

..."...وعن أسماء بنت عميس قالت : رأيت رسول الله (ص) بازاء ثبير وهو يقول " أشرق ثبير ، أشرق ثبير ، اللهم إني أسألك بما سألك أخي موسى أن تشرح لي صدري ، وأن تيسر لي أمري ، وأن تحلل عقدة من لساني ، يفقهوا قولي ، وأن تجعل لي وزيرا من أهلي علياً أخي . أشدد به أزري ، وأشركه في أمري كي نسبحك كثيرا ونذكرك كثيراً إنك كنت بنا بصيرا (1) ."
فالمراد من الأمر في قول موسى(ع) { وأشركه في أمري } غير النبوة ، بدليل أن رسول الله (ص) دعا الله بأن يشرك علياً(ع) أمره مع أن عليا ليس نبيا قطعا ، بل المراد هو آثار النبوة ، كافتراض الطاعة وغير ذلك والله العالم .
...ب– كما أن رسول الله (ص) قد طلب من الله سبحانه طلب حل العقدة من لسانه حيث قال { واحلل عقدة من لساني يفقهوا قولي} مع أن ذلك لم يكن لقلة فصاحة فيه ، ولا لعقدة أو لكنة في لسانه ، ولا لكون علي عليه السلام أفضل منه ، وهو القائل (ص): (أنا أفصح من نطق بالضاد) .
... وهذا يشهد بأن المراد من الفصاحة في دعاء موسى (ع) ليس هو المعنى الذي يذكرونه في علم المعاني والبيان ، وإلا لما صح أن يدعو به أفصح من نطق بالضاد ، فالمراد إذن شيء آخر وهو أنه أكثر انطلاقا في الحديث معهم حيث لم يقتل منهم رجلا من عدوه كما فعله أخوه موسى (ع) ، بالإضافة إلى جدالهم في أمر إحسانهم لموسى وتربيتهم له (ع) وليداً الله تعالى حكاية ذلك في قوله { ..ألم نُرَبّك فينا وليداً ولبثت فينا من عمرك سنين وفعلت فعلتك التي فعلت وأنت من الكافرين }.
...وهكذا يتضح أن ذلك لا ينافي كون موسى (ع) أعلم الناس وأكملهم وأشجعهم كما يقول هذا البعض .

---

(1) – تفسير البرهان ج3ص31 وتفسير الثقلين ج3ص376 ...

...2– وحتى لو سلمنا –جدلا– بأفصحية هارون من الناحية الكلامية، ولم نحمل كلامه على ما ذكرناه آنفاً ، أو على أن ذلك كان منه تواضعاً وهضماً للنفس ، فلا مشكلة في ذلك ، لأن هذه الآية نفسها تثبت صفة الفصاحة لموسى (ع) أيضا غير أنه يمهد للحصول على مطلوبه و هو أن يكون أخوه هارون وزيرا له .واين هذا مما ذكره هذا البعض من كون لكنة موسى تمنعه من افهام ما يريده للناس ، الأمر الموجب للنقص في الصفات التبليغية المتوجب توفرها في المبلغ لدين الله.
...فافصحية هارون (ع) كمال له ، وفصاحة موسى (ع) لا تعتبر نقصا ولا تضر في أفضلية موسى(ع) ، حيث إن ملاك الأفضلية هو التقوى الناشئة عن العلم و التي تقترن بالعمل.

...وأما بالنسبة للصفات الجسدية ونحوها فقد ذكر العلماء أن المطلوب هو الكمال وعدم النقص ، وهذا متحقق في موسى عليه السلام .

...ثم إن هذه الافصحية قد حازها نبي بالقياس إلى نبي آخر لا أنها ثابتة لشخص عادى بالقياس إلى النبي ، ليقال ؛ لا بد أن يكون النبي أكمل من سائر الناس . فموسى وهارون (ع) أكمل أهل زمانهما لكن موسى أفضل عند الله وأكمل من أخيه في كثير من الصفات . فكما أن اكملية موسى (ع) لا تضر في نبوة هارون.كذلك أفصحية هارون –مع كون الفصاحة الكاملة موجودة عند موسى – لا تضر في نبوة موسى ، ولا في أفضليته عند الله بمعرفته بالله سبحانه حتى على هارون نفسه .وإلا لكان الدعاء من الرسول (ص) بدعاء موسى (ع) بلا معنى .

...هذا كله ، لو سلمنا – جدلا – بأفصحية هارون (ع) . ...فيتضح مما تقدم أن ما ذكره ذلك البعض من ضعف بشري لدى الأنبياء ، وأن موسى (ع) كان يعانى من حبس في لسانه يمنعه من الطلاقة المفهمة لمراده غير صحيح .

...ملاحظة :

... واللافت للنظر هنا : ان الله سبحانه قد اتخذ موسى كليما ،واعطاه الكرامة عن سائر الانبياء ، فهل اختاره كليما لأجل لكنته هذه تعويضا له عما فيه من نقص ؟ إن هذا الأمر عجيب حقاً ، وأي عجيب !! و اذا كان هناك من احتمال آخر فليطلعنا عليه.

...2ً– انه إذا كانت مشكلة موسى (ع) هي في احتباس لسانه المانع له من الطلاقة المفهمة لمراده كما يقول البعض ، فما هو ربط ذلك بالمنهج واللباقة في الأسلوب ؟ومن أين عرف أن منهج هارون (ع) وأسلوبه ، كان أحسن من منهج وأسلوب موسى (ع) ؟!!ومن اين علم ان موسى استعان بهارون كي لا يهزأ ولا يسخر منه قومه لعدم قدرته على افهامهم !؟ .

مع أن القرآن سجل لنا في تساؤل بني اسرائيل عند امره لهم بذبح البقرة موقفا معاكساً حيث اتهموه بأنه يهزأ بهم { قالوا أتتخذونا هزوا ، قال اعوذ بالله ان أكون من الجاهلين } .

...3ً– إن قول موسى وهارون عن فرعون : {أننا نخاف أن يفرط علينا أو أن يطغى } لا يستلزم وجود نقاط ضعف بشري تتحرك في شخصية النبي بشكل طبيعي ، حتى في مقام حمل الرسالة ، كما يقوله ذلك البعض .

...فإن معرفتهما بشخصية فرعون ، ثم ذكرهما لما يحتمل أن يواجهاه معه ، ليس معناه أنهما يعانيان من وجود ضعف في شخصيتهما . بل ذلك يعني أنهما وهما يتحسبان لما سيواجههما به فرعون انما يريدان إعداد العدة لمواجهة أي احتمال .. وهذا هو غاية القوة في مقام حمل الرسالة ..

...فما هو نقاط قوة في الحقيقة أصبح –بنظر هذا البعض – نقاط الضعف في شخصية النبي التي

تتحرك بشكل طبيعي حتى في مقام حمل الرسالة !!.

يقول البعض :

...{ يا زكريا إنا نبشرك بغلام اسمه يحيى لم نجعل له من قبل سميا } فقد أراد الله أن لا يخيّب أملك فيه ورجاءك في رحمته فرزقك ولدا ذكرا سويا ، ومنحه إسما لم يحمله أحدا من قبله .. فماذا تريد بعد ذلك .. وقد أكرمك الله بكرامته التي يكرم بها عباده الصالحين ، وأنبياءه المرسلين ..

زكريا يتساءل متعجبا :

...{ قال رب أنى يكون لي غلام وكانت امرأتي عاقرا وقد بلغت من الكبر عتيا } فقد غيرني الزمان الى الحالة التي لم يبق لي معها شيء من الحيوية تماما كالعود اليابس الذي لا خضرة فيه ولا حياة ، فكيف أن أهب الحياة لغيري في مثل هذه الظروف المستحيلة . وكأنز كريا قد فوجئ بأمر لم يكن منتظرا لأنه لم يحسب أن المسألة تتم بمثل هذه السهولة ، وأن الدعاء يستجاب بهذه السرعة ، وأن ما كان مستحيلاً في نظره أصبح واقعاً في حياته .. وربما كان يتصور أن دعاءه بالولد يدخل في نطاق التمنيات التي يتحدث بها الإنسان إلى ربه ، من دون أن يكون له طمع كبير في حصولها ، لا لأنه يشك في قدرة الله على ذلك بل لأنه لا يعتقد أن الله يتدخل في الأمور بشكل غير عادى لمصلحة شخص معين ، بعد أن جعل الحياة كلها خاضعة للسنن الكونية في وجود الأشياء وفي حركتها العامة والخاصة .. وهذا هو ما جعل السؤال ينطلق منه فيما يشبه الصراخ العنيف ، فيما توحي به الآية { قال كذلك قال ربك } وهذا هو ما سمعه من الصوت الخفي الذي كان يتحدث إليه من دون أن يرى أحدا أمامه .. فليس هو الله الذي كان يكلمه بل هو شخص آخر غير الله ، قد يكون ملكاً ، أو يكون أي شيء آخر { هو عليَّ هيّن } فلن يصعب على الله أن يبدع الحيوية فيك وفي زوجتك لتستطيعا إنجاب ولد ، بعد هذا العمر الطويل { وقد خلقتك من قبل ولم تك شيئا } فكيف تواجه المسألة بما يشبه المفاجأة ..

...وربما أراد زكريا أن يعيش الطمأنينة القلبية التي توحي اليه بأن هذا الوحي الذي يلقى إليه ، بالواسطة ، فيما يسمع من صوت ، لا يرى صاحبه ، هو وحي الله فأراد أن يستوثق لقناعته ، فطلب آية لا يستطيع غير الله أن يحققها ، لأنها تتصل بوحدانية القدرة لديه.

...{قال رب أجعل لي آية } ترتاح إليها نفسي ويطمئن لها قلبي ، فأعرف أن هذه البشارة ، المعجزة ، هي منك ، وحدك ، لا من غيرك لتكون المعجزة في حياتي هي الدليل على المعجزة القادمة و { قال آيتك ألا تكلم الناس ثلاث ليال سويا } وذلك بأن يحتبس لسانك فلا تقدر على النطق في هذه المدة ، من دون علة أو صدمة ، ولكن بقدرة الله ، فتلك هي الآية المطلوبة في الدلالة على أن كل ما بك وما

ينتظرك فهو من الله (1).

وقفة قصيرة

.....إن هذا البعض يطرح أمورا لم نعرف ما هي المبررات لطرحه لها بهذه الطريقة ، فنلاحظ ما يلي :

...1- إنه يذكر : أن زكريا عليه السلام لم يطمئن إلى أن ذلك الذي يكلمه هو ملك يوحى إليه من عند الله ، حتى طلب معجزة تركّز عنده القناعة ، وترتاح إليها نفسه ، فكان له ما أراد ..

وهذا الأمر يطرح أموراً :

...أولها : إن ذلك يجعل كثيراً من موارد الوحي المشابه تتطلب إظهار معجزة تبعث الطمأنينة في نفس الموحى إليه في أن يكون الذي يكلمه هو جبرئيل.

...الثاني: إننا لم نعرف من أين عرف ذلك البعض أن طلب الآية قد كان لأجل الحصول على الطمأنينة لزكريا عليه السلام بحقيقة الوحي .

...فلعل الآية كانت لأجل أمر أو أمور أخرى غير ذلك ، مثل أن يقنع قومه بالحقيقة التي سيفاجئهم بها.

...الثالث : من أين عرف ذلك البعض : أن زكريا عليه السلام لم يكن يعرف طبيعة الذي كان يكلمه ، هل كان ملكا أو غيرها ؟ ومن أين عرف ذلك البعض ايضا انه كان على شكل صوت لا يرى صاحبه ؟ فليس في الآية ما يدل على ذلك .

... ومن الممكن أن يكون ذلك الوحي قد جاء به الملك الذي يعرفه ، ولم يزل يأتيه طيلة عشرات السنين التي مضت من نبوته ، حيث كان قد بلغ من الكبر عتيا ، حسب نص الآيات القرآنية التي هي مورد البحث .

...على أن قوله في الآية { كذلك قال ربك } ليس بالضرورة أن يقوله غير الله ، فلعل ربه هو الذي كلمه بهذه الطريقة .

---

(1) -من وحي القرآن ج 15 ص 16-18

2- من أين عرف ذلك البعض أن السؤال قد انطلق من زكريا بما يشبه الصراخ العنيف .. فيما توحي الآية !! حتى ...إن المرء ليخال أن ثمة مشادة أو معركة كلامية يفتعلها زكريا (ع) مع أنه في مقام يتكلم فيه مع ربه والمقام مقام بشارة .

...ولا ندري كيف انتهى هذا الإشكال دون عزل زكريا عن منصبه !.

...وكيف توحي الآية بذلك ؟ وأي كلماتها يوحي بالصراخ العنيف ؟!

...3- من أين عرف أن زكريا (ع) كان لا يعتقد أن الله يتدخل في الأمور بشكل غير عادي لمصلحة شخص معين ؟ فلعله كان يعتقد أنه تعالى يفعل ذلك ، لكنه أراد بسؤاله أن يعرف إن كانت حالته ستكون هي الأخرى من بين مفردات ذلك أم لا ...

...ومن الواضح : أن زكريا (ع) كان يعرف ان ولادة اسماعيل (ع) كانت بعد شيخوخة ابيه ابراهيم .

... وكان يعرف ايضا أن النار كانت بردا وسلاما على إبراهيم، حينما ألقي إبراهيم فيها .

...ويعرف ايضا ما جرى لمريم (ع) ، وهي ترى المعجزات حين حملها بعيسى (ع) وولادتها له ، كتساقط الرطب الجني عليها في غير أوانه .. واوضح من هذا كله انه عليه السلام كان { كلما دخل على مريم المحراب وجد عندها رزقا قال انى لك هذا ، قالت هو من عند الله ان الله يرزق من يشاء بغير حساب هنالك دعا زكريا ربه قال رب هب لي من لدنك ذرية صالحة } ... وهو نفسه يعرف قصة يونس والحوت ، ويعرف ما جرى لأهل الكهف ، وغير ذلك مما لا يكاد يحصى ..

...4-وأما قوله : انه كان يعتقد باستحالة أن يولد له ، ثم قوله: انه ربما كان يتصور أن دعاءه بالولد كان يدخل في نطاق التمنيات ... من دون أن يكون له طمع كبير في حصولها . ثم قوله : إن زكريا كان يعتقد : أن الله قد جعل الحياة كلها خاضعة للسنن الكونية في وجود الأشياء وفي حركتها العامة والخاصة .

...إن ذلك كله يرد عليه :إن من يعتقد ذلك لا يمكن أن يكون له ادنىطمع في استجابة دعائه . فما معنى ذلك الدعاء إذن ؟ وما هو المبرر لتلك التمنيات التي تصبح مجرد خيالات لا مورد لها من نبي يفترض فيه أن يفكر فيما ينفع ويجدي؟.

5- لا نعرف المبرر لأن يكون زكريا(ع) " لا يعتقد أن الله يتدخل في الأمور بشكل غير عادي لمصلحة شخص معين ، بعد أن جعل الحياة كلها خاضعة للسنن الكونية في وجود الأشياء وفي حركتها العامة والخاصة ".

...ومن قال إن ما حصل له كان منافيا للسنن الكونية ؟!.

... فهل كان زكريا يجهل كل تلك التدخلات الغيبية في الشؤون العامة والخاصة التي لا تكاد تحصى ، بدءا من قضية الطوفان ومروراً بما جرى على إبراهيم(ع) ، وموسى(ع) ،وعيسى (ع)،ونوح (ع)، ويونس (ع)، ولوط(ع) ،وصالح(ع) ،وسليمان(ع) ، وداود(ع)..وغير ذلك مما ذكره الكتاب العزيز .

...أم أنه عليه السلام كان – والعياذ بالله – يذهب مذهب اليهود والضالين الذين قال الله عنهم :{ وقالت اليهود : يد الله مغلولة ، غلت أيديهم ولعنوا بما قالوا بل يداه مبسوطتان ، ينفق كيف يشاء }(1).

يقول البعض :

..." أولئك الذين أنعم الله عليهم فكيف جزاء من بعدهم:
{أولئك الذين أنعم الله عليهم من النبيين من ذرية آدم وممن حملنا مع نوح ومن ذرية إبراهيم وإسرائيل وممن هدينا واجتبينا إذ تتلى عليهم آيات الرحمن خروا سجدا وبكيّا فخلف من بعدهم خلف أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات فسوف يلقون غيّا الا من تاب وآمن وعمل صالحا فأولئك يدخلون الجنة ولا يظلمون شيئا جنات عدن التي وعد الرحمن عباده بالغيب انه كان وعده مأتيا لا يسمعون فيها لغوا إلا سلاما ولهم رزقهم فيها بكرة وعشيا تلك الجنة التي نورث من عبادنا من كان تقيا (2).

---

(1) –المائدة الآية 64.
(2) –مريم 58–63

...{ اولئك الذين أنعم الله عليهم } وهم هؤلاء الذين تقدمت الإشارة إليهم ، فيما قصه الله من أمرهم ، بالإجمال أو التفصيل ، وهم زكريا ويحيى ومريم وعيسى وإبراهيم وإسحاق ويعقوب وموسى وهارون وإسماعيل وإدريس الذين انعم الله عليهم بالإيمان الخالص التوحيدي الذي ينفتح على الله بروحية العبد الطائع الذي أخلص لله في العقيدة ، وفي الطاعة واعطى من فكره وعمله الرضا لله ، فلم يغضب عليه لتمرده ولا لضلاله ومن النبيين من ذرية آدم وممن حملنا مع نوح من البقية الصالحة من المؤمنين الخالصين الذين آمنوا بنوح النبي واتبعوه من ذرية ابراهيم واسرائيل الذين امتدت النبوة فيهم وتحولت الى خط متحرك في الدعوة الى الله والجهاد في سبيله {وممن هدينا واجتبينا } من الذين هداهم الله بما افاض عليهم من نور البصيرة ، وانفتاح العقل ،وصفاء الروح ، ومسؤولية الحركة ، واستقامة الطريق ، ووضوح الهدف ، وتقوى الفكر والعمل .
...وقد يكون المراد من كل هؤلاء هم النبيون الذين أنعم الله كما قد يلوح من عنوان الآية التي حددت المشار اليهم بالنبيين ، ولكننا عندما نلاحظ ذكر اسم مريم ، ويحيى ، وهما ليسا من الانبياء فقد نستوحي من ذلك ان المسألة اشمل من ذلك وتكون الاشارة الى هؤلاء على اساس انهم يمثلون النموذج الاكمل للمهتدين الذين انعم الله عليهم بالايمان والتقوى ، واجتباهم لرسالته ولدينه {اذا تتلى عليهم آيات الرحمن خروا سجدا وبكيا} فيما يمثله السجود من خضوع لله في الشعور العميق بالعبودية ، وفيما يعبر عنه البكاء من احساس بالروحية الفياضة الخاشعة امام خوف الله ، ومحبته في انفعال ايماني عميق بالمضمون الروحي لأيات الله ، والاشراق الفكري لمعانيها .. وهكذا كان هؤلاء الرواد طليعة البشرية (1) .

وقفة قصيرة

(1) –من حي القرآن ج15ص60–61

...ومن الواضح : أن يحيى عليه السلام كان من أنبياء الله المرسلين ، كما صرح به القرآن ، حيث يقول لزكريا :{ ان الله يبشرك بيحيى ، مصدقا بكلمة من الله وسيدا وحصورا ونبيا من الصالحين}(1) وراجع الآيات التي نزلت في سورة الأنعام (83–90) حيث عدت يحيى عليه السلام في جملة الانبياء .

...هذا البعض يرى :ان يحيى عليه السلام لم يكن نبيا وذلك مخالف لصريح القرآن ، ولإجماع المسلمين كافة .

...ولا ندري السبب في حكمه هذا ، وقد كان يحيى (ع) معاصرا لعيسى (ع) ..

يقول البعض :

..."...{ قال اني عبد الله اتاني الكتاب وجعلني نبيا } وهكذا أراد ان يتحدث اليهم عن صفته المستقبلية فيما يريد الله ان يمارس من دور او يقوم به من مسؤولية ، فهو مهما احاط به من اسرار في خلقه وفي قدراته لا يبتعد عن عبوديته لله (2) .

وقفة قصيرة

...ان من الواضح أن كلمة "آتاني الكتاب" تدل على ان ذلك قد حصل في الماضي أي ان الله سبحانه قد أعطاه ذلك في وقت سابق على موقفه هذا الذي يكلمهم فيه

...وقد استدل الأئمة (ع) بهذه الآية بالذات على امامة الامام الجواد (ع) في صغره وفقا لما هو ظاهرها الذي هو حجة فراجع. (3)

كما أنه لا شك في صلاحيتها للاستدلال على إمامة الامامين الهادي والمهدي (ع) ، فتأمل وتنبّه .

...أضف الى ذلك أن كلمة جعلني وآتاني اذا كانت تتحدث عن المستقبل ، فإن قوله : وجعلني مباركا ايضا هي إخبار عن المستقبل ، وهي تشعر بنفي البركة الفعلية عنه ، مع أن كونه مباركا بالفعل وفي كل لحظات حياته ، مما لا شك فيه ولا شبهة تعتريه ، فلماذا هذا الاشعار بامر لا حقيقة له.

(1) –سورة آل عمران الاية 39.

(2) –من وحي القرآن ج15ص37

(3) –راجع الكافي ج1ص322و494و384و382و383وبحار الانوار ج50ص23و24و34وراجع ص21و35و..

...فما معنى حمل الآية على أن عيسى (ع) أراد أن يخبرهم عن أنه سيحصل على درجة النبوة في المستقبل . وأن الله سيؤتيه الكتاب ، وسيجعله نبيا . وقد كان بالامكان أن يقول : سيؤتيني الكتاب ، وسيجعلني نبيا، وسيجعلني مباركا . مع عدم وجود قرينة حالية و لا مقالية على إرادة زمن الاستقبال في الآية.

...بل في صحيحة يزيد الكناسي قال:" سألت ابا جعفر (ع) أكان عيسى بن مريم(ع) حين تكلم في المهد حجّة لله على أهل زمانه؟

فقال: كان يومئذ نبياً حجّة لله غير مرسل . أما تسمع لقوله حين قال { اني عبدالله اتاني الكتاب وجعلني نبيا وجعلني مباركاً اينما كنت واوصاني بالصلاة والزكاة مادمت حيا}(1) ..

الفصل الثاني

نماذج من الأقوال
حول نبينا الأكرم
صلى الله عليه وآله وسلم

بداية

...

...كان ما قدمناه في الفصل السابق هو مجموعة من أقوال وتصويرات هذا البعض لحالة الأنبياء ، وحقيقة نظرته إليهم وقد تركنا من ذلك الشيء الكثير ، اعتقادا منا بأن ما ذكرناه يغني عنه ويدلّ عليه ..

...ونحن نذكر هنا بعضاً من أقوال هذا الرجل التي ترتبط بنبيّنا الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم : فنقول :

... قال الله تعالى :

...{ وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي إلا إذا تمنى ألقى الشيطان في أمنيته فينسخ الله ما يلقي الشيطان ، ثم يحكم الله آياته ، والله عليم حكيم ، ليجعل ما يلقي الشيطان فتنة للذين في قلوبهم مرض } (2)

ويقول البعض في شرح هذه الآية :

(1) –الكافي ج1ص382و383

(2) –سورة الحج الآية 52و53.

..."...وقد فسر المفسرون المعترضون على هذه الرواية ، الآية بطريقة أخرى . فقد جاء في الميزان إن معنى الآية " وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي إلا إذا تمنى" وقدّر بعض ما يتمناه من توافق الأسباب على تقدم دينه وإقبال الناس عليه وإيمانهم به ألقى الشيطان في أمنيته وداخل فيها بوسوسة الناس وتهييج الظالمين وإغراء المفسدين فأفسد الأمر على ذلك الرسول أو النبي وأبطل سعيه فينسخ الله ويزيل ما يلقي الشيطان ثم يحكم الله آياته بإنجاح سعي الرسول أو النبي وإظهار الحق والله عليم حكيم ..

...وقد نلاحظ على هذا التفسير ، أنه حاول أن ينظر إلى مسألة إلقاء الشيطان في الأمنية النبوية في الواقع الخارجي لحركة الأمنية في ساحة الصراع بين خط الله وبين خط الشيطان .. مما يجعل الآية جارية على أساس الأجواء التي تتحدث عن إغراء الشيطان للآخرين في إبطال الأمنية في خط الواقع ولم يحاول أن ينظر إليها من الداخل ، فيما تختزنه كلمة "فيلقي الشيطان في أمنيته " من معنى إدخال شيء فيها بحيث تكون ظرفاً له وموقعاً من مواقعه ، لا حركة خارجية من الآخرين في مواجهتها ، ليكون النسخ – من خلال ذلك – نسخا في حركة الواقع ، لا نسخاً في طبيعة خصوصيات الأمنية .

...إن هذا المعنى الذي ذكره صحيح في الإعتبار ، ولكنه لا ينسجم مع ظهور الآية في كلماتها ، كما نفهمه .. لأنها ظاهرة في وجود شيء ما من الشيطان في طبيعة الأمنية .. وقد لا يكون من الضروري ظاهراً أن يكون هذا الشيء فعليا فيما يصدر عنه من قول أو فعلٍ .. أو يكون منافيا للمبادئ التي يبشّر بها ، فقد يكون انفتاحاً في الإقبال عليهم والإستماع لهم والإنجذاب العاطفي إليهم والإيحاء لهم بالتفكير فيما يقولونه مما قد يطمعهم فيه ، أو يوحي إليهم بأن موقفه قد أصبح أكثر مرونة .. فيؤدي ذلك إلى اهتزاز الموقف في حركة الرسالة ، من حيث تأثيره على صلابة الفكرة في خط المواجهة وتبيان الموقع في ساحة الصراع .. وإضعافه للمؤمنين الذين قد تكون المرونة في الموقف في علاقة النبي بالمشركين ، موجباً لتخفيف حالة التوتر النفسي لديهم ، فيهتز إيمانهم من خلال ذلك

...قد تكون المسألة متحركة في خط الإيحاء في الأسلوب الذي قد يوحي بغير ما يريده .. مما يدخل في محاولة احتواء الساحة، بالموقف المهادن لهم ، والمجامل لعقيدتهم ، من دون إعطاء أي اعتراف بها أو أي انجذاب إليها ، وذلك من باب السكوت عنهم ، والاكتفاء بالإعلان عن وحدانية الله من الناحية الإيجابية التي ترتبط بعبادته ، لا من الناحية السلبية التي ترتبط برفض عبادة غيره ، ليكون ذلك بمثابة

الهدنة التي تخف فيها حدة الصراع ، من أجل إيجاد الجو الملائم لإدارة الحوار معهم في جو هادئ ..

...قد تكون هذه الأفكار وأمثالها هي التي كانت تخطر في ذهن النبي محمد (ص) في بعض الحالات الصعبة كما كانت تخطر في أذهان الأنبياء والرسل من قبله ، عندما تشتد التحديات أمام الدعوة ، ويتعرض المؤمنون للزلزال النفسي من خلال الضغوط التي تضغط عليهم بكل قسوة .

...ولكن هذه الإيحاءات لا تترك أثرها في الواقع ، ولا تملك موقعا مستقراً في عمق الذات ، بل هي خطورات ذهنية تطوف بالذهن ، وتتحرك – بسرعة – في مظاهر السلوك ، فيتأثر بها المجتمع المؤمن بطريقة سلبية ، وينجذب إليها المجتمع الكافر ، بطريقة إيجابية .. ولكنها سرعان ما تزول أمام الحاجة إلى الموقف الحاسم الذي يفصل بين الإيمان والشرك بفاصل واضح ، لا مجال فيها لأية مهادنة ، أو لأي لقاء لأن المسألة تتصل بالأسس لا بالتفاصيل .. ولعل هذا هو المعنى الإيحائي الذي نستوحيه في قوله تعالى{ وإن كادوا ليفتنونك عن الذي أوحينا إليك لتفتري علينا غيره وإذاً لاتخذوك خليلا ولولا ان ثبتناك لقد كدت تركن إليهم شيئا قليلا إذاً لأذقناك ضعف الحياة وضعف الممات ثم لا تجد لك علينا نصيراً }.

...إن هذه الآيات وأمثالها قد توحي بأن هناك شيئا ما يخطر بالبال ، ولكنه لا يثبت في النفس بل يطفو على سطح بعض الممارسات ، ثم ينتهي بشكل حاسم .. من دون أن يسيء إلى فكرة العصمة في الذات ، أو العصمة في التبليغ ، لأن تأثر الإنسان بما حوله في مسائل الخطورات الذهنية السريعة الطارئة ، تماما ، كما هو تأثره بما حوله من الروائح الطيبة أو النتنة ، أو بما تثيره الأطعمة اللذيذة الطيبة منه ، من افرازات جسدية في حالة الجوع، أو الاشتهاء .. فان العصمة ، لا تلغي العنصر الإنساني الذاتي في شخصيته ، بل تلغي الحركة المنحرفة في خط العقيدة التي يعتقدها، والفكرة التي يتبناها ، والكلمة التي يقولها ، والحركة التي يتحرك فيها ..

...ربما يكون هذا الذي عرضناه تفسيرا للآيات ، فيما نستوحيه من معناها ، لأنه يتناسب مع طبيعة الأسلوب والكلمات الذي يؤكد أن الشيء الآتي من الشيطان يدخل في عمق الأمنية في داخل الذات ، لا أنه يتحرك في دائرة الآخرين الذين يعيشون أجواء الرسالة بحيث يكون الإلقاء حركة في خط الأمنية في خط الآخرين ، كما أنه لا يتنافى مع الشخصية النبوية الرسالية في إلتزامها بالتوحيد وإصرارها عليه ، وابتعادها عن كل الإيحاءات والكلمات التي تتنافى معه ، حتى بنحو الغفلة والسهو .. والله العالم بحقائق آياته .

...{ فينسخ الله ما يلقي الشيطان } ويزيله من فكر النبي أو الرسول وقلبه ، حتى لا يبقى منه أي أثر سلبي على حركة الرسالة في الفكرة والأسلوب ، لأن الله يتعهد رسله بالرعاية في مشاعرهم وأفكارهم ،

كما يتعهدهم في حياتهم وحركتهم في خط الرسالة ، وذلك من خلال رعايته لرسالته من خلالهم {ثم يحكم الله آياته } ويثبتها فلا يدع أي مجال للريب فيها ، من أية جهة كانت ، وذلك من خلال ألطافه التي يغدقها على رسوله ، فيمنع –بذلك أي تحريف للكلمة ، وأي زيادة فيها ، لأن ذلك هو السبيل لإحكام الآيات على أساس الثقة الشاملة بموافقتها للوحي الإلهي .

إلى أن يقول:

...{ليجعل ما يلقي الشيطان فتنة للذين في قلوبهم مرض } من الكفر أو النفاق { والقاسية قلوبهم } الذين تحجرت قلوبهم بالجهل والتخلف حتى لم تعد تتفتح على شيء من الفكر الحق ، وتجمدت مشاعرها بالغلظة والقسوة ، حتى لم تعد تنبض بالرحمة والخير. وذلك من خلال هذه الأجواء التي تثيرها الأساليب المتنوعة في الطبيعة الإيحائية لحركة النبي في الساحة .. حيث تأخذهم العزة بالإثم من جهة ، باعتبار ذلك مظهر قوة لهم فيما يمثله من التنازلات الإيحائية لحسابهم ، أو تحركهم في طريق الفتنة ." (1)

وقفة قصيرة

...ونقول :

---

(1) –من وحي القرآن ج16ص108–113.

...إن لنا هنا وقفات عديدة نكتفي ببعض منها ، روماً للاختصار، كماً وكيفاً ، فنقول :

...1ً–إن هذا البعض يصر على أن إلقاء الشيطان قد كان على شكل خطورات ذهنية تبرز في مظاهر سلوك النبي (ص) (1).

...وأن الشيطان قد ألقى في فكر النبي (ص) وفي قلبه ، مع أن الله سبحانه يقول : { إن عبادي ليس لك عليهم سلطان إلا من اتبّعك من الغاوين } (2) ويقول : { قال فبعزتك لأغوينهم أجمعين إلا عبادك منهم المخلصين} (3) وقال تعالى { انه ليس له سلطان على الذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون} (4)

...وقد يقال : إن الخطور بالبال ليس من الغواية ، فلا تشمله الآية الشريفة ، غير أننا نقول : إن هذا البعض لا يقتصر على مجرد الخطور بل هو يقول : إنه ينعكس على الممارسة ويظهر في سلوك النبي (ص) أيضا .

...2ً–إن هذا البعض يقول :" إن ما ألقاه الشيطان في فكر النبي وقلبه قد انعكس على ممارساته ، وتحول إلى سلوك وتجسد انجذابا إليهم ،واستماعاً لهم ، وقد أدى ذلك إلى إضعاف المؤمنين في ساحة الصراع ،وتقوية الكافرين ، والى اهتزاز الموقف في حركة الرسالة .

...كما انه قد تمثل بالموقف المجامل لعقيدتهم والمهادن لهم .

...ويقول هذا البعض أيضا : أن ذلك يحصل لجميع الأنبياء في المواقف الصعبة التي يواجهونها .
...ولا ندري كيف نوفق بين أقواله هذه وبين قوله الذي أورده تتمة له :" من دون أن يسيء إلى فكرة العصمة في الذات أو العصمة في التبليغ " إلى أن قال :"فإن العصمة لا تلغي العنصر الإنساني الذاتي في شخصيته ، بل تلغي الحركة المنحرفة في خط العقيدة التي يعتقدها ، والفكرة التي يتبناها والكلمة التي يقولها ، والحركة التي يتحرك فيها"

---

(1) – إننا قد نجد بعض المفسرين يفسر إلقاء الشيطان بالمرور بالخاطر ، ولكنه مجرد خطور ذهني ، وليس خطور مراودة ولا انعكاس فيه على تصرفات النبي (ص) ، كما يقول هذا البعض .
(2) –سورة الحجر الآية 42 .
(3) –سورة ص الآية 82.
(4) –سورة النحل الآية 99.

...فهل يتوافق هذا مع قوله :" إن الذي ألقاه الشيطان قد انعكس على بعض ممارسات النبي (ص) وتجسد استماعا وانجذابا عاطفيا إليهم، وإقبالا عليهم ، وموقفا مهادناً لهم ، ومجاملا لعقيدتهم ، وأدى إلى تقوية الكافرين إلى اهتزاز الموقف في حركة الرسالة ، والى إضعاف المؤمنين . وأن الشيطان قد ألقى ما ألقاه في فكر النبي وفي قلبه ؟!"
...وأين هي العصمة في الحركة التي يتحرك فيها هذا النبي ، وفي الأسلوب الذي ينتهجه ويمارسه ، لا سيما وانه يلتزم احيانا كثيرة بما يسميه بالعصمة التكوينية ، فأين العصمة مع كل هذا ، وأين تكوينيتها التي الزم نفسه بها !؟ .
... وأي خلل أعظم من هذا الخلل الذي حصل بسبب ما ألقاه الشيطان ؟! وبسبب ممارسات النبي التي نشأت عن ذلك ؟!
...3ً– ألا يعتبر كل هذا الذي حدث بسبب ما يطفو على سطح بعض ممارسات النبي (ص) مما نشأ عن إلقاء الشيطان ، إلا يعتبر ذلك كله ناشئاً عن جهل النبي – والعياذ بالله – تكليفه الشرعي، وخطأه في تشخيص الوظيفة في مقام التبليغ ؟! .
...وإذا كان ذلك قد أوجب كل تلك السلبيات التي ذكرها هذا البعض ، حسبما ذكرناه آنفاً ، فإن المصيبة تصبح بالنسبة لحفظ الدين ونشره أعظم وأخطر ، وأدهى وأكبر . حيث لا يبقى وثوق بالنبي (ص) حتى من ناحية تبليغ الرسالة و حفظ رسوم الشريعة.
...لا سيما إذا كان ذلك سيحصل لجميع الأنبياء ، ولا يتعلم لاحقهم من سابقهم ، وآخرهم من أولهم !.
...4ً– بقي أن نشير إلى أن المراد من الآية الشريفة هو : أن كل نبي من الأنبياء يحب ويرغب (لأن

التمني هو الرغبة في الأمر المحبوب) ما يتناسب مع وظيفته كرسول . وأعظم ما يتمناه هو ظهور الحق والهدى ، وطمس الباطل ، ورد كيد الأعداء .

...فيلقي الشيطان في أمنيته (ولم يقل : في فكره ولا في قلبه) وأمنيته هي ظهور الحق . يلقي فيها ما يفسدها ويوجب عدم ظهورها.

...فالأمنية هي : الشيء الذي يتمناه الإنسان ويرغب فيه، كما تقول: أمنيتي شفاء ولدي ، أو نجاحه في الإمتحان ، ثم يحصل ما لم يكن بالحسبان مما يمنع من شفائه أو من نجاحه ، كخطأ الطبيب في الدواء ، وغيبة معلمه ، فنقول : أن الشيء الفلاني ضيّع عليّ أمنيتي تلك وأفسدها ، ولا يعني ذلك أن ذلك الشيء وهو خطأ الطبيب مثلا قد دخل في فكرك وقلبك ، وأفسد التمني والرغبة .

...بل هو قد افسد الأمنية والمتمنى .فالرغبة باقية ، ولا تزال قائمة، والمتمني لم يزل يحب شفاء ولده ونجاحه بالامتحان.

... ولأجل ذلك فإن كل نبي يتمنى أمراً وذلك الأمر هو أمنيته، فيلقي الشيطان في تلك الأمنية وفي ذلك الأمر بالذات (لا في نفس التمني والرغبة) ما يفسده ويضيعه ، فيراه الناس ويفتتن الذين في قلوبهم مرض بفعل الشيطان هذا . فتتدخل الإرادة الإلهية لتبطل كيد الشيطان، ويظهر نور الهدى ، ويتجلى بطلان الباطل .

...والقرينة على أن المراد بالأمنية هو ظهور الحق وزهوق الباطل هو قوله تعالى بعد هذا { فينسخ الله ما يلقي الشيطان}أي من شبهات وغوايات { ثم يحكم الله آياته } ويظهر نور الحق و الله عليم حكيم.

... وبذلك أيضاً يعرف السبب في أن الله سبحانه قال : ألقى الشيطان في أمنيته ولم يقل في تمنَيه .

...5ً-إن هذا البعض قد رفض ما ذكره العلامة السيد الطباطبائي من أن إلقاء الشيطان في الأمنية النبوية إنما هو في الواقع الخارجي وان

الآية تتحدث عن إغواء الشيطان للآخرين .

...نعم لقد رفض هذا القول مدعياً أن هذا يخالف دلالة الآية على وجود شيء ما من الشيطان ، في طبيعة الأمنية أي في الداخل علىشكل خطورات في البال أو في الذهن .. الخ .. حيث قال تعالى { ألقى الشيطان في أمنيته } ثم فسر قوله تعالى :

{ فينسخ الله ما يلقي الشيطان } بالإزالة من فكر النبي وقلبه .

...ولكنه هو نفسه قد عاد وادعى أن هذه الخطورات تنعكس على السلوك والممارسة ، وتنشأ عنها آثار سلبية في الواقع الخارجي ، فيضعف المؤمنون ويقوى الكافرون بسبب ذلك . وذلك ليتمكن من تفسير قوله تعالى :{ ليجعل ما يلقي الشيطان فتنة للذين في قلوبهم مرض}.لأن مجرد الخطورات الذهنية لا

توجب الافتتان من أحد ما لم تظهر على صعيد الواقع حركة وسلوكا وموقفا .

...وبذلك يكون هذا البعض قد قرّر للآية معنى يسيء إلى العصمة ، حيث تستقر هذه الخطورات في النفس وتترجمها بالممارسة كما أنه قد خالف ظاهر الآية أيضا لأن الآية تقول إن نفس ما ألقاه الشيطان هو الذي يكون فتنة للذين في قلوبهم مرض، فإذا كان هو هذه الخطورات الذهنية وحسب ، فإنها لا يعرفها الناس ولا يرونها . فكيف يفتتنون بها !؟ فلا بد من التأويل في الآية لتنطبق على الحركة والسلوك الخارجي للنبي (ص). بادعاء أنها هي الخطورات الذهنية بسبب تجسدها فيه.

والنتيجة هي: أن ما ألقاه الشيطان له معنيان :

احدهما : الخطور في البال والقلب في قوله تعالى{ ألقى الشيطان في أمنيته } وفي قوله تعالى{ فينسخ الله ما يلقي الشيطان }.

...الثاني : الحركة الخارجية والسلوك والممارسة : وذلك في قوله تعالى :{ ليجعل ما يلقي الشيطان فتنة للذين في قلوبهم مرض } .

...ثم هو يقصد بالأمنية معنيين :

...أحدهما:الرغبة والتمنّي، وذلك في قوله تعالى: { في أمنيته } وقوله { فينسخ الله ما يلقي الشيطان } .

...الثاني : ما نشأ عن الرغبة من حركة وسلوك ، ومن مشاكل وآثار في الواقع الخارجي . وهو الذي افتتن به الذين في قلوبهم مرض،في قوله تعالى : { ليجعل ما يلقي الشيطان فتنة للذين في قلوبهم مرض }.

...والذي ذكرناه نحن في معنى الآية ، وكذلك الذي ذكره العلامة الطباطبائي لا يلزم عليه شيء من ذلك .حيث قلنا : إن المراد بالأمنية هو الشيء الذي يتمناه الإنسان ،وليس المراد بها الرغبة والتمني ..وهذا هو الظاهر المتبادر .

...أما ما ذكره ذلك البعض فهو مخالف لظاهر القرآن من اكثر من جهة ولا مجال للأخذ به وليس كلام صاحب الميزان.

...6ً- وقد أورد هذا البعض في سياق كلامه الآيات الكريمة التالية ، مستشهدا بها على ما يذهب إليه : { وإن كادوا ليفتنونك عن الذي أوحينا إليك لتفتري علينا غيره ، وإذاً لاتخذوك خليلا ولولا أن ثبتناك لقد كدت تركن إليهم شيئاً قليلا . إذن لأذقناك ضعف الحياة وضعف الممات ، ثم لا تجد لك علينا نصيرا } (1).

ونقول :

...إن هذه الآيات لا تؤيد ما ذهب إليه ، لا من قريب ولا من بعيد ، لأنها تقول : انه (ص) لم يركن إليهم ، بل ولم يقترب من الركون ، لأن الله سبحانه قد أعطاه من العزيمة والثبات ما جعله في منأى عن

ذلك كله .

...وذلك بقرينة كلمة (لولا) الدالة على انه لم يكد يركن ، ولم يطف في ذهنه أيّ خيال ، ولا خطر في باله من هذا الفعل حتى الإحتمال ، فضلاً عن أن ينعكس ذلك على سلوكه ، وممارسته ، ويتسبب بخلق مشاكل ، وتنشأ عنه آثار ، أو ما إلى ذلك .

فلا معنى للإستشهاد بهذه الآية بأيّ وجه .

يقول البعض :

"...كيف نفهم انشقاق القمر من الآية ؟

...أما انشقاق القمر فقد ، جاءت الروايات لتؤكد أن معناه يعبّر عن آية كونية ، في نطاق المعجزة المقترحة من قبل المشركين على النبي (ص) لإثبات نبوته ، وقيل : إن أهل الحديث ، والمفسرين إتفقوا على قبولها ، ولم يخالف فيه منهم إلا الحسن وعطاء والبلخي حيث قالوا أن معنى قوله : {وانشق القمر } سينشق القمر عند قيام الساعة،وإنما عبَّر بلفظ الماضي لتحقق الوقوع.

...أما تعليقنا على ذلك، فهي أن المسألة لا بد أن تُناقش من نقطتين :

...النقطة الأولى : من زاوية الإستغراق في مضمون النصوص في ذاتها من حيث إمكانها ومعقوليتها ، وفي سند النصوص من حيث وثاقتها وصحتها .

---

(1) –سورة الإسراء الآيات 73–75

...النقطة الثانية : من زاوية المقارنة بين هذه النصوص المفسرة للقرآن بذلك ، وبين المفاهيم القرآنية العامة في مسألة المعجزة الحسية الكونية وغير الكونية ، الخارقة للعادة ، سواءً كانت مقترحة أو غير مقترحة ، على أساس القاعدة القائلة بأن علينا عرض الأحاديث على ما جاء به القرآن من حقائق بمقتضى الظهور الواضح ، لأن ما خالف كتاب الله فهو باطل أو زخرف.

...أما النقطة الأولى : فقد تحتاج إلى عرض بعض هذه الروايات كنموذج للمجموع ، ففي رواية أنس بن مالك ، قال الإمام احمد : حدثنا معمر ، عن قتادة عن أنس بن مالك قال : سأل أهل مكة النبي (ص) آية ، فانشق القمر بمكة مرتين فقال: اقتربت الساعة وانشق القمر .

...ومن رواية جبير بن مطعم ، قال الإمام احمد : حدثنا محمد بن كثير ، حدثنا سليمان بن كثير عن حصين بن عبد الرحمن ، عن محمد بن جبير بن مطعم عن أبيه قال: إنشق القمر على عهد رسول الله (ص) فصار فلقتين ، فلقة على هذا الجبل وفلقة على هذا الجبل فقالوا : سحرنا محمد ، فقالوا : إن كان سحرنا فانه لا يستطيع أن يسحر الناس كلهم .

...وفي أمالي الشيخ – أبي جعفر محمد بي الحسن الطوسي ، بإسناده عن عبيد بن علي عن الرضا

عن آبائه عن علي – عليهم السلام – قال: إنشق القمر ، بمكة فلقتين فقالر سول الله (ص): اشهدوا اشهدوا . وقد ذكر في الميزان أن علماء الشيعة ومحدثيهم تسلموا الخبر بانشقاق القمر لرسول الله (ص) من غير توقف. ونقل في روح المعاني عن السيد الشريف في شرح المواقف وعن ابن السبكي في شرح المختصر أن الحديث متواتر لا يمترى في تواتره .

...ولكننا لا نستطيع إحراز التواتر من خلال هذه الأخبار التي لم يكن رواة بعضها موجودين في زمن الإنشقاق المفروض ليكونوا شهوداً عليه ، مما يعني أنهم نقلوه عن أشخاص آخرين لا نعرف وثاقتهم ، الأمر الذي قد يجعل منها أخبار آحاد لا تثبت بها مثل هذه الأمور كما قرر في علم الأصول ... وقد يكون التسالم على قبولها ناشئا من الاجتهاد التفسيري في معنى الآية على أساس أن الآية الثانية تفسر ذلك فيكون الإعتماد على القرآن في توثيق المضمون الخبري لا على طبيعة الخبر .

...فإذا تجاوزنا ذلك ، إلى موضوع الإمكان ، فلا بد أن نسلم بأنه من الأمور الممكنة في ذاتها ، وقد حدثنا القرآن عن انشقاق السماء ونحو ذلك من الحوادث التي تتصل بتبدل الظواهر الكونية وتغيّرها عما هي عليه ، فإذا صح الخبر فيها ثبت وقوعها.

...أما النقطة الثانية ، فقد أثير حولها الإشكال من جهة الآيات الكثيرة التي تنفي صدور الآيات المعجزة لا سيما المقترحة من قبل الناس كما في قوله تعالى: { وما منعنا أن نرسل بالآيات إلا أن كذب بها الأولون وآتينا ثمود الناقة مبصرةً فظلموا بها وما نرسل بالآيات إلا تخويفا } (1) فإن مفاد الآية يوضّح بأن الإرسال بالآيات لا يحقق أية نتيجة في دائرة الإيمان ، لأن السابقين الذين أرسلت الآيات إليهم لم يتجاوبوا معها ، ولم ينتفعوا بها ، بالرغم من كل ما تثيره في نتائجها من تهاويل الخوف باعتبار أن نزول الآية التي لا يعقبها الإيمان يؤدي إلى نزول العذاب . ويتأكد الإشكال في الآيات المقترحة التي أراد الله من رسوله أن يعرفهم امتناع استجابة الله لهم في طلبهم إياها ، وهو القادر على ذلك لأنه المهيمن على الكون كله ، فيما يريد أن يخلقه من ظواهر غير موجودة ، أو فيما يريد أن يغيّره من حالٍ إلى حال في الظواهر الموجودة ، فان الأمر خاضع لحكمته لا لاقتراحهم . . أمّا النبي الذي تُقدَّم إليه تلك الطلبات فليس قادراً

---

(1) –الإسراء الآية 95

على ذلك لأن بشريته تمنعه من قدرته على ذلك كما أن صفة الرسالة لا تجعل له دوراً في تغيير الظواهر من حوله .

...ولعلّ هذا الجو هو الذي يتمثل للإنسان القارئ للقرآن في ملاحقته لخطوات الرسالة أمام التحديات

الموجهة إليها من المشركين ... وفي ضوء ذلك قد نلاحظ اختلاف هذا التفسير مع المفاهيم القرآنية العامة فيكون الحديث المتضمن لها حديثا مخالفا للظواهر القرآنية .

...وقد أجاب هؤلاء المفسرون للآية بما ذكر ، بأن الآية التالية لها تؤكد بأن المقصود من إنشقاق القمر ، هو ما حدث على يد الرسول (ص) في مكة فيما رواه المفسرون ، وذلك لأن الظاهر من قوله تعالى: { وإن يروا آية يعرضوا ويقولوا سحر مستمر } أنها آية واقعة قريبة من زمان النزول ، أعرض عنها المشركون كسائر الآيات التي أعرضوا عنها وقالوا : سحر مبين .

...وقد يورد عليهم بأن الآية الثانية لا تدل على أنها من توابع الفكرة التي تثيرها الآية الأولى ... بل ربما كانت الأولى عنواناً للأجواء التي توحي بيوم القيامة ، فيما يراد أثارته من تذكير هؤلاء المشركين وغيرهم به ، لتنطلق الآيات بعدها لتتحدث عن سلوكهم المنحرف عن الرسالة الذي يعرّضهم للنتائج الصعبة على مستوى العذاب في نار جهنم .. وبذلك يكون الحديث عن ردهم الآيات بأنها سحر مستمر مماثلا لكل الآيات التي تتحدث عن تهمة النبي (ص) بأنه ساحر من دون أن تكون مرتبطة بحادثة معينة .. وقد نلاحظ ، في هذا المجال ، ضرورة التدقيق في كلمة " مستمر" التي تعني انطلاق التهمة قبل الآية لتكون مستمرة بعدها .. مما قد يتنافى من خلالها .

...وقد أجاب بعض المفسرين عن استلزام نزول الآية للعذاب بعدها في حالة الكفر ، بأن ذلك لا يشمل كل الناس الموجودين آنذاك ، بل الجماعات المقترحة لها المكذبة بنتائجها ،وقد أهلك الله هؤلاء وهم صناديد مكة .

إلى أن قال :

"علامات استفهام حول معجزة انشقاق القمر"...

ويتساءل الرافضون لهذا التفسير ، إن القمر لو إنشق كما يقال ، لرآه جميع الناس ولضبطه أهل الأرصاد في الشرق والغرب لكونه من أعجب الآيات السماوية ، ولم يعهد فيما بلغ إلينا من التاريخ والكتب الباحثة عن الأوضاع السماوية له نظير ، والدواعي متوفرة على استماعه ونقله .

وأجيب بما حاصله ، أن من الممكن أولاً : أن يغفل عنه فلا دليل على كون كل حادث أرضي أو سماوي معلوماً للناس محفوظاً عندهم يرثه خلف عن سلف . وثانيا : أن الحجاز وما حولها من البلاد العربية لم يكن بها مرصد للأوضاع السماوية ، وإنما كان ما كان من المراصد بالهند والمغرب من الروم واليونان وغيرهما ، ولم يثبت وجود مرصد في هذا الوقت – وهو على ما في بعض الروايات أول الليلة الرابعة عشرة من ذي الحجة سنة خمس قبل الهجرة .

...على أن بلاد الغرب كانت تختلف بالأفق مع مكة مما يوجب فصلاً زمانياً معتداً به وقد كان القمر ،

على ما في بعض الروايات ، بدرا وانشق في حوالي غروب الشمس حين طلوعه ، ولم يبق على الانشقاق إلاّ زماناً يسيراً ثم التأم فيقع طلوعه على بلاد الغرب وهو ملتئم ثانيا .

...وقد يُجاب عن هذا بأن من الممكن التسليم بالفكرة التي يثيرها الجواب الثاني .. أما بالنسبة إلى الجواب الأول فليس هناك مجال للتسليم به .. لأن مسألة إنشقاق القمر بالطريقة التي تثيرها الروايات تمثل حادثاً خطيراً لم يعهده الناس في حياتهم ، مما يجعل إمكان غفلة البعض عنه لا تبّرر غفلة الأكثر لا سيما في تلك المناطق التي يلتقي فيها الناس بالقمر في مراقبة دائمة له باعتباره مصدر الضوء البارز في لياليهم التي لا يملكون فيها إلا الطرق البدائية في مصادر النور .. ولذلك فإن هذا الحدث لو كان لذاع وشاع وملأ الأسماع ، كما يقولون ، ولاستمر الحديث عنه مدة طويلة .. ولكان يوماً تاريخياً يخلّده الناس فيما يؤقتون به الأمور على طريقتهم المعروفة في حساب التاريخ بالأيام التي تحمل حدثاً كبيراً لا يختلف الناس فيه لضخامة الأثر الذي يتركه في حياتهم .
...وفي ضوء ذلك كله ، فإننا نتحفظ في المسألة لأننا لا نجد أساساً يقينياً للالتزام بهذه الروايات ، كما لا نجد ظهورا قرآنيا في تحديد الموضوع بزمان الرسالة ." (1)

وقفة قصيرة :

...1ً-إن هذا البعض يقول: إن أخبار وقوع انشقاق القمر في عهد رسول الله (ص) متواترة : ونقل لنا عن كتاب "الميزان ": أن علماء الشيعة ومحدثيهم قد تسلموا الخبر بانشقاق القمر لرسول الله (ص) من غير توقف .
...ثم إن هذا البعض قد ناقش في تواتر هذه الأخبار بأن بعض رواتها لم يكونوا موجودين في زمن الانشقاق ،مما يعني أنهم نقلوها عن أشخاص آخرين ، لا نعرف وثاقتهم ، فتكون أخبار آحاد ،ولا تثبت هذه الأمور بخبر الواحد .
ونقول :

---

(1) – من وحي القرآن ج 21 ص 323-331

...أ- لا ندري كيف يصبح الحديث المتواتر من أخبار الآحاد ، إذا لم تثبت وثاقة بعض رواته ؟! فهل يعتبر في الخبر المتواتر وثاقة رواته ؟! وهل يعتبر أن يكون جميع الرواة معروفين لدينا أو موجودين في زمن الحادثة؟! حسبما يشير إليه قوله :" لم يكن رواة بعضها موجودين في زمن الإنشقاق المفروض،

ليكون شهوداً عليه ؛ مما يعني أنهم نقلوه عن أشخاص آخرين ، لا نعرف وثاقتهم الأمر الذي قد يجعل منها أخبار آحاد"

...و إذا كان رواة بعضها غير موجودين حين حصول الحدث ، فإن رواة الباقي المتواتر نقله كانوا موجودين آنئذ.

...ومن اين له أن من شروط التواتر هو وثاقة الرواة ؟ وأين قرأ ذلك وما الذي دله على هذا فانكر ما يثبت به ؟

...ب–إن هذا الأمر، أعني إنشقاق القمر، ليس من أصول العقائد ، التي يتوقف عليها الإسلام والإيمان ،ليحتاج ثبوته إلى القطع واليقين، وإنما هو حدث تاريخي خا ق للعادة له مساس بالعقيدة، يثبت بما هو حجة شرعية كأي حدث حصل في التاريخ خارق للعادة ينقل لنا عن النبي (ص) قولاً أو فعلاً ، أو كرامة إلهية له (ص) .. فإن مثل هذه الأمور لا تحتاج إلى أكثر من ذلك لا سيما عند هذا الرجل الذي لا ينفك يدعي أنه يلتزم بحجية خبر الواحد من باب طريق العقلاء .

... نعم ، لو كان ذلك من المعجزات التي يتوقف على إثباتها إثبات نبوة النبي مثلا احتاج ذلك إلى الثبوت القطعي .

...وهذا من الأمور البديهية والواضحة لدى العلماء .

...2–إن هذا البعض قد قبل بالمناقشة التي تقول ؛ "لو كان الانشقاق قد وقع لكان اللازم نزول العذاب ، لأن هذه معجزة اقترحها المشركون ، وقد استجاب الله لاقتراحهم حسب الفرض ، فحيث لم يؤمنوا فإن اللازم هو نزول عذاب الاستئصال عليهم ، كما هو الحال في الموارد المشابهة ".

ونقول:

...أ– قال الله سبحانه :{ وإذ قالوا اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب اليم وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون وما لهم ألا يعذبهم الله وهم يصدّون عن المسجد الحرام وما كانوا اولياءه إن اولياؤه إلا المتقون ، ولكن أكثرهم لا يعلمون }(1).

...فهذه الآية تعطينا أن الله لم يكن لينزل عليهم العذاب ونبي الله الأكرم (ص) موجود فيما بينهم .

...ب – إن هذا البعض نفسه قد ذكر ثلاث روايات عن وقوع حادثة شق القمر ، ويلاحظ أن اثنتين منها لم تذكرا أن أهل مكة قد اقترحوا على الرسول ذلك ،فاذا طرحنا الرواية الثالثة ،لأجل ضعف سندها ،ولم نحمل المطلق على المقيد ، لأجل ذلك ، فإن ذلك لا يحتم علينا رفض الروايات المطلقة التي تنسجم مع الظهور القرآني، إذ لعلها كرامة أكرم الله بها نبيه ابتداء منه تعالى بهدف إقامة الحجة على المشركين تماما كما هو الحال في تسبيح الحصى في يديه، وسجود الشجر له ، ونبع الماء من بين

أصابعه الشريفة ، وتكليم الحيوانات له (ص) ، وغير ذلك .

...ج – ولنفترض أننا حملنا مطلق الروايات على المقيد منها،وقلنا إن إنشقاق القمر قد حصل باقتراح منهم فكما أنه لا يجب على النبي (ص) قبول كل اقتراح فلا يجب أيضاً أن يرد كل اقتراح.

...و مع هذا فليس كل آية مقترحة توجب نزول العذاب ، بل ما يوجب ذلك هو ما يكون اقتراحا يمثل التحدي له من قبل عامة الناس ، بحيث يكون عدم ظهور الآية دليلاً لهم على كذب النبي في مدّعاه – والعياذ بالله – ويتم حسم القضية بهذه الطريقة من الأساس .أما إذا كان اقتراحاً من أفراد لا بعنوان التحدي العام له ، ولرسالته ، فلا يجب أن ينزل العذاب بسبب ذلك.

...وكذا لو كان هذا التحدي ليس حاسما كما ذكرنا .

...ولم يظهر أن القضية في موضوع شق القمر كانت مستجمعة لهذين الشرطين .

---

(1) –سورة الأنفال الآية 32–33–34

...3– وأما استدلاله على أن العذاب لابد أن ينزل بعد اللآية المقترحة بآية {وما منعنا أن نرسل بالآيات إلا أن كذب بها الأولون ، وآتينا ثمود الناقة مبصرة فظلموا بها ، وما نرسل بالآيات إلا تخويفا} (1).

...فهو استدلال باطل، وذلك لما يلي :

...أ–إن ما ذكرناه آنفا كافٍ في إبطال هذا الإستدلال.

...ب– إن قوله تعالى : { وما نرسل بالآيات إلا تخويفا} يدل على أن باب إرسال الآيات لم يغلق ، وإنما هو مفتوح حين يريد الله تعالى تخويفهم بإظهار قدرته وهيمنته .

...ج–إن قوله في تفسير هذه الآية: إن إرسال الآيات لا فائدة فيه.. لو صح : لاقتضى أن لا يكون سبحانه قد أرسل الآيات في السابق أيضاً ، فإنه إذا كانت الآيات بلا فائدة ولا تحقق نتيجة ، فكيف يفعل الله سبحانه أمراً لا فائدة فيه، وإن كانت مفيدة في السابق فما الذي منع من فائدتها الآن.

...4– وبعدما ذكرنا يظهر بطلان قوله عن عدم وقوع انشقاق القمر حسبما تقدم نقله من كتابه :

..." وفي ضوء ذلك قد نلاحظ اختلاف هذا التفسير مع المفاهيم القرآنية العامة ، فيكون الحديث المتضمن لها حديثا مخالفا للظواهر القرآنية " .وكيف انفرد في فهم هذه المخالفة مع أن علماءنا جميعا تسلّموا هذه الاخبار بلا توقف ، فيدور الامر بين الطعن فيما فهموه جميعا بلا توقف هذا من جهة ، أو الطعن في صحة فهمه هو من جهة أخرى ، والأمر موكول الى القارئ المنصف لا سيما بعد ظهور عدم صحة ما استند اليه في فهم هذا وهو لزوم نزول العذاب في المعجزات المقترحة .

...5–قال فيما تقدم :" وقد نلاحظ في هذا المجال ضرورة التدقيق في كلمة مستمر ، التي تعني انطلاق التهمة قبل الآية لتكون مستمرة بعدها ،مما قد يتنافى مع انطلاق تهمة السحر من خلالها".

...وقد اعتبر ذلك مؤيداً لمقولة أن يكون المراد بالآية الأولى التذكير بالأجواء التي توحي بيوم القيامة . ويكون قوله تعالى:

---

(1) الاسراء/59

{ وإن يروا آية يعرضوا ... الخ } من قبيل قولهم عنه إنه ساحر دون أن تكون مرتبطة بحادثة معينة . ونقول :

...أ- إن التدقيق في كلمة مستمر لا يجديه نفعا ، لأن مقصودهم بها أن هذا الذي يرونه من إنشقاق القمر ما هو بزعمهم إلا إستمرار لممارساته السحرية التي رأوا العديد من مفرداتها ، فهذه الحادثة قد جعلتهم يجددون إتهامهم إياه بهذه التهمة الباطلة . وتكون تهمة السحر له قد انطلقت من هذه الحادثة بالذات ، ولكنها تهمة لاحظ من أطلقها مجموعة أحداث أراد أن يبرر بها عودته لإطلاق هذا الاتهام بالذات .

...ب- إن من الواضح أن اعتبار الآيات في سياق واحد أولى من فصلها عن بعضها البعض ، لا سيما إذا جاءت الرواية لتؤكد وحدة هذا السياق ، وترابط الآيات بعضها مع بعض .

...فالإصرار على تجاهل الرواية الواردة عن أهل البيت عليهم السلام وعن غيرهم الصالحة للقرينية على وجود هذا الارتباط السياقي أمر لا مبرر له على الاطلاق .

...6- قد دافع عن القول : بأن غفلة الناس عن هذا الأمر الخطير ،وهو انشقاق القمر ، تدل على عدم حصوله .

ونقول في دفاعه هذا:

إن ما ذكره من دلائل وشواهد لا يصلح لذلك ،وذلك لما يلي :

...أ- إن هذا الإنشقاق قد حصل في نصف الكرة الأرضية حيث يوجد الليل دون النصف الآخر حيث يوجد النهار .

...ب- في هذا النصف قد لا يلتفت اكثر الناس إلى ما يحصل في الأجرام السماوية ، إذا كان ذلك بعد نصف الليل ، حيث الكل نائمون.

...ج- لربما يكون في بعض المناطق سحاب يمنع من رؤية القمر .

...د -إن الحوادث السماوية إنما تلفت النظر إذا كانت مصحوبة بصوت كالرعد ، أو بأثر غير عادي كقلة نور الشمس في الكسوف ، إذا كان لمدة طويلة نسبيا.

...هـ- هذا كله عدا عن أن السابقين لم يكن لهم اهتمام كبير بالسماء وما يحدث لأجرامها .

...و- لم يكن ثمة وسائل إعلام تنقل الخبر من أقصى الأرض إلى أقصاها بسرعة مذهلة لتتوجه الأنظار لما يحدث .

...ز- إن التاريخ الموجود بين أيدينا ناقص جداً ، فكم كان في تلك المئات والآلاف من السنين الخالية من كوارث ، وزلازل ، وسيول عظيمة ، أهلكت طوائف وأمماً ، وليس لها مع ذلك في التاريخ أثر يذكر ، بل إن زرا دشت - وقد ظهر في دولة عظيمة وله أثر كبير على الشعوب على مدى التاريخ - لا يعرف أين ولد وأين مات ودفن ، بل يشك البعض في كونه شخصية حقيقية أو وهمية .

...7- وبعد ما تقدم نقول : انه لا يجب أن يعرف جميع الناس بانشقاق القمر ، ولا أن يضبطه التاريخ بشكل دقيق . بل اللازم هو معرفته من قبل من ظهرت هذه المعجزة من أجل إقناعه .

...8-إن إنكاره لمضامين الأحاديث التي أجمع عليها المسلمون سوى من استثناهم هذا البعض - وهم فقط ثلاثة أشخاص : الحسن البصري ، وعطاء ، والبلخي - إن إنكاره له - استنادا إلى هذه الاستبعادات ، الاستنسابية مع وجود هذه المعطيات التي قدمناها ليس له ما يبرره .

...9- قول هذا البعض :(إن الارصاد لم تسجل هذا الأمر ولا اشارت اليه ..) لا يفيد شيئا ،لأن هذا الأمر لا حاجة فيه إلى أرصاده،

لأن الأرصاد كانت موجودة عند غير العرب ،وكانت من القلة بمكان .. وليس ثمة ما يشير الى أن القائمين عليها كانوا في تلك الساعة في حالة رصد للسماء ولما يجري فيها .

...10- إن من الواضح أن إنكار شق القمر سوف يقطع الطريق على الخوض في أمر رد الشمس إلى علي عليه السلام الثابت هو الآخر بالرواية الصحيحة سندا عند السنة فضلا عن الشيعة ، فإن الاستنسابات والاستحسانات ، التي أريد لها أن تنفي حادثة شق القمر تصلح لنفي حادثة رد الشمس لأمير المؤمنين أيضا .. وربما نجد في كلام هذا البعض ما يشير بخصوصه إلى هذا الإنكار أيضاً. ولكننا لا نثير ذلك هنا ، لأننا أخذنا على عاتقنا الإقتصار في أقاويله على ما هو مكتوب ومطبوع .

ويقول البعض :

" قصة الإسراء"

...وقد أجملت الآية الأولى من هذه السورة مسألة الإسراء ولم تفصل شيئاً من حوادثها .. ولكن الروايات المتواترة أفاضت في الحديث عن ذلك ، ربما كان في الكثير مما ذكر في خصوصياتها الكثير من الخيال فيما نلاحظه من بعض القضايا التي قد لا يستطيع الباحث تفسيرها بطريقة معقولة . لا سيما فيما أفاض فيه المحدثون عن قصة المعراج ، الذي يذكرون انه كان في ليلة الإسراء في الوقت الذي لا

يسمح مثل هذا الزمن القصير في تغطية ذلك كله لأن المسألة إذا كانت تحمل الإعجاز في طبيعتها فإنها تبقى في دائرة القدرة المحدودة للنبي في خصوصيات بشريته التي تخضع لعامل الزمان والمكان في حركته الزمانية والمكانية ، إذا كان الإسراء بالجسد كما هو المعروف فيما بينهم (1)."

وقفة قصيرة

...1- لا ندري كيف يحكم هذا البعض على مضمون رواية متواترة أن في الكثير من خصوصياتها الكثير من الخيال ؛ ثم يجعل ذلك ذريعة لردها خصوصاً قصة المعراج . فإن تواتر الرواية يعني قطعية صدورها عن المعصوم ، فاذا كانت خصوصياتها متواترة ايضاً فإن تلك الخصوصيات تثبت ايضاً . بل انها حتى لو لم تكن متواترة فإن ذلك لا يبرر له وصف تلك الخصوصيات بأنها خيال ، كما سيأتي لأن ثبوتها بما هو حجة بخبر الواحد مثلا يكفي في لزوم التسليم بهاوالأخذ بمضمونها . فهل هذا الخيال هو خيال المعصوم؟!. أم هو خيالنا نحن في فهم وتقييم كلامه (ع) ، وما بيَّنه لنا من حقائق !؟

...2-إن عدم قدرة البعض على تفسير أو استيعاب بعض القضايا لا يبرر له اعتبارها أموراً خيالية ، بل عليه أن يترك المجال لمن يملك القدرة على فهم هذه القضايا من خلال ما يعرفه من ضوابط ومعايير إيمانية وعلمية قادرة على وضع الأمور في نصابها الصحيح.

---

(1) - من وحي القرآن ج 14 ص 6.

...3-إن ما أفاض فيه المحدثون من تفاصيل في قضية المعراج، إنما هو من الأمور التوقيفية الممكنة التي يفترض أن يأخذوها من المعصوم المطلع على هذه الأمور التي لا يدركونها بعقولهم ، مادام انها ترتبط بعالم الغيب .

...4- إن الظاهر هو أن هذا البعض لم يستطع تفسير ما يذكر من تفاصيل في قضية الإسراء ، فضلا عن قضية المعراج فلجأ الى الاستبعاد والانكار .

...5- انه إذا كان الإنسان يرى في منامه أحداثاً تفصيلية تحتاج إلى مساحة زمنية واسعة -نعم يراها - في زمن قصير للغاية . فلماذا لا تختصر القدرة الإلهية الزمان الحقيقي في نطاق تجسيد الحدث الزماني للأجسام التي تحتاج إلى الزمان والمكان . فإن سيطرة القدرة الإلهية على الحركة في المادة الزمانية مما لا يصح إنكاره .. ؟

...بل إننا نجد هذا الإنسان قد تغلب على كثير من المصاعب ، واختصر المسافات إلى درجة كبيرة ومذهلة ، فكيف بخالق هذا الوجود كله ، الذي جعل النار برداً وسلاماً على إبراهيم (ع)ومكّن آصف بن برخيا وصي النبي سليمان عليه السلام الذي عنده علم الكتاب أن يأتي بعرش بلقيس ، وما إلى ذلك .

...وليكن الشاهد الحي على إمكانية الاسراء والمعراج ، هو حدوث نظائر كثيرة له حين تتدخل القدرة الإلهية .

...ومن ذلك طيّ الأرض للإمام علي عليه السلام ، حينما جاء من المدينة في الحجاز إلى المدائن قرب بغداد في العراق ، ليتولى تجهيز سلمان الفا سي ودفنه .. (1)(1)

...وكذا طيّ الأرض للإمام الجواد عليه السلام حيث ذهب من المدينة في الحجاز إلى خرا سان ليتولى مراسم تجهيز ودفن أبيه الإمام الرضا عليه السلام ....وكذلك الحال بالنسبة للإمام السجاد حينما ذهب من الكوفة إلى كربلاء لدفن الأجساد الطاهرة حيث عاونته قبيلة بني أسد على ذلك .

---

(1) ـ ومناقشة البعض في هذا الأمر لا أهمية لها ، لأنها تدخل في سياق نظرته العامة لمثل هذه الامور الى حدٍ ادعى معه لزوم تحصيل التواتر القطعي في هذه الأمور وأمثالها .

...وليكن من ذلك أيضا انتقال عرش بلقيس من اليمن إلى فلسطين ، قبل ارتداد الطرف مع أن هذا العرش زماني ومكاني . ...وليكن من ذلك أيضاً ، قصة التقام الحوت ليونس ، وبقائه في بطنه برهة من الزمان ، {ولولا أن كان من المسبحين للبث في بطنه إلى يوم يبعثون}.

...6-إذا كانت القضية ترتبط بالإعجاز الإلهي فلماذا يجب أن تبقى في حدود القدرة البشرية المحدودة للنبي (ص) ، فإن بقاءها كذلك يتنافى مع كونها معجزة الهية .

...ومن الذي قال : إن بشرية النبي (ص) تحدد قدرته إلى درجة يمتنع معها حصول مثل هذه الأمور له (ص) . حتى لو كان الإسراء بالجسد ؟!.

...وهل يريد أن يقنعنا أن القول بصحة هذه التفاصيل يلازم القول بأن الإسراء كان بالروح ،كما قالت عائشة وغيرها من بني أمية؟!!

...وهل يريد أن يقنعنا بعدم قدرة البشر على فعل الخوارق مع أن علياً(ع) قال عن عيسى (ع) فيما يرتبط بمشيه على الماء : لو ازداد يقينا لمشى في الهواء ، فهل كان مشيه على الماء بروحه أم بالروح والجسد ؟!.

الفصل الثالث

أمور عقائدية عامة
حول الأنبياء
صلى الله عليهم أجمعين

يقول البعض :

..." ونلاحظ في هذا الإتجاه كيف يتحدث الله عن إبراهيم (ع) كنموذج حي للنبي المطيع والموحد له والذي اختاره الله لرسالته وهداه إلى صراط مستقيم وذلك هو الحديث عن الأنبياء في الدائرة الإنسانية المنفتحة على ساحة المسؤولية بين يدي الله .. من دون الدخول في أحاديث المبالغة التي تتحدث عن الشخصية الغامضة ذات الأسرار الخفية والآفاق النورانية السابحة في أجواء القدس .. وغير ذلك من الكلمات التي قد تثير في داخلك الكثير من مشاعر التعظيم ولكنها لن تثير في نفسك المعرفة التفصيلية التي تملأ وجدانك وتغني فكرك ." (1)

وقفة قصيرة

---

(1) –من وحي القرآن ج 13 ص 388 و 389 .

...لا ندري كيف سوّغ هذا البعض لنفسه أن يحكم على الأحاديث المروية عن رسول الله (ص) وعن أهل بيته الطاهرين (ع)، والنبي (ص) لا يملك دليلاً صالحاً بأنها " أحاديث مبالغة" ومن أين عرف أنها كذلك ؟! وكيف ولماذا؟! .

...فهل أطلعه الله على غيبه ، فعرف أنها أحاديث لا حقيقة لها ولا واقع وراءها ؟

...وهل يصح من رسول الله (ص) والأئمة الطاهرين (ع) أن يبالغوا في الأمور ، ويتكلموا بغير ما هو حق وواقع ؟! .

...أم أنه يريد أن يحكم على هذه الأحاديث بأنها موضوعة ومكذوبة . لمجرد استبعادات ذهنية خطرت له !؟.

...وهل يستطيع أن يحكم على هذه المئات بل الألوف من الأحاديث التي تتحدث عن قدسيتهم ومقاماتهم الشريفة عليهم سلام الله وما أعده الله لهم ، وما لهم من شأن عند الله ، هل يستطيع أن يحكم على ذلك كله بالوضع والافتعال ؟ .

...أليست هذه الأحاديث فوق حد التواتر الإجمالي الذي يعلم معه على نحو اليقين صدور جزء من هذه الأحاديث عنهم عليهم السلام ، مما يعني قطع الطريق على ردها وتكذيبها .

...وأخيراً فإننا نطلب من القارئ أن يرجع إلى الجزء الأول من هذا الكتاب الصفحة (50–53) ففيه إلماحه .. إلى هذا الأمر أيضاً .

...وإذا كان سبب حكمه على هذه الأحاديث بأنها مبالغة هو أنها لن تثير في نفسه المعرفة التفصيلية ، فهل يصلح هذا مبرراً لإصدار حكمه هذا عليها ؟ .

...وهل إن كل ما لا نستطيع معرفته بالتفصيل تطرح معرفته الإجمالية ويحكم عليه بأنه مبالغات ؟
...وهل نستطيع أن نجري هذه القاعدة حتى بالنسبة إلى ما ورد في القرآن من حديث عن أمور لا نملك معرفة تفصيلية فيها ؟!.. كما صرح هو نفسه بهذا الأمر في موارد تعد بالعشرات في كتابه" من وحي القرآن "، حيث يطلب باستمرار أن نجمل ما أجمله القرآن ، ولا نرجع إلى التفاصيل التي تكفّل بها الحديث الشريف .. فهل تعتبر تلك الموارد القرآنية من أحاديث المبالغة ؟ فنطرح ما علمناه منهابالإجمال ؟! .

ويقول البعض :

..." ذلك لأن الدور الرسالي يمثّل إرادة التغيير في المفاهيم والوسائل والأهداف ..وتفجير المشكلة من الداخل وتحويلها إلى حالة صراع يثير النزاع والخلاف والإهتزاز وتجاذب المواقف .. من أجل أن تكون النتائج النهائية خاضعة لعملية غربلة وتقييم وتفتيت للواقع الذي يراد تغييره .. لئلّا تبقى الرواسب الماضية عقبة نفسية أمام التغيير الداخلي الذي يفسح المجال لتغيير الواقع .. وهكذا أراد الله لرسوله (ص) أن يتجاوز كل المخاوف التي قد تعطل الحركة وتمنع المبادرة وتربك المسيرة .. يا أيها الرسول بلّغ ما انزل إليك من ربك .."(1)

وقفة قصيرة

...لا نريد أن نتهم هذا البعض بأنه يريد التسويق للفكرة التي تقول " إن كل شيء يحمل نقيضه في داخله " .

...ولكننا نقول: إننا لا نتفاعل كثيرا مع قوله : إن الدور الرسالي يعمل على تفجير المشكلة من الداخل وتحويلها إلى حالة صراع يثير النزاع والخلاف والاهتزاز .. فهل يسمح لنا بهذا المقدار من التحفظ على هذا القول ؟ اذ كيف نقبل بأن يقال : إن الدور الرسالي هو دور يثير النزاع ، والخلاف ، والإهتزاز ، نعم ربما استلزم الدور الرسالي ذلك احيانا ؛ لكن هل هذا الأمر أعني اثارة النزاع والخلاف هو من مقدمات الدور الرسالي كما يظهر من كلام هذا الرجل ؟! كلا ، وحاشا !.

ويقول البعض :

..." ..وقد يلاحظ المتأمل في القرآن أن الآيات تؤكد دائما على جانب الوحي كفارق بين الناس و بين النبي ، كما تثير مسألة عجزه الذاتي عن القيام بكل الأمور الخارقة للعادة في غير النطاق المحدود للمعجزة في طبيعتها القريبة من مواقع التحدي الذي يجتنب ذلك للمحافظة على شخصية الرسالة

وفاعليتها في المجتمع .. كما أن هناك نقطة مهمة في سيرته ، وهي أنه لم يُعهد عنه التحدث بالمغيبات في مجتمع المسلمين فيما يتعلق بشؤونهم العامة والخاصة لأن رسالته لم تحتج إلى ذلك "(2)

وقفة قصيرة

---

(1) – من وحي القرآن ج8ص170.

(2) –من وحي القرآن ج23ص186–187

...1ً– :لا نريد أن نقول :إن مما يؤسف له اشد الأسف أن يكون مقام النبي (ص) قد نزل الى درجة أنه لم يعد الفارق –بنظر البعض– بينه وبين الناس إلا الوحي .

...فقد يتهمنا البعض – كما عودنا – بأننا نفهم كلامه بطريقة غرائزية أو من خلال العقدة ، أو ما إلى ذلك .

... ولكننا نريد أن نقول : ماذا تعني دعوى كون هذا النبي عاجزاً ذاتاً عن أي أمر خارق للعادة في غير النطاق المحدود للمعجزة ، فيما هو قريب من مواقع التحدي .

...فهل معنى ذلك هو أن كل ما ورد من أحاديث في مناقبهم ، وخوارق عاداتهم في غير مواقع التحدي مكذوب ومخالف للواقع ؟!.

...أو هل أن هذا البعض يرى .. أن هذه المئات من خوارق العادات التي صدرت عن النبي (ص) وعن الأئمة(ع) قد كانت كل مفردة منها في مواقع قريبة من التحدي ؟ ....

...فهل كان ذلك الرجل الذي دخل على الامام الصادق (ع) وكان قد ارتكب مخالفة مع الجارية على الباب ، فأخبره الإمام (ع) بما كان منه (1) ، هل إن ذلك الرجل كان في مواقع قريبة من التحدي؟!

...وهل كان ذلك الرجل الذي دخل على الإمام الصادق (ع) والامام الحسين (ع) وهو جنب ، فنهاه (ع) عن ذلك(2) ، هل كان هو الآخر في موقع قريب من مواقع التحدي ؟!

...وحين جاء رجل الى النبي ليفدي أسيراً له وكان معه عدد من الجمال فاستحسن جملا منها وخبأه في الطريق ، فأخبره النبي (ص) بذلك ، هل كان ذلك الرجل في موقع التحدي ؟!.

...وحين اشتكى ذلك الجمل صاحبه إلى النبي (ص) ، هل كان النبي (ص) في موقع التحدي(3) ؟ .

---

(1) – الوسائل ج 20 ص 196 . ومن لا يحضره الفقيه ج 4 ص 8 والخرائج والجرائح ج 2 ص 190 .

(2) –الوسائل ج 2 ص 211 و212 . وبصائر الدرجات ص 261 وقرب الاسناد ص 21 والارشاد

ص 273 وكشف الغمة ج 2 ص 288 والخرائج والجرائح ج2 ص 1166 و226 ورجال الكشي 170 -288.

(3) -الصحيح من سيرة النبي الأعظم (ص) ج 8 .

...وحين سبّح الحصى بيده الشريفة ، وحين حنّ الجذع إليه ، ونبع الماء من بين أصابعه ، وأطعم الجيش كله من فخذ شاة ، وكلّمه كتف الشاة بأنه مسموم ، وطلبت الغزالة منه أن تذهب لإرضاع ولدها ثم تعود ، وغير ذلك مما يعد بالمئات من المنقول عنه (ص)، وكذا الكثير مما نقل عن الأئمة الطاهرين عليهم صلوات الله وسلامه، وكذلك حين تحدثت النملة عن سليمان وجنوده ، وغير ذلك ،هل كان ذلك كله في مواقع التحدي .أو أن ذلك من الأكاذيب والموضوعات!؟.

...2ً- ان الآيات حين اكدت على افتراق النبي (ص) عن سائر الناس بالوحي ، فانما أرادت أن تحصن كلامه عن التشكيك والريب:{وما ينطق عن الهوى إن هو الا وحي يوحى } .أو أرادت ان تنفي عنه (ص) صفة الألوهية ، أو صفة الملك ، التي يريد الكفار ان يجدوها فيه .

...ولم تذكر هذه الآيات ابداً .. أن الفارق بين النبي (ص) وبين الناس محصور بالوحي بحيث لا يملك اية ميزة أخرى سوى ذلك .

...على أنه اذا كان الفارق بين النبي وبين الناس يقتصر على خصوصية الوحي - كما هو صريح كلام هذا الرجل هنا ولم يزل يردد ذلك في كثير من المواضيع - فإن السؤال الذي نطلب الإجابة عليه هو :

...ما هو الفارق بين الإمام وبين سائر الناس يا ترى ، فإن الامام لا يملك خصوصية الوحي التي يتحدث عنها هذا الرجل ؟!..

...3ً- إن تعبير هذا الرجل بـ " العجز الذاتي " لا يغير في الحقيقة شيئا ، لأن من يثبت هذه الكرامات والمعجزات للأنبياء والأصفياء ، لا يدعي استغناء هذا النبي عن قدرة الله تعالى ، لأن الفقر هو قوام كل من عداه سبحانه .

...والأنبياء والأصفياء هم أولى الناس بتذكر هذه الحقيقة ، وبالتذكير بها على الدوام .

...4ً- وأما أنه لم يعهد من النبي (ص) التحدث في المغيبات في الشؤون العامة والخاصة . لأن الرسالة لم تحتج إلى ذلك .

...فلا ندري كيف نفسره ، وتلك هي كلمات النبي(ص) والأئمة (ع) التي يخبرون فيها عن العشرات بل المئات من المغيّبات في الشؤون العامة والخاصة ، قد زخرت بها المجاميع الحديثية السنية والشيعية ، وغيرها من مؤلفات علماء الإسلام .

...فكيف يقول : لم نعهد أن النبي تحدث بشيء من ذلك ؟.

...هذا عدا عما ورد في القرآن من إخبارات غيبية كثيرة ، يتداولها الناس ويسألون عنها باستمرار ، كما في قوله تعالى { الم غلبت الروم في ادنى الأرض وهم من بعد غلبهم سيغلبون } وقوله تعالى { وقضينا الى بني اسرائيل في الكتاب لتفسدن في الأرض مرتين ولتعلن علوا كبيرا فاذا جاء وعد اولاهما بعثنا عليكم عباداً لنا ، أولي باس شديد فجاسوا خلال الديار ، وكان وعداً مفعولا .. } .

...فكيف يقول :إن الرسالة لم تحتج إلى الحديث عن المغيّبات، لا العامة منها ولا الخاصة ؟.ولماذا امتدح تعالى في كتابه المؤمنين بالغيب؟

...إلا أن يدّعي هذا البعض : أن الله سبحانه قد تحدَّث بأمور لا فائدة فيها ، ولم تكن لها مناسبة تقتضيها .

...أو أن يكذّب بكل هذا المنقول الذي لا يرتاب أحد في تواتره الإجمالي. !

...أو أن ينكر كل ما نقل عن الأئمة عليهم السلام في هذا السبيل.!

... فإنه إذا لم يحتج مجتمع المسلمين إلى الحديث عن المغيّبات في المجتمع في الشؤون العامة أو الخاصة ؛ فهل احتاج المسلمون إلى ذلك بعدها حتى زخرت كتب الحديث والتاريخ بما أخبر به علي عليهم السلام من بعده .؟

...وما الفرق بين ان يحدثنا الكتاب العزيز عن هذه المغيّبات ، أو يحدثنا بها وعنها أحد المعصومين عليهم السلام . سوى قطعية الصدور في الكتاب ولزوم التثبت والتأكد من السند في الثاني .

يقول البعض :

..." { ولقد فضلنا بعض النبيين على بعض ... } فيما ميزناهم به من مواقع العمل ، وطبيعة المعجزة ،ونوعية الكتب ، من قاعدة الحكمة التي أقام الله الحياة عليها .." (1)

...ويقول في موضع آخر :

---

(1) –من وحي القرآن ج 14 ص 157.

..".. وربما كان لنا أن نستوحي من ذلك .. أن الله يريد أن يعلمنا ويقول لنا .. لا تستغرقوا في الأنبياء كأشخاص ، بل استغرقوا فيهم ، كخط وكهدى وكرسالة .. ولا تقولوا إن هذا النبي أفضل من ذاك ،ليكون ذلك مبعث خصام وخلاف وانقسام فيما بينكم ، لأنهم لا يعيشون في حياتهم هذا الهاجس ، ولا يتحركون من أجل تأكيده ، وإن كان الله قد فضّل بعضهم على بعض ، لكن ذلك لا يمثل مسؤولية أتباعهم ، ولا يباعد بين خطواتهم .. بل كل ما هناك هو السير على الخط الذي ساروا عليه، في اتجاه الهدف الذي استهدفوه ، لأن الله هو الذي يفاضل بينهم ، في الدرجات عنده ، بعد ان فاضل بينهم في المسؤوليات

في الحياة ، وليس لنا في ذلك دخل من قريب أو من بعيد ، فلنقف حيث يريد الله لنا أن نقف ، ولنوفّر على أنفسنا جهد البحث فيما لا سبيل لنا إلى الإحاطة به ولا فائدة لنا في الوقوف عنده ، ولندّخر تفكيرنا لما أرادنا الله من الخوض في معرفته ، والجهاد في سبيله ، وهو الرسالة من خلال قيادة الرسول ، في الفكر والحركة والعمل " (1)..

وقفة قصيرة

أما بالنسبة للحديث عن تفضيل نبي على نبي ، فإننا نقول :

...أولا : قد ادعى هذا البعض أن الحديث عن تفضيل نبي على نبي يوجب الخلاف والخصام والإنقسام .

... مع أننا لم نجد في كل الحقب التاريخية أي مفردة تشير إلى أي نزاع نشأ عن الحديث عن تفضيل نبي على نبي ، فضلا عن أن يكون، هناك خصام أو انقسام بسبب ذلك .

...ثانيا :إننا لم نعرف كيف تكون نوعية الكتب من أسباب تفاضل الأنبياء ، فأيهما أفضل إبراهيم (ع) الذي جاء بالصحف فقط؟! أم موسى(ع) الذي جاء بالتوراة والألواح والصحف أيضا ؟! وأيهما أفضل موسى(ع) صاحب التوراة أم عيسى(ع) صاحب الإنجيل ؟!

---

(1) – من وحي القرآن ج 9 ص 141–142

...ثالثا: قوله إن الأنبياء يتفاضلون بحسب طبيعة المعجزة أيضا ، يثير لدينا السؤال ، كيف نفهم أن التفاضل بين ابراهيم (ع) وعيسى (ع) وموسى (ع) عن طريق المعجزة ؟وهل انزال التوراة والألواح زيادة على الصحف ، يعني أن موسى (ع) كان افضل من ابراهيم (ع) ؟ان ذلك لم يقبل به أحد .

...رابعا : قوله ان التفاضل بين الأنبياء إنما هو فيما ميزهم به من مواقع العمل ،فان ذلك يطرح امامنا أسئلة كثيرة ؛ فهل كان موقع العمل من الأنبياء مختلفاً ، فيشتغل أحدهما بتبليغ الدين ، ويشتغل الآخر بأمر آخر غير ذلك ؟!.

...أم أن المقصود بمواقع العمل ، هو أن يكون شغل هذا مع بني إسرائيل ، وشغل ذاك مع آخرين ، وهذا مع عاد ، وذاك مع ثمود ..وهكذا ؟! ..

...ثم اننا لا ندري لماذا يصر هذا الرجل على كون المفاضلة هي في المسؤولية في الحياة ، ولا ربط لها بمقاماتهم الغيبية سلام الله عليهم. مع انه لا يملك دليلا على دعواه هذه .. سوى الادعاء والاستحسان!.

...خامسا: إن كان يريد : أن التفاضل في المسؤولية هو الموجب للتفاضل في الآخرة وعلو الدرجات ؛ بسبب كثرة العمل الناشئ عن حجم المسؤولية ، فمعنى ذلك :هو أن لا يبقى ثمة من فرق في ذات الأنبياء بين نبي ونبي ، وذلك يعني ، أن ما جوّزه هذا البعض على يونس (ع) وآدم (ع) ، ونوح (ع) ،

وموسى (ع) والخ .. لا بد أن يجوّز صدوره من نبينا الأكرم (ص) ، فيمكن أن يكون نبينا (ص) ساذجاً وأن يرتكب معاصي ، تشبه معصية إبليس ، ثم يتوب كما جرى لادم (ع) ، وأن يرتكب جرائم دينية ، ويقتل انفساً بريئة ، وأن لا يعرف تكليفه الشرعي فيما يرتبط بهداية الناس ، كما يزعم البعض جريانه في حق موسى (ع) وهارون (ع) ، وأن ...إلى آخر القائمة التي عرضنا في هذا الجزء وفي الجزء الأول شطراً منها .

...فان كان مراده غير ذلك ، فعليه أن يشرح لنا كيف ومن أين جاء ارتفاع الدرجات وتفاديها في الآخرة .

...سادسا : ليت هذا البعض يدلنا على وجه التفاضل بين مسؤولية إبراهيم (ع) ومسؤولية نبينا الأكرم (ص) ، أو مسؤولية عيسى ، ومسؤولية سليمان عليهم السلام .

...سابعا :إن قول هذا البعض : إن تفضيل الله تعالى بعض الأنبياء على بعض لا يمثل مسؤولية أتباعهم ..غير سديد ،فقد حدثنا النبي والأئمة عليهم السلام عن افضلية السيدة الزهراء ، عليها السلام على مريم بنت عمران ، وعن أفضلية الامام المهدي (عجل الله تعالى فرجه الشريف) على بقية التسعة من ذرية الإمام الحسين عليه السلام . وعن أفضلية الإمام امير المؤمنين على الحسن والحسين عليهم السلام : وأبوهما خير منهما .

...وحدثونا أيضاً عن افضلية سلمان الى غير ذلك مما لا مجال لاستقصائه ، أضف الى ما تقدم أن على الإنسان المؤمن أن يلتزم خط القرآن ، ونهج أهل البيت عليهم السلام في كل تفاصيله وحيثياته ،فلا يؤمن ببعض الكتاب ويكفر ببعضه الآخر . بل عليه أن يؤمن بكل ما جاء به ، ولا حرج عليه من الجهر بحقائقه ، رضي الناس لأجل ذلك أم غضبوا ، وكذا الحال فيما جاء به الرسول الكريم ، والعظيم ، لا بد من الالتزام به ولا حرج من التصريح به ونشره وإشاعته .

...ثامنا : لو سلمنا حصول نزاع بسبب الجهر ببعض الحقائق الدينية؛ فإن ذلك لا يمنع من نشرها وبلورتها في أذهان وعقول الناس على نحو لا توجب التنازع ، لا ان تلغى هذه المعاني من أساسها واللازم على المتنازعين اللذين يخالفان امر الله أن يكفّوا عن نزاعهم الذي لا يرضاه الله ، وان يلتزموا بحقائق الدين مهما كانت ، ولولا ذلك للزم الكف عن تبيان أية حقيقة دينية اختلف عليها المسلمون ، فلا نتحدث عن الإمامة والإمام ، ولا عن غير ذلك من التعاليم والأحكام ، لأن ذلك يغضب فريقا من الناس وهو من اسباب انقسام الناس قطعا الى فريقين .

...ولنفرض جدلا ، صحة ما يدّعى من نزاع أو خصام ؛ وصحة لزوم التحاشي عن ذكر مثل هذه الأمور ، فإنما تقدّر الضرورات بقدرها ، وبالتالي يكفّ عن ذلك حيث ينشأ عنه خصام وحيث يلزم منه

تضييع الدين الواجب حفظه والعمل به ، ولا يكفّ عنه حيث لا يلزم ذلك .
...تاسعاً: قوله : إنه لا فائدة من هذا الأمر فلا داعي للوقوف عنده ....لا يصح : لأن الله سبحانه لا يتحدث عن شيء بلا فائدة ، وكذلك النبي (ص) الذي لا ينطق عن الهوى ، وفي حكمه(ص) الأئمة الأطهار (ع) .
...عاشراً : لا ندري كيف عرف هذا البعض أن تفضيل الله سبحانه نبياً على آخر إنما هو فيما ميزهم من مواقع العمل ، وطبيعة المعجزة ونوعية الكتب ، وأين هي القرينة التي اعتمد عليها في حكمه هذا .

يقول البعض :
..."...1- ما معنى هذا الحوار .. هل هو قصة حقيقية دار الحوار فيها بين الله وبين ملائكته ، أو هو أسلوب قرآني لتقريب الفكرة بطريقة الحوار لأنه أقرب إلى فهم الفكرة من الأسلوب التقريري .فإن أسلوب الحوار متحرك يوحي بالحركة في الفكرة عندما تتوزع تفاصيلها على عدة أشخاص بين السؤال والجواب ، بينما نشعر –في الأسلوب التقريري– بأن الفكرة تسير بشكل رتيب هادئ لا يثير في النفس أي شعور غير عادي إلا من خلال طبيعة الفكرة ..
...وليس هذا الأسلوب بدعاً في الأساليب القرآنية فنحن نجد في كثير من آيات القرآن حواراً يدور بين الله وبين ما لا يعقل ولا ينطق من مخلوقاته كما فيما حكاه الله سبحانه في خلق السموات والأرض إذ قال لهما { ائتيا طوعا أو كرها قالتا أتينا طائعين}/فصلت –11– . لتقريب فكرة خضوعهما التكويني لله بما أودعه فيهما من قوانين طبيعية تسير بهما وفق إرادته وحكمته ولا بد لنا في الجواب عن هذا التساؤل من الحديث عن موقفنا حيال الظواهر القرآنية ، فهل لنا أن نتصرف فيها فنحملها على غير ما يفهم من مدلولها الحرفي أو لا ؟.

...إن الطريقة العقلانية في التفاهم تقضي بأن الظواهر الكلامية حجة ما لم يكن هناك دليل عقلي يمنعنا من الأخذ بها وقد جرى القرآن على هذه الطريقة في أسلوبه .. فلا بد لنا من السير عليها فيما نأخذ منه أو ندع ، فإذا أخبرنا بوجود حوار ضمن قصة ولم يكن هناك مانع عقلي من الإقرار به واعتباره حقيقة واقعة .. أمّا إذا كان هناك مانع عقلي فلا بد من حمله على ما ينسجم معه على أساس قواعد المجاز والكناية والإستعارة .. كما في الآيات التي تحدثت عن وجه الله { كل شيء هالك إلا وجهه } (1)"
ويقول أيضا :

---

(1) –من وحي القرآن ج 1 ص150–151.

..."...كيف نفهم الحوار كحقيقة موضوعية .. هل كان الله سبحانه في مقام استشارة للملائكة فيما يريده من خلق الخليفة أو كان في مقام إخبارهم بذلك .. لا بد من رفض الشق الأول من السؤال لأن الاستشارة تنطلق من محاولة الوصول إلى الرأي الأصوب الذي يستتبع الجهل بالواقع مما يستحيل نسبته إليه تعالى... فإذا كانت القضية إخبار عما يريد الله فعله ، فكيف نفسر اعتراض الملائكة عليه ، مع إننا نعرف من خلال القرآن الكريم ، أنهم { عباد مكرمون لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون}/الأنبياء 26-27 . وهنا يعود السؤال من جديد كيف نفسر الحوار .. ونقول ربما تكون القضية واردة مورد التساؤل أمام الأخبار ، وليس هناك ما يوجب اعتبار السؤال اعتراضا ، فإن طبيعة الموضوع تدفع للتساؤل عن سر الحكمة فيه .. وتثير الدهشةو الإستغراب .. فكيف يخلق الله مخلوقا ليكون خليفته في الأرض ، في الوقت الذي تتمثل حياته في التمرد على الله بالفساد وسفك الدماء ..إن القضية تشبه اللغز بحسب طبيعتها .. وفي هذا الإطار يمكن أن تكون القضية جوابا عن سؤال أثاره الملائكة لكشف الموضوع ، ويمكن أن تكون جوابا عن سؤال تفرضه طبيعة القضية، بعيداً عن أجواء الحوار الحقيقي .. وقد نستطيع أن نتبنى الفقرة الثانية ، لأن الآيات بمجموعها توحي بأن في القضية نوعا من التحدي الذي يوجه نحو الملائكة ، بإثارة محدودية علمهم من جهة ، وبتوجيه السؤال إليهم لإظهار عجزهم وتكليف آدم بالإجابة عنه .. وقد يقرّب هذه الفكرة .. إننا لا نفهم الوجه في إدارة هذا الحوار مع الملائكة .. فان حوار الله مع مخلوقاته ينطلق غالبا من القضايا التي تتعلق بمسؤولياتهم وتكاليفهم ، أما أن يكون متمثلا في الأمور التكوينية التي يريد إيجادها فهذا ما لا نعرف له وجها .. ومن الطبيعي أن هذا لا يعتبر مانعا عقليا عن حمل اللفظ على ظاهره، لا سيما وأننا لا نملك الكثير من المعرفة لعالم ما وراء الطبيعة، فنحن لا نعرف كيف

يقولون ، وكيف هم ، وما هي العلاقة بينهم ، وبين الله سبحانه ، وما هو الجو الذي يمكن أن يعيش فيه هذا الحوار .. كل هذا لا نملك له سبيلا للمعرفة فان هذه القضايا مما نعرف وجودها بشكل ضبابي لأننا لا نجد وسائل الإيضاح التي تجعلنا نتمثل الفكرة بوضوح ..

...إننا نستقرب اعتبار الموضوع أسلوبا قرآنيا لتوضيح الفكرة ولكننا لا نجزم بذلك ، لان المعطيات التي قدمناها لا تدع مجالا للجزم .. بل ربما نلتقي ببعض الأحاديث المأثورة التي تدعم الفرضية الأولى .. فيما يأتينا من حديث .. "(1)

وقفة قصيرة

...إننا نشير هنا إلى أمرين :

...الأول: أن هذا البعض يستقرب أن يكون ما جرى من حوار بين الله وملائكته ليس حواراً حقيقيا ، بل

هو أسلوب قرآني لتوضيح الفكرة على حدّ تعبيره .

...ونقول : يرد عليه :

...أولا: إن الدليل الذي استدل به يوجب كون الحوار حقيقيا فهو يقول : إن في القضية نوعاً من التحدي للملائكة بتوجيه السؤال اليهم لإظهار عجزهم ، وذلك يعني أن يكون ثمّة سؤال وُجّه إليهم بالفعل.

...ثانياً: إن ما ذكره من عدم معرفته للوجه في إدارة الحوار ، لا يبرر اعتباره الحوار خيالياً فرضياً .

...ثالثاً: إنه تارة يقول : انه لا يعرف سبب الحوار بين الله وملائكته ، وتارة يقول : أن السبب هو انه تعالى اراد تحدي الملائكة لإظهار عجزهم !.

...رابعا : إن عدم معرفته بالسبب لا يبرر رفض الأحاديث المأثورة التي تدعم مقولة كون الحوار حقيقيا ، فانه إذا كان لا يعرف السبب ، ولا يملك وسائل الإيضاح ليتمثل الفكرة بوضوح ، كما يقول ..

...فإن أهل بيت العصمة عليهم السلام يعرفون ، وقد أخبرونا بالحقيقة، فلماذا يتجاهل الأحاديث المأثورة عنهم (ع)التي اعترف هذا البعض بوجودها ، واعترف بأنها تدعم القول بعدم كون الحوار فرضياً ؟.

---

(1) – من وحي القرآن : ج 1 ص152–154

...خامسا : انه يقول أيضا : إن الظواهر الكلامية حجة ما لم يكن دليل عقلي يمنع من الأخذ بها . وقد جرى القرآن على هذه الطريقة في أسلوبه ، ثم هو يقول : انه لا يوجد مانع عقلي من حمل اللفظ على ظاهره .

ونقول :

...أولا :فإذا كان يجب حمل اللفظ على ظاهره في مثل هذه الموارد فلماذا استقرب هنا ما يخالف هذه القاعدة يا ترى !؟ ويا ليته التزم بمثل ما التزم به هنا حين تحدث عن رؤية موسى (ع) لربه سبحانه وتعالى وغيرها من الموارد !!

...ثانيا : أن هذا البعض قال :".. نجد في كثير من آيات القرآن حوارا يدور بين الله وبين ما لا يعقل ، ولا ينطق من مخلوقاته ، كما فيما حكاه الله سبحانه في خلق السماوات والأرض ؛ إذ قال لهما: {ائتيا طوعا أو كرها قالتا : أتينا طائعين } /فصلت 11 لتقريب فكرة خضوعهما التكويني لله ".. انتهى كلامه .

...ونقول : إننا لا نوافق على أن ما يجده في كثير من حوارات جرت بين الله وبين ما لا يعقل ، ولا ينطق من مخلوقاته هو من موارد الحوارات الفرضية التي لا حقيقة لها .. بل جاءت لتقريب فكرة الخضوع التكويني له تعالى كما يزعم ... إذ أن حملها على ذلك خلاف ظاهر كثير من الموارد ، فقد دلت الآيات على أن السمع والبصر والجلود تشهد ، وعلى أن الجلود تنطق وعلى أن الأيدي تتكلم . قال تعالى :{ اليوم نختم على أفواههم ، وتكلمنا أيديهم وتشهد أرجلهم بما كانوا يكسبون } (1) . وقال تعالى

:{ يوم يحشر أعداء الله إلى النار فهم يوزعون . حتى إذا ما جاءوها شهد عليهم سمعهم ، وأبصارهم ، وجلودهم ، بما كانوا يعملون . وقالوا لجلودهم : لم شهدتم علينا ، قالوا : أنطقنا الله الذي انطق كل شيء وهو خلقكم أول مرة ،واليه ترجعون .وما كنتم تستترون أن يشهد عليكم سمعكم ولا أبصاركم ولا جلودكم . ولكن ظننتم أن الله لا يعلم كثيرا مما تعلمون } (2).

---

(1) –يس /65

(2) –فصلت –/19–22

...ولا ننسى هنا حكاية النملة مع سليمان (ع) ، وحكاية الهدهد معه أيضا ، مع انهما مما لا يعقل ولا ينطق حسب تقدير هذا البعض.

...قال تعالى :{ حتى إذا أتوا على وادي النمل قالت نملة : يا أيها النمل ادخلوا مساكنكم لا يحطمنّكم سليمان وجنوده ،وهم لا يشعرون .فتبسم ضاحكا من قولها وقال : رب أوزعني أن اشكر نعمتك التي أنعمت علي وعلى والديّ ،وان أعمل صالحا ترضاه وأدخلني برحمتك في عبادك الصالحين وتفقد الطير فقال : مالي لا أرى الهدهد أم كان من الغائبين، لأعذبنه عذابا شديداً اولأذبحنه أو ليأتيني بسلطان مبين ، فمكث غير بعيد ، فقال : أحطت بما لم تحط به وجئتك من سبأ بنبأ يقين . إني وجدت امرأة تملكهم ، وأوتيت من كل شيء ،ولها عرش عظيم . وجدتها وقومها يسجدون للشمس من دون الله ،وزيّن لهم الشيطان أعمالهم ، فصدهم عن السبيل فهم لا يهتدون . ألا يسجدوا لله الذي يخرج الخبء في السماوات والأرض ويعلم ما تخفون وما تعلنون . الله لا اله هو رب العرش العظيم .قال سننظر أصدقت أم كنت من الكاذبين . اذهب بكتابي هذا فألقه إليهم ، ثم تولّ عنهم فانظر ماذا يرجعون . قالت : يا أيها الملأ إني القي إلي كتاب كريم } (1).

...هذا بالنسبة لعالم الطير ، وغيره من الكائنات الحية .

...أما بالنسبة لعالم الجماد فهناك آيات كثيرة ، نختار منها قوله تعالى : { ألم تر أن الله يسجد له من في السماوات ومن في الأرض ، والشمس ، والقمر ، والنجوم ، والجبال ، والشجر ، والدواب ، وكثير من الناس . وكثير حق عليه العذاب } (2).

...وقال تعالى :{ تسبح له السماوات السبع والأرض ومن فيهن ، وإن من شيءٍ إلا يسبح بحمده ، ولكن لا تفقهون تسبيحهم ، إنّه كان حليما غفورا } (3)

---

(1) –سورة النمل ، الآيات /18–29.

(2) –الحج /18
(3) –الإسراء /44

...ومن الواضح أن سجود الموجودات المذكور في الآية الأولى ليس سجودا تكوينيا قهريا ، وإنما هو اختياري كالناس الذين يختار بعضهم السجود ، ويختار بعض آخرين العصيان ، فيحق عليه العذاب ولو كان تكوينيا لم يكن ثمة مجال لامتناع كثير من الناس عنه .
...كما أنه لو كان التسبيح الذي تحدثت عنه الآية الثانية تكوينيا فهو أمر معروف وظاهر يعرفه الناس كلهم ، فلا يبقى معنى لقوله تعالى { ولكن لا تفقهون تسبيحهم }.
...ومما يشير إلى ذلك أيضا قوله تعالى { إنّا عرضنا الأمانة على السماوات والأرضو الجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الإنسان انه كان ظلوماً جهولاً } (1).
...وقال تعالى { لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعا متصدعاً من خشية الله } (2).
وقال سبحانه { ألم تر أن الله يسبح له من في السماوات والأرض والطير صافات كل قد علم صلاته وتسبيحه ، والله عليم بما يفعلون }(3).
...والآيات التي تدخل في هذا السياق كثيرة . ولا مجال لإثبات خلاف ذلك في تلك الموارد .

ونقول :
...يقول البعض عما أكرم الله به نبيه سليمان بن داود عليه السلام :
..."..وهذه إطلالة سريعة على النبي سليمان الذي جعل الله له ميزة معينة في الخدمات غير العادية التي هيأها الله له فيما كان يحتاجه لتنقلاته أو مشاريعه العمرانية ، أو في حاجاته الإنسانية والاجتماعية."

وقفة قصيرة :
نلاحظ هنا أمرين :
...أحدهما : إنه سمى الولاية التكوينية لنبي الله سليمان عليه السلام بـ (الخدمات غير العادية) ...!
...ثانيهما : إنه جعل ذلك من باب الخدمات التي يحتاجها سليمان (ع) في تنقلاته وفي مشاريعه العمرانية الخ ...
...والسؤال هو : هل كان لدى سليمان(ع) عليه السلام حاجات إنسانية اجتماعية ، ولم يكن لدى غيره من الأنبياء حاجات كهذه؟ .
... وهل كان سليمان (ع)بحاجة الى تنقلات ، ولم يكن غيره من الأنبياء بحاجة إلى ذلك ؟ .

(1) –الأحزاب 72
(2) –الحشر /21
(3) النور /41

... وهل كان لدى سليمان(ع) مشاريع عمرانية ، ولم يكن لدى أي من الأنبياء حتى نبينا الأكرم (ص) مثل هذه المشاريع ؟

...وإذا كانت بشرية سليمان (ع)لم تمنعه من الحصول على هذه الخدمات غير العادية ، فهل أن بشرية نبينا الأكرم (ص) قد منعته منها ؟

...وما هو الفرق بين بشرية هذا وذاك يا ترى ؟..

...هذا وأين التحدي في كل هذه الخدمات غير العادية المعجزة. فإذا كانت المعجزة لا تحصل في غير موارد التحدي ، فلماذا حصلت كل هذه المعجزات لسليمان ولداود عليهما السلام .؟!

يقول البعض :

..."...كيف يطلب هؤلاء منه أن يقوم بتلك الأعمال الخارقة التي لا يستطيع أي بشرٍ بقدرته العادية أن يحققها .. وهل كانت دعوى النبوة تعني القيام بمثل ذلك ، أو تختزن في مضمونها ادعاء القدرات الغيبية ، أو العمق الإلهي الذي يمكنه من تحقيق ذلك ..لقد كان النبي يعلن دائما أنه بشر يحمل الرسالة ، مما يعني اقتصار العلاقة الإلهية المميزة بشخصه ، التي يختلف بها عن بقية الناس ، على الوحي الذي ينزله الله عليه ليبلغه للناس كرسالة إلهية ، بعيداً عن كل شيء آخر لأن ذلك هو دور النبي في الحياة ، فليس دوره أن يغير صورة العالم في صفته التكوينية ، بل كل دوره أن يغيره في صفته الفكرية والعملية ،في حركة الحياة والإنسان ..حتى المعجزة ، فيما كان يقوم به الأنبياء من معاجز لم تكن غاية في الرسالة ، بل كانت وسيلة لمواجهة التحدي الكبير حولها(1)...

---

(1) –من وحي القرآن : ج 17 ص21

...ويقول أيضاً : "ما هي شخصية الرسول ؟وما هي قدراته..؟ هل هو إنسان غيبي في شخصه ، وفي إمكاناته .. هل من المفروض في الرسول الذي يرتبط بالله من خلال الوحي ، أن يكون . في طبيعته . شخصاً غير عادي ، كما هو الوحي شيء غير عادي في طبيعته .. أو هو إنسان مثل بقية الناس في شخصيته ، وفي قدرته، فلا يملك أن يغير شيء من سنن الكون التي أودعها الله في الحياة ، ولا يستطيع أن يكتشف الغيب بخصائصه الذاتية هذه أسئلة كانت تدور في وعي الإنسان الذي عاصر

الرسالات؟ عندما كان يطلب من الرسول ؟، تفجير الينابيع من الأرض القاحلة ، والصعود إلى السماء ، والإتيان بكتاب غير عادي منها..وهذه أفكار لا تزال تعيش في وعي الإنسان المتأخر عن عصر الرسالات ، في اعتقاده بالنبي ، كشخصية غيبية في قدراتها ، حتى اعتبرها البعض ذات ولاية تكوينية على الحياة ، وعلى الناس فيما جعلها الله له من ولاية ، كما أن الكثيرين يعتقدون ، بأنه يعلم الغيب ، إذا أراد من حدود .. إلى غير ذلك من الاعتقادات ألتي أبعدت النبي في تحديد شخصيتهم عن مستوى شخصية الإنسان في طبيعته وقدرته .

...إن الآية . التي أمامنا تحدد لنا المسألة ، كغيرها من الآيات المماثلة ، من دون فرق بين أن تكون جواباً عن الفكرة التي تتطلب في النبي ، شخصية الملك وبين أن تكون جواباً عن الفكرة التي تتطلب فيه شخصية القادر على التغيير التكويني للواقع .. "(1) .

ويقول في تفسير قوله تعالى :

..." .. { قُل،لا أقول لكم عندي خزائن الله ولا أعلم الغيب ولا أقول لكم أني ملك إن أتبع إلا ما يوحى إلي قل هل يستوي الأعمى والبصير أفلا تتفكرون ..} سورة الأنعام/ الآية 50

---

(1) –من وحي القرآن ج 13 ص 282و283

...وهذه هي الصورة المشرقة الواقعية للشخصية النبوية التي يريد الله للنبي أن يقدم بها نفسه إلى الناس ، فهو لا يريده كائناً غيبياً يبرز إليهم من خلال الجو الغيبي الضبابي الذي يوحي إليهم بالأسرار الخفية المقدسة للذات بعيداً عن التصور البشري الطبيعي ، ولا يريد له أن يبدو في نظرهم شخصية أسطورية تملك في حوزتها كل خزائن الله الذهبية والفضية ونحو ذلك مما يدخل في عالم التقييم المادي بالمستوى الذي يستطيع أن يغرف منها ما يشاء من المال لمن يشاء من الناس ، ولا يريده إنساناً يقف بين الناس ليتحدث للناس عن أسرارهم الكامنة في صدورهم وعما ينتظر كل واحد منهم من أحداث المستقبل الخاصة والعامة ، على أساس ما يحمل من علم الغيب الإلهي ، كما يتصوّر الكثيرون هذا الدور لشخصية النبي ، كما هي شخصية الكاهن الذي كان يمثل بعضاً من ذلك .. ولا يريد له الشخصية الملائكية ليأخذ لنفسه دور الملك السماوي الذي يأخذ بألباب الناس فيدهش العقول بأجنحته المتنوعة المتعددة ، وقدرته الأسطورية الخارجة عن كل حد .. لأن الله يريد للناس أن يؤمنوا به من خلال رسالته بعيداً عن كل ضغط نفسي أو مادي .. وعن كل ألوان الإغراء الذاتي ، أو الاستعراض الانفعالي ، الذي يوحي للإنسان بالانجذاب والعاطفي ، والانسحاق الشعوري ... وهكذا أراده أن يقف بينهم عبداً خاشعاً بين يدي الله ، لا يملك أية مقومات ذاتية ، كبيرة ، أو أية قدرات شخصية مطلقة .. رسولاً أميناً على الدور الذي أوكله الله إليه فهو ينتظر أمر الله ووحيه في كل صغيرة كبيرة ليتبعه ويبلغه للناس .. وربما

كان الحديث عن الأتباع موحياً بالصفة المطيعة المتواضعة التي تجسدها شخصيته ليكون في ذلك بعض الإيحاء لهم بالطاعة لله من خلال الإستغراق في دور العبد المطيع الذي يتمثل في حركة العبد . النبي ،ليتمثل . من خلاله . في شخصية العبد المؤمن ..وإذا كان التوجه الإلهي يفرض على الرسول أن يقدم نفسه إلى الناس بهذه

الصفة فقد نجد فيه الدرس الفكري الذي يريدنا أن لا نغرق أنفسنا بالأسرار العميقة التي يريد البعض أن يحيط بها شخصية النبي ، ليحصل له اللون الإيحائي الذي يرتفع به فوق مستوى البشر في إمكاناته الذاتية ، وقدراته الكبيرة ... بل يعمل على أن يربطنا بصفته الرسالية من حيث أخلاقه وخطواته ومشاريعه المتصلة برسالته ..وذلك هو السبيل للتعامل مع شخصية الأنبياء ، والأولياء، بالأسلوب القريب إلى الوعي الإنساني العادي ، فيما يمكن للإنسان أن يعيشه ويتصوّره ويتمثله في نفسه ، ليشعر بأن النبي قريب منه بصفاته البشرية المثلى التي يمكن أن تكون أساسا للتمثّل والإتباع والإقتداء .. وفي ضوء ذلك .. نجد في الأبحاث السائرة في هذا الاتجاه ، انحرافا عن الخط القرآني الذي يرسمه القرآن للناس في دراستهم لشخصية النبي (ص).(1)
...ويقول ايضاً :

---

(1) –من وحي القرآن ج 9 ص 79–81

..." .. وقد نستوحي من هاتين الآيتين ... أن الأنبياء لا يتحدثون عن أنفسهم كثيرا للناس ليثيروا في حياتهم الشعور بالتعظيم والتقديس لهم .. بل هم – على العكس من ذلك – يعملون على تأكيد جانب البشرية في ذواتهم بشكل صريح مؤكّد .. ويبرزون نقاط الضعف البشري بطريقة واضحة .. كما نجد ذلك فيما حكاه الله عن رسوله في حواره مع المشركين .. الذين طلبوا منه فعل بعض خوارق العادة التي يقترحها للدلالة على نبوته إنطلاقاً من عقيدتهم فيه بأنه مزوّد بطاقات هائلة يستطيع أن يقوم من خلالها بكل شيء يطلب منه .. فقد أجابهم بقوله {... قل سبحان ربي هل كنت إلاّ بشراً رسولا .. } وفيما حدثنا الله .. قل لو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير وما مسني السوء إن أتّبع إلا ما يوحي إلي ربي وهكذا نلاحظ أن القرآن لم يتحدث عن الأنبياء إلا من خلال صفاتهم الذاتية المتصلة برسالتهم كما حدثنا عن حركة الرسالة في حياتهم وما لاقوا من عنت واضطهاد وتشريد .. وعن بعض نقاط الضعف البشري التي عاشوا في واقعهم الداخلي والخارجي .. من أجل إبعاد الناس عن الضلال والغلوّ ليظل التصور في العقيدة مشدوداً إلى الواقع ، بعيداً عن كل ضروب الخيال والمثال الذي قد يطوف في أخيلة الكثيرين وأفكارهم .

ثم هو يقول :

الفكرة في خط التربية الإسلامية :

..."... وقد نحتاج إلى استيحاء هذا الأسلوب التربوي في دراساتنا وأبحاثنا التي فيها حياة الأنبياء والأئمة والأولياء ، فنستغرق في الجوانب العملية في حركة الإسلام في حياتهم الشخصية والعامة لنبقى في خط الارتباط بالشخص من خلال الفكرة والرسالة والعمل ، فيزيدنا ذلك ارتباطا بالخط الصحيح وابتعاداً عن مواطن الخطأ والضلال في الطريق ولا نستغرق في الأسرار الخفية والغامضة التي يثيرها البعض في حديثه عن هذه الشخصية أو تلك ممن نعظّم من شخصيات الأنبياء والأولياء .لأن الاستغراق في الجوانب الضبابية الغامضة التي لا نستطيع فهمها ولا تعقلها قد يؤدي بنا إلى الإنحراف في التصور أو الوصول إلى درجة الغلوّ ..

...إن القصية ليست في واقعية هذه الصفات الممنوحة لهذه الشخصية أو تلك وعدم واقعيتها ليتجه الحديث إلى إثبات صحّة ذلك بالروايات الصحيحة أو غير الصحيحة ، في عملية نقاش علمي طويل بل القضية هي .. أن ذلك الأمر ليس من ضرورات العقيدة ولا من فروض العمل ، فلماذا نكلف أنفسنا الجهد والتعب في الدخول في أبحاث ليس لها قيمة عقيدية أو عملية ، بل قد تؤدٍ في بعض الحالات إلى ما يشبه عبادة الشخصية ، إذا لم تؤدِّ إلى الغلو المفرط عصمنا الله من الزلل ووقانا شر الإنحراف عن الخط الإسلامي في العقيدة والعمل .." (1).

وقفة قصيرة :

...إن ما نقلناه عن هذا البعض آنفا من كلام ، يتضمن الكثير من الموارد التي تستحق التوقف عندها ، وحيث إن ذلك سيدخلنا في بحوث مطولة ومتشعبة ، فلا بد من الاقتصار على ما لا يخل بالحد الأدنى من الانسجام في مطالب الكتاب ، فنقول :

...1ً- إن هذا البعض لا يزال يؤكد - في كتبه ومحاضراته- على أن مهمة الأنبياء تنحصر في التبليغ والدعوة ، وان كل دورهم هو أن يغّيروا العالم في صفته الفكرية العملية ، لا التكوينية .

---

(1) - من وحي القرآن ج 6 ص82-83 -84

...2ً- ثم يدعي هذا البعض أن الأنبياء بشر عاديون ، لا قدرة لهم على التصرف والتأثير في الأمور التكوينية . وهو يبدي استغرابه ممن يقول ذلك ..

...3ً- انه لم يزل يستشهد لمقولاته هذه بالآيات التي تضمّنت التصريح بأن النبي بشر ،كما في قوله

تعالى { وقالوا لن نؤمن لك حتى تفجّر لنا من الأرض ينبوعاً أو تكون لك جنة من نخيل وعنب ، فتفجّر الأنهار خلالها تفجيرا أو تسقط السماء –كما زعمت – علينا كسفا ، أو تأتي بالله والملائكة قبيلا . أو يكون لك بيت من زخرف ، أو ترقى في السماء ولن نؤمن لرقيك حتى تنّزل علينا كتاباً نقرؤه قل: سبحان ربي هل كنت إلا بشراً رسولا}(1)

...ثم هو يضيف أن الآيات قد دلت على أن النبي لا يقدر على شيء مما ذكر ، وليس لديه خارج قدرة البشر أي قدرة ذاتية غير عادية .

...ولذا لم تنسب الخوارق في القرآن إلى الشخص إلا في قصة عيسى وإبرائه الأكمه والأبرص ، وإحيائه الموتى .

4ً– فإذا كانت مهمات الأنبياء هي التبليغ والإرشاد ، وفقاً لقوله تعالى { يا أيها النبي انا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً ، وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً } (2)

...فان التصرفات الاعجازية وغير العادية تبقى محصورة في دائرة التحدي وإثبات النبوة وحاجات التبليغ والدعوة .

...ثم يستنتج من ذلك أن :كل النصوص التي تثبت كرامات أو معجزات أو تصرفات غير عادية للأنبياء – خارج هذا النطاق – لا يلتفت إليها ، بل تخرج عن دائرة السيرة والتاريخ الصحيح ، أو الذي يمكن أن يكون صحيحا.

5ً– ثم هو تبعا لذلك لا يرتضي القول بأن النبي (ص) قد يعلم الغيب –بلا حدود– إذا أراد .(3)

6ً– انه يقول : من يقول إن بإمكان النبي أن يمارس التغيير الكوني كمن يقول :بأن النبي ملَك .

---

(1) –سورة الإسراء الآية 90–93

(2) – سورة الأحزاب الآية 45–46

(3) – يلاحظ إقحامه كلمة (بلا حدود) ولا يخفى على الناقد البصير سبب هذا الإقحام .

... فكلام هذا الرجل يدور حول هذه الأمور التي قدمناها ، ولذلك فإننا سنقتصر على الحديث عنها . فنقول :

1– آيات التحدي لبشرية الرسول

...إن الآيات التي ذكرت تحدي الناس للرسول بالمطالب التعجيزية، فلم يستجب النبي (ص) لمطالبهم ، لكونه بشراً وليس ملكاً ، إنما جاءت رداً على ما يزعمونه من لزوم كون النبي من غير البشر ، ولذلك عقب الله تعالى هذه الآيات بقوله :{ وما منع الناس أن يؤمنوا إذ جاءهم الهدى إلا أن قالوا : أبعث الله بشراً رسولا . قل : لو كان في الأرض ملائكة يمشون مطمئنين لنزلّنا عليهم من السماء ملكا رسولا }

.(1)

... ولأجل هذا نجد أنه (ص) لم يستجب لمطالبهم التعجيزية لأن ذلك يعني ترسيخ اعتقادهم الخاطئ في نفوسهم وإقرارهم عليه بصورة عملية .

...علما انه قد ثبت في علم الكلام انه لا يجب على النبي الاستجابة لكل المطالب من المعاجز الاقتراحية التي يطلبها آحاد أو جماعات القوم الذين بعث اليهم ويكفيه في اثبات صدقه معجزته التي يلقيها من تلقاء نفسه .

2- مهمة الأنبياء وعلومهم

...إن مهمة الأنبياء لا تنحصر بالتبليغ والدعوة ،وإنما تتجاوز ذلك ليكونوا القادة والذادة والحكام على الناس ، المهيمنين على مسيرة البشرية ، حيث يريدون ايصالها إلى الله سبحانه ، من خلال تربيتهم وهدايتهم لها ، وحاكميتهم وهيمنتهم على كل شؤونها، في مسيرتها إلى كمالها ، الذي ينتهي بها إلى معرفته سبحانه وتعالى . ولهم إشراف على كل الواقع الروحي، والعقيدي والتربوي ، والسلوكي للأمة ، وعلى كل علاقاتها بأي شيء في هذا العالم ، سواء على مستوى الفرد أو على مستوى الجماعة .

...ولأجل ذلك يرفع للامام عمود من نور يرى فيه أعمال الخلائق .وهذا يحتم أن يكونوا على درجة كبيرة من المعرفة ، وان يملكوا قدرات وطاقات كبيرة ، تتناسب مع حجم المهمة الموكلة إليهم على مستوى البشرية بل والعالم بأسره .

---

(1) -سورة الإسراء الآيات 94-95

...والعنصر الأساس والضروري والحساس في هذه الهيمنة الشاملة هو العلم ، وهو الأمر الذي ظهر لنا من قصة داود (ع): انه هو الوسيلة الأعظم تأثيراً في ذلك . وقد قال تعالى { ولقد آتينا داود وسليمان علما } (1) .

...وقد قال سليمان(ع) :{ عُلّمنا منطق الطير } (2)ووصف الله سبحانه داود : بـ { ذا الأيد } (3)وقال : { وشددنا ملكه، وآتيناه الحكمة وفصل الخطاب } (4).

...بل إن أحد أتباع سليمان (ع) قد جاء بعرش بلقيس قبل ارتداد الطرف، بواسطة العلم ، قال تعالى { وقال الذي عنده علم من الكتاب : أنا آتيك به قبل أن يرتد إليك طرفك ، فلما رآه مستقراً أمامه}(5).وحين فهم سليمان(ع) كلام النملة :{ تبسم ضاحكاً من قولها}، واعتبر ذلك نعمة إلهية تستوجب الشكر ، الأمر الذي يشير إلى أنه هو الذي فهم قولها بما أنعم الله عليه من معرفة لغات الطير والحيوان وتعلّمه لها .

...كما أن معرفة سليمان (ع)بوجود عرش بلقيس لم تكن بواسطة المعجزة بل بواسطة الهدهد .

...وتسخير الجبال ، والجن ، الطير ، والريح لآل داود(ع) ، وحتى لين الحديد لداود(ع) قد كان –فيما يظهر – من خلال المعرفة والعلم ، لا لمجرد الأعجاز ، والا لما كان يحتاج سليمان (ع) إلى مراقبة الجن الذين كانوا يعملون له ما يشاء من محاريب وتماثيل ، ولما كان بحاجة إلى تشغيلهم بالبناء ، وبالغوص في البحار لاستخراج خيراتها . ...فقد كان بإمكانه إيجاد ذلك بالمعجزة ، ولم يكن أيضا بحاجة إلى أن يقرن شياطين الجن بالأصفاد كما لم يكن بحاجة لتهديد الهدهد ووعيده ، ما لم يأته بسلطان مبين ..

---

(1) –سورة النمل الآية 15.

(2) –سورة النمل الآية 16

(3) –سورة ص الآية 17.

(4) –سورة ص الآية 20.

(5) –سورة النمل الآية 40.

...وكذلك الحال بالنسبة لموسى (ع) ، فإن الأمر لو كان يقتصر على الإعجاز المجرد ، لم يكن ثمة حاجة إلى ضرب البحر بعصاه ، ولا إلى تحول عصاه إلى ثعبان ، بل كان البحر ينفلق وإبطال السحر يتم بدون ذلك ، بصورة اعجازية . فهل كانت هذه الأسباب مجرد ادوات صورية لتقريب الفكرة الى الناس ؟!! .أم كانت شيئا آخر لم يدركه البعض ، فقال ما قال ، وكتب ما كتب !؟ .

3–المعصوم يعلم إذا أراد :

...وأما استغرابه المعبر عن رفضه للقول بان النبي يعلم الغيب – بلا حدود إذا أراد (ويلاحظ ، أنه أقحم كلمة : بلا حدود لغرض لا يخفى) .

...فهو عجيب منه وغريب ، فان من يراجع الروايات الواردة عن أئمة أهل البيت (ع) يجد أنهم هم الذين صرّحوا بهذا الأمر ، وأعلنوه وأشاعوه ، فهو مأخوذ منهم وعنهم ، فما هو الوجه في استغرابه واستهجانه .

...كما أن طبيعة المهمة الموكلة إليهم تقضي بصحّة – بل بضرورة – مثل هذه العلوم لهم ، وأن يتمكنوا من الحصول عليها كلما وجدوا حاجة إلى ذلك ..

...على أن الحديث عما لديهم عليهم السلام من علوم ، وعن كيفية حصولهم عليها هو بحد ذاته من الأمور الغيبية ، التي لا سبيل لعقل البشر إليها ، فلا بد من أخذها عنهم (ع) ، لأنها لا تعرف إلا من قبلهم .

4– معجزات الأنبياء خارج نطاق التحدي :

...وملاحظة أخرى نسجلها هنا وهي ان ما أسماه بـ" الخدمات غير العادية لسليمان ولداود (ع) ، هي من الأمور المعجزة التي كانت خارج دائرة التحدي واثبات النبوة وقد نطق بها القرآن الذي هو معجزة النبي (ص) ، خارج نطاق التحدي واثبات النبوة ،فهل ان حديث القرآن عن غيبيات الانبياء يعدّ من الحديث الضبابي الذي لم يفهمه البعض ؟!.

... أما قضية الإسراء ،و قضية المعراج ونحوها مما لا يستطيع ذلك البعض أن ينكره ، فليست هذه كلها هي معجزته الرئيسية العامة .

...هذا ، مع أن كرامات ومعجزات النبي (ص) والأئمة من بعده ، تعد بالعشرات ، بل المئات ، إلى درجة أن إنكارها وعدم ثبوتها يفسح المجال أمام إنكار واحدة من واضحات الإسلام . فراجع ما ينقلونه عنه (ص) من إطعامه (ص) جيشا بأكمله قبضة من تمر ، أو من شاة ، وتسبيح الحصى بيده ، وتسليم الشجر والحجر عليه ، وتكليم الحيوانات له ، وغير ذلك كثيراً جداً . ولم يكن ثمّة تحدّ يقتضي المعجزة ، ولا كان ثمة ضرورة لاقامة الحجة لإثبات النبوة.

...مع تذكيرنا بأن المعجزة لا تعني خرق سنن الكون وتغييرها .

...أما قولهم : لم يذكر في القرآن ما ظاهره نسبة الفعل إلى الشخص إلا بالنسبة لعيسى (ع). فلا يمكن قبوله . إذ قد تقدم ما يشير إلى مثل ذلك في آل داود وغيرهم بل ثمّة ما يشير الى ذلك بالنسبة لأحد أتباع سليمان(ع) وهو آصف بن برخيا ، الذي نسب الإتيان بعرش بلقيس إلى نفسه : أن آتيك به... الخ ..

...على أن تعقيب الحديث عن عيسى(ع) بقوله " بإذن الله "لا يمنع من نسبة الفعل الى هذا النبي ،واختياره فيه كما اعترف به ،.. فهي على غرار قوله تعالى، { وما كان لنفس أن تؤمن الا بإذن الله } ، مع أن مدار العقاب والثواب ،على الايمان . وكل ذلك يدل على أن قوله تعالى " بإذن الله " غير ظاهر الفائدة فيما يرمي اليه البعض ، إذ أن كل معجزات وكرامات الأنبياء صدرت بإذن الله تعالى وكانت من فعلهم واختيارهم . وقول الله لموسى : اضرب بعصاك ، أو : ألق عصاك . إذن منه تعالى ، فلا يختلف الأمر بالنسبة إليه عن عيسى(ع).

...بل ربما كان فعل موسى أظهر في نسبة الفعل الى صاحبه من فعل عيسى ، لأن موسى لم ياتِ بكلمة بإذن الله مع أنه بإذن الله قطعا.

...وكل ذلك يدل على أن لهم قدرة ذاتية ،وهبهم الله اياها، وهم يتصرفون فيها في الكون ، كما يريد الله وفي طاعته سبحانه ، {لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون مايؤمرون }.

...وذلك يؤكد على أن ما يجري ليس لأجل أن لدى الأنبياء والأئمة قدرات ذاتية بمعزل عن إرادة الله تعالى ، كما أن ما يجري على ايديهم بإذن الله هو فعلهم وباختيارهم ، لا انه فعل الله اجراه على ايديهم بصورة جبرية ،ومن دون أي اختيار منهم .

5-لا قيمة لغير العقائد الضرورية .

...إننا نستغرب قوله : إن ما ليس من ضروريات العقيدة ولا من فروض العمل لا قيمة له ، لا عقيدية ، ولا عملية .

...فان معنى ذلك هو أن تعّرض النبي (ص) والأئمة (ع) لها كان أمراً عبثياً ،لا قيمة له ويكون قد ارتكب أمراً جزافاً .

...كما أن الإسلام قد طلب من الناس الاعتقاد بها ، وحرم عليهم رفضها وذلك مثل عقيدة الرجعة ونحوها ، فهل يصح أن يقال لما هو من هذا القبيل : إنه لا قيمة له :لا عقيدية ولا عملية؟!. واذا كان البحث في غير العقائد الضرورية لا قيمة له، فلماذا افتى بوجوب الاعتقاد بـ " الرجعة " مع حكمه بأنها ليست من ضروريات الدين(1) ثم قوله بلزوم تأويل احاديثها كما جاء في مقالته :" مع الشيخ المفيد في تصحيح الاعتقاد " (2).

6- لا داعي للبحث في غير العقائد الضرورية :

...أما قوله بعدم وجود داع للبحث في غير العقائد الضرورية، فلا نرى حاجة للتذكير بعدم أصحّيته ، فان الكلام المتقدم يكفي لرده ، وبيان بطلانه .

7- العلاقة المميزة بين الله وبين اوليائه

واما ما ادعاه من أن العلاقة المميزة بين الله وانبيائه تقتصر على الوحي، فهو غير صحيح . وكيف نفسر العلاقة المميزة لمريم عليها السلام، مع الله سبحانه ، حتى إنها كلما دخل عليها زكريا المحراب وجد عندها رزقا ، قال :{ يا مريم انى لك هذا ؟ قالت هو من عند الله} .. مع أن مريم ليست من الأنبياء !!

---

(1) - المسائل الفقهية ج 1 ص 312.

(2) -مجلة المعارج ، السنة الثامنة ص 328و329.

...وكيف نفسر قوله تعالى : { واصطنعتك لنفسي } وقوله تعالى { ولتصنع على عيني } وكيف نفسر تكليم عيسى للناس في المهد وجعله مباركا اينما كان ... وايتاء يحيى الحكم صبيا .. ألا يدل ذلك على علاقة الهية مميزة مع كل هؤلاء الانبياء صلوات الله عليهم خارج نطاق الوحي ؟! وكيف نفسر "

الخدمات غير العادية " التي أعطاها الله لداود ولسليمان (ع) . اليست هي الأخرى خارج نطاق الوحي. وخارج نطاق المعجزة في مقام التحدي ؟!..

8- الولاية التكوينية للأنبياء :

...ثم إن هذا البعض قد صرّح بمعارضته للقائلين بأن الله قد أعطى الأنبياء والأوصياء القدرة على التصرف في الأشياء المادية ، والهيمنة عليها ، وهو ما يعبر عنه بالولاية التكوينية .

...وقد صرح ايضا – كما ذكرناه في الجزء الأول من هذا الكتاب وهو متواتر عنه (1) –بانه يراها شركاً ، وأن القرآن كله دليل على عدم الولاية التكوينية . وقد ذكرنا هناك بضع نقاط لا تخلو المراجعة إليها من فائدة .

...ونحن هنا لا نريد أن نتوسع في الحديث عن هذا الأمر ، لأن ذلك يحتاج إلى وقت طويل ، وجهد مستقل ، والى مساحة لا يتسع لها ، ولا ينسجم معها هذا الكتاب ، بملاحظة طبيعة أسلوبه ،وما توخينا معالجته فيه .

...ولكننا نذكر القارئ بأمور قد يكون وقوفه عليها مفيداً وسديداً ، فنقول :

الولاية التكوينية ضرورة حياتية :

---

(1) –وقد سمعنا عن بعض المولعين بالبعض . انه يبني على شرك القائل بها ، تبعال له ولكنه بنفس الوقت يقول بطهارة القائل بها بناء على ما يذهب اليه هذا البعض من طهارة كل انسان .

...المقصود بالولاية التكوينية هو المقدرة على التصرف والتأثير في الموجودات المحيطة إلى حد تجاوز القدرة العادية في التعامل مع النواميس الطبيعية ، مثل أن يفجر للناس ينبوعاً ، أو أن يرقى في السماء ، أو أن يكلم الحيوان ، أو أن تطوى له الأرض ، أو أن يأتي بعرش بلقيس من اليمن إلى فلسطين قبل ارتداد الطرف ، أو تحريك الرياح ، وما إلى ذلك .

...ونحن بغض النظر عما اشتملت عليه الأحاديث الكثيرة من تفاصيل فيما يرتبط بالولاية التكوينية ، نستطيع أن نقرب للقارئ الكريم هذا الأمر على النحو التالي :

مقدمة ضرورية :

...إن الغاية من تأسيس الدول ، هو أن تضطلع بمهمات ، وتعالج اموراً ، أدرك الناس أنها ضرورية لحياتهم وبقاء وجودهم ، فتصدوا لمعالجتها ، وتفادي سلبياتها ، وللهيمنة عليها في المجالات التي تعنيهم . ...وإذا ألقينا نظرة فاحصة على هذه الأمور فإننا نجد انها محدودة جداً ، ومحصورة في نطاق خاص ، وهو عينات قليلة مما يتعامل معه هذا الإنسان في حياته العملية الجوارحية ، فتنشأ الوزارات ، والأجهزة ،والمؤسسات العظيمة والواسعة لإنجاز هذا المهم .

...ولكنها برغم كل ما توظّفه من إمكانات وقدرات مادية، وبشريه وفكرية ، وغيرها ، تبقى عاجزة عن حماية حفنة من التشريعات والقرارات المحدودة جدا التي تتشؤها ، مع أن ما تضطلع به هذه الدول وتتصدى له ما هو إلا نقطة في بحر بالقياس إلى ما يدخل في نطاق اهتمامات الإسلام ، ويأخذ على عاتقه مهمة التعاطي معه ، ويريد أن يفرض نظامه وهيمنته عليه ، وان يجريه وفق مفاهيمه، ويدخله في أطره ومناهجه ، التي وضعها بهدف إقرار حالة التوازن العام في مسيرة التكامل باتجاه الهدف الأسمى والأمثل الذي تسعى إليه المخلوقات بحسب مقتضيات خلقتها .

الهدف من الخلقة ، وضروراتها الطبيعية :

...وان من الواضح : أن الله قد خلق هذا الإنسان وأراد له أن يدخل هذا الوجود ليقوم بدور هام فيه ،وهو أن يعرف الله تعالى ، ويعبده ؛ قال تعالى { وما خلقت الجن والإنس الا ليعبدون } وقد اباح له في هذا السبيل أن يعمر هذا الكون، ويتكامل فيه ،ومعه ، ومن خلاله ، قال تعالى { هو أنشأكم من الأرض واستعمركم فيها}(1) ...نعم ، إنه اراد له أن ينطلق في هذه الحياة في مسيرة تكاملية سليمة وقويمة ، تستطيع أن تحقق الأهداف السامية من خلقته ،وهي العبودية المطلقة والحقيقية لله سبحانه وتعالى .

...هذا مع العلم أن ما في هذا الكون ليس جماداً بقولٍ مطلق ، وقد دلت الآيات الكثيرة ،والروايات المتواترة : أن لدى الكثير من الموجودات ان لم يكن كلها درجة من الشعور ، تجعل التعاطي معه ذا حساسية معينة.

...وذلك كله يستدعي رسم ملامح شخصية هذا الإنسان بصورة تتناسب مع الدور الكبير الذي أعده الله له .

...كما انه يتطلب أن يقدم له أطروحة تشتمل على ضوابط ومناهج تحفظه من الزلل والخطأ في تعاطيه الإيجابي أو السلبي في جميع المواقع والمواضع على أن تكون تلك المناهج موضوعة من قبل من يملك المعرفة الحقيقية والكافية ، ومن له الحق في ذلك .

---

(1) – سورة هود الآية 61.

...كما لا بد من أن يمنحه قدرات وإمكانات تفي بحاجاته، ويستفيد منها في نطاق انطلاقته في هذه الحياة ، وتعاطيه الإيجابي مع كل ما يحيط به من منطلق المعرفة التي تمكنه من تسخير ما في هذا الكون ، والاستفادة مما أودعه الله فيه من خلال الهيمنة على نواميسه الطبيعة وتفعيلها ، وبث الحياة فيها ، وإثارتها ، واستكناه الكثير من أسرارها ، وتحريك كوامن هذا الكون وتوظيف ذلك كله في مجال تحقيق الهدف الأسمى وبناء الحياة ، ومساهمته الحقيقية في إعمار هذه الأرض ، وفي إسعاد الإنسان

وتكامله ، وبإنمائه المطرد في خصائصه الإنسانية ، فيما يرتبط بحالاته الروحية ، والنفسية ،والفكرية، والعقيدية ، فضلا عما سواها مما يدخل في تكوينه الإنساني ، وله دوره في فاعليته الحياتية ، وتأثيره الإيجابي في كل ما يحيط به .

...ومن هنا نجد الإسلام يرصد هذا الإنسان ثم يتدخل في أدق تفاصيل وجوده وحياته ، ومختلف حالاته ، وفي كافة شؤونه وعلاقاته، ويواكبه في حركته نحو الأهداف الإنسانية والإلهية : { يا أيها الإنسان انك كادح إلى ربك كدحاً فملاقيه } (1) .ويفرض عليه أن يلتزم بضوابط محددة ، لأنه يريد من خلال ذلك كله أن ينشّئه بصورة متوازنة ومتكاملة ، تنشئة خاصة ، تؤهله للإضطلاع بدوره الكبير والخطير ، وتتوازن وتتكامل مع كل ما سخره الله للإنسان ليفجر من خلاله – وبالايحاء الصحيح– روافد الحياة في هذا الكون الفسيح ، فيشرع له في جميع ميادين الحياة ما يعينه على السير في هذه الطريق. ...ولأجل ذلك نجده يتدخل حتى في أفكاره ونواياه ، ويلاحقه حتى في خياله الرحب ، بل حتى في خطرات قلبه وأوهامه ، فضلا عن طموحاته وأحلامه ..

---

(1) –سورة الانشقاق الآية 6–

...فهو يريد منه أن يكون عطوفاً رحيماً في موضع، وقاسياً وحازماً بل وغليظاً { وليجدوا فيكم غلظة } في موضع آخر .ثم هو يريده أن يحب تارةً ، وان يبغض أخرى ، وأن يتراجع في موضع ، وأن يكون شجاعاً مقداماً في موضع آخر ، وأن ينطلق في خياله في حالة ، و أن يمحو حتى الصورة التي كان حضورها عفويا في حالة أخرى ،انه يريد أن يرافق الإنسان في كل موقع ، وفي كل مجال ، وان يكون هو القائد والرائد وله كلمة الفصل ، في كل صغيرة وكبيرة من قضاياه .

...ومن جهة أخرى ، انه تعالى حين سخّر هذا الكون كله لخدمة هذا الإنسان ، ليستعين بما أودعه الله فيه على تحقيق أهدافه، وأراد له أن يعمر الأرض ، فإنما أراد أن يتم ذلك من خلال شخصيته الإنسانية التي نمت وتكاملت وتتكامل بعين الله ورعايته وتربيته .

... وأراد أيضا لهذا التسخير ان ينبسط على مساحات شاسعة على هذا الكون الفسيح من موقع الهيمنة على نواميسه وتفعيلها إيجابيا في نطاق إعماره ، واستكناه الكثير من أسراره ..

...على أن يتم ذلك كله من موقع الرعاية الإلهية المتمثلة بمقام الإمامة والنبوة التي تقف في موقع الرصد الدقيق ، والمعرفة الواعية ، والهادية ، والقادرة على التدخل الحقيقي حيث تمس الحاجة إلى ذلك..

...وذلك ينتج انه لا بد من تزويد النبي(ص) والإمام (ع) الهادي والمهيمن على المسيرة بحاجاته ووسائله المؤثرة في نجاحه ، وفي نجاح المهمة الموكلة إليه ، فلا يتعاطى مع الأمور من موقع القاصر

في معارفه وفي إمكاناته ، لأن ذلك يجعل دوره دور الواعظ لا دور المربي والراعي ، لا دور المهيمن والحاكم الذي انزل الله معه الحديد فيه بأس شديد ، ليقوم الناس بالقسط..

...قال تعالى:{ لقد أرسلنا رسلنا بالبينات ،وأنزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط ، وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد ، ومنافع للناس وليعلم الله من ينصره ورسله بالغيب أن الله قوي عزيز } (1). فلا غرو إذن في أن يعرف الأنبياء والأئمة لغات البشر ، بل أن يعرفوا حتى لغات الطير والحيوان وغيرها .. بل لقد كان الحجر والشجر يكلمهم عليهم الصلاة والسلام ، ويسبح الحصى في أيديهم ..
...ولا غرو أيضا أن تطوى لهم الأرض ليذهب الإمام السجاد(ع) من الكوفة إلى كربلاء لدفن أجساد الشهداء ، بمعونة قبيلة بني أسد(2)، ويأتي أمير المؤمنين علي (ع) بسرعة خاطفة من المدينة في الحجاز إلى مدائن كسرى في العراق ليتولى تجهيز سلمان الفارسي رحمه الله والصلاة عليه ودفنه .

---

(1) –سورة الحديد الآية 25.

(2) – ولعل هذا ما يفسر لنا الحديث الذي يكثر السؤال عن معنا ه :{ من رآنا فقد رآنا ، فإن الشيطان لا يتمثل بنا} حيث يكون هذا القول قد جاء ليعالج شائعات ربما كان أعداء أهل البيت من الأمويين وغيرهم يطلقونها في مواجهة الناس الذين كانوا يخبرون عن مشاهداتهم للأئمة في المواضع البعيدة جدا عن محل سكناهم ، كبني أسد وأهل المدائن . فيتخلص اؤلئك الحاقدون من الاحراجات بالقول : إن الذي رأيتموه شيطان .فيأتي الرد من قبل الأئمة عليهم السلام : :(من رآنا فقد رآنا ، فإن الشيطان لا يتمثل بنا) .

...أما قولهم عليهم السلام :(من رآنا فكذبوه) فربما يكون المراد به رد من يدعي رؤية الإمام قائم آل محمد عجل الله تعالى فرجه الشريف في أيام الغيبة بهدف تضليل الناس واستغلال طهارتهم ، فأوصدوا (ع) هذا الباب الذي قد يحاول الطامحون أو المستغلون النفاذ منه إلى عقول الناس الأمر الذي تترتب عليه سلبيات كثيرة وخطيرة فيما يرتبط بسلامة المسيرة الإيمانية .

...وان يذهب الإمام الجواد النقي (ع) من مدينة الرسول إلى خراسان ليجهّز أباه الإمام الرضا عليه السلام ويصلي عليه ، صلوات الله وسلامه عليهما .
...إلى غير ذلك من موارد كثيرة حفل بها التاريخ القطعي ، والحديث المتواتر ، الذي لا ريب في صحته .. لأن ذلك هو من مسؤوليات النبي والإمام عليهما السلام .
...ولأجل مسؤولية هذا النبي عن كل شيء في هذه الحياة ، كان لابد لسليمان (ع) أن يسمع ما تقوله النملة ، وان يتعاطى مع الهدهد، ومع الريح ، ومع الجن ، ومع الجبال ، من موقع مسؤوليته ليقدم

نموذجا مصغرا للحكم الإلهي المطلوب تحقيقه على يد الأنبياء والأوصياء ، وليقدم تجسيداً حياً لنوعية تعاطيهم ومستواه في هذا النطاق .

...ومن جهة أخرى ،إذا كنا نعلم أن الله سبحانه قد أرسل النبي للناس جميعا ، حيث قال تعالى{وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين}(1).

...ويقول { تبارك الذي نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرا}(2)

...وقال تعالى { وما تسألهم عليه من أجر إن هو إلا ذكر للعالمين } (3).

...فلا بد أن يكون هذا النبي قد أبلغ رسالته لكل من على وجه الأرض ، لا لخصوص أهل الحجاز ، أو أهل المنطقة العربية ، ولا لخصوص الملوك الذين أرسل إليهم رسائل يدعوهم فيها إلى الإسلام .

...إننا نقطع بأن النبي (ص) والإمام والأئمة من بعده قد أقاموا الحجة ،وقاموا بمسؤولياتهم تجاه كل الناس من ملوك وغيرهم وقد تعاملوا معهم باللغات التي يفهمونها ، وبالطريقة التي يتعقلونها .. ولا بد أن تكون لديهم القدرة علىالاتصال بهم ، وعلى الانتقال إليهم لهدايتهم ورعايتهم ، وتدبير أمورهم ، وحل مشاكلهم، لأنهم رعيتهم، فيكون النبي (ص) والامام (ع) هو المسؤول عنهم ، والشاهد عليهم ، والمعني بهم .

---

(1) –سورة الأنبياء الآية 107.

(2) – سورة الفرقان الآية 1.

(3) – سورة يوسف الآية 104–وراجع سورة الانعام الآية 90

...وحين يصعد هذا الإنسان إلىالاجرام السماوية ، فان عليه أن يكون معه ، وان يهيمن عليه من موقع المعرفة والقدرة على التصرف في أي موقع كان ، والى أي جهة اتجه ، حتى وهو خارج دائرة السماوات .. فيما لو استطاع هذا الإنسان أن ينفذ بعلمه ووسائله من أقطارها حسبما أشارت إليه الآية الكريمة التي تقول { يا معشر الجن والإنس إن استطعتم أن تنفذوا من أقطار السموات والأرض فانفذوا لا تنفذون إلا بسلطان } (1).

...وذلك كله يفسر لنا ما ينقل عن النبي والأئمة عليهم السلام من كرامات وخوارق للعادات(2).

...ثم هويفسر لنا قضية الإسراء والمعراج لنبينا الأكرم (ص) حسبما نطق به القرآن الكريم .

...ويفسر لنا أيضا علم الأنبياء والأئمة بلغات الحيوان وشكواها لهم بعض ما تعانيه من مشاكل .

...هذا فضلا عن معرفتهم عليهم السلام بلغات جميع البشر كما دلت عليه النصوص الكثيرة .

إعادة توضيح وبيان :

...انه ما دام ان المفروض بالإنسان هو أن يتعاطى مع جميع المخلوقات التي سخرها الله تعالى له ،

فقد كان لا بد من أن يخضع تعامله هذا ، وكذلك تعامله مع نفسه ومع ربه ومع أي شيء آخر لضوابط تحفظه من الخطأ أو التقصير أو التعدي .؟

...ولأجل قصور الإنسان الظاهر فقد شاءت الإرادة الإلهية من موقع اللطف والرحمة أن تمد يد العون له وأن تقوم بهدايته في مسيرته الطويلة المحفوفة بالمزالق والأخطار ، هداية تامة تفضي به إلى نيل رضا الله سبحانه وتثمر الوصول إلى تلك الأهداف الكبرى السامية وتحقيقها وهي اعمار الكون وفق الخطة الإلهية ، التي تريد من خلال ذلك بناء انسانية الانسان وايصاله الى الله سبحانه وتعالى حيث يصبح جديراً بمقامات القرب منه تعالى حيث الرضوان والزلفى.

---

(1) –سورة الرحمن الآية 33.

(2) –راجع على سبيل المثال : السيرة الحلبية الجزء 3 ص : 283–284–والسيرة النبوية لدحلان مطبوع بهامش السيرة الحلبية الجزء 3 ص 128وما بعدها

...وإذا كان كذلك فانه يصبح واضحاً : أن المثل القرآني الذي يتمثل في تجربة سليمان وداود عليهما السلام ، إنما أراد أن يجسّد ولو بصورة مصغّرة هذه الحقيقة بالذات ليتلمس هذا الإنسان الأهداف الإلهية وهي تتجسد واقعا حيا ملموساً ، وليس مجرد خيالات أو شعارات أو آمال وطموحات غير عقلانية ولا مسؤولة ولا حتى خدمات غير عادية .

...وهي أيضا تجّسد معنى القيادة المطلوبةو الصالحة لتحقيق هدف كهذا ، حتى إن طائراً وهو الهدهد يضطلع بدورٍ حيويٍ ، وفي مستوى مُلك بأسره ، وكما ان أحد الحاضرين في مجلس سليمان يأتي بعرش بلقيس – بواسطة العلم الذي عنده من الكتاب – قبل أن يرتد الطرف .

...كما أن هذه الشواهد القرآنية وتلك الكرامات والمعجزات النبوية قد رسخّت هذه الحقيقة .

...سواء بالنسبة لدور الإنسان في الكون وتعاطيه معه ، أو بالنسبة إلى حقائق راهنة لا بد أن تأخذ دورها وحقّها ويحسب حسابها على مستوى التخطيط وعلى مستوى الممارسة .

...أو بالنسبة إلى الدور الذي لا بد لهذه القيادة أن تضطلع به في مقام الرعاية التامة ، والهداية العامة .وما يتطلبه ذلك من طاقات ، ومن إمكانات ومواصفات قيادية خاصة ومتنوعة ، لا تحصل إلا بالرعاية والتربية الإلهية لها ،ولا تكون إلا في نبي أو في وصي .

...وتصبح معرفة لغات الحيوانات ، والوقوف على كثير من أسرار الخلقة ، ونواميس الطبيعة ضرورة لا بد منها لهذه القيادة التي لا بد أن ترعى ، وتوازن ، وتربي ، وتحفظ ، لكل شيء حقه ، وكيانه ودوره في الحياة ، حيث لا بدّ لها من التدخل المباشر ، في أحيان كثيرة لحسم الموقف ، ولحفظ سلامة المسار ، كما لا بد لها من توجيه الطاقات والاستفادة منها في الوقت المناسب وفي الموقع المناسب بصورة قويمة

، وسليمة ، كما كان الحال بالنسبة لنبي الله داود أو نبي الله سليمان عليهما وعلى نبينا محمد أفضل الصلاة والسلام .

النقاط على الحروف

...وبذلك يتضح : انه لا بديل عن قيادة المعصوم إذ أن كل القيادات الأخرى حتى إذا كانت عادلة لن يكون لها اكثر من دور الشرطي الذي ينجح في درء الفتنة حينا ، ويفشل أحيانا .

...أما إذا كانت قيادة منحرفة ، فهناك الكارثة الكبرى التي عبّرت عنها الكلمة المنسوبة إلى أمير المؤمنين علي عليه الصلاة و السلام حيث يقول " أسدٌ حطوم ، خير من سلطان ظلوم ، وسلطان ظلوم ، خير من فتنة تدوم " (1).

...وقد اتضح أيضا أن وجود الإمام المعصوم في كل عصر وزمان أمر حتمي وضروري حتى ولو كان غائبا ومستورا ، لأن هذا الإمام يحفظ ويرعى كثيراً من المواقع والمواضع في هذا الكون المسخّر للإنسان ، والتي لولا حفظه ورعايته (ع) لها وقعت الكارثة ،كما أنه لولاه لساخت الأرض بأهلها ، كما ورد في الروايات المعتبرة .

...وبذلك نعرف السر في أن الروايات قد ذكرت :(أنه لو بقيت الأرض بغير إمام) ، أو (لو أن الإمام رفع من الأرض ولو ساعة لساخت بأهلها ، وماجت كما يموج البحر بأهله) (2)

...وأصبح واضحا معنى الرواية التي تقول : (وأما وجه انتفاع الناس بي في غيبتي فكالشمس إذا جلّلها عن الأنظار السحاب).

...واتضح أيضا سر معرفة الأئمة بعلوم الأنبياء ، وسر أنهم يعلمون إذا أرادوا ، وسرّ معرفتهم بألسنة جميع البشر وبألسنة أصناف الحيوان أيضا(3) إلى غير ذلك من خصائص وتفصيلات علومهم (ع) وفي حدود ولايتهم ورعايتهم لهذا الإنسان في هذا الكون الأرحب(4).

---

(1) –البحار الجزء 75 ص 359. عن كنز الفوائد للكراجكي وراجع دستور معالم الحكم صفحة 170 وغرر الحكم ودرر الكلم ج1ص437 وج 2 ص .784

(2) –راجع بصائر الدرجات ص 488–489 والكافي ج1 ص 179 –198 والغيبة للنعماني ص 138 –139 .

(3) – راجع كتاب بصائر الدرجات وفيه التفاصيل حول الأئمة عليهم السلام في جميع المجالات وراجع أيضا البحار للعلامة المجلسي والكافي ج1 وغير ذلك .

(4) – راجع كتابنا (الصحيح من سيرة النبي الأعظم " ص") ج 8 ص 347 ––360

...وبذلك يتضح انه لا مناص من الالتزام بالولاية التكوينية للأنبياء وأوصيائهم (ع) .

إيضاح لا بد منه

...ولكي تصبح الفكرة اكثر وضوحاً فيما يرتبط بالمعجزات والكرامات نقول : هناك معجزات وكرامات في اتجاهات ثلاثة :

...الأول : معجزات وخوارق للعادات قد ظهرت للنبي الأكرم (ص) وللأنبياء السابقين ، وكذلك الأوصياء ، تهدف إلى مواجهة الإنسان المكابر بالصدمة التي توصد أمامه كل أبواب التملّص والتخلّص ، والتجاهل للواقع ، ودلائله القاهرة وأعلامه الباهرة وحججه الظاهرة ، بحيث لو لم تظهر المعجزة أو الكرامة لاستطاع اولئك الشياطين أن يثيروا الشبهات المضعفة للدعوة والموجبة لزعزعة درجة الطمأنينة والوثوق لدى كثير ممن آمن بها ، واطمأن إليها ، أو يحدث نفسه بذلك .

...فتأتي المعجزة لتثبت اولئك ، وتشجّع هؤلاء ، ولتسحق أيضا كبرياء المستكبرين ، وتكسر شوكتهم . ويكون بها خزي المعاند ، وبوار كيد الماكر والحاقد .

...الثاني : وثمة معجزات وكرامات ، وخوارق عادات اكرم الله بها أنبياءه وأولياءه تشريفا لهم ، وتجلّةً وتكريماً ، وإعزازاً لجانبهم . وقد يستفيد منها المؤمن القوي سمواً ورسوخ قدم في الإيمان ، ومزيد بصيرة في الأمر ، حيث تسكن نفسه ، ويطمئن قلبه ، على قاعدة قوله تعالى :{ قال :أولم تؤمن ؟ قال : بلى ولكن ليطمئن قلبي } (1). وعلى قاعدة { سبحان الذي أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله لنريه من آياتنا } (2) .

---

(1) –سورة البقرة الآية 26 .

(2) –سورة الإسراء الآية 1

...ونلحق بهذا القسم ما يصدر عنهم عليهم السلام مما تقتضيه قواهم الروحية مكانتهم النفسية وتعلقاتهم الغيبية ، وهذا لا يُسأل عنه الا على نحو السؤال عن سبب صدوره عنهم لا عن سبب وجوده فيهم ، وليس بالضرورة ان يكون فيه اظهاركرامة من الله لهم أو اعجاز يظهره الله تعالى على أيديهم ، بل هو من آثار طبيعتهم البشرية الصافية ، التي تقتضي هذا النوع من الآثار بل تقتضي ما هو أكثر منه .

...الثالث : ذلك القسم الذي هو عبارة عن تجلّي السنن والنواميس الواقعية التي تحكم المسار العام ، فيما يرتبط بتبلور دور الشخصية القيادية الواقعية في نطاق هيمنتها على الواقع العام ، من خلال تلك النواميس وعلى أساسها ، فتجسّد الكرامة والمعجزة بصفتها ضرورة حياتية في نطاق الهداية الإلهية على أساس نواميس الواقع ، وتجليّاتها حسب مقتضياته ، الأمر الذي يعني أن تعامل النبي والإمام مع المخلوقات من موقع المدبر والراعي ،والحافظ لها ، باعتبارها جزءاً من التركيبة العامة ، حيث لا بد من

التعامل معها على هذا الأساس.
وهذا القسم الأخير هو الذي يعنينا الحديث عنه هنا .
نقاط لا بد من التأكيد عليها :
...إن جميع ما قدمناه يمثل جوهر البحث الذي أردنا إطلاع القارئ على موجز منه . ولكن لكي يتضح ما نرمي إليه بصورة أوفى وأصفى ، لا بد من وضع النقاط على الحروف في الأمور التالية :
1-حجم هذا الكون حسب البيان الالهي .
2- الآيات الدالّة على تسخير الموجودات للإنسان .
3- هذا الكون ليس جمادا ،بل لديه درجة من الشعور والإدراك ..وذلك يعني أن ثمة مسؤولية ذات طابع معين يتحمّلها هذا الإنسان في تصرفاته مع كل ما فيه .
4- نموذج تجسّدت فيه الخطّة الإلهية فيما يرتبط بالحاكمية التي يريد الله أن يوصل الإنسان إليها – وهو قصة سليمان (ع) .
حجم الكون حسب البيان الإلهي

...واستطرادا نقول :إن سعة السموات والأرض التي سخر الله جميع ما فيها لبني الإنسان هي فوق حدود التصّور ، واكثر بكثير مما تشير إليه الإكتشافات التي تعتمد وسائل الرصد والإكتشاف المتطورة جداً في هذا العصر .

ونوضح ذلك على النحو التالي :
...إن لغة العرب ، قد وضعت في بداياتها لمعانٍ حسيّة أو قريبة من الحس ، فلم تكن قادرة على تحّمل المعاني الدقيقة والعميقة إلا بالإستعانة ، بأساليب بيانية متنوعة باستطاعتها توجيه الفكر والخيال باتجاه الأعماق والآفاق ، ليقتنص المعنى ، أو يتلمسه بصورة أو بأخرى .
...فكانت الكنايات والمجازات ، وكان التطعيم للمعاني الحسيّة بمعان إيمائية ،تعتمد على حالات الألفاظ ، وطبيعة التراكيب المختلفة وخصوصياتها ، حسبما تشير إليه – جزئيا – علوم البلاغة .
...ولكن كل ذلك لم يف أيضا بالمطلوب ، فكان لا بد من ضم المعاني بعضها إلى بعض في تراكيب متعددة ، تشير كل منها إلى جزء أو إلى خصوصية في المعنى المقصود بيانه .
...ومن الأمثلة الواضحة على ذلك ، ما روي ، من أن الإمام عليا عليه السلام قد استنبط أقل الحمل من الجمع بين آيتين قرآنيتين . إحداهما تقول :{ وحمله وفصاله ثلاثون شهرا} (1) ، والأخرى تقول : {وفصاله في عامين} (2) فيكون اقل الحمل ستة أشهر .
...أما بالنسبة لحجم السماوات التي سخّر الله كل ما فيها لهذا الإنسان . والتي ورد في الحديث عن

النبي (ص) :

---

(1) – سورة الأحقاف ، آية :15.

(2) –سورة لقمان آية :14.

...(ما السماوات السبع في الكرسي الا كحلقة ملقاة في أرض فلاة ، وفضل العرش على الكرسي كفضل الفلاة على تلك الحلقة)(1). فقد استخدم لبيان حجمها وسعتها تراكيب وكنايات متنوعة، فبين في بعض الآيات : أن السماوات سبع ، ثم بين أن هناك سماء دنيا، أي قريبة وواطئة يقابلها سموات عالية وبعيدة .

...وتحدث مشيراً إلى حجم السماء الدنيا والواطئة والقريبة بأسلوب آخر ، حينما أشار إلى أنها هي التي تستوعب الكواكب، وتضم النجوم التي يصل نورها إلينا ، حتى لو بقي يسير ملايين السنين الضوئية ، فكل ما يصل نوره – مهما بعد – فهو من السماء الدنيا . ...قال تعالى :{ انا زينا السماء بزينة الكواكب}(2).

...وقال { فقضاهن سبع سموات في يومين ، وأوحى في كل سماء أمرها ، وزينا السماء الدنيا بمصابيح وحفظا ، ذلك تقدير العزيز العليم } (3) وقال سبحانه :{ ولقد جعلنا في السماء بروجاً وزيناها للناظرين } (4) وقال تعالى { أفلم ينظروا إلى السماء فوقهم : كيف بنيناها وزيناها} (5) .

...فالسماء الدنيا إذن أوسع مما نظن ، وربما تصل إمتداداتها إلى ما لايعلم من السنين الضوئية ، إذا كان ثمّة كواكب ونجوم يمكن أن يصل ضوؤها إلينا ، ونصير قادرين على رؤيتها . وأصبحت تزين هذه السماء ، وتعطيها المزيد من الرّواء والبهجة والبهاء .

...فإذا كان هذا حال السماء الدنيا والقريبة ، فما حال سائر السماوات : الثانية ، ثم الثالثة ، وهكذا إلى السابعة ؟!

---

(1) –راجع : البحار : ج 57 ص 5و17وج77 ص71و73 عن الآمالي للطوسي ج 2 ص 138 وفي هوامشه عن معاني الأخبار ص 333 وعن الخصال ج 2 ص 103 و 104 والدر المنثور ج 1 ص 328 .

(2) –الصافات ، آية 6 .

(3) – سورة فصلت الآية 12 وراجع سورة الملك الآية 5.

(4) –سورة الحجر ، الآية 16

(5) –سورة ق الآية 6 .

...ولا يقف الأمر عند هذا الحد ، بل يتعداه إلحقيقة علمية اخرى تباريه وتجاريه ، وهي : أن السماء في اتساع مستمر ، كما قال تعالى :{ والسماء بنيناها بأيدٍ وإنّا لموسعون } (1).

...ثم انه تعالى قد قرّر في آية أخرى : أن هذا الإنسان قادر على اختراق جميع السماوات ، والخروج منها جميعا إلى عالم جديد ، لم يبيّن ما هو ، وما هي طبيعته ، وآفاقه ، وامتداداته . غير أنه أشار إلى أن هذا الاختراق سيواجه بصعوبات وموانع كبيرة وخطيرة ، لن يمكن التغلب عليها إلا بالإعداد ، والحصول على القوة ، وامتلاك قدرات فائقة وكبيرة .

...ثم بّين لنا طبيعة هذه الحواجز والعوائق ونوعها ، ليفهمنا بأسلوب "بيان الواقع بتفاصيله " : أن الكلام ليس مسوقاً على سبيل الفرض والادّعاء بهدف التعجيز ، بل هو الحقيقة التي لا بد أن تقع في دائرة طموحات هذا الإنسان ، وفي متناول أطماعه حين يريد الله له أن يفتح عينيه على هذا الكون الرحيب ، ويثير شهيته للتعامل معه ، و للتسلّط والهيمنة عليه .

...وقد أشار تعالى إلى ذلك كله في الآية الكريمة التي تقول : { يا معشر الجن والإنس ، إن استطعتم أن تنفذوا من أقطار السماوات والأرض فانفذوا ، لا تنفذون إلا بسلطان . فبأي آلاء ربكما تكذبان ؟ يرسل عليكما شواظ من نار ونحاس فلا تنتصران}(2).

...ثم قدّم نموذجاً عملياً لإمكان هذا الاختراق لآفاق السموات ، وحدوثه بالفعل ، وذلك في قضية المعراج برسول الله (ص) .وهي قضية مسلمة عند المسلمين .

...ومعنى ذلك هو : أن البشرية بالنسبة لاكتشاف أسرار الكون ومعرفة آفاقه الرحبة وامتداداته الهائلة ربما هي اليوم لا تزال في عصرها الحجري السحيق . فكيف بالنسبة لتسخير ما في السموات والأرض، والهيمنة عليه .

...تسخير المخلوقات للإنسان في الآيات القرآنية :

---

(1) –سورة الذاريات ، الآية 47.

(2) –سورة الرحمن ، الآية 33–35.

...وقد أشارت الآيات القرآنية إلى تسخير الموجودات للإنسان ويتضح ذلك بالتأمل في الآيات التالية :

...{ ألم تروا : أن الله سخر لكم ما في السماوات وما في الأرض وأسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة } (1).

...{ وسخّر لكم ما في السموات والأرض جميعاً منه } (2)

...{ وسخّر لكم الفلك لتجري في البحر بأمره ، وسخّر لكم الأنهار وسخر لكم الشمس والقمر دائبين ، وسخّر لكم الليل والنهار . وآتاكم من كل ما سألتموه ، وإن تعدّوا نعمة الله لا تحصوها } (3).

...{ وهو الذي سخر البحر لتأكلوا منه لحماً طريّاً ، وتستخرجوا منه حلية تلبسونها } (4).

الشعور والإدراك لدى المخلوقات :

...ثم إن الإنسان يريد أن يتعامل مع عالمٍ ليس جماداً بقول مطلق، وإنما كل الموجودات فيه تمتلك درجة من الشعور والإدراك ، وإن كنّا لا نعرف كنهه ، ولا حدوده .

...قال تعالى :{ إنا عرضنا الأمانة على السموات ،والأرض، الجبال ، فأبين أن يحملنها واشفقن منها ، وحملها الإنسان ، انه كان ظلوما جهولا } (5) ...فليلاحظ كلمة : وأشفقن منها فإن الاشفاق يرتبط بالمشاعر ، لا في عالم الإدراك وحسب . وإضافة كلمة " والجبال في الآية تظهر عدم صحة التفسير الذي يقول بأن المقصود هو العرض على (اهل السماوات والأرض) من ملائكة وجن وغيرهما لو وجد .

...ولو سلمنا جدلا صحة هذا التفسير فإن الايات الأخرى التي ذكرناها ، تكفي في إثبات ما نرمي اليه .

...وقال سبحانه عن داود (ع) :{ إنّا سخرنا الجبال معه يسبحن بالعشي والإشراق . والطير محشورة كل له أواب }(6) . وقال في آية أخرى عن داود أيضا : { يا جبال أوبي معه ، والطير ..}(7) والمراد بالتأويب ترجيع التسبيح على ما يظهر .

---

(1) –سورة لقمان الآية 20.

(2) – سورة الجاثية الآية 13.

(3) – سورة إبراهيم : الآيات 32–34.

(4) – سورة النحل من آية 14 حتى آية 18 ..

(5) –سورة الأحزاب الآية 72

(6) – سورة ص الآية 18–19.

(7) – سورة سبأ الآية 10.

...وقال تعالى :{ ويسبح الرعدبحمده }(1)

...وقال تعالى { والنجم والشجر يسجدان } (2)

...وقال تعالى { تسبح له السماوات السبع ، والأرض ، ومن فيهن وإن من شي ء إلا يسبح بحمده ، ولكن لا تفقهون تسبيحهم إنه كان حليما غفورا }(3).

...ولو كان المراد التسبيح التكويني ، بمعنى تنزيه الله سبحانه فلا يبقى مجال لقوله { ولكن لا تفقهون تسبيحهم}.

...وتسبيح ما في السموات والأرض ، مذكور في عدة آيات (4).

...وقال سبحانه :{ لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعا متصدعا ، من خشية الله }(5).

...وقال تعالى :{ ألم تر أن الله يسجد له من في السماوات ومن في الأرض ، والشمس ، والقمر ، والنجوم ، والجبال ، والشجر ، والدواب ، وكثير من الناس }(6).

...وقال تعالى { ألم تر أن الله يسبح له من في السماوات والأرض ، والطير صافات ، كل قد علم صلاته وتسبيحه }(7)

...فكل ما تقدم يشير بوضوح إلى أن هذه المخلوقات تملك حالة شعورية وادراكية معينة ، وليست مجرد جمادات أو حيوانات خاوية .

نماذج حية من تسخير الموجودات العاقلة :

...فإذا كان الله سبحانه قد سخر المخلوقات لهذا الإنسان ، وكانت هذه المخلوقات تمتلك صفة الشعور والإدراك ، ولها أعمال عقلانية ، ومرتبطة بالشعور ، ومستندة إليه ، وهي على درجة من الإدراك ، فما علينا الا أن نذكر هنا نموذجا قرآنياً حياً ، وواقعياً لهذا التسخير تجلّت فيه طريقته ، وأبعاده ومجالاته بصورة ظاهرة ، حيث ذكرت الآيات أن الله سبحانه قد سخّر الريح ،والطير ، والجبال ، والجن ، لسليمان ، وداود عليهما السلام .

...قال تعالى :{ وسخرنا مع داود الجبال يسبحن ،والطير ، وكنا فاعلين}(8).

---

(1) – سورة الرعد الآية 13.

(2) –سورة الرحمن الآية 6

(3) –سورة الإسراء الآية 44.

(4) – راجع : سورة الحشر الآيات 1و24–والتغابن 1–والصف 1–والجمعة 1– والحديد 1.

(5) –سورة الحشر الآية 21.

(6) –سورة الحج الآية 18.

(7) – سورة النور الآية 41.

(8) – سورة الأنبياء الآية 41.

...وقال تعالى { ولسليمان الريح عاصفة تجري بأمره إلى الأرض التي باركنا فيها ، وكنا بكل شيء عالمين . ومن الشياطين من يغوصون له ،ويعملون عملا دون ذلك}(1).

...{ إنا سخّرنا الجبال معه يسبحن بالعشي والإشراق ، والطير محشورة له كل له أوّاب } (2).

...وقال تعالى عن سليمان { فسخّرنا له الريح تجري بأمره رخاءً حيث أصاب ، والشياطين كل بناء وغوّاصٍ ، وآخرين مقرنّين في الأصفاد } (3) .

...وقال تعالى {وحشر لسليمان جنوده من الجن والإنس والطير فهم يوزعون }(4) نلاحظ كلمة : فهم يوزعون . أي يمنعون.

قصة سليمان وداودعليهما السلام نموذج فذ:

...وإذا راجعنا سورة النمل ، فإننا نجد فيها نماذج فذة عن تعاطي سليمان وداود (ع) مع ما آتاهما الله سبحانه في هذا المجال . وأول ما يواجهنا في الحديث عنهما عليهما السلام أنه تعالى قد وفّر لهما الأدوات الضرورية للتعامل مع هذه المخلوقات في نطاق رعايتها وهدايتها وتوجيهها . فنجدها تبدأ الحديث بأن الله قد آتاهما علما ، وعُلّما منطق الطير ، وأوتيا من كل شيء ، ثم ذكرت الآيات نماذج تطبيقية لهذا العلم ، وللمعرفة بجميع الألسنة .

...ثم لتأثير ما آتاهم الله سبحانه في إدارة الأمور ، وتوجيهها ورعايتها ، والهيمنة عليها بصورة حيوية وبناءّة وإيجابية ، لا تأتي إلا بالخير ، ولا تؤدي إلا إلى الفلاح .

...فقد قال تعالى :{ ولقد آتينا داود وسليمان علما ، وقالا: الحمد لله الذي فضلنا على كثير من عباده المؤمنين . وورث سليمان داود ، وقال : يا أيها الناس علمنا منطق الطير وأوتينا من كل شيء ، إن هذا لهو الفضل المبين .

---

(1) – سورة الأنبياء الآيات 81–82

(2) – سو ة ص الآيتان 18–19

(3) –سورة ص الآيات 36–38

(4) سورة النمل الآية 17.

...وحشر لسليمان جنوده من الجن ،والإنس ،والطير فهم يوزعون . حتى إذا أتوا على وادي النمل ، قالت نملة : يا أيها النمل ادخلوا مساكنكم ، لا يحطمنّكم سليمان وجنوده وهم لا يشعرون ، فتبسم ضاحكا من قولها } (1) .

مع آيات سورة النمل

...وقد أظهرت الآيات المتقدمة كيف تم توظيف كل القدرات المادية وغيرها في تحقيق رضا الله سبحانه ، وبناء الحياة وتكاملها باتجاه الأهداف الإلهية ،ووفقا للخطة الربانية . بدءاً من قصة تبسّم سليمان من قول النملة ، مروراً بقصّة الهدهد والدور الذي قام به ، والإتيان بعرش بلقيس من قبل أحد أتباع سليمان (ع) بعلم من الكتاب قبل ارتداد الطرف ، ثم تنكير عرشها لها ، وانتهاءً بأمرها بدخول الصرح الذي حسبته لجة ، مع أنه صرحٌ ممرد من قوارير .

...وقد تجّسّد ذلك كله من خلال حاكمية وإمامة سليمان عليه وعلى نبينا وآله الصلاة والسلام ،ورعايته

وهدايته التامة والشاملة .

...وقد كانت هذه الهداية والرعاية مستندة إلى علم آتاه الله إياه، والى إمكانات ذات صفة شمولية .{ وأوتينا من كل شيء} فلم يكن ثمة أي قصور في القدرات الذاتية ، فقد علم سليمان منطق الطير ، وأوتى من العلم ما يكفيه في مهمته الكبيرة والخطيرة.

...كما أنه لم يكن ثمّة نقصٌ في الإمكانات المادية ، كما أشرنا وكان سليمان أيضا يحظى برعاية الله تعالى له ، ولطفه به ، وتسديده وتأييده له ، في درجة العصمة وغير ذلك .

...فلم يبق والحالة هذه إلا المبادرة إلى القيام بالدور المرصود له في نطاق الإستفادة الواعية والإيجابية والبناءة من كل المخلوقات المسّخّرة لهذا الإنسان ، وتوجيهها لتؤدي دورها في الحياة كاملاً غير منقوص .

---

(1) –سورة النمل الآيات 15–19.

...وهذا ما حصل بالفعل ، فكانت المعجزة الكبرى ، وكان الإنجاز العظيم وهذا ما سوف يتحقق بحول الله وقدرته بصورة أكثر رسوخاً وشموخاً وعظمة في عهد ولي الأمر قائم آل محمد عجل الله تعالى فرجه الشريف . وجعلنا من جملة العاملين في نصرته والمدركين لأيامه صلوات الله وسلامه عليه وعلى آبائه الطاهرين المعصومين .

الفصل الرابع

قواعد ومناهج

يقول البعض:

..."..إنه يعني الرأي المستمدّ من القواعد الشرعية في فهم النصوص الدينية في الكتاب والسنة ... فيما يفهمه المجتهد منها وفيما يستوحيه مما ينسجم مع أجواء النص وإيحاءاته فلا يمكن له أن يعطي رأياً في مقابل النص ، أو يضع حكماً لم يرد به نص ، ولم تفرضه قاعدة فقهية مستمدة من الكتاب والسنة ... حتى العقل الذي اعتبره بعض المجتهدين دليلاً من أدلة الأحكام .. لا بد له أن يتحرك في نطاق الأفكار القطعية التي لايقترب إليها الشك فيما يستفيده من ملاكات الأحكام .. فلا مكان للحكم العقلي الظني في ذلك من قريب ومن بعيد ..

...إن الاجتهاد الإسلامي .. هو اجتهاد في فهم الإسلام .. وليس اجتهاداً ذاتياً يستمد أفكاره من حركة الواقع .. ولا مانع من أن يتغير الحكم الشرعي تبعاً لتغيّر الإجتهاد .. ولكن تغير الاجتهاد لا يخضع

للتغييرات الحاصلة من الخارج بل من خلال اكتشاف خطأ في الإجتهاد السابق .. على أساس خلل في فهم النص أو تطبيقه .. أو في قاعدة شرعية هنا .. ربما لا يكون لها مجال في هذا المورد أو ذاك لأن قاعدة شرعية أخرى .. هي الأولى في هذا الموضع .. أو ذاك ..وعلى ضوء ذلك .. يبقى الإجتهاد متحركاً ، في نطاق حدود علمية معينة تحفظه عن الإنحراف وتصونه عن الزلل .. وتحركه في اتجاه الاكتشاف الأمين للحكم الشرعي الذي أنزله الله في كتابه ، أو أوحى به إلى نبيه.. فلا مجال لتطوير الإسلام من خلال الإجتهاد .. بل كل ما هناك .. أن نجتهد في دراسة مدى انسجام خطوات تطور الإسلام في التشريع، أو ابتعادها عنه .. لنحدد موقفنا من ذلك على هذا الأساس .. لأن حكم الله هو القاعدة للحياة، وليست القضية بالعكس ."(1)

وقفة قصيرة :

...إن نظرية التصويب في الإجتهاد التي يقول بها جمهور علماء السنة مرفوضة عند الشيعة ، ويرونها نظرية باطلة من الأساس .

والمُراجع لكلمات القائلين بالتصويب الباطل يجدهم فريقين :

...أحدهما : يقول : إنه ليس في الواقعة حكم أصل ، بل الله ينشئ الحكم وفق اجتهاد المجتهد وظنه، فيتعدّد الحق بتعدد المجتهدين.

...الثاني: يرى : أن كل مجتهد مصيب ، وإن كان الحق مع واحد، وهو الذي وافق اجتهاده الحكم الواقعي الذي جعله الله، فلله سبحانه وتعالى حكم واقعي، لكن اذا أدى ظن المجتهد الى حكم مخالف له فإن الله سبحانه تعالى ينشئ حكماً على وفق ظنه واجتهاده، فيصير المجتهد بذلك مصيباً، وإن كان قد أخطأ الحكم الواقعي.

...ومن تصريحاتهم الدالة على ما يذهبون إليه من التصويب :

---

(1) –من وحي القرآن : ج 9 ص 212 و 213

...1. قول الشهاب الهيثمي في شرح الهمزية على قول البوصيري عن الصحابة : (كلهم في أحكامه ذوو اجتهاد . أي صواب . وكلهم أكفاء).

2. وعن العنبري في أشهر الروايتين عنه : (إنما أصوب كل مجتهد في الذين يجمعهم الله ، وأما الكفرة فلا يصوبون) . (1)

3. وقال الشوكاني :(ذهب جمع جمّ إلى أن كل قول من أقوال المجتهدين فيها، (أي في المسائل الشرعية التي لا قاطع فيها) حق، وأن كل واحد منهم مصيب ، وحكاه الماوردي والروياني عن

الاكثرين، قال الماوردي: (وهو قول أبي الحسن الأشعري والمعتزلة) .
...إلى أن قال:(وقال جماعة منهم أبو يوسف : إن كل مجتهد مصيب ، وإن كان الحق مع واحد ، وقد حكى بعض أصحاب الشافعي عن الشافعي مثله).
...إلى أن قال: (فمن قال: كل مجتهد يصيب، وجعل الحق متعددا بتعدد المجتهدين فقد أخطأ). (2)
...4. وقال حول حجية الإجماع : (فغاية ما يلزم من ذلك أن يكون ما أجمعوا عليه حقاً ، ولا يلزم من كون الشيء حقاً وجوب إتباعه ؛ كما قالوا : إن كل مجتهد مصيب، ولا يجب على المجتهد الآخر إتباعه في ذلك الاجتهاد بخصوصه). (3)
...5. وقال الأسنوي حول الإجتهاد في الواقعة التي لا نص عليها فيها قولان :
... أحدهما : أنه ليس لله تعالى فيها قبل الاجتهاد حكم معين بل حكم الله تعالى فيها تابع لظن المجتهد . وهؤلاء القائلون بأن كل مجتهد مصيب ، وهم الأشعري ، والقاضي وجمهور المتكلمين الأشاعرة والمعتزلة إلخ..) (4)
...ونقل عن الأئمة الأربعة . ومنهم الشافعي . التخطئة والتصويب فراجع .(5)
...وحين يقول هذا البعض : لامانع من أن يتغير الحكم الشرعي تبعاً لتغيُّر الاجتهاد ، مع تصريحه بوجود حكم واقعي أخطأه من أخطأه وأصابه من أصابه فإن كلامه يحتمل أمرين:

---

(1) . إرشاد الفحول ص 159
(2) إرشاد الفحول ص 261
(3) إرشاد الفحول ص 78
(4) . نهاية السؤل ج 4 ص 560 وراجع ص 558 وراجع : الأحكام للآمدي ج 4
(5) . نهاية السؤل ص 567

...أحدهما: أن يكون قد قال بمقولة الفريق الثاني من المصوِّبة ،
من غير الإمامية . وهي أن كل مجتهد مصيب لكن الحق مع واحد.
...الثاني : أن يكون مراده من الحكم الشرعي الذي يتبدل بتبدل الاجتهاد هو الحكم الشرعي الظاهري كما تقول به الامامية، لكن إطلاق عبارته، وما عرفناه عنه من جنوحه إلى الأخذ بآراء غير الإمامية ، مثل عمله بالقياس ، وبأخبار العامة، وبالاستحسان ، وبالمصالح المرسلة وغير ذلك من مناهج غير الشيعة الإمامية ، كما اتضح في هذا الجزء وفي الجزء الأول من هذا الكتاب. نعم . إن ذلك كله . يجعلنا غير قادرين على تأويل كلامه بما يوافق ما عليه الشيعة الإمامية ، أو فريق منهم،لأن كلام أي شخص إنما يلتمس له التأويل ، أو يحمل على خصوص ، أحد المعاني حينما يكون قد عرف عن ذلك الشخص

أنه يلتزم نهج أسلافه ، في آرائه، وفي مناهجه ومقولاته، حيث يكون ذلك قرينة عقلية ومنطقية على إرادته هذا المعنى بخصوصه ، أما حين يظهر في موارد كثيرة ومتنوعة في مجالاتها وخصوصياتها جنوحه إلى مقولات الآخرين ، فان هذا يصلح لأن يكون قرينة على تحديد المعنى المراد من كلامه هذا، وهو الأمر الذي دعانا إلى أن نضع بين يدي القارئ الكريم هذا النص الذي يومئ إلى مقولة التصويب، ويظن انطباقه عليها.

...

ونقول :

...إن البعض يناقش الروايات التي تتحدث عن طبيعة القبضةالتي قبضها (السامري) من أثر الرسول ، ويقول عن هذه الروايات :

..."..وعلى أي حال فهي أخبار آحاد لاتقوم بها حجة في التفسير لأن حجية خبر الواحد، فيما لم يفد القطع والإطمئنان ، لا تعني إلا ترتيب الأثر الشرعي على مضمونه، فيما كان له أثر شرعي .. أما الأمور التي تتضمن أخباراً عن قضايا كونية في السماء أو في الأرض، أو عن أحداث تاريخية فلا مجال للإعتماد على الخبر الواحد فيها بنفسه ، بل يتبع القطع أو الإطمئنان ، من باب حجتها في ذاتها بعيداً عن الخبر .. فلنترك الموضوع لعلم الله كالكثير مما أجمله القرآن ولم نصل فيه إلى يقين ، لا سيما إذا كان الأمر مما لا يتعلق به خط العقيدة فيما يجب اعتقاده ، أو خط العمل، فيما يجب الالتزام به." (1) .

ويقول في موضع آخر :

..."..وقد نحتاج إلى أن نثير أمام هذه الأمور ، الفكرة القائلة ، بأن القضايا الدينية المتصلة بالمفاهيم والأوضاع المختلفة في أجواء الكون وأفعال الأنبياء وغير ذلك مما يتعلق بالأحكام الشرعية ، لا بد في الالتزام بها من اليقين ، فلا يكفي فيها الظن الحاصل من رواية خاصة لم تبلغ حد التواتر ...وبذلك نستطيع التخلص من كثير من الروايات المتعلقة بالتفاصيل الدقيقة لخصائص الأوضاع ، وملكات الأشخاص ، وأسرار الواقع ، لنرجع الأمر فيها إلى أهلها أو لنأخذ منها بعض الإيحاءات والأجواء بعيداً عن جانب العقيدة .

---

(1) . من وحي القرآن ج15 ص 156 157.

...وربما كان من الضروري أن يتوفر الباحثون في مسالة حجية الخبر الواحد ، في علم الأصول على إثارة المسألة بشكل واضح أمام الناس ، لأن المشكلة أن الكثيرين قد اعتمدوا على الروايات في الأمور الخارجة عن شؤون التشريع ، بنفس الشروط التي اعتمدوا فيها على التشريع ، بل ربما تطور الأمر إلى التوسع في ذلك باعتماد الروايات الضعيفة، مما أدى الى أن يكون عندنا ركام هائل من الأحاديث المذكورة في الكتب الدينية، التي يعتمد عليها الناس في تكوين التصورات والقناعات الدينية في جانب العقيدة والحياة".(1)

وقفة قصيرة :

إننا نسجل هنا مايلي :

...1. تقدم في هذا الجزء من هذا الكتاب أن الذي يطلب فيه اليقين هو خصوص الأمور العقائدية، التي يجب الإعتقاد بها على كل حال ، وهي التي يتوقف عليها الإسلام والإيمان ،كالتوحيد والنبوة واليوم الآخر ،وكذا يطلب اليقين في المعجزة التي يتوقف عليها ثبوت أصول العقيدة، كالتي يتوقف عليها إثبات نبوة النبي، أما ما عدا ذلك ، فإنما يجب الاعتقاد به لو التفت إليه لا مطلقاً .

...وهذه الأمور التي تحدث عنها هذا البعض هنا، لا دليل على اعتبار اليقين فيها ، بل يكفي أن تثبت بالحجة المعتبرة شرعاً و عند العقلاء ، وذلك مثل الاعتقاد بكرامات النبي (ص)، كتسبيح الحصى بيديه (ص)، وسجود الشجر له (ص) ، وتكليم الحيوان له ، ونحو ذلك .

---

(1) . من وحي القرآن : ج14ص 14/12

...فإن ذلك لا مدخلية له في تحقق أصل الإيمان والإسلام ،نعم لوثبت للإنسان بحجة معتبرة وجب عليه الاعتقاد به ، لئلا يلزم رد الخبرعلى أهل البيت عليهم السلام، وقد روي عن الإمام الباقر (ع)، وهو يتحدث عن اصحابه: "إن أسوأهم عندي حالاً، وأمقتهم إليّ، الذي إذا سمع الحديث ينسب إلينا، ويروى عنا، فلم يعقله، ولم يقبله قلبه، اشمأز منه وجحده، وكفر بمن دان به، وهولايدري لعل الحديث من عندنا خرج ، وإلينا أسند ، فيكون بذلك خارجا عن ولايتنا.(1)

...وعنه عليه السلام: لا تكذبوا بحديث أتاكم أحد، فإنكم لا تدرون لعله من الحق ، فتكذبوا الله فوق عرشه.(2)

...2. إن هذا البعض يقول بعدم حجية أخبار الآحاد في التفسير ، وفي التاريخ وفي الكونيات ، وفي القضايا الدينية المتصلة بالمفاهيم والأوضاع المختلفة في الكون ، وأفعال الأنبياء ، وغير ذلك، وكذا الحال بالنسبة للروايات التي تتحدث عن ملكات الأشخاص وأسرار الواقع .

... ونقول: لا ندري السبب في حكمه هذا ، فإن حجية خبر الواحد لم تخصص من خلال أدلتها ، كبناء العقلاء ، أو " آية النبأ " أو غيرها مما يستدل به على حجيته . لم تخصص . هذه الحجية في نوع دون نوع . فمن أين جاء هذا التخصيص البديع –بل المستهجن –يا ترى ؟

...3. إن هذا البعض يقول بعدم إمكان الأخذ بالحديث الضعيف في جوانب الحياة.

...ونقول:

...إن من يقول بالأخذ بالحديث الموثوق . وهذا البعض يدعي دائما أنه منهم . لا بحديث الثقة ، لا يحق له أن يقول بلزوم الاقتصار على الخبر الصحيح سنداً في أمور الشرع ، ولا في سائر ما تقدم.

---

(1) . البحار ج2 ص 186 والكافي ج2 ص223 حديث 7.

(2) . البحار ج2 ص 186 وراجع ص187 و 188 وراجع المحاسن للبرقي ص 230 و231.

...4. إن خبر الواحد حين ينقل لنا ملكات الأشخاص ، أو حادثة تاريخية لا يزيد عن كونه ينقل خبراً في موضوع من الموضوعات، فإذا كانت حجيته من باب بناء العقلاء ، فلماذا لا تشمل ما هو من قبيل الإخبار بعدالة أو بحياة زيد من الناس ، أو بوقوع حادثة القتل الفلانية ، وكذا الحديث عن الكونيات ، والتبدل فيها ووقوع زلزال أو خسف في البلد الفلاني، أو كالشهادة بالهلال...؟

...أما القضايا المتصلة بأفعال الأنبياء ، فما هي إلا كنقل صلاتهم، وحجهم ، وصيامهم (ع) لنا ، ومن هذه الأفعال نقل خبر شجاعة النبي ، والإمام الخارقة للعادة في بعض المواضع ، كخبر ثباته (ص) يوم أحد ، وكخبر قلع باب خيبر ، وقتل علي عليه السلام لعمرو بن عبد ود ، حيث كانت ضربته تعدل عبادة الثقلين .

...5. إنه قد اعتبر أنه لا بد من القطع أو الإطمئنان في كل ما ليس حكماً شرعياً ،مؤكدا على ان حجيتهما الذاتية هي المنشأ ، للأخذ بهما بعيداً عن الخبر.

... وهذا معناه لزوم إلقاء معظم الحديث المنقول عن أهل البيت عليهم السلام من أصله والاستغناء عنه ؛ لأنه لا حجية له ، بل الحجية لليقين بذاته ، وللاطمئنان بذاته كما يقول.(وهذه مقولة خطيرة).

...مع ما في هذا الأخير من إشكال ظاهر.

...ومن الطرائف ان تكون سيرة العقلاء التي يستدل بها هذا البعض علىحجية الخبر هي نفسها التي يستدل بها على حجية الإطمئنان، فكيف ساغ له قبول حجية الإطمئنان في غير الشرعيات وهجر حجية الخبر فيها وتوصيف الحجية في الأول بالذاتيةو أنكار حجية الثاني من رأس.

...وبعد .. فإن من الواضح : أن الموارد التي يحصل فيها اليقين محدودة ومعدودة ، فيبقى هذا الكم الهائل من أحاديث أهل البيت عليهم السلام بلا فائدة ولا عائدة.

... ولا ندري مدى ابتعاد مقولة الأكتفاء بما في القرآن، وبما دل عليه العقل ، وبالمتواترات . لا ندري مدى ابتعادها عن مقولة . "حسبنا كتاب الله" ، ولا نعرف كثيراً عن المواضع التي تختلف فيها هذه عن تلك .

.....ويقول البعض في تفسير قوله تعالى {كهيعص} :

..."...وقد وردت بعض الأحاديث المأثورة في تأويل هذه الكلمة عن بعض أئمة أهل البيت ، فقد جاء فيما و ي عن الإمام جعفر الصادق . فيما رواه عنه سفيان بن سعيد الثوري . قال: {كهيعص } معناه ، أنا الكافي الهادي الولي العالم الصادق الوعد.

...وعن ابن عباس . كما في الدر المنثور . معناه كريم هاد حكيم عليم صادق وربما كان هذا اجتهاداً من ابن عباس ، كما قد يكون الأول إستيحاء أو ما يشبه ذلك ، على تقدير صحة الرواية."(1)

...ويقول أيضاً :

..."..{ ونري فرعون وهامان } فيما نريهم من مظاهر القوة ومواقعها للمستضعفين الذين يتحركون في خط المواجهة لهما ولسلطتهما{ وجنودهما منهم ما كانوا يحذرون } ويخافون ، فيما يخافه الطغاة من تنامي قوة المستضعفين وتعاظمها بحيث تشكل خطراً مستقبلياً على ما يملكونه من سلطة الظلم وقوة الاستكبار على يد شخص من بني إسرائيل .

...وقد وردت بعض الروايات عن أئمة أهل البيت (ع) في الاستشهاد بهذه الآية في موارد معينة ، كما في مسألة الإمام المهدي، ونحوها .. والظاهر أنها من باب الاستيحاء والتطبيق ، باعتبار أن الآية توحي بأن سيطرةالمستكبرين لا بد أن تعقبها سيطرة المستضعفين.. مما يجعل من القضية سنّة إلهية .. ويوحي بأن النهاية في الدنيا سوف تكون للمستضعفين الذين يكونون ورثة الأرض وخلفاء الله."(2)

وقفة قصيرة:

...إن لنا هنا ملاحظتين :

...إحداهما :أن هذا النص قد عرَّفنا : أن هذا البعض يقصد بكلمة (الإستيحاء) : الإجتهاد . وذلك لأن ما نقله عن ابن عباس في تفسير كلمة (كهيعص) قد وصفه بأنه اجتهاد ، ثم ذكر أن نفس هذا التفسير منقول عن الإمام الصادق(ع) ، ولكنه وصفه بأنه " إستيحاء " من قبل الإمام .

... ومعنى ذلك هو أنه يلطّف التعبير بالنسبة للأئمة عليهم السلام.

---

(1) . من وحي القرآن ج15 ص10

(2) . من وحي القرآن ج17ص 298و299

... وربما يمكن تأييد ذلك: بأنه هو نفسه يرى أن باستطاعته أن يستوحي القرآن كما كان الأئمة عليهم السلام يستوحونه(1) ، فإن كان يريد بالإستيحاء غير الاجتهاد فلابد أن يبيِّن لنا معناه ، لنعرف كيف نتعامل معه ، فإن كان هذا الأمر من مختصاتهم (ع) فلم ادعاه هو لنفسه إذن؟! فهل ان الله سبحانه وتعالى قد خصه بذلك إلى جانبهم ، فادعى لنفسه ما هو لهم و له أيضاً ؟! وكيف يمكنه ان يثبت لنا ذلك؟!.

...وإن كان الإستيحاء هو نفس الاجتهاد ، خرجنا بنتيجة، حبذا لو لم تتراءى لنا من كلامه ، لا سيما وأنه لم يزل يكرر على الناس قوله : ان الأئمة رواة لما عند رسول الله (ص). فإن نسبة الاجتهاد إليهم عليهم السلام أمر مرفوض جملة وتفصيلاً ، بل ما عندهم هو علم من لدن عليم حكيم.

... هذا، ولا يفوتنا التنبيه على أنه حيث نسب الإستيحاء الى نفسه ، وفسر التأويل به ، فقد نسب لنفسه تأويل القرآن ، وعدّ نفسه من جملة الراسخين في العلم الذين يقول تعالى عنهم :{ ولا يعلم تأويله الا الله و الراسخون في العلم } ، مع أن روايات أهل البيت عليهم السلام وقراءتهم للآية تدل على أن ذلك من مختصاتهم عليهم السلام.

...الثانية: إننا لم نفهم المراد من "ما يشبه الإستيحاء" الذي نسبه إلى الأئمة (ع) ، فهل يريد به الإجتهاد في التطبيق للمفهوم العام على موارده، فهذا لا يصح نسبته الى الإمام كما هو معلوم، أم أنه يقصد به شيئاً آخر ؟

حبذا لو أوضح لنا ذلك لننظر فيه أيضاً .

يقول البعض :

---

(1) – للانسان و الحياة ص307و310.

...قد جاء عن الإمام الباقر عليه السلام فيما رواه عنه الفضيل بن يسار، قال: قلت لأبي جعفر عليه السلام: قول الله عزّ وجل في كتابه:{ ومن أحياها فكأنما أحيا الناس جميعاً } قال: من حرق أو غرق ، قلت : من أخرجها من ضلال إلى هدى، قال : ذلك تأويلها الأعظم) ومن خلال ذلك نفهم أن التأويل لا يعني المعنى الباطني للكلمة فيما يحاول البعض أن يفسره من بطون القرآن فإنه قد أنزل على طريقة العرب في التعبير ، ليفهمه الجميع بشكل طبيعي ... من دون أن يكون فيه أي إشارات رمزية ... فيما تعارف عليه الأسلوب الرمزي الذي يحمّل الكلمة غير معناها ، ويجري بها في غير مجالها من دون أساس للاستعارة والكناية والمجاز ... بل التأويل يمثل عملية الإستيحاء للمعنى من خلال التقاء المعاني ببعضها في الأهداف التي يستهدفها القرآن في القضايا التي يثيرها أمام الناس ، والمفاهيم التي يريد أن

يوحيها اليهم .. كما في هذه الآية التي تحدثت عن الحياة والموت ، وعن الناس الذين يعتدون على الحياة ، وعن الناس الذين ينقذونها .

..... فقد يستوحي منها الإنسان الفكرة فيمن ينقلون الناس من الضلال إلى الهدى ، أو بالعكس ، أو فيمن ينقلونه من الجهل إلى العلم أوبالعكس ، وذلك لأن الله قد أشار إلى ذلك في قوله تعالى:{ يا آيها الذين أمنوا استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم}، كما عبر عن الذين يعيشون الضلال في واقعهم بالموتى في قوله تعالى: { إنك لا تسمع الموتى ولا تسمع الصم الدعاء إذا ولّوا مدبرين }، وهكذا يمكن لعميلة الإستيحاء هذه أن تأخذ من الحياة والموت كل الأجواء التي تشارك هذين المعنيين في تحويل الإنسان من حالة الجمود إلى حالة اليقظة والحركة على مستوى الفكر والعمل والحياة." (1)

---

(1) . من وحي القرآن ج 8ص 93.91.

...وقد قال في موضع أخر عن هذه الرواية المروية عن الإمام الباقر عليه السلام : فالإمام في ذلك يستوحي الحياة المعنوية من الحياة المادية. (1)

وقفة قصيرة

.....ولنا هنا مع ما ذكره هذا البعض كلام كثيرة ، لكن بما أن المقام ليس مقام تحقيق وتفصيل ، فإننا سوف نقتصر على الإلماح إلى ثلاث نقاط، آثرنا الوقوف عندها ، وهي التالية :

...1. إن هذا الرجل قد حاول أن ينكر بطون القرآن . واعتبرها من المحاولات التفسيرية لبعضهم . وقد برهن على مدّعاه هذا بمقولة أن القرآن قد أنزل على طريقة العرب في التعبير ، ليفهمه الجميع بشكل طبيعي ، من دون أن يكون فيه أي إشارات رمزية إلخ...

...2. قوله:" بل التأويل يمثل عملية الإستيحاء للمعنى من خلال التقاء المعاني ببعضها في الأهداف التي يستهدفها القرآن، في القضايا التي يثيرها أمام الناس، والمفاهيم التي يريد أن يوحيها إليهم."

...3. ثم إنه قد ذكر في مناسبات عديدة أن الأئمة عليهم السلام كانوا يستوحون القرآن ، وعقّب على ذلك في بعض الموارد بقوله: " أعتقد أننا يجب أن نستوحي القرآن كما كان الأئمة يستوحونه."(2)

---

(1) . للإنسان والحياة ص 307و310.

(2) . للإنسان والحياة ص7 30و310

...ونحن نرى ذلك كله إخلالاً في جهات هامة ، حبذا لو سنحت الفرصة لنا للتوسع في الحديث عنها وفيها ، لاسيما بعد أن عرفنا انه يقصد بالإستيحاء : "الإجتهاد" ، غير أن علينا أن نتوقف قليلاً أمام تبسيطه القضايا الى حد يجعل من فهم القرآن أمراً طبيعياً حيث يقول : فإنه قد نزل على طريقة العرب في التعبير ، ليفهمه الجميع بشكل طبيعي.. إذ أن الأمر ليس بهذه البساطة التي يدعيها ، لأنا نبقى جميعاً وبلا استثناء بحاجة إلى النبي (ص) ، والى الامام (ع) ليفسر لنا القرآن ويبقى أكثر الناس بحاجة الى العلماء ليفسروا لهم ما يمكنهم تفسيره. كما أن في القرآن آيات لا يعلم تأويلها إلا الله والراسخون في العلم ، الذين هم الأنبياء والأوصياء ، فليس التأويل الذي يعلمه الإمام مجرد عملية إستيحاء للمعنى ، بل هو علم من ذي علم ، على حد تعبيرهم عليهم السلام .

بطون القرآن والإستيحاءو التأويل :

...وعن "أن للقرآن بطوناً" نقول :

...قد صرّحت الروايات المتواترة بذلك ، فلا معنى لإنكار ذلك . ولا صحة لما يحاوله البعض من تفسيره لبطون القرآن بالإستيحاءات ، بل هي حقائق ثابتة أخبر المعصوم عنها ، وليست مجرد إستيحاءات .

...ومهما يكن من أمر فإننا نشير هنا إلى بعض ما يرتبط بالتأويل، ثم إلى بطون القرآن لنؤكد على حقيقة أننا بحاجة إلى المعصوم ، ليعلّمنا التأويل ، وليكشف لنا عن غوامضه وبطونه ، ويفسره لنا ، لأنه لا يتظنّى تأويله ، بل يتيقّن حقائقه كما في الرواية عنهم (ع).

...أما ما يستوحيه غيرهم فهو من التظني ، وربما يصل إلى حد الحدس والتخمين ، بل و التخرص و الرجم بالغيب.

.....تأويل القرآن:

... قد يطلق التأويل على التفسير وبيان الوجه الخفي لما ظهر من
فعل أو نحوه، وذلك كما في قول العبد الصالح لموسى { ذلك تأويل ما لم
تسطع عليه صبرا } وفيما عدا ذلك فإن المتأمل في آيات القرآن يجد أنه أطلق وأريد منه معنيان:

...أحدهما : تحقّق مصداق ما تحدّث عنه ، وظهور حقيقته في المستقبل ، كما في قوله تعالى : { ولقد جئناهم بكتاب فصلناه على علم هدى ورحمة لقوم يؤمنون . هل ينظرون إلا تأويله يوم يأتي تأويله يقول الذين نسوه من قبل: قد جاءت رسل ربنا بالحق ، فهل لنا من شفعاء؟} (1).

...وقوله تعالى : {بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه ، ولما يأتهم تأويله}(2)

...وقال تعالى حكاية عن يوسف :{ لا يأتيكما طعام ترزقانه إلا نبأتكما بتأويله } (3).

...الثاني : رجوع المتشابه إلى المحكم من آيات القرآن ، كما جاء في قوله تعالى : {هو الذي أنزل

عليك الكتاب منه آيات محكمات هنّ أم الكتاب وأخر متشابهات ، فأما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله ، وما يعلم تأويله إلا الله والراسخون في العلم يقولون آمنا به كل من عند ربنا وما يذّكّر إلا أولوا الألباب }(4) .

فظهر مما تقدم :

...1. أن التأويل يحتاج إلى تعليم إلهي ولا يصح فيه التخرص والتخمين والتظنّي، فقد قال تعالى بالنسبة ليوسف : { وكذلك يجتبيك ربك ويعلمك من تأويل الأحاديث ، ويتم نعمته عليك وعلى آل يعقوب}(5) .

...وقال تعالى: {ربي قد آتيتني من الملك وعلمتني من تأويل الأحاديث، فاطر السموات والأرض ، أنت وليّي في الدنيا والآخرة } (6).

...وقال : { وقال الذي اشتراه من مصر لامرأته ، أكرمي مثواه عسى أن ينفعنا أو نتخذه ولدا ، وكذلك مكنّا ليوسف في الأرض ، ولنعلمه من تأويل الأحاديث ، والله غالب على أمره } (7) .

---

(1) . سورة الإعراف آية 52و53

(2) . سورة يونس آية 39

(3) . سورة يوسف آية 37

(4) . سورة آل عمران آية 7

(5) . سورة يوسف الآية 6

(6) . سورة يوسف الآية 101

(7) . سورة يوسف الآية 21

...2. إن آية سورة آل عمران المتقدمة {لا يعلم تأويله إلا الله والراسخون في العلم} تفيد أن العلم بتأويل آيات القرآن مقصور عليه سبحانه وتعالى ، وعلى الراسخين في العلم ، باعتبار أن الواو عاطفة ، كما ظهر من الأحاديث الواردة عن أهل البيت عليهم السلام في تفسير الآية ، فعن أبي عبدالله عليه السلام: نحن الراسخون في العلم ، ونحن نعلم تأويله (1) .

...وعن الباقر أوالصادق عليهما السلام في تفسير الآية : فرسول الله أفضل الراسخين في العلم ، قد علّمه الله عز وجل جميع ما أنزل عليه من التنزيل والتأويل ، وما كان الله لينزل عليه شيئاً لم يعلّمه تأويله ، والأوصياء من بعده يعلمونه كله الخ...(2).

...و عن الفضيل بن يسار، عن أبي جعفر(ع): { وما يعلم تأويله إلا الله والراسخون في العلم }: نحن نَعلَمُهُ (3)

وثمة روايات أخرى تدل على ذلك فلتراجع في مظانها.

...3. وعن الإمام الحسن عليه السلام ، في خطبة له بعد البيعة له ذكر فيها أنهم أحد الثقلين : التالي كتاب الله فيه تفصيل كل شيء ، لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، فالمعوَّل علينا في تفسيره ، لا نتظنى تأويله ، بل نتيقن حقائقه ، فأطيعونا فإن طاعتنا مفروضة إلخ.. (4)

وما ذلك إلا لأن القرآن . كما قال رسول الله (ص) . لا تحصى عجائبه، ولا يشبع منه علماؤه.ولعمري بعد قول الامام (ع) :" لا تنتظنّى تأويله ، بل نتيقن حقائقه " ، كيف يدّعي البعض لنفسه تأويل واستيحاء القرآن كالامام (ع) !؟.

... بطون القرآن

---

(1) . الكافي ج1ص213وتفسير البرهان ج1ص270و272عنه وعن تفسير العياشي ج1 ص164

(2) . الكافي ج 1 ص 213والبرهان في تفسير القرآن ج 1ص 270 و271وتفسير القمي ج 1 ص 96و97 وعن العياشي ج 1ص 164

(3) . تفسير العياشي ج1 ص 164 والبرهان في تفسير القرآن ج 1 ص 271

(4) . بحار الأنوار ج 43 ص 359عن الأمالي للشيخ المفيد. وعن الأمالي للشيخ الطوسي ص 120 ط مؤسسة البعثة . دار الثقافة

... أما بالنسبة لبطون القرآن فنقول :

...لقد ثبت وجود بطون للقرآن بالنصوص الكثيرة الواردة من طرق الشيعة وغيرهم ، ونذكر منها مايلي:

...في خطبة مروية عن النبي صلى الله عليه واله وسلم يقول: له ظهر وبطن ، فظاهره حكم، وباطنه علم ، لا تحصى عجائبه ، ولا يشبع منه علماؤه. (1)

...وعنه صلى الله عليه واله وسلم : ما في كتاب الله آية إلا ولها ظهر وبطن ، ولكل حد مطلع. (2)

...قال إبن المبارك : سمعت غير واحد في هذا الحديث : ما في كتاب الله آية إلا ولها ظهر وبطن ، يقول : لها تفسير ظاهر ، وتفسير خفي ، ولكل حد مطلع ، يقول : يطلع عليه قوم يستعملونه على تلك المعاني ، ثم يذهب ذلك القرن ، فيجيء قرن آخر ، فيطلعون منه على معنى أخر ، فيذهب عليه ما كان قبلهم، فلا يزال الناس على ذلك إلى يوم القيامة. (3)

...وعن ابن عباس قال : إن القرآن ذو شجون ، وفنون ، وبطون، ومحكم ومتشابه ، وظهر وبطن ، فظهره التلاوة ، وبطنه التأويل. (4)

...وعن الحسن البصري : ما أنزل الله عزوجل آية إلا ولها ظهر وبطن ، ولكل حرف حد ، ولكل حد مطلع .(5)

---

(1) . كنز العمال ج2 ص 186 ، وليراجع ج1 ص 337 ، وحياة الصحابة ج3 ص 456 عنه وعن العسكري ، وراجع : نور القبس ص 269/268

(2) . الزهد والرقائق ، قسم ما رواه نعيم بن حماد ص23 وفي الهامش عن المشكاة ص 27 ، وراجع الإتقان ج2 184 و 128، والموافقات للشاطبي ج 3ص 382 وفي الهامش عن روح المعاني وعن المصابيح ، وراجع غرائب القرآن (مطبوع بهامش جامع البيان) ج 1 ص 23 و 21 ولباب التأويل للخازن ج 1 ص 10 والفائق ج 2 ص 381 وراجع الت اتيب الإدارية ج 2 ص 176

(3) . الزهد والرقائق ، قسم ما رواه نعيم بن حماد ص23

(4) . الإتقان ج2 ص 185 عن ابن أبي حاتم

(5) . كنز العمال ج1 ص 488 عن أبي عبيد في فضائله وعن أبي نصر السجزي في الإبانة

. حلية الأولياء ج1 ص65 والاتقان ص 187 ، وهامش الموافقات ج 3 ص 382 عن كتاب المصابيح ، ومصابيح السنة ج 1 ص 176 وفي هامشه عن موارد الظمآن ص 440 . 441 وعن غيره ، وجامع البيان ج 1 ص 9 وكشف الأستار ج 3ص 90 ونزل الأبرار ص73 وأسمى المناقب ص 82، ومجمع الزوائد ج 7 ص 152 عن البزار ، وابي يعلى والطبراني في الأوسط ولم يذكر الهيثمي قول إبن مسعود في علي عليه السلام وراجع : الغدير ج 7 ص108 عن الحلية ومشكل الآثار ج4 ص 172 و182 ، وترجمة الإمام علي (ع) من تاريخ ابن عساكر بتحقيق المحمودي ج 3 ص 25 وفي الهامش عن الحلية وفرائد السمطين ، والغدير ج 7 ص 108/107 وج2 ص 45 عن الحلية ج 3 ص 99 و224 عن مفتاح السعادة ج 1 ص 400.

...وعن ابن مسعود : إن القرآن نزل على سبعة أحرف ما منها حرف إلا وله ظهر وبطن ، وإن علي بن أبي طالب عنده منه الظاهر والباطن (1) .

...وأوضح من ذلك في الدلالة على ما ذكرناه ، ما نقل عن أبي الدرداء : " لا تفقه كل الفقه حتى ترى للقرآن وجوهاً كثيرة" (2) ...وقال علي (عليه السلام) لابن عباس ، حينما أرسله لِحجاج الخوارج : " القرآن حمال ذو وجوه ". (3)

...وليراجع ما روي عن الإمام أبي جعفر (عليه السلام) حول أن للقرآن ظهراً وبطناً في كتب الامامية أعزهم الله تعالى. (4)

...بل قال بعضهم : إن الأخبار تدل على أن (للقرآن بطوناً سبعة أو سبعين) (5) .

... وقد ألفوا كتباً فيما تضمنه القرآن، من علم الباطن (6).

...ومما يدل على ذلك أيضاً قوله تعالى: {لا يعلم تأويله إلا الله والراسخون في العلم يقولون آمنا به}.

(7)

...وعن أمير المؤمنين (عليه السلام) حول القرآن : "فيه علم ما مضى ، وعلم ما يأتي إلى يوم القيامة، وحكم ما بينكم، وبيان ما أصبحتم فيه تختلفون". (8)

...وعنهم عليهم السلام: ظاهره أنيق، وباطنه عميق.

---

(2) . المصنف للصنعاني ج11 ص 255 ، والإتقان ج 2 ص 185 عن ابن سبع في شفاء الصدور، وحلية الأولياء ج1 ص 211 والطبقات الكبرى ج 2 قس 2 ص 114 والغدير ج3 ص 99 وج 2 ص 45 عن أبي نعيم وعن مفتاح السعادة ج1 ص100

(3) . نهج البلاغة ج 2 ص150بشرح عبده قسم الكتب والوصايا رقم 77

(4) . مثل المحاسن البرقي ص270 والبحار ج92 ص 78 –106 وتفسير العياشي ج 1ص 11 وتفسير البرهان ج 1 ص 19–21 وتفسير الصافي ج1 ص 29و 31 . ومعاني الأخبار ص 259 والغدير ج7 ص 108 عن ابن مسعود وميزان الحكمة ج1 ص 95 .

(5) . كفاية الأصول آخر مبحث (استعمال اللفظ في أكثر معنى) ووسائل الشيعة للكاظمي ص13

(6) . التراتيب الإدارية ج 2 ص179

(7) . سورة آل عمران ، آية 7

(8) . البحار ج92 ص 82 عن تفسير القمي ج1 ص4

...وعنهم عليهم السلام: ظاهره حكم ، وباطنه علم (1)

... وما يشير إلى هذا المعنى كثيرا جداً لا مجال لاستقصائه

...ولعلّ إلى جميع ذلك يشير ما ورد عن الإمام الصادق عليه السلام، وعن الإمام الحسين عليه السلام : كتاب الله على أربعة أشياء، على العبارة ، والإشارة ، واللطائف ، والحقائق ؛ فالعبارة للعوام ، والإشارة للخواص ، واللطائف للأولياء ، والحقائق للأنبياء(2).

أهل البيت عليهم السلام يعلمون بطون القرآن

...وقد دلت الأحاديث السابقة على أن علياً عليه السلام و هو نفس النبي (ص) وابناؤه الأئمة الهداة عليهم السلام يعرفون حقائق القرآن ولطائفه ، وبطونه ، وهم الواقفون على أسراره ؛ السابرون لأغواره ، الخائضون لغماره ، والمستخرجون للكنوز من أعماق بحاره.

...ومما يدل على وجود البطون ، وعلى أن الأئمة عارفون بها ، واقفون عليها ما روي عن علي عليه السلام : لو شئت لأوقرت سبعين بعيراً في تفسير فاتحة الكتاب (3) .

...وعنه عليه السلام : لو شئت لأوقرت بعيراً من تفسير : بسم الله الرحمن الرحيم (4) .

(1) . أصول الكافي ج 2 ص 438
البحار ج92 ص103 و20وج78 ص 278 عن كتاب الأربعين ، وعن الدرة الباهرة ، وجامع الأخبار ص 49/48
(3) . التراتيب الإدارية ج2 ص 183 وبحار الأنوار ج 89 ص 103 و93 عن أسرار الصلاة ، ومناقب آل أبى طالب ج 2 ص 53 وتفسير البرهان ج1 ص 3 وينابيع المودة ص 65 وجامع الأخبار والآثار للأبطحي ج2 ص48 وإحقاق الحق (الملحقات ج7 ص 594 كلاهما عن :أسرار الصلاة ص 138 وعن شرح ديوان أمير المؤمنين ص 15 مخطوط ، وشرح عين العلم وزين الحلم ص 91 والروض الأزهر ص33 وجالية الكدر ص40وتاريخ آل محمد ص150.
(4) – إحقاق الحق (الملحقات ج 7ص 595 عن ابن طلحة في مطالب السؤل ص26 ، وراجع : كشف الغمة ج1ص130 والتفسير الكبير للرازي ج1 ص 106 ومستدرك سفينة البحار ج1 ص 231و316

...وفي حديث آخر عنه : لو شئت لأوقرت أربعين بعيراً من شرح بسم الله (1) .
...وعن الغزالي عنه عليه السلام أنه لو أذن له الله ورسوله لشرح معاني ألف الفاتحة حتى يبلغ أربعين وقراً أو جملاً (2)
...وفي نص ثالث عنه عليه السلام : لو شئت لأوقرت ثمانين بعيراً من معنى الباء (3).
...وعن ابن عباس قال : يشرح لنا علي عليه السلام نقطة الباء من بسم الله الرحمن الرحيم ليلة ؛ فانفلق عمود الصبح ، وهو بعد لم يفرغ (4) .
و نقول
...1. إنه قد لا يكون ثمة منافاة بين حمل البعير الواحد ، والأربعين والثمانين بعيراً ؛ إذا كان عليه السلام قد قال ذلك في مناسبات مختلفة ، واقتضت كل مناسبة منها أن يشير إلى مستوى معين من المعاني والمعارف ، فإن ذكر الأقل لا ينافي ذكر الأكثر ولا يناقضه، فهو لو شاء لأوقر بعيراً، ولو شاء لأوقر اكثر من ذلك إلى الأربعين ، بل لو شاء لأوقر ثمانين بعيراً أيضاً .
...2. إن سعة علم علي عليه السلام وغزارته مما لا يختلف فيه اثنان؛ كيف وهو باب مدينة علم النبي (ص)، وقد علمه رسول الله (ص) ألف باب من العلم، يفتح له من كل باب ألف باب. وقد أثبت عليه السلام عملياً ما يقرّب إلى الأذهان معقولية تلك الأقوال والنقول و واقعيتها.
...3. إنه عليه السلام بقوله هذا يريد أن يفتح الآفاق الرحبة أمام فكر الإنسان لينطلق فيها ، ويكتشف أسرار الكون ، والحياة ، ويتعامل معها من موقع العلم والمعرفة، وليقود مسيرة الحياة من موقع الطموح،

والهيمنة الواعية والمسؤولة .

---

(1) . بحار الأنوار ج 40ص 186 عن مشارق أنوار اليقين

(2) – بحار الأنوار ج89ص 104
(3) مستدرك سفينة البحار ج1 ص 231وإحقاق الحق ج7 ص595 عن الشعراني في لطائف المنن ج1 ص171 وراجع : جامع الأخبار والآثار للأبطحي ج2 ص48
(4) . مستدرك سفينة البحار ج1ص231

...4. إن هذه الأرقام ليست خيالية بالنسبة لسورة الفاتحة ، التي هي أم القرآن ، وهي السبع المثاني التي جعلت عِدْلاً للقرآن العظيم في قوله تعالى { ولقد آتيناك سبعاً من المثاني والقرآن العظيم } (1) كما روي . (2)
...كما أن ذلك ليس بعيداً عن بسم الله الرحمن الرحيم ، أعظم آية في كتاب الله العزيز ، كما روي عن الإمامين الصادق، وأبي الحسن الكاظم عليهما السلام. (3)
...أما بالنسبة لحديث نقطة الباء فلا ندري مدى صحته ، بعد أن كان المؤرخون يذكرون أن تنقيط الحروف قد تأخر عن عهد علي عليه السلام بعدة عقود من الزمن . إلا أن يكون ثمة نقط لبعض الحروف في أول الأمر ، ثم استوفي النقط لسائرها بعد ذلك.
مناوئو علي عليه السلام وحساده
... وحين رأى حساد علي عليه السلام ، ومناوئوه المتسترون : أن علياً عليه السلام قد ذهب بها فخراً ومجداً وسؤدداً في جميع المواقع، وفي مختلف الجهات، انبروا ليدَّعوا لأنفسهم ما هو أعظم من علي (ع) ، ومن علم علي (ع) ، رغم أن كل أحد يعرف مبلغهم من العلم ، ويعرف نوع ومستوى ما يتداولونه من أمور عادية مبتذلة ، أطلقوا عليها اسم العلم ، وهي أبعد ما تكون عنه ، وذلك بسبب ما فيها من شوائب وأباطيل ما أنزل الله بها من سلطان ؛ فلنقرأ ما يقوله هؤلاء عن أنفسهم في إنتفاخات وادعاءات استعراضية خاوية.
...فقد ادعى أعظم مفسريهم الفخر الرازي : أنه يمكن أن يستنبط من فوائد سورة الفاتحة عشرة آلاف مسألة (4).

---

(1) . سورة الحجر آية 87
(2) . تفسير البرهان ج1 ص40و 41و 42 وغرائب القرآن (بهامش جامع البيان) ج1 ص28وتفسير

العياشي ج1 ص 21

(3) . راجع البحار ج82 ص 21 وج89 ص 238 عن العياشي ج1 ص 22 و21 ومجمع البيان ج1 ص 19 . وتفسير البرهان ج1 ص 42 والتفسير الكبير ج1 ص 204 ومستدرك الوسائل ج4 ص166و167 وجامع الأخبار والآثار ج2ص62 و61 و63 عن من تقدم وعن مواهب الرحمن ص 21

(4) . التفسير الكبير ج1 ص5 والتراتيب الإدارية ج 2 ص 183 عنه

...كما يدعون : أن أبا بكر ابن العربي قد استنبط من القرآن بضعاً وسبعين ألف علم (1).

...أما البكري ، فقد تكلم على بعض علوم البسملة في سنين بكرة كل يوم في الأشهر الثلاثة منه ، وقال في بعض مجالسه : لو أردت التكلم على ذلك العمر كله لم يف ، أو كما قال (2) .

...بل إن البكري قد تكلم في نقطة البسملة في ألفي مجلس ومائتي مجلس(3)

...ونقول : حدث العاقل بما لا يليق له ، فإن لاق له فلا عقل له، ونحن لا ندري كيف لم تظهر فرق ومذاهب من الغلاة في البكري يقدسونه ، بل ويؤلهونه ، كما غلا بعض الناس في علي عليه السلام حتى ألّهُوه ؟!!

...ولا ندري أيضاً كيف ضاعت تلك العلوم التي نشرها البكري في محاضراته تلك ؟!

...وكيف لم يحفظها تلاميذه ولم ينشروها في سائر الأقطار والأمصار ، ليستفيد منها الناس ، في أمور معاشهم ومعادهم ؟!!

...وليت الناس قد نقلوا لنا ولو أسماء وهمية للعلوم التي استنبطها أبو بكر ابن العربي من القرآن !! وتلك هي مؤلفات هذا الرجل متداولة بين الناس ، ولا نجد فيها أي رائحة لهذه العلوم ، بل لا نجد فيها أي تميز لها عما سواها من مؤلفات أقرانه ، ومن هم على شاكلته، إن لم نقل : إن في الآخرين من هو أكثر براعة منه ، وأدق نظراً .

...ومهما يكن من أمر ، فإن هذه الأكاذيب والأباطيل لن تستطيع أن تنال من المقام الشامخ والباذخ لعلي عليه السلام، ونقول هنا نفس ما قالته الحوراء زينب عليها السلام ليزيد "فكد كيدك واسع سعيك ، وناصب جهدك ، فوالله لا تمحو ذكرنا ، ولا تميت وحينا، وهل رأيك إلا فند وجمعك إلا بدد ، وأيامك إلا عدد" ؟!!

فصلوات الله وسلامه عليها ، وعلى جدها النبي الأعظم ، وأمها الزهراء وعلى أبيها أمير المؤمنين ، وسيد الوصيين، وقائد الغرِّ المحجلين إلى جنات النعيم ، ورحمة الله وبركاته .

خلاصة وبيان

وبعد ما تقدم كله نقول:

(1) . التراتيب الإدارية ج2 ص 183
(2) المصدر السابق
(3) . التراتيب الإدارية ج2 ص 184

...لماذا ينسب القول بأن للقرآن بطناً وظهراً إلى الشيعة فقط ؟!!
...ولماذا أيضاً يشنعون على الشيعة إذا تفوهوا بهذا الأمر ، أو كتبوه ، إذا كانت الروايات الدالة عليه موجودة عند غيرهم ، كما هي موجودة عندهم ؟!
...وإذا كان معنى الظهر والبطن هو أن يكون ذلك المعنى الذي يزاح عنه الستار مما يمكن للفظ أن يتحمله ، و للمتكلم أن يقصده ليكون بالنسبة للبعض بمنزلة البطن لهذا المعنى المكشوف ؛ فأي محذور عقلي أو شرعي يحصل من الالتزام بهذا؟!!
...فليكن –و الحال هذه –للقرآن بطون سبعة بل سبعون ، أو أكثر ، يكتشفها هذا الإنسان كلما ترقى في مدارج العلم والمعرفة ، أو يكشفها له الأئمة الأطهار (ع) الراسخون في العلم و السابقون في العمل ، الذين أشار إليهم– كما تقدم– القرآن الكريم –صلوات الله و سلامه عليهم.

الفصل الخامس

ماذا عن مقامات أهل البيت
صلى الله عليهم أجمعين

...و يقول البعض في تفسير قوله تعالى: {وعد الله الذين آمنوا و عملوا الصالحات ليستخلفنّهم في الارض ، كما استخلف الذين من قبلهم وليمكننّ لهم دينهم الذي ارتضى لهم ، وليبدّلنّهم من بعد خوفهم أمنا}(1) ما يلي:
..."...وقد اختلف المفسرون في تطبيق الآية على الواقع التاريخي أو المستقبلي فيمن هم المقصودون بالذين آمنوا وعملوا الصالحات الذين وعدهم الله بالإستخلاف .
...فهناك من قال : ان المراد بهم أصحاب النبي (ص) الذين كانوا يعيشون الخوف والضغط والاضطهاد من قِبَل المشركين الذين كانوا يملكون السيطرة المطلقة على المؤمنين ، فوعدهم الله أن يجعلهم الخلفاء على الناس من بعدهم ، يمكّنهم في الأرض ويبدلهم من بعد خوفهم أمناً ، وهذا ما حدث في سيطرة النبي (ص) ومَن بعده ، وسيطرة المسلمين على المنطقة كلها..

(1) – سورة النور ، الآية 55.

...وهناك من قال بأنها تعمّ الأمة كلها فيما أفاء الله عليها من الانتصارات والفتوحات التي جعلتها في مدة طويلة من الزمن ، مهيمنة على الامر كله ، حتى استطاع الاسلام أن يكون القوة الكبيرة في العالم بحيث شعر المسلمون بالعزة والكرامة والأمن والقوة والسيطرة .

...وهناك من قال : بأن المراد بها الخلفاء الراشدين ، ومن قال بأن المراد المهدي المنتظر ، وقد وردت هناك عدة روايات في هذا الرأي أو ذاك الرأي..

...وإننا نعتقد أن الآية جاءت من أجل أن تثير في نفوس المسلمين الثقة الكبيرة بالله وبأنفسهم ، من خلال ذلك وتكشف لهم الغيب الالهي الذي يتحرك في سنن الله في الكون فيما يمنحهم الله من لطفه وفيما يأخذ به الناس من أسباب النصر ، في الدعوة والحركة والجهاد ، في كل ما تحتاجه الحياة من عناصر القوة للرسالة وللإنسان .. لئلا يتساقطوا تحت تأثير الضغوط الصعبة الكبيرة التي تطبق عليهم ، و تحيط بهم من كل جانب ، و لئلا يضعفوا أمام نوازع الضعف الكامنة في شخصياتهم فيما تشدّهم الرواسب اليه ، و فيما تطبق لديهم الظروف عليه ، ليستمروا في التحرك ، وليتابعوا المسيرة بقوّةٍ و جدٍّ و إخلاص..

...و لم تكن لتقتصر على مرحلةٍ من المراحل ، أو جيلٍ من الاجيال ، لانها تؤكد الموقف على أساس الايحاء برعاية الله للاسلام و المسلمين في امتداد مسيرتهم في خط الحياة الطويل.. و لذلك فمن الممكن تطبيقها على كل مرحلةٍ استطاع الاسلام فيها أن يحكم و يمتد و يهيمن ، و استطاع المسلمون أن يعيشوا فيها الطمأنينة و القوّة و الثبات ، و على كل مرحلة مستقبلية تتصف بهذا الوصف و لكن.. مهما اختلفت التطبيقات ، فلا بد من إدخال الاولى للدعوة التي كان الله يريد للمسلمين أن لا يخضعوا للاهتزازات التي كانت تتحرك في حياتهم ، و للضغوط المحيطة بهم.. ليثبتوا على المبدأ ، و يلتزموا بالاسلام.

...و قد جاء في نهج البلاغة ، كلام لعلي (ع) لعمر ، لما استشاره لانطلاقه لقتال أهل فارس حين تجمعوا للحرب قال (ع):

إن هذا الامر لم يكن نصره و لا خذلانه بكثرة و لا بقلّة ، و هو دين الله الذي أظهره و جنده الذي أعزه و أيّده حتى بلغ ما بلغ و طلع حيث طلع و نحن على موعود من الله حيث قال عز اسمه: { وعد الله الذين آمنوا منكم و عملوا الصالحات ليستخلفنهم في الارض و ليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم و ليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا } و الله تعالى منجز وعده و ناصر جنده.

...فلننطلق مع وعد الله ليكون عنواناً لكل مسيرتنا. (1)

وقفة قصيرة:

و نقول:

...إن لنا هنا ملاحظات عدة ، نختصر القول فيها على النحو التالي:

...1- قوله:" و هناك من قال: بأن المراد بها الخلفاء الراشدين و من قال بأن المراد المهدي المنتظر(عج). و قد وردت هناك عدة روايات في هذا الرأي..." غير دقيق ، و ذلك لما يلي:

...أ- ان هذا القول ليس دقيقا ، فانه لم ترد روايات تقول إن المراد بالآية هم الخلفاء الراشدون.

...ب- إن القول بأن المراد بهذه الآية الامام المهدي (عج)إنما يستند إلى الروايات الكثيرة الواردة عن اهل البيت عليهم السلام في هذا الشأن .

...ج- قال الطبرسي "و على هذا إجماع أهل العترة الطاهرة ، و اجماعهم حجة لقول النبي (ص): إني تارك فيكم الثقلين كتاب الله ، و عترتي أهل بيتي إلخ..." (2)

...و قال الشيخ الطوسي و هو يرد على الجبائي و من تابعه: "و قال أهل البيت (ع): ان المراد بذلك المهدي (عج)". (3)

...2- إننا لا ندري كيف يتجرأ أحد – مهما بلغ من القوة و الشوكة- على ان يقول بمقالةٍ يخالف فيها صراحةً ما ثبت عن أهل البيت عليهم السلام .

---

(1) – من وحي القرآن ج16 ص390-392.

(2) – مجمع البيان ج7 ص201 ط مؤسسة التاريخ العربي سنة 1412 هـ بيروت لبنان .

(3) – التبيان ج7 ص457.

...و نجد هذا الرجل لا يلتفت إلى ما ثبت عن أهل البيت هنا و يقول: إن الآية لا تقتصر على مرحلة دون مرحلة بل هي تشمل ما كان في الماضي حيث استطاع الاسلام فيها أن يمتد و يهيمن ،تشمل على كل مرحلة مستقبلية تتصف بهذا الوصف ، لكن في جميع الأحوال لا بد من ادخال المرحلة الاولى للدعوة..

...3- إن هذا الرجل يذكر رواية عن أمير المؤمنين عليه السلام ناسباً لها إلى نهج البلاغة ، فلما راجعنا نهج البلاغة وجدنا أن الاستشهاد بالآية غير موجود في هذا الكتاب ، فكيف أقحم هذا الرجل هذا الاستشهاد ، وهذه الآية بالذات ؟! و لماذا ؟!

و كيف نفسر دعوته إلى التحقق من النصوص و التثبت فيها؟

يقول البعض :

... عن آية { يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك ، وإن لم تفعل فما بلغت رسالته ، والله يعصمك من الناس } (1) بعد أن ناقش الأقوال فيها:

...(.....مع أن الآية توحي بأن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) كان قد بلغ الكثير من الرسالة، أو بلغ كل تفاصيلها كما تشير إليه كلمة " وإن لم تفعل فما بلغت رسالته " أي فكأنك لم تبلغ الرسالة التي بلغتها .. لأن النتيجة ستكون بهذه المثابة من حيث الخطورة ..

...وبهذا نرجح أن يكون الوجه الصحيح هو الوجه الآخر وهو أنها نزلت في فضل علي (2).

وقفة قصيرة :

...اللافت للنظر هنا أمران :

---

(1) – سورة المائدة ، الآية 67 .

(2) – من وحي القرآن ج 8 ص 172 .

...1– انه رجح نزول آية { يا أيها الرسول بلغ ما انزل إليك من ربك} في فضل علي عليه السلام ، ولم يجزم بذلك ، فهل نشأموقفه هذا عن مقولته في الإمامة بأنها من المتحول ، حيث يقول : "..إن المتحول هو الذي يتحرك في عالم النصوص الخاضعة في توثيقها ومدلولها للاجتهاد مما لم يكن صريحا بالمستوى الذي لا مجال لاحتمال الخلاف فيه ولم يكن موثوقا بالدرجة التي لا يمكن الشك فيه ، وهذا هو الذي عاش المسلمون الجدل فيه ، كالخلافة والإمامة ، والحُسن والقبح العقليين" (1).

2– إنه قال : " انها نزلت في (فضل علي) " ولم يقل في أمر إبلاغ إمامته (ع) . ولا ندري السبب في إضافة كلمة " فضل ". ؟!

يقول هذا البعض وهو يتحدث عن حرب أحد:

..."...فدارت الدائرة على المسلمين حتى تعرضت حياة الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) للخطر فأصابته حجارة من المشركين فكُسرت رباعيته وشُجّ وجهه وجرحت جبهته ودخلت حلقتان من حلق المغفر في وجهه .. وفر المسلمون عنه ، ولم يبق معه إلا نفر قليل كان في طليعتهم علي بن أبي طالب وأبو دجانة وسهل بن حنيف فدافعوا عنه دفاع المستميت ..." (2).

وقفة قصيرة :

...1ً- ذكر هذا البعض ذلك النص الذي يتحدث عن كسر رباعيته (صلى الله عليه وآله وسلم) في أحد ، مع أن المروي عن الإمام الصادق عليه السلام :أنه (صلى الله عليه وآله وسلم) خرج من الدنيا سليما في بدنه(3) ، لم ينقص منه شيء .

...ولو أن هذا البعض راجع روايات أهل البيت لم يقع في هذا الغلط .

---

(1) -مجلة المنهاج البيروتية الصادرة عن مركز الغدير للدراسات العدد الثاني (مقالة الأصالة والتجديد)..

(2) - من وحي القرآن ج 6 ص 162 و 163.

(3) -بحار الأنوار ج 20 ص 96 وأعلام الورى ص 83 .

...2ً- قد دلت النصوص المتضافرة على أنه لم يثبت في أحد سوى أمير المؤمنين عليه السلام .لكن هذا البعض يذكر أنه قد ثبت في موقع القتال مع علي (ع) رجال آخرون أيضا ، وهم نفر قليل في طليعتهم : أبو دجانة وسهل بن حنيف ، وذكر انهم قد دافعوا عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) دفاع المستميت ، وهو ما يحاول كثيرون من أتباع المذاهب الأخرى التأكيد عليه ، تجنيا على علي (ع) وحفظا لماء وجه غيره ، فلماذا لا يتثبت في هذا الأمر ، بل يبادر للأخذ بأقوال هؤلاء ، ليس في هذا المورد وحسب ، وإنما في موارد كثيرة جداً ، مما ورد ...في حق عليو أهل البيت عليهم السلام في القرآن الكريم ؟.

... ومن الواضح أن الثابت الذي لا ريب فيه ، هو أن عليا عليه السلام هو الذي قد ثبت يوم أحد ، وكل من عداه كان من الفارين ، ويدل على ثبات علي وحده في هذه المعركة ما يلي :

...أ- قال القوشجي في شرحه على التجريد بعد أن ذكر قتل علي عليه السلام لأصحاب اللواء :" فحمل خالد بن الوليد بأصحابه على النبي (ص) ، فضربوه بالسيوف ،والرماح والحجر ، حتى غشي عليه ، فانهزم الناس عنه سوى علي (ع) ، فنظر النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) بعد إفاقته ، وقال : اكفني هؤلاء ، فهزمهم علي عنه ، وكان أكثر المقتولين منه " (1).

...ب- عن ابن عباس ، قال : لعلي أربع خصال ، هو أول عربي وعجمي صلى مع النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) ،وهو الذي كان لواؤه معه في كل زحف ، وهو الذي صبر معه يوم المهراس (أي يوم أحد) ، انهزم الناس كلهم غيره ، وهو الذي غسله وأدخله قبره "(2).

---

(1) - شرح التجريد ص 486 ودلائل الصدق ج2 ص 357 عنه.

(2) – مستدرك الحاكم ج 3 ص 111 ،ومناقب الخوارزمي ص21و22 وراجع إرشاد المفيد ص 48 ،وتيسير المطالب ص 49.

...ج– ما ذكرنا في كتابنا الصحيح من سيرة النبي الأعظم (صلى الله عليه وآله وسلم) (1)أن من يذكرونهم : أنهم ثبتوا ،لا ريب في فرارهم ، كما تدل عليه النصوص فلتراج هناك .

...د–أخرج الإمام أحمد ، عن أنس : أن المشركين لما رهقوا النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) يوم أحد – وهو في سبعة من الأنصار ، ورجل من قريش – قال : من يردهم عنا ،وهو رفيقي في الجنة ؟ فجاء رجل من الأنصار ؛ فقاتل حتى قتل . فلما رهقوه أيضا قال : من يردهم عنا ،وهو رفيقي في الجنة ؟.. فأجابه أنصاري آخر وهكذا، حتى قتل السبعة . فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) : ما أنصفنا أصحابنا(2).

سر الاختلاف في من ثبت

...وبعد ، فإننا يمكن أن نفهم : أن رجعة المسلمين إلى المعركة

بعد هزيمتهم لم تكن على وتيرة واحدة ، وإنما رجع الأول فرأى علياً ثم رجع آخر ، فرأى عليا وأبا دجانة مثلا ، ثم رجع آخر فرأى خمسة أشخاص ، وهكذا ، فكل منهم ينقل ما رآه . حتى وصل العدد لدى بعض الناقلين إلى ثلاثين .

...كما أن ما يؤثر عن بعض الصحابة من مواقف نضالية ، لعله . إن صح . كان بعد عودتهم إلى ساحة القتال .

سر الحكم بثبات أبي دجانة

...ولعل ذكر أبي دجانة في من ثبت في بعض الأخبار ،مرجعه إلى ماقدمناه آنفاً . وبهذه نفسّر قول ابن مسعود : انهزم الناس إلا علي وحده. وثاب إلى النبي (صلى الله عليهو آله وسلم) نفر ،وكان أولهم عاصم بن ثابت ، وأبو دجانة (3).

ويقول البعض :

---

(1) –الجزء 6 من الصفحة180 – حتى 193.

(2) – البداية والنهاية ج 4 ص 26 ،وحياة الصحابة ج 1 ص 533 ،وتقدمت الرواية عن صحيح مسلم ج 5 ص 178 إلا أن فيه : رجلين من قريش . وكذا في تاريخ الخميس أيضا .

(3) – قاموس الرجال ج 5 ص 7 . ولكن يبدو أن في الإرشاد تحريفا ، فراجع ص 50 منه ، وقارنها مع ما نقله عنه في البحار ج20 وقاموس الرجال .